

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



الملتقى السابع للتعرف على

الفكر الإسلامي

22-10. جمارى الثانية 1393 هـ

22-10 يوليو 1973 م

تيزى وزو

المجلد الخامس

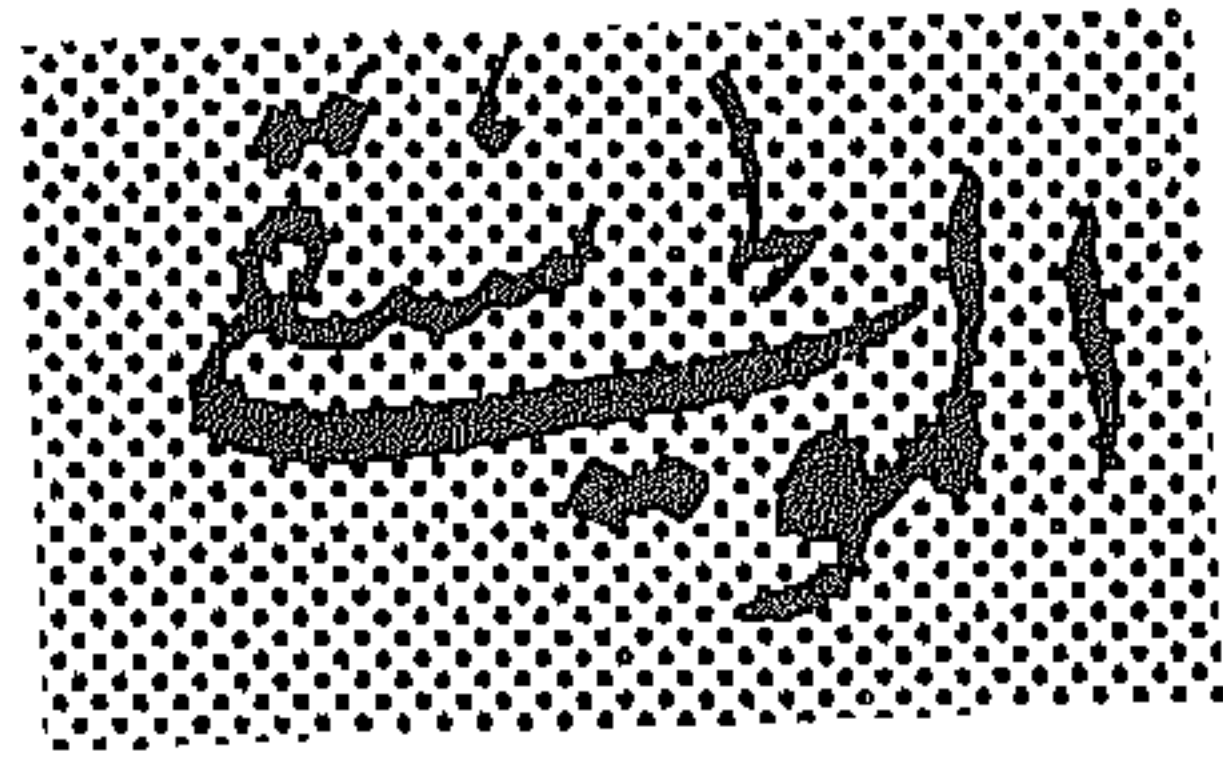
منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ وَجَّيْ

الملتقى السابع للتعرف على

الفكر الإسلامي



كلمة السيد مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الأصلي والسؤون الدينية
في حفلة الموسيقى الكلاسيكية العالمية المدمجة في برنامج الملحق

القطعة ما قبل الاخيرتين ، هي موسيقى صامتة من تأليف الدكتور
حكيم بن عطية ، رئيس الفرقة ، وهي مستوحاة من قصيدة معروفة
للأمير عبد القادر ، ومنقولة من ديوانه بعنوان (دموع ونار) .

والقطعتان الاخيرتان هما : PARTITA N° 1 EN SI b MAJ. de J.S. BACH
TOCCATA de KATCHATURIAN (1)

(1) ندرج هذه الكلمات باللغة الاجنبية لعدم توفر هذه الاصطلاحات
بالعربية حاليا ، ونبشر القارئ - وخاصة الطالب - ان كتيبنا بالعربية
عن الموسيقى الكلاسيكية العالمية هو الآن تحت الطبع ، كمحاولة اولي
نرجو ان تتبعها اخرى في هذا المجال الهام من تكوين الانسان
اي انسان .

بعد هذا البرنامج الحافل الذي امتعتنا به هذه الفرقة ، لا يسعنا
الا أن نشكر أعضائها ، ولا ننسى لهم هذه المتعة التي غمرونا بها هذا
المساء ، وهم بالترتيب :

الآنسة نادية بلال ، طالبة بكلية الطب عازفة البيانو
الاستاذ احمد مالك ، الاستاذ بالمعهد الموسيقى البلدي لمدينة
الجزائر عازف الناي

الدكتور عبد الحميد داود ، وهو طبيب ، عازف القيثارة
السيد عزيز عمران ، بالسنة النهائية من الثانوى ، عازف الكمانجة
السيد مبارك عباسية ، عازف البيانو ، واستاذ بالمعهد الموسيقى
البلدي للجزائر العاصمة .

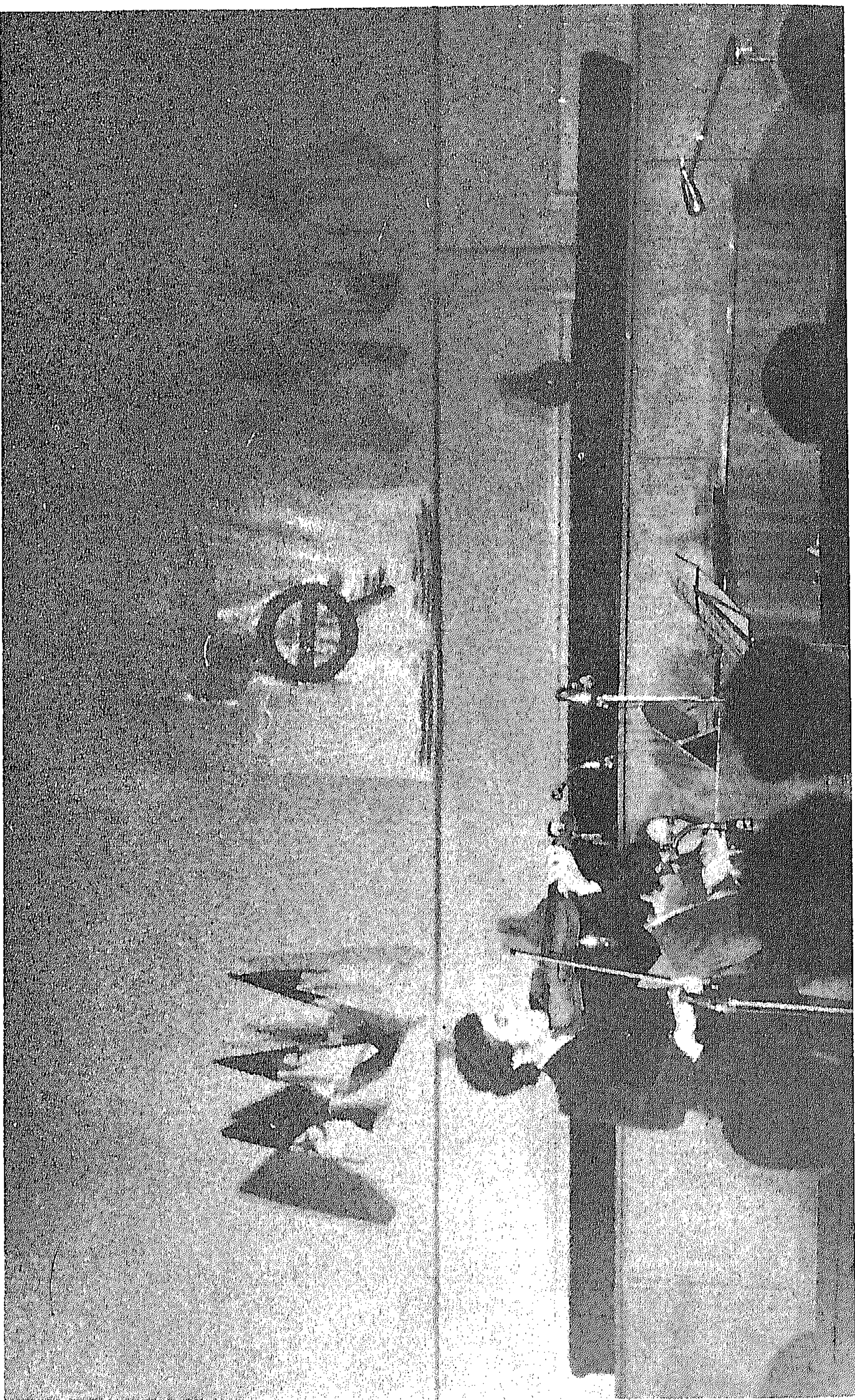
وأخيرا الدكتور حكيم بن عطية ، وهو طبيب ، ورئيس الفرقة
ومدير المعهد البلدي الموسيقى بالجزائر .

ومرة أخرى أظن أنني استطيع بدون أى شك ان اشكرهم باسمكم
جميعا هنا ، ولا يسعنى أيضا الا أن أنصح الاخوان الطلبة ، النشرء
الذين هم فى امكانهم ان يمرنوا اصابعهم وايديهم ، وفى امكانهم ان
يتعلموا العزف ، ولا يصح أبدا ، ولا يمكن أبدا ان يقال لاحد « انك
فاتك الوقت » ، هناك كثيرون ، موسورفسكى مثلا من الاعلام فى
المجال الموسيقى ، تعلم بعد ما تجاوز سنن الاربعين - فانت اربعين
سنة - من عمره ، فلا ننسى ان ننصح الاخوان ان يحاولوا ان يلحقوا
بهذا الركب ، ركب الفن الموسيقى العالمى ، هذه الموسيقى الرائعة
المتعة ، هذه النفحة الروحية التى استمتعنا بها هذا المساء ، هذه
الموسيقى التى ليس فيها دربكة ، وكلام ناب وغراميات وخمريات النخ
من كلام لا يستطيع الانسان ان يسمعه مع اسرته ، ولربما يشعر
بسخط وغضب ، ومرة اخرى شكرا للاخوان ، ونرجو ان نلتقى معهم
فى فرص أخرى . والسلام عليكم .

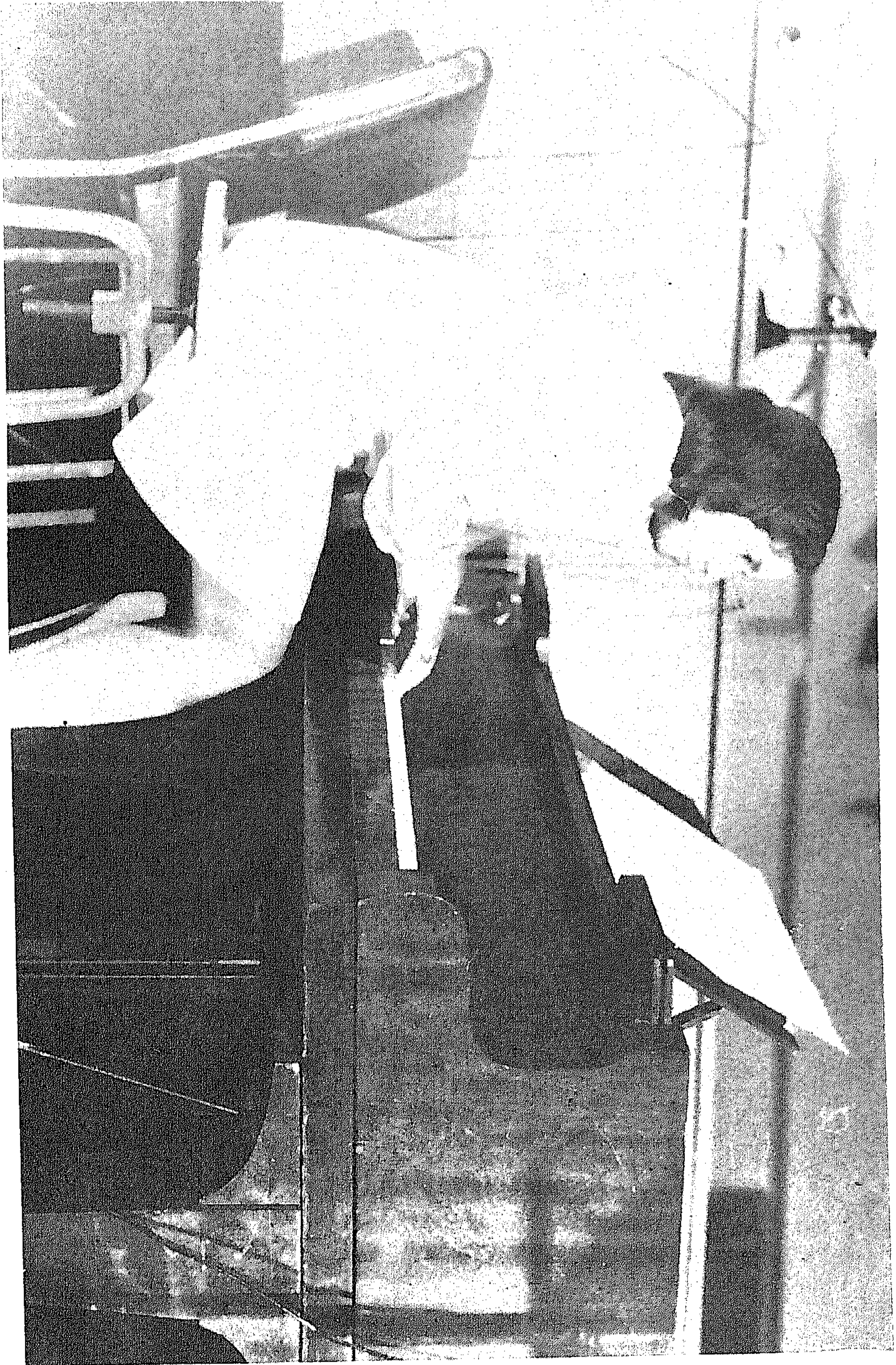


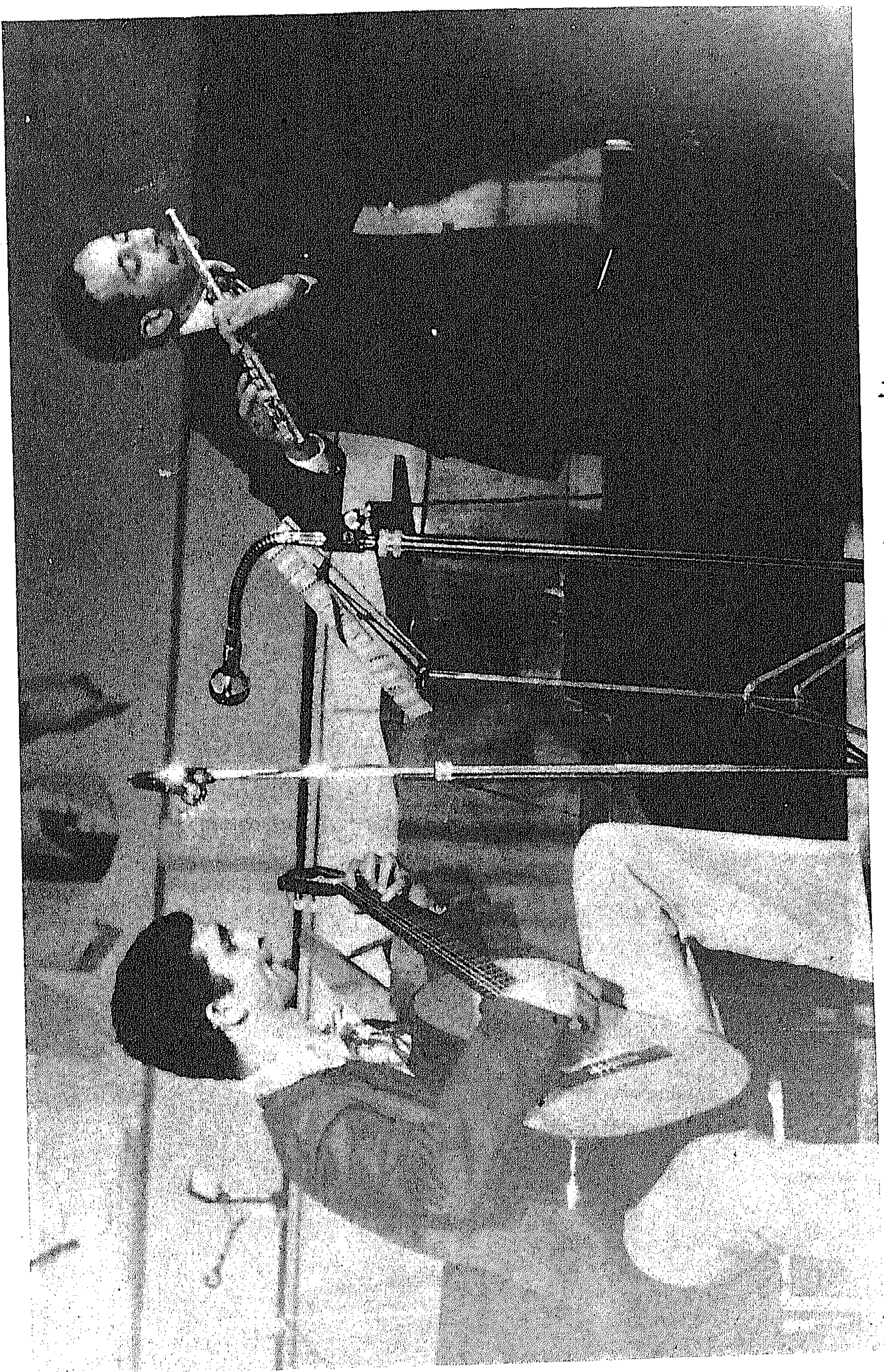
السيد مولود قاسم نايت بلقاسم بصافح عازقة البيانو الأتسة نادية بلال (الطالبة في كلية الطب) بعد انتهاء العزف -
ويرى في الصورة من اليمين الى اليسار : د. حكيم بن عطية ، رئيس الفرقة السيمفونية الجزائرية ومدير المعهد الموسيقي
البلدي للمعاصرة ، و د. عبد الحميد داود عازف على القيثارة (طبيب) وأحمد مالك ، عازف على الناي (أستاذ في المعهد) وعزيز



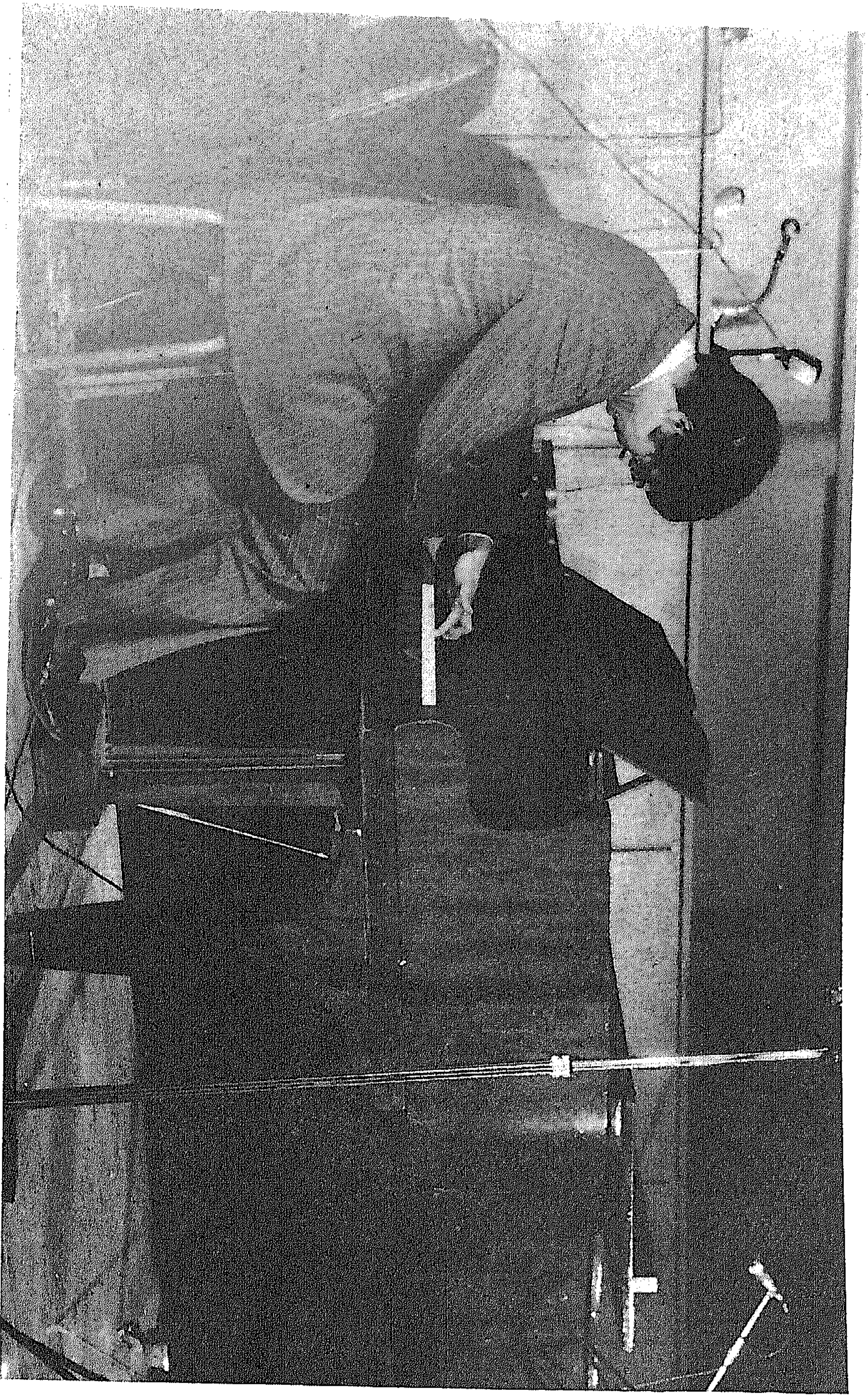


الفرقة الموسيقية المتكونة من : عزيز عمران ، عازف على الكمانجة (طالب) ومراه بلحسين ، عازف على البيانو (أستاذ بالمعهد الموسيقي البلدي للعاصمة) ونادية بلال ، عازفة على البيانو (طالبة بكلية الطب) بصدد عزف قطعة موسيقية عالمية .





عبد الحميد داود يعزف على القيثارة ، وأحمد مالك يعزف على الناي
في الحفلة الموسيقية الكلاسيكية العالمية .



مراد بن حسين يعزف على البيانو
في الحفلة الموسيقية الكلاسيكية العالمية •

القمر

بِحَيْثَةِ وَتَرْحِيبِ

للأستاذ حسن مورتى - الجزائر

حى الوفود تحية الاكرام حى اللقاء وملتقى الافهام
أهلا وسهلا بالوفود ومرحبا بذوى النهى فى الملتقى الاسلامى
جمع اللقاء أئمة العرفان من كل الجهات وأبرز الاعلام
فى العلم فى التاريخ فى الآداب فى مدينة العربان والاسلام

* * *

هنى الزواوة تزدهى بحضوركم وتتيه فخرا باللقاء السامى
تستقبل الضيفان فى كل الجهات بمنتهى التقدير والاكرام
تستقبل العرفان والمجد التليد بقلبها وبوجهها البسام
ان الزواوة فى الجزائر درة خضراء ذات محاسن ومقام
كالروضة الغناء من بعد ترى توحى الى الفنان بالالهام
فيها الطبيعة بالجمال تسربت وتطابت بروائح الانسام

طف في المدائن والمداشر والقرى
 تر يا أخى سحر الجمال مجسما
 تر في حقول التين أروع حلة
 بجوارها الزيتون يطفح خضرة
 تر في القرى والمدن كل عجيبة
 فيها الطهارة والكرامة والتقى
 وابحث عن الآثار آثار الألى
 نشروا الثقافة والهداية فاغتندت
 هدى الزوايا في القديم معاهد
 واسأل تخبرك البقايا عنهم
 تجد البطولة والزعامة والندى
 باشر صن تجد البطولة سطرت
 يوم التقى الجمعان في وهج الوغى
 واصعد الى سومر وسائل ربه
 ذات التقى ذات النضارة والهدى
 واذكر لفاطمة الزعيمة صفحة
 واستفسر التاريخ عن هجماتها
 في واضية في بوغنى في آت على
 خاضت غمار الحرب مثل لباعة
 «بوبغلة» ليث الوغى في جرجرا
 قد شددت طوق الحصار على العدى
 ما فك «رندون» لا «فرشو» ولا
 حتى أتى خمسون الف مقاتل
 فكوا الحصار وأضرموا النيران في
 بقروا البطون وأخرجوا أرحامها
 تركوا الخرائب والفجائع خلفهم
 ما سلمت هدى الجبال ولا عنت
 فتوالت الثورات ضد المعتدى
 حتى أتى بالفتح شهر «نوفمبر»
 طف في الربى والغاب والاجام
 فى ذى الجبال الخضر والاكام
 من سندس مخضرة الاكمام
 تسبى النهى ونواظر الانام
 فتانة الابصار والاحلام
 وتمسك بالعلم والاسلام
 نشروا الهدى فى سالف الاعوام
 هدى الديار ديار عز سام
 العلم المنير ومورد الافهام
 فى كل ربيع أو بكل مقام
 فى عزة وأصالة وسلام
 بدم المسبيل فى دفاع دامى
 وضريم رمى المدفع الهدام
 عن ذات حسن بارع وحسام
 بنت الكرام وربة الصمصام
 حمراء ذات قداسة ووسام
 ضد المغير بشعبها المقدم
 وثمانقدا وعلى ذرى الحمام
 مشفوعة بجراءة الضرغام
 ورفيقها فى الزحف والاقدم
 بالاربعاء بنى ارثن بنظام
 «كور» المدافع طيلة الايام
 متعطش للدم والاجرام
 تلك القرى والسيف فى الاقوام
 وقضوا على الآلاف بالاعدام
 تركوا الديار تعج بلايتسام
 لقوى المغير سوى لرفع حسام
 ثورات تحرير وفك لجام
 يوم انطلاق رصاصه الاعلام

فتحرر الشعب الجريء وأرضه من بعد سبع في الجهاد دوامى
والفضل في النصر المبين على العدى فضل اتباع شريعة الاسلام

* * *

فالعود يا أولى البصائر والنهى بالمسلمين الى التراث السامى
هدى الكتاب وروح سنة أحمد خير السبيل الى أعز مقام
فعلى بنى الاسلام ان يتمسكوا بكتابتهم فى سائر الاخكام
أن يتهجوا نهج النبى محمد لا نهج « ماركس » ولا « ويليام »
ان يجمعوا الرأى المشتت بينهم هم فى نزاع بينهم وخصام
أن يرأبوا باسم الاخوة خرقهم هم اخوة فى الدين والارحام
أن يفخروا بلسانهم فى عزة يا قوم لا برطانة الاروام
ان يستمدوا قوة من وحدة متبوعة بالفعل لا بكلام
أو كلما اجتاح العدو ديارنا رحنا نطالب هيئة الاقزام ؟
ثم اكتفينا باحتجاج صارح وابادة العدوان بالاقلام . . .
ولنا الرجال لنا السلاح لنا القوى لو وحدت محقت قوى الاجرام . .

* * *

ما ضر بالعربان الا تركهم للعزة القعساء والاقدام
بالدين عزوا فى القديم فدوخوا أقوى جيوش الروم والاعجام
سادوا الورى سادوا الشعوب بحكمة وعدالة وأخوة وسلام
ثم استكانوا بعد عز سامخ بحيادهم عن عزة الاسلام
وتفرغوا للهو والغض الرطيب ورنه الاوتار والانغام
بقصورهم وديارهم وخيامهم طرب ورقص فى خير مدام
لا العرض محترم ولا أمن على أكياسهم فى شارع و«ترام»
هذا الذى أودى بمجد جدودهم وهوى بهم فى مزلق الاقدام
جاحت شعوب المسلمين جوائح ورمت بهم فى غمر بحر طامى
والشرق مثل الغرب فى هذا البلاد كلاهما فى عارم الآثام
ان التفرق والعداوة والحنى عادت على العربان بالاسقام
فالمسلمون اليوم فى عهد القوى عهد اكتشاف عوالم الاجرام
ما زال دأبهم الكلام وخصمهم ما زال فى عدوانه المتصرامى
لا البحث يجدى لا لقاء أئمة يجدى ولا يغنى غليظ كلام

فلقد مضى دهر علينا حافل بالقول لكن دون نيل مرام
لم يجسد وعظ لا ولا نهى ولا ردع بذكر الآي والاحكام
لم ترفع الاقلام ظلما لا ولا عادت بحق دون رفع حسام
هيا اتبعوا الاسلام في احكامه ولكم كتاب الله خير امام
والسنة الغراء اوضح مسلك نحو الرقى وأسعد الايام
يا عرب ان العز بالاسلام لا عز يجديكم بلا اسلام



رَجَاءٌ وَآمَلٌ

للأستاذ حسن عورتن - الجزائر

علماء دين الله دين محمد وحراس دستور الاله المجيد
امناء اسلام صحيح وعزة الاهية بشماء في اليوم والغد
درستم كتاب الله دينا وحكمة وأوضحتم للفكر شرعة أحمد
ونقبتمو عن وضع اتباع أحمد وحالتهم في كل صنق مبدد
بكيتم عليهم بل رثيتم لحالهم وفكرتمو في حل وضع معقد
وقيل فلا تنسوا شباب بلادكم كثيرهم بالغرب في الفكر مقتد
فاولي بكم اولى بتبليغ دينكم لهذا الشباب القاري المتمرد
واني اري الاولي بهدي شبابنا الى دينه الاسمي شباب محمد
شباب تغنى بالمعارف والتقى ولم يخش دجالا وسطوة ملحد

فلم يبق الا أن تؤدوا رسالة
 تؤدونها في كل ناد ومسجد
 بكل مكان تسلكون الى النهي
 طريق يضم الاصل من كل مذهب
 أما دعوة الاسلام من عهد أحمد
 لنا في كتاب الله أسطح حجة
 على أن روح الدين روح موحد
 وهل ضرنا الا اختلاف مذاهب
 نرى طرقا في الدين في كل موطن
 نرى قطبها يدعو الى الزهد في الدنيا
 ويزعم كل انه ذو كرامة
 تولد من ذا ريبة وتشكك
 وأصبح فينا من تصدى لدينه
 غزا دورنا التبشير في كل بقعة
 دفعنا لهم ابناءنا وبناتنا
 وفينا رجال أهل علم وحكمة
 فلا عيب ان أنتم سمعتم بمارد
 فهني ديار القلم أغوت شبابتنا
 وهذي ديار اللهو ألهمت شبابتنا
 وهذي ديار الخمر تجرى عيونها
 وهذا اختلاط الجنس في كل مرقص
 وأمثال ذى الآفات لم يحص عددا
 ألا عالجوا داء تأصل في الحشا
 أجل كان تبشير وجنبه فكرة
 أيا خلفاء الله بعد محمد
 عليكم بحفظ الدين من كل ملحد
 وخلفكم جنس عتيد مجند
 فسعيا لضم الشمل في كل موطن
 سلام عليكم ما عملتم لدينكم
 مقدسة في ثوب عصر مجدد
 بأخلص ايمان وأطهر مقصد
 طريق ائتلاف لا طريق تشرد
 كفانا افتراقا ما نرى من تبدد
 تنادى بتوحيد لقصد موحد ؟
 وفي سنة المختار أصدق مرشد
 هو العروة الوثقى وأجدي موحد
 ولا خير في هذا الخلاف المبدد
 وليست من الدين الحنيف المحمدي
 يكره للاتباع كل مجسد
 وانه مهدي وهادي ومهتدي
 فزدنا ابتعادا عن شريعة احمد
 يرميه في عصر الضيا بالتجمد
 لتمسيحنا أو خلق عاص وملحد
 لتعليمهم في كل ديسر ومعهد
 وأسلامنا دين الرقي والتجدد
 على الدين من داع لفسق ومفسد
 بأفلام سراق وجسم مجرد
 إناثا وذكرانا برقص معربد
 بداء عضال بالخراب مهتد
 وفي كل شط بالحسان مزود
 هي العنصر الانكى لعيش منكد
 ومورده يا قسوم أخبت مورد
 شيوعية لا ترتضى بمحمد
 وحراس ميراث مجيد محمد
 ومن كل دجال عنيد ومعتد
 ورايته القرآن في كل مشهد
 ونشر هدى الله وسنة أحمد
 وفوقكم الرحمن خير مؤيد

غنيت للفرحة الحضراء

مصطفى محمد الغماري - طالب بكلية الآداب
جامعة الجزائر

اخواني ، اساتذتي ، بفضل الاسلام نالت الجزائر استقلالها ،
وحاربت فرنسا والمبشرين الذين تستروا وراء الاستعمار السياسي
لتحقيق اهدافهم الاستعمارية . والاستقلال الجزائري ، وذكرى
الاستقلال ، ذكرى عزيزة على كل مسلم . وعندى قصيدة فسأقرأها
وسألقياها على مسامح اساتذتنا :

غنيت للفرحة الحضراء الحاني للنصر للفجر أهواه ويهواني
للذارعين على درب النضال دما يجوب في غمرات البأس أوطاني
للطالعين من الآفاق الروية يبرعم الضوء فيها سر ايماني
للضاحكين وفي اشراق بسمتهم نهر يروي احساسى ووجداني
اعجوبة الدهر كنا ما نزال على نهج العروبة في عز وسلطان
قضى لنا الحق اذ كنا له حرسا والذائدين بأرواح وأبدان
وصانعين على دنيا ملامحه حمراء في منهل للموت ضمان
جزائري صرخة الابطال ثائرة على طريق الهدى يزهو بقرآن
يا صيحة الحق انت سفر تقراه للعالمين ونرويه باتقان
كم فيك للنصر آيات أرددها فتننتشى من ثناها البكر اكواني
مليون نجم هوى في ساح ملحمتي فدا لك الروح روحى بعض قربانى
ما مات منا شجاع انت شاهدة الا لتطبيق اسلامي وقرآني

الله اكبر ٠٠٠ عشناها مجلجة كصاعقة تبيد الظالم الجاني
الله اكبر ٠٠٠ ما أحلى تلاوتها على القلوب اذا جالت بميداني
على مسامعنا أنس ومرحمة ودفقة من سنى تسرى باحضاني
فذاك منا صدور ما جرى دمها لعمد رجس ولا تسبيح أوثاني
من كل احمر فى جهل وفى دنس وفيلسوف اذا رأى ببهتان
يلوك لفظا سقيما ما له قيم سوى التنطع فى حقد وشنان
يرى التراث جمودا فى تقدمنا بل انت يا شانيء رجس بأوطان
ان يجحدوا الحق أنوارا مقدسة فهل تراهم سبوى عور وعميان ؟
جزائرى جددى عهدا نعيد به فجر العروبة من أبناء عدنان
من الذين يشيدون العلى قما عرباء تحنو على أرضى واكوانى
عروبتى اصبحت لفظا نموجه على الاثير بانغام وأوزان
عروبتى اصبحت سترا ندبجه على جرائد من زيغ وبهتان
جزائرى ضمدي جرحا بمشرقنا جرح العروبة اضناني وأدmani
جرح الكرامة فى أرض تمزقنى ذكراه تقذفنى فى ألف بركان

محمد الوعدوني

للأستاذ صالح جودت - جمهورية مصر العربية

وعبقري ملهم فنسه من عالم فوق نهى الآخـره
ما علموه الشعر ، لكنـه لآله من روحه الشبـاعرة
حديثه السحر سـوى أنه من غير وهم الفئـة السـاحره
من العبير القدسي افتنه ومن رؤى الهامه العاطـسره

* * *

يارب ، ما أجمل هذا الوليد يارب ، ما أكمله في الصور
بأى وعد فى الورى أو وعيد يهز فى المهد صروح القدر
مزلزلا ايوان كسرى العتيد وشاطرا فى الليل وجه القمر
هل بارك الارض نبي جديد فى راحتيه رحمة للبشر ؟

* * *

قام الى قوم عفاة نيام بدعوة الحق ودين السماح
ينشر في الارض لواء السلام ويمحق الظلم بحد السلاح
شريعة الاحرار تمحو الظلام وترسل الروح طليق السراح
الا لوجه الخير هذا القيام وفي سبيل الله هذا الكفاح

* * *

في زمر مختلفات القبائل قلوبها شتى فلا تلتقى
لم يك للمجد اليها سبيل ينهض في تاريخها المملوق
طافت بها معجزة للرسول تعقد تاج الارض للمشرق
وتنزع الحق من المستحيل بالوحدة الزاهرة الرونق

* * *

من ذلك الأمل من يعرب يحلم في الارض بمجد السماء
ويبعث الصبيحة في يثرب فيحشد الامة حول اللواء
يا عجباً من سحر هذا النبي العبقري الفرد في الانبياء
كيف سما بالبلد المجدب لللكوت بين قرني ذكاء

* * *

وتابع الزحف القوى العتيد سبيله بعد النبي الحبيب
وسار والله عليه شهيد ينشئ ملكاً شمسه لا تغيب
وطالع الدنيا دعاء مجيد يرقى الى سمت السميع المجيب
في آية تشدو بأعلى نشيد نصر من الله وفتح قريب

* * *

أى والضحي والليل اذا سجا قد حق نصر الله للمؤمنين
واشرق الفجر وغاب الدجى وانهمزم الشك وعز اليقين
وهل يقل الامل المرتجى من عزمات الشرك والمشركين
الا بنور الحق ان أبلجا وهزة السيف على الظالمين؟

* * *

يا سيرة من غابر الاعصر خفاقة خلف حجاب السنين
لم تخف عن كسرى ولا قيصر وان طوتها غفلة الحاضرين
عودى الى اقوامنا وانظري ما تصنع الفرقة بالهاجرين
لم تبق الا دعوة تنبيري صيحتها من ملتقى الثائرين

* * *

انهض اليها يا ابا مدين وحرك العزم وهز البنود
ولتنطلق من قلبك المؤمن صيحة جبار يهز الحدود
فبيننا شعب بلا موطن قد ضاق بالصبر ومل الوعود
ازرى به فى الزمن الارعن تخاذل العرب وغدر اليهود
* * *

انهض بشيرا او فقم منذرا وقل لأصحاب الكتاب المبين
يا خير من اخرجتمو للسورى كيف انتهيتم للمصير المهين
فبعضكم مستغرق فى الكرى وبعضكم يبكى حماه الطعين
وبعضكم هامته فى الثرى وبعضكم شعب من اللاجئين
* * *

لوذوا بحبل الله واستعصموا بالعروة الوثقى ولوا الشتات
وليمنتظمكم محاور مسلم تسلموا امانيه بأم اللغات
لا تعرفوا اليأس فتستسلموا له فان اليأس صنو الممات
ان لم تفز بالمجد ايديكمو فلن تنالوا المجد بالمعجزات

حبيب من السماء

للأستاذ صلاح جهود - جمهورية مصر العربية

لى حبيب لست أخشى فيه عين الرقباء
أتمناه ولا يملعنى عنه حياتى
هو فى الشدة عونى وهو فى الليل ضيائى
وعليه صلواتى وبلغناه دعائى

* * *

يا حبيب الله والناس ويا نور السماء
يا مجيرى من مصيرى يا أمير الانبياء

يا شفيعي يوم لا يسأل عنى شفعاى
أنا غنيت بذكراك صباحى ومسائى
وبذكراك انتشت روحى وأبدعت غنائى
وبنجواك ازدهت نفسى وتاهت خيلاى
وعلى بابك يا أحمد القيت رجائى
كلما عانيت ناديتك فانزاح شقائى
يا بشير المسلمين المؤمنين الاتقياء
ان تكن عنى رضيا فأنا فى السعداء
يا حبيب الله والناس ويا نور السماء

دُعَاءٌ ، أَنَادِيكَ يَا مَنْ تَلَبَّى النِّدَاءَ

لِلْأَمْتَانِ صَالِحِ جُودَتَا - بِمَهْرٍ مِصْرَ الْعَرَبِيَّةِ

أَنَادِيكَ يَا مَنْ تَلَبَّى النِّدَاءَ وَأَدْعُوكَ يَا مُسْتَجِيبَ الدُّعَاءِ

أَنْلِنَا الْإِمَانُ وَسَدَدَ خَطَايَا
وَطَهَّرَ حِمَانَا مِنَ الْأَشْشَقِيَاءِ
بِحَسْبِ حَبِيبِكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ

* * *

تَقُولُ لَكَ السُّرُوحُ : يَا خَالِقِي
حَمَلْتِ الْجَهْدَ عَلَى عَاتِقِي
وَأَوْلَيْتِهِ هِمَّةَ الْوَائِقِ
وَرَمْتِ الْحَيَاةَ بِلَا عَائِقِ

وَرَدَدْتِ لِلْخَيْرِ أَغْنِيَّتِي فَغَالَتْ قُوَى الشَّرِّ أَمْنِيَّتِي
وَأَنْتِ تَبَارِكُ حَسْرِيَّتِي

فباسم الصغير اليتيم الوليد
وباسم الشهيد وأم الشهيد
وباسم الطموح لفجر جديد
وباسم الكرامة واسم الفداء

أناديك يا من تلبى النداء وأدعوك يا مستجيب الدعاء

انلنا الامان وسدد خطانا
وطهر حمانا من الاشقياء
بحق حبيبك فى الانبياء
ايرضيك يا صاحب القبلتين
قيام اليهود على الحرمين
مسار المسيح وجد الحسين
ونحن نليك فى المشرقين

ونعنوا لذاتك يا ذا الجلال ونبدل ارواحنا فى النضال

لنحمى حماك ونمحو الضلال
باسم محمد واسم المسيح
وباسم الاسير وباسم الجريح
وبالنار أقسم لا يستريح
الى أن يجيء انتقام السماء

أناديك يا من تلبى النداء وأدعوك يا مستجيب الدعاء

انلنا الامان وسدد خطانا
وطهر حمانا من الاشقياء
بحق حبيبك فى الانبياء

أَيُّهَا الْمَنْظُورُ السَّلِيمُ

للدكتور وصفي أبو مغالي - فلسطين

أقول الى الجهاد الى الجهاد لدفع الظلم أو رد الاعمالى
يقول الاذكباء لم التنادى ؟ وما يجنى الخلائق بالتسمادى ؟

أليس « المسلمون » من « الاسلام » ؟

دعاؤك للوغى شر الاثم

أقول طفى اليهود على البلاد وسال دما غمزيرا كل واد
يقولون المصيبة فى العناد وفى نشر العساء بكل نساد

فان تنفض جناحك بالمدله
 تجد عند الغزاة الخير كله
 أقول يوتنا باتت جذاذا وما فى الارض من شبر ملاذا
 يقولون التبجح ذا لماذا ؟ أليس لكم من الصحرا معاذا ؟
 أستم فى الكهوف وفى الخيام ؟
 فذكرك للبيوت من التعامى
 أقول جيوشنا قهرت مرارا جنينا من معاركها شنارا
 يقولون التقهقر ليس عارا وينجى الجيش نصرا وانكارا
 رأوا ان النبىات رحى دمار
 وخوف الفقر لاذوا بالفرار
 أقول الموت للأحرار خير ولا يرضى ذليل العيش حر
 يقولون اصبرن فالموت مر وترك مباهج الدنيا أمر
 لو أن الموت يحلو فى الخلق
 لكان من التجارة كالعقيق
 أقول طغى الفساد على المصائر وامعن فى المظالم كل فاجر
 يقولون انتهز موت الضمائر والا كنت فى دنياك خاسر
 فان ضمائر الاجناد نحس
 وان ضمائر الحكام بنحس
 أقول وكيف نصنع بالفقير أيترك والشقاء على حصير
 يقولون الفقير على الحصير لأهنا منك ترفل فى الحرير
 أتطمع أن يكون لكل فرد
 من الفقراء قصر دون جهد
 أقول وكيف تحقيق العدالة وبعض الشعب يحلم بالنخالة ؟
 يقولون اترك تلك المقالة والا كنت من بعض الحثالة
 فتلك مقالة السفهاء حتى
 يصير الناس فى الاهواء شتى

أقول نريد للاسلام وحده فمن هذا التفرق كل شئده
يقولون التنافس في جـدة قديما كان للاسلام وحده

ولن نشقى عبيدا للقديم

مضى ألف على العهد القديم

أقول بشرعة الله الغناء بها من ذل وهدتنا شقاء
يقولون ادعواؤك ذا غباء يزيد به التناحر والعداء

نصارانا سترفض أو تحارب

فيشقى الناس في وهج المصائب

أقول حديثكم بالحق فـج يقول الله «واعتصموا» لتنجوا
يقولون انتهجنا ذاك نهج لكل مقالة دخل وخـرج

دعاؤك ينزل الحسران فينا

وداعا سوف ترضى ما رضينا

الشرع والوحدة

للأستاذ القاضي عبدالله مجاهد السقالي - لجمهورية العربية اليمنية

عري الشرع شدت بالصلاة وحكمه
فان أهمل لم يبق الا التناثر
وقوتنا في وحدة لا يشوبها
رياء ولا يوهى فواها مناجر
ألا هكذا للشرع تبني القناطر ويمضى عليها بالشعوب الاكابر
لقاء سيجنى المسلمون غراسه فيا حبذا ما مهدته الجمزائر
أ (نيزى وزو) انك اليوم نجمة اليك باكبار تشسر الحواضر

نسير اليها من بلادى جبالها
تشير بحمد لابن مدين انه
الى أرضها السماء الرحال تواخذت
خبير بأسرار الشريعة ، أنها
عري الشرع شددت بالصلاة وحكمه
وقد عق شرع الله فى العصر قومه
وان لنا فى ملتقى اليوم نظيرة
وغاياتنا احياء شرعة أحمد
بتطبيقه فى الامس عز جنابنا
هو الصرح ، والايمان أس ثباته
وصاح غراب البين بين صفوفنا
ومزق شمل المسلمين وأصبحوا
وليس كهول اليوم (يا قوم) انه

بفكيه فى قلب العروبة فاغر

فجولان شرم الشيخ سيناء غزة
تولت الى كف اليهود برغمنا
ولم يغن عنا ألف قيل وجمعنا
ثلاث سويقات بها جيشنا انقضى
بطولاتنا فى القول مل ضجيجها
فيا قادة الاسلام حكما وحكمة
اعيدوا الى شرع القرآن نفوذه
مصادر فيها العدل والخير والهدى
بتطبيقها فى ظلنا الارض عمرت
تناوشنا الاهوال من كل جانب
ولم نلق اسرائيل فينا مناعة
وما كان جيش العرب ينقص عدة
ولكنما فقدانه لعقيدة
فولى بعبر الريح رحلان ظهره
فلسن تنفعن دبابه وقذائف

وقبلتنا الاولى بها طار طائر
تصرفها بالنهاي والامر (مائر)
وان كان مليارا ولم يغن هادر
ولا جيش الا بالعقيدة ظافر
محيط ، خليج هادر ، متشاور
أصيخوا لصوت رددته المصائر
ففى بحرهم للحاكمين مصائد
على عقد جيد الشرع بيض اذاهر
ولما انحرفنا جرعنا الفواقر
وطال علينا أنذل الناس ماكر
ولا يدفع العدوان من لا يخاطر
ولا عددا لما دعت به البواتر
هو السر اذا دارت عليه الدوائر
وضمت السوف القاذفات الحفائر
اذا لم يكن فسوق المدافع نائر

له زود القرآن نفسا وفكرة وروده من علمه اليوم حاضر
فربوا على القرآن (قادة عصرنا)

شبابا بهم ينفي دخيل وماكر

شباب من الايمان صيغت نفوسهم
شباب تقى طامح متوثب
رضاء الله مهواهم وتطبيق شرعه
تري فهم الدنيا شباب محمد
هم في الوغى اسد وفي السلم صنع
شباب اذا نادى الجهاد فانهم
هنا وبهذا الملتقى اليوم رمزهم
بهم يزدهى في ملتقى اليوم جمعنا
وقوتنا في وحسدة لا يشوبها
فما منهم الا الكمي المغامر
عليم لعرفان الزمان مسابير
لهم هدف لم يشنهم عنه قاهر
شباب ابي للتفاهات هاجر
وللعلم زهر للسلا مظاهر
نجوم وشهب والصقور الكواسر
وهم لغد وراثنا والذخائر
كما يزدهى فوق الحميلة ماطر
رياء ولا يوهى قواها متاجر

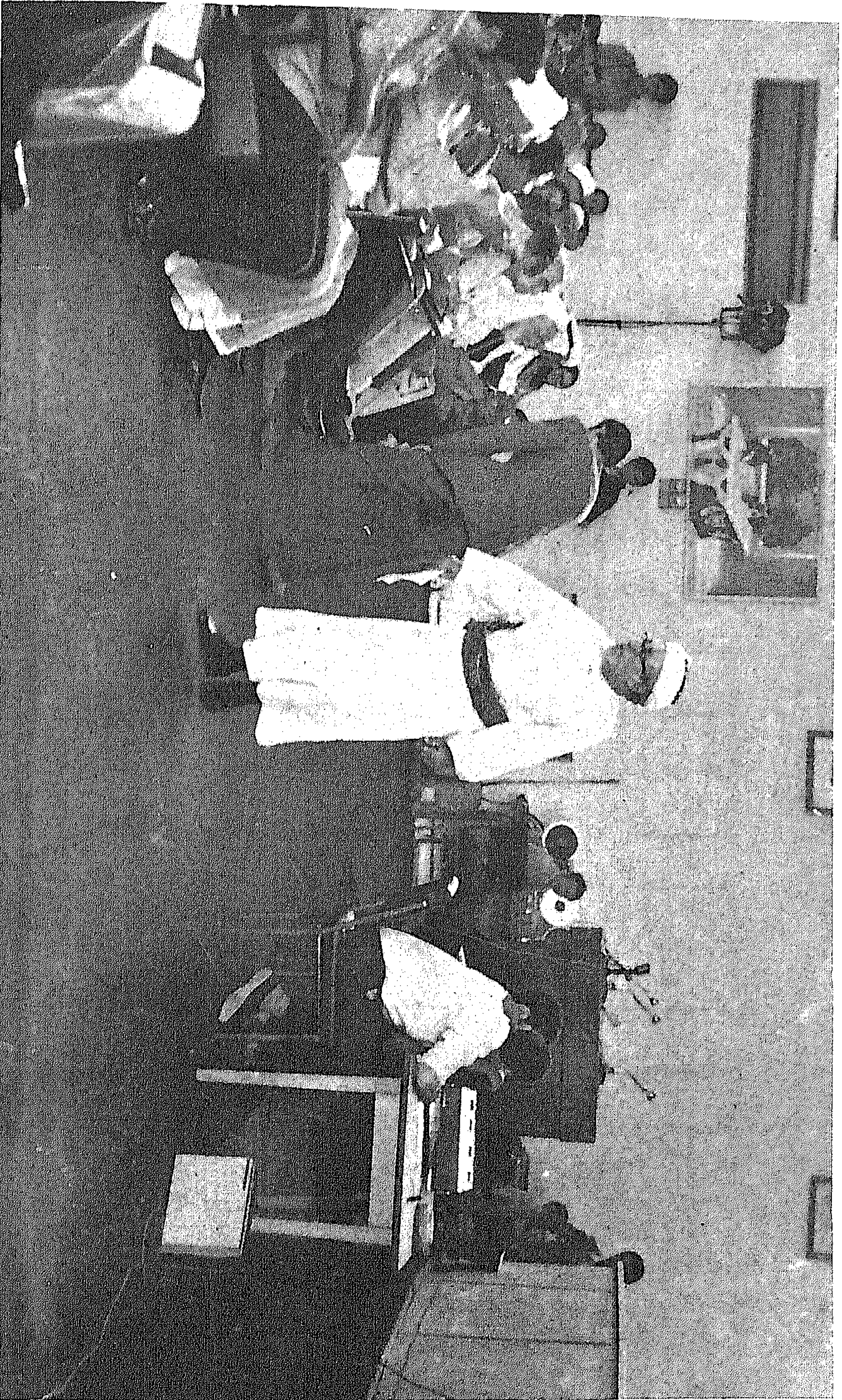
سَبَقِي يَا جَزَائِرَ فِي فُوَادِي

للأستاذ القاضي عبد الله الجاهد السَّماحي - الجمهورية العربية اليمنية

ستبقى يا جزائر في فؤادي نشيد المجيد يتلى في بلادى
فمن وطنى الجزائر سوف أغدو غداة غد الى وطنى التلاد
الى صنعاء الى عدن وأب أجي عن جزائرنا نجادى
واحمل للجزائر عن ربها جلال جمالها فوق الوهاد
تذكرنى مناظرها بأرضى مغانى حدة وربى البوادى (I)
وما كانت لأرب من سدود وفى ارم لنا ذات العماد
هنا وهناك فتیان ليوث اذا الاسلام نادى للجهاد
يلاقون المنسايا بابتسام ويحمون المكارم بالحداد
أبناء الجزائر سوف نعلی منار غد على السبع الشداد
اذا انتظمت ايادينا جميعا وللغايات سرنا باجتهد
سأحمل هذه الافكار عنكم لنمضى فى ثبسات فى اتحاد
واغدو تاركا فيكم شعورى

سجلا مودعا فيه ودادى

(I) حدة احد منتزهات ورياض صنعاء .



الشيخ القاضي عبد الله المجاهد الشماحي في طريقه الى مقعده

هنا يا القومي

الأستاذ القاضي عبد الله المجاهد الشماحي - الجمهورية العربية اليمنية

في الجلسة الثانية من الملتقى وقف الشعر ليأخذ مكانه ، وفي هذه
الوقفة عبر القاضي عبد الله المجاهد الشماحي عن أحاسيسه في هذه
القصيدة :

هنا يا قومي ، بالجزائر مظهر باننا بجد قد بدأنا تفكر
باننا بدأنا نحو شرعة أحمد نسير بايمان به سوف ننصر
ففرح للاسلام اعلام شرعة ونمضي ، ونمضي ثم لا نتقهقر
واني أرى في ذا اللقاء هلاله بما يتمنى المسلمون سيسفر
بوجدتنا الكبرى التي الشرع تبعها فانعم به من مورد عنه تصدر
وبحث هلال الصوم في مستقرنا له وحدة الاسلام حقا تقرر
وليس مجال البحث فيه بتافه له غاية اسمى من البدر ابدر
فان صغيرات الامور وافد بها يربط التاريخ ما هو أكبر
وما وحدة الاوقات الا عناصر بها الوحدة الكبرى تشد وتؤطر
ونحن بها في الامس تحت قراعنا هوى تاج كسرى وامتطى الفر قيصر
وشاد بها الفاروق للعدل دولة سواء بها سود وبيض وأصفر
لهم نسب الاسلام وحد ما بهم هنا عربي أو هنالك بربر

فكلهم القرآن ولد فكرهم وكلهم فى الشرع أهل ومعشر
وكلهم للشرع أمة أحمد له حكموا فيما يريد ويأمر
واكرمهم اتقاهم وابرهم بأتمته للصالحات متمر
فهذا هو الاسلام ديننا وفكرة فما ذا عرى أهليه ، هذا المحير
لقد فرقتهم نعرة ومذاهب وفى العصر افكار من الشرك أخطر
علينا اعناها بسوء تصرف وفى كل قطر مترف ومتبر
بطاقتنا ، روادنا لهداتنا تبيد ويتلو أول الهلك آخر
خلايا هى الزلزال طى وجودنا لها كل عام انقلاب يفجر
خلايا بناها الجاهلون بطيها « يهودى » على شرق القناة يمزج
يمد جبالا للفرات وفارس ومرماه سودان ومصر وخبير
يشاركه اطماعه الكفر كله فماذا يصد الهول عنا ويدحر
رجوع الى القرآن والعلم رجعة توحدا اقطارا لنا وتعمر
وليس محالا من هنا نبدا الخطى جزائرتنا بالبده اخرى واجدر
تكون بالتوحيد لله وحدة فوحدتنا للعدل فى الارض محور
بنا الوحدة الكبرى التى نحن نبعها اذا نحن اخلصنا لها تتبلور
وتبرز عملاقا وتصرع كل من يصارعها فى سيرها ويوخر
ويسقط فى تيارها كل مارق وفى لجها ينهى الشقاق ويقبر
لنا وعلينا واجبات بحفظها سنحفظ للاسلام روحا وننشر
فنحن لها روادها ولقومها هداة ولا يهدى الى النصر مدبر
ولا من تعالى عن احاسيس شعبه ولا من له الحقد الدفين مسير
ولا من عليه البعض سد طريقه ولا مترف فى شخصه متحجر
ومن بالمبادئ والحقوق متاجر وهذا هو الداء الذى منه ينفر
ولا من عميل ذاب فى غير شعبه فهذا من الغازى على الدين أخطر
هو الجد ياقومى فكونوا لروحه مثالا به روح الشريعة يسفر
ولا تخدعونا بالثناء فنثنى ونحن الصحراء والبحر نمطر

مشاكلنا شتى واعمقها اسي مواقف ننسى بعدها ما تقرر
فترجع في دوامة من مطامع تفرقنا مثل الحصى حين ينثر
فهذا لردعه وذاك لغيره وذاك (لنين) بين عينيه ينظر
وهذا اشتراكي وذلك ضده وما هي الا ضجة ليس أكثر
فواقعا من فوق ذلك كله فهل فيه عن جد وعلم مفكسر
نتأتى حلول المشكلات كما يرى طبيب بادواء الشعوب مدكتر
يقوتنا في وحدة لايشوبها نفاق ولا يوهى عراها موجر
يكونها القرآن فهو الذي به نحقق ما نصبو اليه ونظفر
ونصدر من ذا الملتقاء بخطوة ونحن على تنفيذها بعد اقدر
فتمضى بتوفيق الى اوج وحدة يباركها قرآنا ويكبر

القطبان والبحر

للأستاذ القاضي عبد الله الجاهلي الشامي - الجمهورية العربية اليمنية

في رحلة سياحية كانت ممتعة وقد جمعنا فيها بين مناظر الطبيعة
في أجمل وأكمل مباحجها بحر تتلاطم امواجه وجبال بقممها تناطح
النجوم ، وسهول بالمصانع والمزارع ، والرياض والقرى تعج ، تشقها
الانهار ، والطرق ، ومن هذه المشاهد جاءت ونحن تسير بنا السيارات
هذه الايات :

رياض لنشوتها نسطح وفي ظلها جمعنا يمرح
تناجى البحار وتحوى الجبال على السهل أفنانها تسبح
رياض يغطي الربى سرحها وللأسد في غابها مسرح
تسيل المياه بوديانها وبالجد أطوادها تسرح
ب (تيزى وزو) ارباضها تحيط شجيراتنا تمنح
اليها ذهبنا وفي نزهة لها كل شيء لنا ممرح
أ (بنى بنى) على ملكها يحييك من يحصب يفسح
فيا للجزائر ما اثبتت بها للعلا كلنا نطمح
وفيها عقودنا لاجيالنا مجالس في فكرها نسبح
بها الشرع معتمد للذكا فانتاجنا مشر مريح
جزائرنا ، هذه أرضها باطوادها للسما تنطح
وابناؤها شهب فوقها فمن رام اذلالها تلفح
نجوم تضى لاجيالنا رجوم لأعدائنا تمسح
فحى الجزائر حى اللقاء فهذا اللقا مرشد مصالح

القطب الحارح وحسائر

للأستاذ مصطفى الزرقاء - الأردن

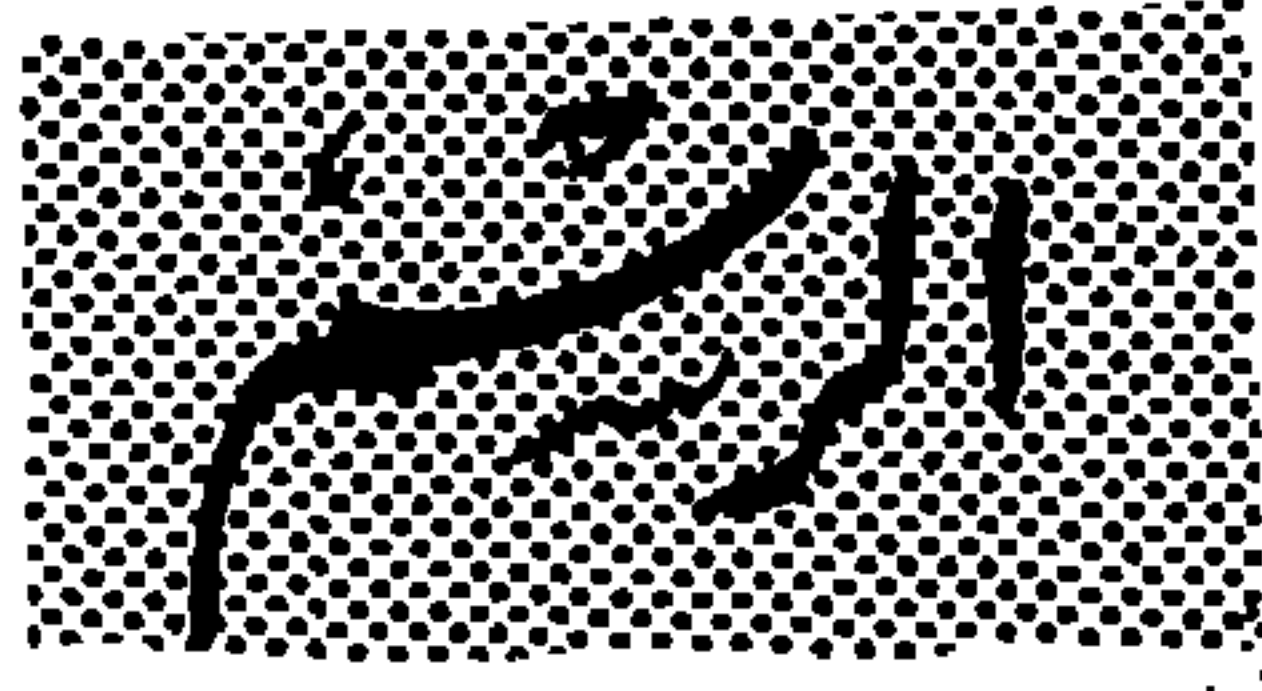
فى نهاية الملتقى السابع للفكر الاسلامى فى مدينة تيزى وزو فى الجزائر نظمت رحلة ممتعة صعودا الى منطقة بنى ينى فى الجبال ، ثم انحدارا من أعالى القمم الى ساحل البحر فى طريق العودة مساء الى تيزى وزو . وكانت الرحلة بصحبة معالى وزير التعليم الاصيل والشؤون الدينية الاستاذ مولود قاسم الداعى الى هذا الملتقى .

وكان دليل الرحلة الاستاذ حسن حموتن الخبير بالمواقع والوقائع يقوم بمهمة التعريف بالمواقع والقرى والغابات ، ويروى اخبار الثورة الجزائرية والمعارك التى خاضها الثوار المجاهدون الميامين ضد الجيش الفرنسى الغاشم فى كل موقع تمر به هذه الرحلة . وشوهدت فيها بعض الغابات الجبلية التى أحرقها الفرنسيون بقنابل النابالم ليمنعوا الثوار المجاهدين من اتخاذها مكامن وملاجئ لهم .

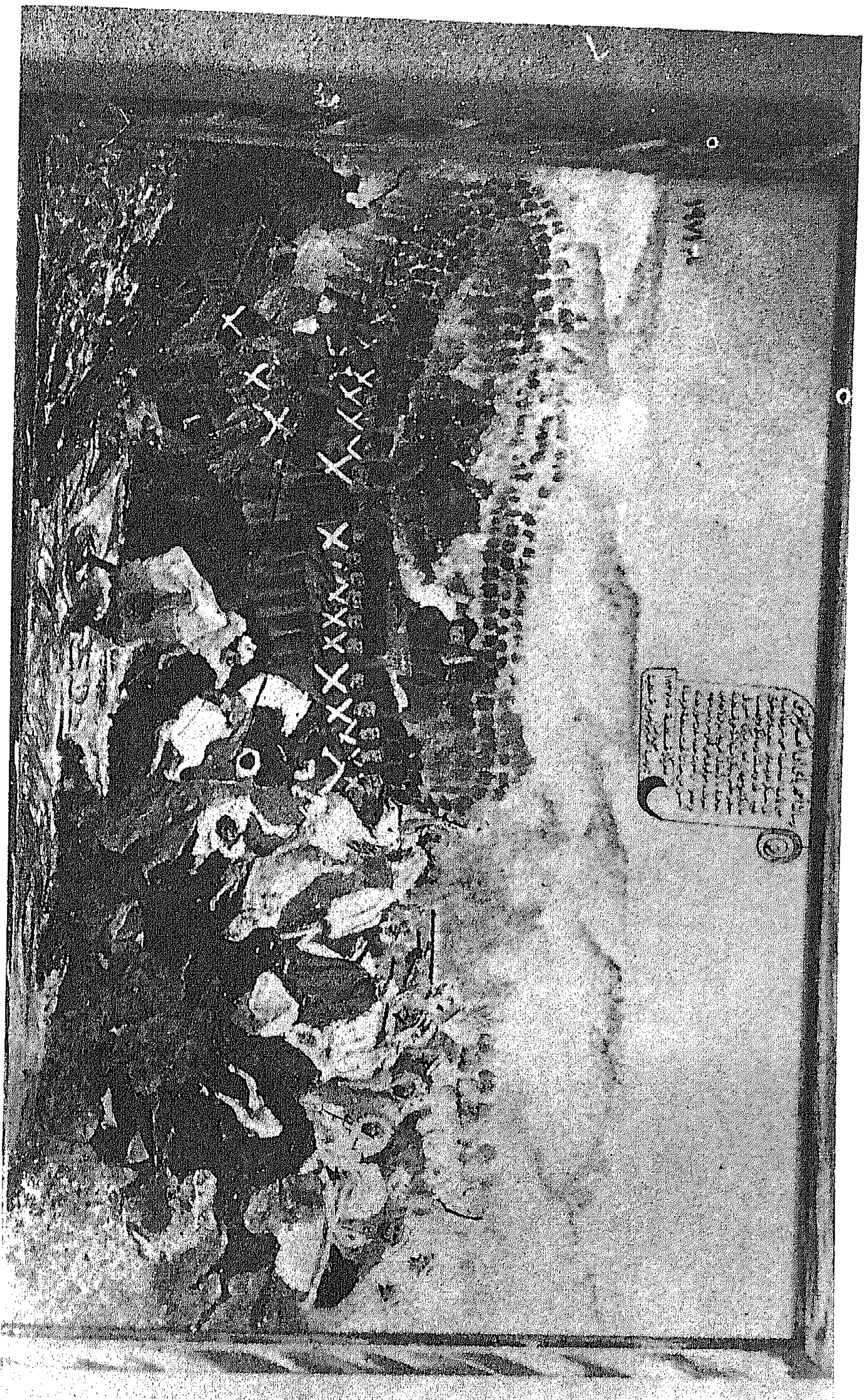
وكانت تلك المناظر الخلابة بجمالها الطبيعي ، والمثيرة للمشاعر
 بأخبارها النضالية ، وطرقها الجبلية بين الوديان السحيقة والجبال
 الشاهقة ، مبعث ايهاء أوحى الى الاستاذ مصطفى احمد الزرقاء
 (الاستاذ في الجامعة الاردنية) في اثناء الرحلة بالابيات التالية
 سجلها في الطريق وأنشدها في استراحة الغداء الذي هيأته العائلات
 هناك لجميع المشاركين في هذا الملتقى من أساتذة وطلبة جاوز عددهم
 الالف ، وحملتهم خمس وعشرون حافلة من السيارات الكبيرة سوى
 بعض السيارات الصغيرة :

ويوم صعدنا فيه نحو بني يني تحت خطاها الحافلات السوابق
 تشق بنا قلب الغمام وترتقى جبالا ذراها بالسـماء عوائق
 تسير على مثل الصراط وتنحني فتخفق منا في الصدور الخواق
 على جانبينا من يمين ويسرة سحيقات وديان ، وشم شواهق
 كستها يد الرحمن أبهى خمائل وقامت من الاشجار غيد سوامق
 عرائسها غلوية الصنع صاغها من المزن ودق هاطل متلاحق
 عرائس خضر قد اظلت خدورها جنود جهاد للعلا تتسابق
 لكل عروس ذكريات حبيبة : عناق شهيد لم تعقه العوائق
 معاقل للشوار فيسها مرابض وكان لجيش الظلم فيها بوائق
 كمائنهم منبثة في شعابها تخر على الاعداء منها صواعق
 بطولات قوم خالداً شواهد وآثار مجد بالنضال نواطق
 وما نفع الاعداء حرق لغابها وأشعلت الايمان تلك الحرائق
 سقتك الغوادي يا جزائر مثلما غدتك الغوادي، وازدهتك الحقائق (II)
 ولا بطسرت نعاك ان دروبها اذا بطرت للهاويات مزالق (I)
 ويا ملتقانا بالجزائر بوركت بك القسمات الغر ما ذر شارق
 عليك وزير للأصالة حارس ويحيارئيس فيك للشعب عاشق

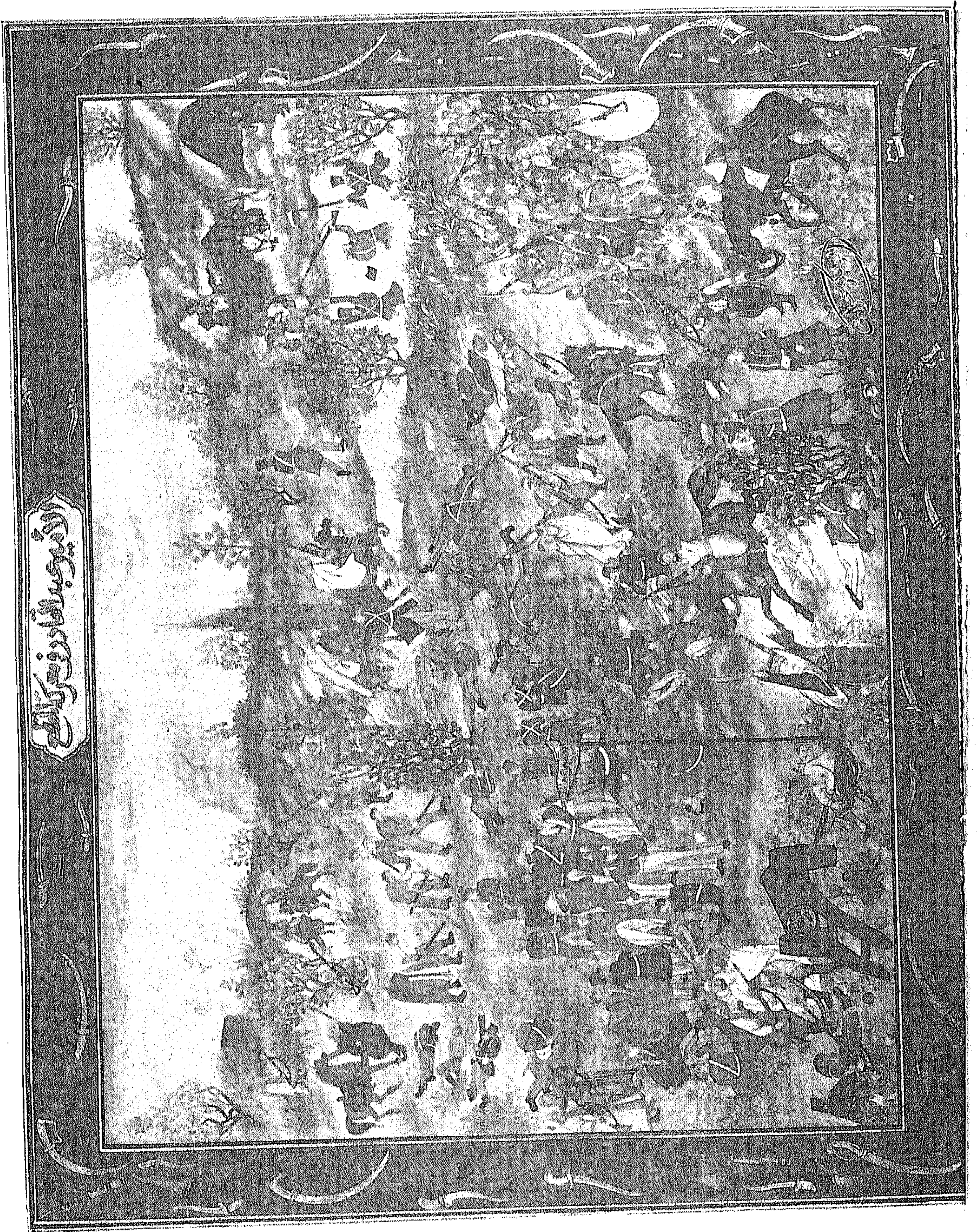
(I) هذان البيتان اضيفتا بعد العودة من هذه الرحلة في الجبال .



رسوم عرضت في قاعات
الملئقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامى

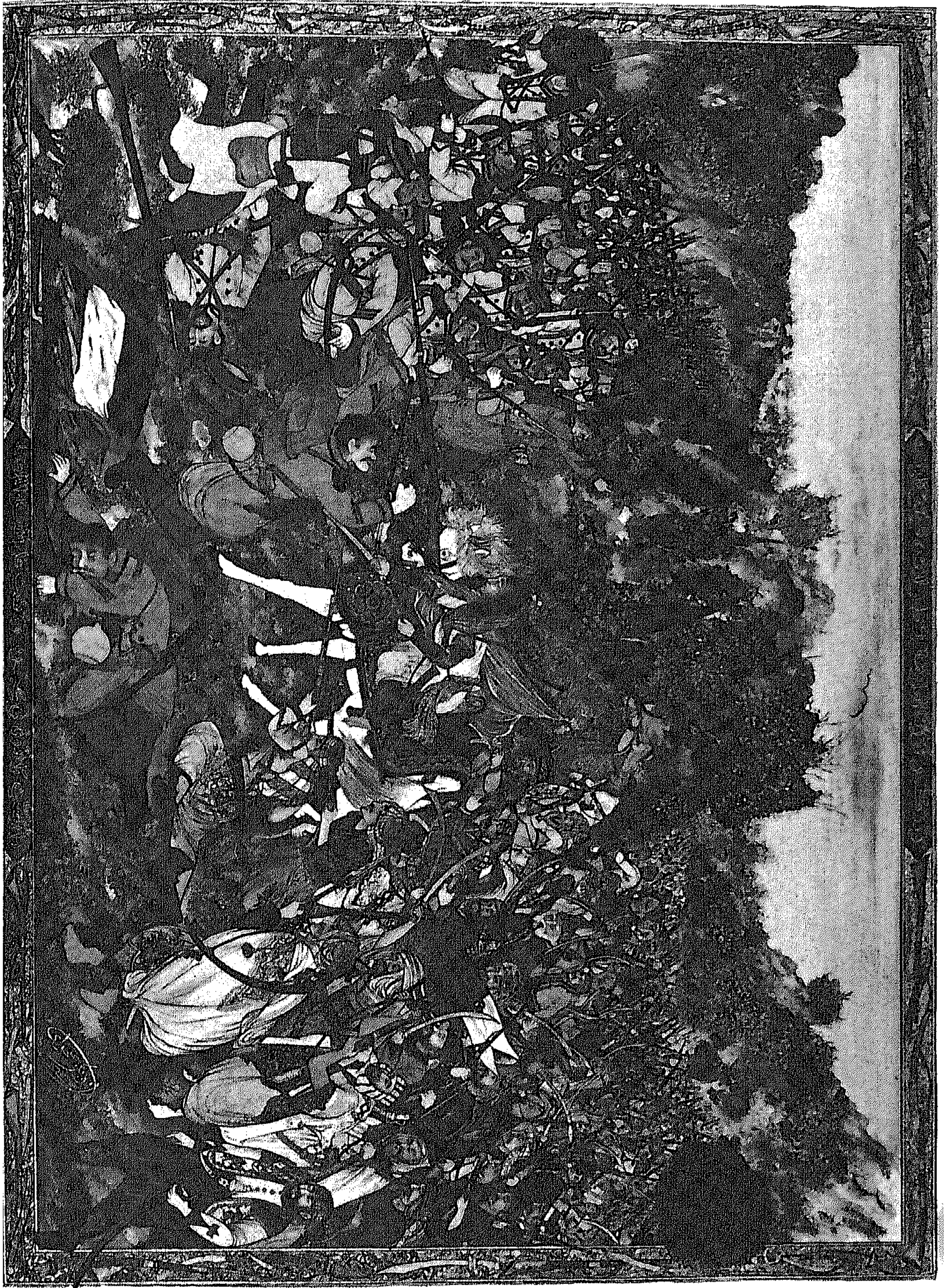


صورة عن معركة قسنطينة بين المقاتلين الجزائريين والغزاة الفرنسيين سنة 1837
تحت قيادة كل من أحمد باي والجنرال فاليه .

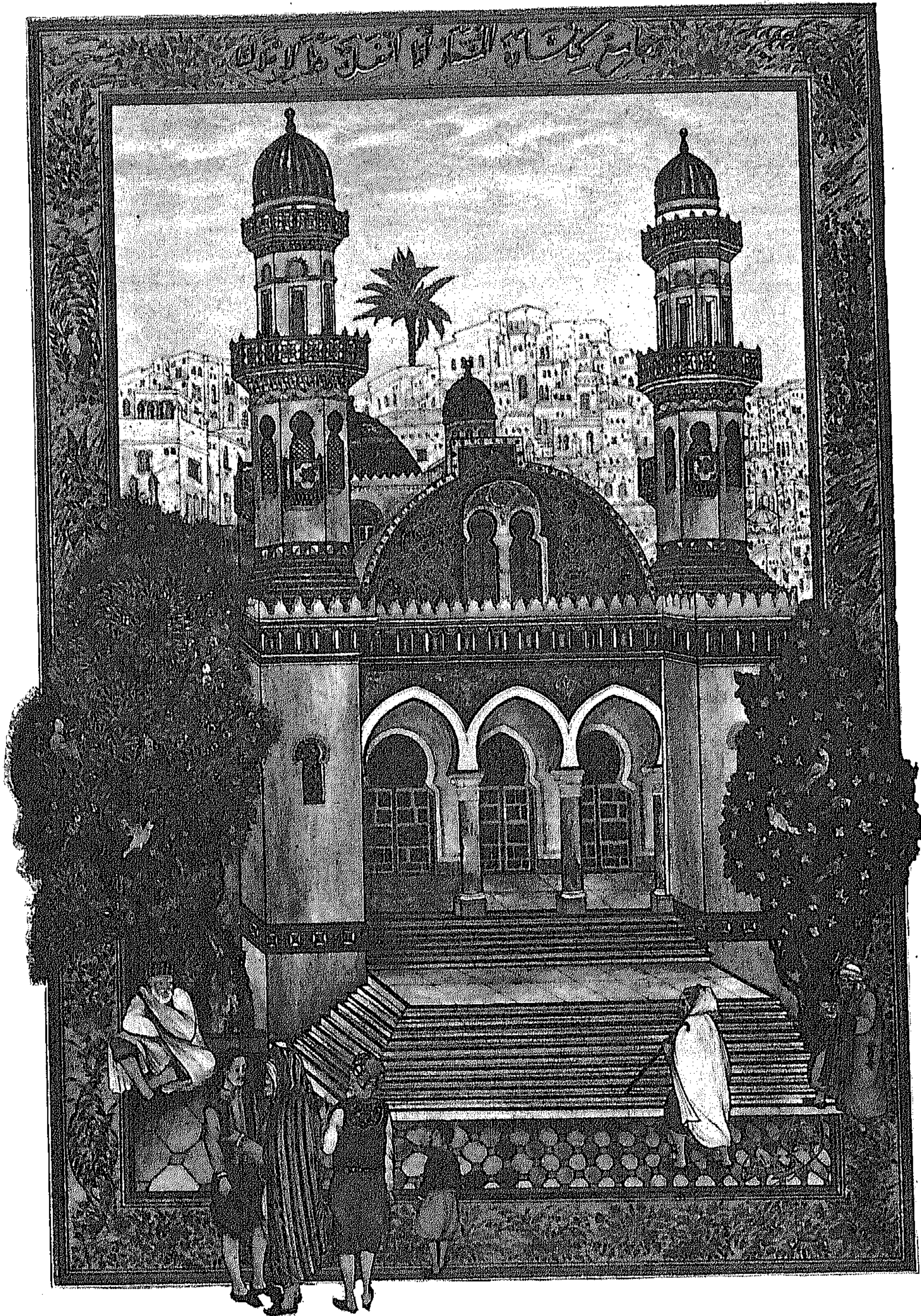


الأمير عبد القادر في معركة المقطع

الامير عبد القادر في معركة المقطع



السيدة فاطمة نسومر في احدى المعارك الحاسمة



جامع كتشاة بالعاصمة



الجزائر - نهج القصبة

مُحَقِّق

دَرَامَاتٍ وَزَعَمَاتٍ أُنْشَاءً الْمَلْتَقَى

القرآن الكريم والفكر

للدكتور أحمد الحوفي

رئيس لجنة تعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
ورئيس قسم الأدب العربي بكلية العلوم - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية

(1) اشادة القرآن بالعلم والفكر :

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكمل به الاديان ، ويختتم به الشرائع ، وينير للناس مسالك الحق والعدل والخير وما يكفل لهم صلاح شؤونهم أفرادا وجماعات .

وما كان لاحد ان يعجب لو ان القسراّن الكريم نزل كله نصحا وتشريعا وقصصا وتوجيها في صيغ من الامر والنهي والارشاد ليست مقرونة بالحض على التفكير والتدبر والاشادة بالعلم والتقدير للعلماء ، وتقريع الجهال وذوى الغفلة ، والسخرية ممن لا يفكرون .

ولكن القرآن الكريم حفل بهذا كله ، وأشاد بالعلم ، ورفع من شأن الفكر ، وليس العلم الذي اشاد به مقصورا على نوع من المعرفة معين ، وليس التفكير الذي أهاب به مقصورا في نطاق من الفكر محدد ، فان

العلم الذى ينوه به القرآن الكريم عام يشمل العلوم كلها ، والتفكير الذى يدعو اليه القرآن فسيح يتسع لالوان التفكير كله ، حتى ان نحو ثمن القرآن الكريم آيات متصلة بالعلوم عامة ، وما عداها عقائد وعبادات وتشريع وتاريخ واخلاق .

ولا غرابة فى عناية القرآن الكريم بالعلم والفكر الى هذه الدرجة ، لان العقل هبة من الله ينميها التفكير ، ويغذيها العلم ، ويرقيها استخدامها فيما خلقت له ، لتهدى الى الحق والخير ، ولتدفع الى اليقين بوحداية الله وقدرته وحكمته ، ولتمكن للناس ان ينتفعوا بما خلق الله فى الارض والسماء ، ولتكفل لهم حياة ارقى واسعد وارغد .

فلو ان العلماء قدروا ما منحهم الله من عقل وعلم وفكر حق قدره لخلص علمهم للحق ، وتمنح علمهم للخير ، ونزهوا هبة المولى سبحانه وتعالى عما لا يصح ان تستخدم فيه من افساد وعسوان وتخريب وطغيان .

لو ان العلماء اصاخوا الى هتاف عقولهم وعلومهم لايقنوا بأن الكون كله ينطق بأنه وليد قدرة لا تدانيها قدرة ، وخاضع لتدبير محكم لا يشابهه تدبير ، ومسير بحكمة ليس لها شبيهه أو نظير .

أما الذين يلحدون بعد علم ، او يكفرون بعد معرفة ، فان علمهم كالعين بغير بصر ، وكالجسد بغير روح .

وأما الذين يسيؤون الى العلم فسيخدمونه فى التدمير فانهم قد ضلوا وأضلوا ، وحكموا فى علاقات البشر وهم اخوة ، شريعة الغاب وطبيعة المخلب والناب .

وهيهات للناس ان ينعموا بطمأنينة،وعلى ظهر الارض من يعبتون فيها فسادا ، ويبغون علوا واستكبارا .

وانه ليسترعى الانظار والانتباه ان القرآن الكريم يزخر بمئات الآيات التى تشيد بالعلم ، وتحض على التفكير ، وتسخر بالجهل ، وتسفه العقول المعطلة .

وحسبنا ان نمثل بهذه الكلمات ومشتقاتها :

جاءت مادة العلم مرادا بها علم الناس لا علم الله في نحو ستمائة آية ، والرأى بمعنى العلم في نحو ثمانين ، والنظر بمعنى العلم في نحو ثلاث وعشرين ، والابصار بمعنى التفكير في نحو ستين ، وترددت مادة العقل في نحو خمسين ، والقلب بمعنى العقل في نحو مائة وثلاث وتلاثين،والنهي بمعنى العقل في اثنتين،والفؤاد بمعنى العقل في ست عشرة ، والالباب بمعنى العقول في ست عشرة ، ووردت مادة الفكر في ثمانى عشرة ، والفقه بمعنى الفهم في عشرين، والفهم في واحدة ، والتدبير في تسع ، والرشد في تسع عشرة ، والحكمة في عشرين ، والعبرة في سبع ، والرشد في تسع عشرة ، وذكر القرآن الكريم مادة الذكر في نيف ومائتين ، والقراءة في سبع عشرة ، والتلاوة في اثنتين وستين ، والكتابة بمعنى الخط في نحو ثلاثمائة ، والقلم في اربع ، والصحف في ثمان ، والسطر ومادته في خمس،والدرس ومادته في ست .

(2) تقدير العلماء والمفكرين :

يتردد في القرآن الكريم الثناء على العلماء ، والتنويه بشأن المفكرين واختصاصهم بالتدبر والتأمل ، كما يتردد تقدير العلم ووسائل العلم .

(I) وحسب العلماء تقديرا ان الله سبحانه وتعالى قرنهم بالملائكة في الاقرار بوحديته وعدله ، لانهم هم الذين يفكرون فيهديهم تفكيرهم الى الحق ، وهم الذين يستطيعون ان يثبتوا بالادلة ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وما يتنزه عنه من صفات النقص ، ويوقنون بأنه القوى العزيز الذى لا يغالبه أحد ، العليم الحكيم الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه ، ودبره فأحكم تدبيره .

قال تعالى : « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما

بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم » (I) .

(I) سورة آل عمران 18

2) والعلماء هم أولو المعرفة والتجربة والخبرة ، وهم القادرون على الفهم الصحيح والتوجيه الرشيد ، وهم أهل المشورة والفتيا .

قال سبحانه : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ، وهو العزيز الحكيم . وتلك الامثال تضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » (2) .

وقال تعالى : « وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول وإلى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (3) .

فقد كان بعض الاغرار من المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة وظفر أو خوف وضعف وخلل أذاعوه ، وكانت اذاعتهم ضارة بالمسلمين ، كاشفة لما ينبغي ألا يكشفه ، وكان على هؤلاء المذيعين ألا يشيعوا ما سمعوه ، وأن يسألوا رسول الله وكبار الصحابة ليعرفوا الحقيقة من ذوى المعرفة والتدبير والعلم بمكائد الحروب .

وهنا توجيه كريم يجدر بالمسلمين اليوم ان يمعنوا انظارهم فيه ، وان يهتدوا به وهم يناضلون اعداءهم ، ولهذا علق ابن المنير الاسكندري على تفسير الزمخشري للآية بقوله : « فى هذه الآية تأديب لكل من يحدث بكل ما يسمع ، وكفى به كذبا ، وخصوصا عن مثل السرايا والمناصبين للاعداء والمقيمين فى نحر العدو ، وما اعظم المفسدة فى لهج العامة بكل ما يسمعون من اخبارهم خيرا أو غيره » . وقد جربنا ذلك فى زماننا هذا - القرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى أيام الحروب الصليبية - منذ طرق العدو المخذول البلاد ، طهرها الله من دنسه ، وصانها عن رجسه ونجسه ، وعجل للمسلمين الفتح ، وأنزل عليهم السكينة والنصر (4) .

(2) سورة العنكبوت 41 - 43

(3) سورة النساء 83

(4) هامش الكشاف للزمخشري I - 285

3 (والعلماء هم الذين يتفقهون في الدين ، وهم الذين يرشدون قومهم ، ويبصرونهم بالحق ليتبعوه ، ويحذرونهم الشر ليبتنبوه .
قال تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (1) .

وذلك انه بعد غزوة تبوك ، وبعد ان انزل الله تقريع المتخلفين جعل المسلمون يتسابقون الى الجهاد ، فانقطعت طائفة منهم عن الفقه في الدين ، فنزلت الآية الكريمة تبين لهم انه ليس من الصواب ان يشخصوا جميعا الى الجهاد ، بل يجب ان يشخص بعضهم ، ويبقى آخرون ، ليتعلموا وليعلموا اخوانهم المجاهدين بعد عودتهم .

4 (والعلماء هم الذين يخافون الله ويقدرونه حق قدره ، لانهم يوقنون بوحديته وقدرته وعدله وحكمته وكماله المطلق .

قال تعالى : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام ، مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور » (2) .

5 (لهذا كان العلم درجات ، وليس له حد ينتهي اليه ، وكان العلماء والمفكرون اصحاب مكانة عالية عند الله تعالى .

قال سبحانه : « نرفع درجات من نشاء ، وفوق كل ذي علم عليم » (3) .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم ، واذا قيل انشزوا فانشزوا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير » (4) .

1 (سورة التوبة 122

2 (فاطر 27 - 28 . جدد : خطط وطرائق مفردة جد . غرابيب سود : مفردة غريب .

3 (سورة يونس 76

4 (سورة المجادلة II ، انشزوا : انهضوا للتوسعة على المقبلين او من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

6) ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى العلم من اسباب التفوق والامتياز والجدارة بالريادة والرياسة .

فقد طلب بنو اسرائيل بعد موسى عليه السلام من نبيهم يوشع - شمعون أو سموئيل - أن يبعث للقتال معهم أميرا يقودهم في الحرب ويأتمرون بأمره ، فقال لهم : اننى أتوقع جبنكم عن القتال ، فقالوا : كيف نجبن وقد طردنا من ديارنا وابعدنا عن ابناءنا ، يريدون ان قوم جالوت الذين كانوا يسكنون ساحل البحر الابيض المتوسط بين مصر وفلسطين قد أسروا مئات من بنى اسرائيل ، ثم صح ما توقعه يوشع ، فانهم بعد ان فرض عليهم القتال فروا الا قليلا منهم .

وقال لهم يوشع : ان الله بعث لكم طالوت ليكون ملكا عليكم ، فأنفوا ان يملك عليهم وهو فقير ، ولا بد للملك فى نظرهم ان يكون غنيا ذا مال كثير ، وزعموا انهم احق بالملك منه .

فقال لهم يوشع : ان الله قد اختاره ، والله أعلم منكم بما يصلحكم ، وليس لاحد ان يعارض اختيار الله ، وقد منح الله طالوت قوة فى الجسم ، وسعة فى العلم ، سواء أكان علم الدين ام علم الحرب ام هما معا ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، وهو سبحانه واسع الفضل والعطاء عليهم بمن يختار .

ومعنى هذا ان العلم من اسباب التميز والعلاء .

قال تعالى : « وقال لهم نبيهم : ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا : أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ »

قال : ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم « (1) » .

7) وشتان ما بين العلماء والجهال ، لان العلماء أولو بصر والجهال ذوو عمى ، ولن يستوى الذى يعلم ان القرآن حق والجاهل الجاحد الذى عمى عن هذا الحق .

(1) سورة البقرة 247

فالى تعالى : « أفمن يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ انما يتذكر أولو الالباب » (1) .

وقال سبحانه : « قل : هل يسئوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر أولو الالباب » (2) .

(3) التفكير يهدى الى الايمان :

ما أيسر على الناس اذا تدبروا فى خلق السموات والارض ان يهتدوا الى ان ربهم واحد لا شريك له ، قادر لا يعجزه شىء ، حكيم لا فطور فيما خلق ، عليم لا يعزب عن علمه منقال ذرة ، فليس يصح ان يسمى غيره الها ، لأن الله تعالى هو الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه ، فأحكم تقديره ، وهو الذى يغدق النعم كلها ، وجميع من سواه وما سواه لا بعدو ان يكون نعمة من الله او منعما عليه من الله .

وهؤلاء الذين يفكرون ويندبرون هم الذين يستحقون وصف الله تعالى لهم بأنهم أولو الالباب ، لانهم يفتحون ابصارهم وبصائرهم للمطر والتدبر والاستدلال والاعتبار ، فيعرفون ربهم ، ويذكرونه ذكرا دائما .

وهم الذين يفكرون فيما أبدع الله فى الارض وفى السماء ، وفيما دبر من عجائب نطق بهدوته وحكمته وعظمته ، وعجز العقول عن ادراك أسرارها .

وهم الذين ينزهونه عن أى نقص ، ويعبدونه ، ويطيعونه ويرجون نوانه ، وبختسون عقابه .

قال تعالى : « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانه ففنا عذاب النار » (3) .

والحق ان نظرة واحدة فى الكون تملأ النفس بهرا بما فيه مزروعة ودقة ومقدرة وقوانين ثابتة مطردة بعيدة حكيمة . يتجلى هسدا فى

(1) سورة الرعد 19

(2) سورة الزمر 19

(3) سورة آل عمران 190 - 191

كل شيء ، من قطرة الماء الى المحيط ، ومن ذرة الرمل الى الجبل ، ومن النملة الى أضخم حيوان ، ومن ورقة الشجرة الى الغابة ، ومن الجنين فى بطن أمه الى الرجل ، ومن أصغر نجم الى أكبر مجموعة شمسية .
ومن العيبث بالعقل وبالوجدان ، ومن الضلال المغرق فى العمى والجهود ان يعزى شيء مما فى الكون الى المصادفة ، لأن المصادفة أعجز من أن تحقق أضال شيء مما فى الكون أو تهيمن على أيسر قانون مما يسير عليه الكون .

وقد صدق بالى *BALEY* فى قوله ان عدد الساعة الدقيقة أقل اثارة للدهشة بمراحل من دقة القوانين التى نراها فى الطبيعة ، وان دقة الساعة تثبت لاكثر الناس شكاً ان وراء هذه الدقة عقلية ميكانيكية .

ثم قال اننا لو فرضنا ان هذه الساعة قد منحت قدرة على ايجاد ساعات أخرى فان هذا لا يكون معجزة تفوق معجزة توالد الانسان والحيوان (١) .

ولقد رفض المصادفة كثير من الفلاسفة القدماء والمحدثين مثل سقراط ، ولا بلاس ، وبوانكاري ، وكميل فلاماريون .

ويكفى لابطال المصادفة ان اسوق هذا المثال : لو أخذنا عشر قطع متساوية الحجم من الورق ، ورقمناها من واحد الى عشرة ، ووضعناها فى كيس وخلطناها ، ثم حاولنا ان نسحب الاوراق كترتيبها من الاولى الى العاشرة فان فرصة خروج الورقة الاولى تكون بنسبة واحد الى عشرة ، وخروج الورقة الاولى والثانية متتابعين يكون بنسبة واحد الى مائة ، وخروج الاوراق الاولى والثانية والثالثة متتالية يكون بنسبة واحد الى الف ، وخروج الاوراق الاربع متلاحقة يكون بنسبة واحد الى عشرة آلاف ، وخروج الخمس الاربع متتابعة بنسبة واحد الى مائة الف ، وهكذا ، حتى تصبح فرصة خروج الاوراق العشر بترتيبها التصاعدي بنسبة واحد الى عشرة ملايين .

(١) العلم يهدى الى الايمان 4١ كاريسى موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكى .

ومن هذا يتضح ان المصادفة لا يمكن ان تضع قانونا ، ولا يمكن ان تكفل شيئا من هذه المعجزات المذهلة التي تتبدى فى كل ما نراه نى الكون .

ثم أنه من حقنا ان نسأل :

لماذا لم تصنع المصادفة الاحياء كلهم أناسى أو نباتات أو حيوانات؟
ولماذا تنوعت أجناس الناس ذكرا نا واناثا ، وتعددت أنواع الحيوان
وأصناف النبات الى ما لا يكاد يحصى ؟ لماذا تغيرت الخلايا ، فصارت
هذه انسانا ، وأصبحت تلك حيوانا ، وأوجدت الثالثة نباتا ؟

أليس هذا التقسيم الحكيم مقصودا أيما قصد ؟

يكفى أن نتصور للارض حالتين ليتجلى هذا القصد المدبر :

- الحالة الاولى معمورة بالانسان والحيوان ولا نبات بها .
 - والحالة الثانية أنها عامرة بالنباتات وحدها وليس عليها حيوان .
- فماذا نجد ؟

لا شك أن الاوكسجين ينفد فى الحالة الاولى ، اذ يستهلكه الحيوان
والانسان ، فلا يبقى انسان ولا حيوان .

ولا شك ان ثانى اوكسيد الكربون ينفد فى الحالة الثانية فيموت
النبات كله ، وتعتبر الارض حصيدا كأنها لم تغن بنبات من قبل .
فمن الذى كفل هذا التعادل ودبره وسيطر عليه غير الخالق الحكيم
العليم المدبر سبحانه وتعالى ؟

وإذا كان القول بالمصادفة لغوا فانه لغوا أيضا ان يقال ان البيئة
أو المادة نفسها أو أى تفاعل طبيعى أو كيميائى أو هذه كلها مجتمعة
هى التى صنعت الحياة .

ولست أدري كيف غفل اصحاب هذه المزاعم عن أن يسألوا
أنفسهم : ومن الذى أوجد البيئة ؟ ومن الذى صنع المادة ؟ ومن الذى
مكن للتفاعل ان يتم ؟

ومن أين للمصادفة أو للبيئة أو للتفاعل المادى ان يصنع المعجزات
التي يقوم عليها الخلق كله ؟

ان أذن الانسان وحدها مكونة من أجزاء ، فى جزء واحد منها قرابة
أربعة آلاف خلية دقيقة معقدة متدرجة فى حجمها وشكلها بأدق نظام،
لتلتقط وتنقل الى المخ ما خفت وعلا من النغمات والاصوات .

ولقد زرع الناس منذ عشرات الالوف من السنين ، زرعوا قمحا
وزرعوا شعيرا وزرعوا فولاً وزرعوا عدسا وبصلا ، وغرسوا أنواعا
شتى من الشجر والفاكهة ، ولكن لم يحدث قط - ولن يحدث - أن
بذر فلاح حنطة فنبت عدس ، أو بذر حبة فول فصارت عود ذرة ، أو
غرس فسيلة نخل فصارت شجرة رمان ، أو وضع فى التربة كرمة
فاذا هى شجرة برتقال ، مع أنها كلها فى مكان واحد ، وتسقى بماء
واحد ، وتنفس من هواء واحد .

فأين البيئة ؟ وأين التفاعل ؟ وأين المصادفة ؟

قال تعالى : « وفى الارض قطع متجاورات ، وجبات من أعناب ،
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، تسقى بماء واحد ، ونفضل
بعضها على بعض فى الاكل، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » (I) .

لقد أدرك الرجل البدوى بفطرته السليمة بطلان المصادفة ، ولغو
البيئة ، وضلال النشوء والارتقاء ، وما شاكل ذلك من اباطيل الاحاد ،
واهتدى بمنطقه الفكرى ان للكون الها عظيما خلقه بقدرته ، وسيره
بحكمته فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير ،
فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل
ذلك كله على الله اللطيف الخبير ؟

وان القرآن الكريم ليزخر بالاستدلال على وجود الله ووحدانيته
وقدرته من عجائب الكون فى الارض وفى السماء ومما خلق الله من
حيوان ونبات وجماد ، وبعقب على هذا التوجيه أو يقدم له بأن فى
هنه المظاهر الادلة المقنعة للعقلاء وللعلماء المفكرين والمتدبرين وأولى
الاسباب .

فله سبحانه وتعالى قدرة وحكمة تتجليان لاولى الالباب فى انه
خلق الرجال والنساء من جنس واحد ، ليسكن الرجل الى زوجته ،
(I) سورة الرعد 3 - 4 صنوان : جمع صنو وهو النخلة تخرج
فى اصل نخلة أخرى .

ولتسكن الزوجة الى زوجها ، وربطهما بألفة ومحبة ومودة ورحمة ،
ولو كان الرجال والنساء من جنسين مختلفين ما تم الف وما تحقق
تراحم .

وهو الذى برأ الناس ، وأقدرهم على النطق بلغات شتى ، وميزهم
بهذا النطق على سائر الحيوان ، وجعل أصواتهم تباين همسا وجهازة،
وحدة ورخاوة ، وجعل بيانهم يختلف لكنة وفصاحة .

وهو الذى ذرأ البشر مختلفة صورهم وأشكالهم وألوانهم : ولهذا
الاختلاف فى اللغات والالوان والاصوات حكمة يعلمها سبحانه وتعالى،
فربما كان الاتفاق فيها والوحدة مدعاة الى الالتباس والاختلاط
والاضطراب والفوضى وفقدان التعارف وذهاب المصالح والمنافع .

والله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الناس مستعدين للاعمال
قادرين عليها بما منحهم من أعضاء ملائمة ، وقوى موائمة ، وتفكير
موجه ، وبما فسح لهم من ميادين العمل واسبابه ، وخلقهم مستعدين
للنوم وللراحة والاستجمام من عناء الاعمال .

قال تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .
ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ،
ان فى ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغائكم من فضله ، ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » . (1)

وكثيرة جدا الآيات القرآنية الكريمة التى على هذا الغرار ،
مثل قوله تعالى : « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم .
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى
تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء
فأحيا به الارض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح،
والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » (2) .

(1) سورة الروم 21 - 23

(2) البقرة 163 - 164

وقوله سبحانه : « هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب
ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
والاعناب ومن كل الثمرات ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون •
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات
بأمره ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون •
وما ذراً لكم في الارض مختلفا ألوانه ، ان في ذلك لآية لقوم
يذكرون » (1)

(4) التفكير للعظة بالسابقين :

كذلك اختص القرآن الكريم بالحض على التفكير للعظة بالسابقين ،
ولهذا ذكر قصص الرسل السابقين ، وقصص الامم الخالصة ، وما
أفاض الله من نعم على الذين اهتموا واتبعوا ما دعاهم اليه أنبياؤهم ،
وما حاق من نقم بالذين عصوا وكذبوا رسلهم واستكبروا استكبارا ،
ليسلك الذين دعاهم محمد عليه الصلاة والسلام طريق الطائعين ،
فيسعدوا برضوان الله ، وليجتنبوا سبيل العاصين ، فينجوا من
سخطه وعقابه •

وكثيرا ما عقب على القصة أو قرن بها الدعوة الى التفكير للعظة
والاعتبار •

وحسبنا هذه الامثلة :

(1) قال تعالى : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ، فانسلخ
منها ، فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ،
ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل
عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ،
فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (2) •

فما هذه القصة ؟

انها قصة عالم من بنى اسرائيل ، آتاه الله علم بعض الكتب ،
فكفر بها ، فصار الشيطان له قرينا أضله وأغواه ، ولو انه عمل بما

(1) النحل 10 - 13 • تسيمون : ترعون ماشيتكم • ذراً : خلق

(2) الاعراف 175 - 176

منحه الله من آيات لرفعه الى منزلة الابرار من العلماء ، ولكنه مال الى الدنيا ، ورغب فيها ، وآثرها ، فصار كالكلب في خسته وضعفه ، لان الكلب يلهث دائما ، سواء حمل عليه الناس أم لم يحملوا ، على حين أن الحيوانات لا تلهث الا اذا ثارت وهاجت .

وهذا التمثيل يصدق على اليهود الذين كذبوا بآيات الله بعد ان قرأوا في التوراة الصحيحة ووصف رسول الله ووصف القرآن المعجز ، وبعد أن بشروا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وباقتراب بعثته ، وكانوا بتشوقون الى الانتصار به على الذين كفروا .

فأقصص يا محمد هذا القصص ، لعل سامعيه يفكرون ، فيحذروا عقاب الله الذي يصيب من ساروا سيرة ذلك العالم ، وزاغوا من زيفه .

(2) وذكر القرآن الكريم قصة ثمود وتمردهم على نبيهم صالح عليه السلام ، واهلاك الله لهم ، وختمها بقوله : «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون» (I) .

(3) وذكر قصة قوم لوط وعصيانهم له ، وتدمير الله لهم ، وعقب عليها بقوله : « ولقد نركنا منها آية بينة لقوم يعفلون » (2) .

(5) تمثيل موقف للفكر :

في القرآن الكريم ضروب من التمثيل والتصوير يسوقها للتدليل على وحدانية الله تعالى وقدرته ، ويوضح بها امكان البعث ، ويكشف عن حقائق يجب ألا يشك في صدقها عاقل ، ويبين ما غشاه الجهل والعناد ، ويوردها للعتة والاعتبار .

قال تعالى : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون » (3) .

وقد جاء بعض هذا التمثيل مقرونا بالحض على التفكير ، أو مقرونا بتقدير العلماء والمفكرين، أو مصحوبا بالسخرية من الجهال والاغبياء .

(1) سورة النمل 52

(2) العنكبوت 35

(3) الزمر 27

1 - من هذا قوله تعالى : « أبود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل
وأعناب تجري من تحتها الانهار ، له فيها من كل النمرات ، واصابه
الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت ؟ كذلك
يبين لكم الآيات لعلكم تتفكرون » (1)

ففى هذه الآية تمثيل حال من عمل اعمالا طيبة لا يتغنى بها وجه
الله فصارت عاقبتها وبالا عليه بحال من يمتلك حديقة ذات خصب
وماء جار ونمرات ، وقد كبر سنه ، وله ابناء صغار ، فهو فى أشد
الحاجة الى حديقته ، ثم حاقت بالحديقة صاعقة أحرقتها .
أرأيتم هذا المتل ؟

ان الله تعالى بضربه ويضرب اشباهه ، ويبين لكم الآيات الدالة
على وحدانيته وقدرته ، عسى ان تفكروا لتهتدوا الى الحق وتؤمنوا
به وتدعوا له .

2 - وقال سبحانه : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل
حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ، اجتنت من فوق الارض ما لها من
قرار » (2) .

فصور كلمة الحق طيبة ، وكلمة الباطل خبيثة ، فجعل الاولى
كالشجرة الحسنة المثمرة المظلة النافعة الراسخة السامقة نسخو
بشرها فى حينه باذن الله .

وأما الثانية فانها كالشجرة القبيحة الكريهة التى استؤصلت من
مكانها ، فلا حياة فيها ، ولا رعاية لها ، ولا نفع منها ، كذلك التوحيد
يعمر قلب المؤمن ، ويهديه الى طاعة الله ، والى العمل الصالح ، فينال
الثواب فى دنياه وفى أخراه .

وكذلك الشرك ، فانه باطل وقبيح ، وليس له خير ولا بقاء .

(1) سورة البقرة 266

(2) ابراهيم 24 - 26

وهكذا يوضح الله الامثال للناس ، ويشسبه لهم المعنويات
بالمحسوسات ليفهموا ويعلموا ويؤمنوا .

3 - وقال سبحانه وتعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو
كاثوا يعلمون . ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ، وهو
العزیز الحكيم » .

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ، (1) .
فمثل آلهتهم التي اتخذوها من دونه بما تعارف الناس على وهنه
وضعف قوته وسهولة القضاء عليه ، وهو نسيج العنكبوت ، وأكد
هذا الضعف ، وعقب عليه بأنهم عمى ضالون ، فلو علموا ان دينهم
بلغ هذا المبلغ من الوهن لنبدوه وبرثوا منه .

وهو سبحانه وتعالى يعلم ان الآلهة التي يعبدونها لا قيمة لها ،
ويعلم أنهم يعبدون ما ليس بشيء ، وتركوا عبادة القادر القاهر
الذي لا يفعل شيئا الا بتدبير وحكمة .

وعقب على هذا بأنه يضرب الامثال للناس ، ولكن لا يدرك مرماها ،
ولا يتبين صدقها الا العلماء ، لانها تبرز المعاني المحجبة ، وتكشف
عن الحقايا وتوضحها للافهام .

(6) أحكام مقرونة بالتفكير :

وكثيرا ما حض القرآن الكريم على الاحكام الشرعية ، وعلى الاوامر
والدعوة الى العلم بأسرارها ، والتفكير في آثارها ، والمعرفة بحكمتها ،
ليستبين الناس ما فيها من خير لهم أفرادا وجماعات ، وليزدادوا يقينا
بأن الله تعالى قد فرضها عليهم وهو العليم بنفوس عباده ، الحبير بما
يلائم طباعهم ، المحيط بما يصلحهم ويصلح لهم ، الغنى عن طاعتهم ،
الذي لا تضره معصيتهم ، فالخير لهم في ان يتبعوا ما أمرهم به ، وان
يجتنبوا ما نهاهم عنه من عقيدة ويقين ، وألا يحتكموا فيما أمرهم الله
أو نهاهم عنه الى أهوائهم ، لان الأهواء تصرف عن الحق وتزين الشر ،

ولانها تتغاير وتتنافر وتتبدل وتفرق المجتمع ، وتشيع فيه البلبلة والاضطراب والفوضى ، فيفقد الوحدة والالفة والانسجام والاطمئنان .
وهي الى هذا كله موقوتة لا دوام لها ، ضعيفة ليس لها من القوة الذاتية والوازع النفسى ما لشرع الله . « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »

(I) من هذا الضرب قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو أذكى لكم ، والله بما تعملون عليم » (1)

فلا يصح ان يفتحم اجنبى دارا غير داره قبل ان يستأذن ، ويحىى من فيها ، فان لم يجد بها أحدا فليس يصح له أن يدخل ، وان كان بها أحد ولم يأذن له بالدخول فعليه ان يرجع ، لان هذا من الآداب الاجتماعية التى ينبغى على المسلمين أن يراعوها ، حتى لا يؤذوا غيرهم بالمفاجأة أو الاطلاع على ما لا يصح ان يطلعوا عليه من شؤون الناس ودخائلهم واسرارهم ، وحتى يشعر كل انسان ، أنه فى مسكنه حر آمن طليق ، يستريح اذا شاء ، ويتصرف كما يشاء ، ولبس ما يريد ، ويعمل ما يشتهى ، وينام كما يحب .

ولا شك بأن الاستئذان يمهد للقاء بين الزائر والمزور، وبعد الحالة النفسية الملائمة للمجالسة والحديث والمؤانسة .

(2) ومنه نهيه تعالى المؤمنين عن اتخاذا الكفار اصفياء لهم ، لان الكفار لا يألون جهدا فى اىذاء المؤمنين والكيد لهم ، ليحيق الهلاك بهم ، وان المسلمين ليستطيعون ان يتبينوا هذا فى بعض ما يبدر فى السنة هؤلاء الاعداء على الرغم من حرصهم الشديد على كتمان ما فى نفوسهم ، وليس من شك فى أن ما تخفيه صدورهم اكبر .

وهذه حقيقة كشف الله تعالى عنها للمؤمنين العقلاء الذين يتدبرون فيما بينه لهم ليعملوا به ، فيخلصوا لدينهم ، ويوالوا احياء الله ، ويعادوا أعداءه .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلونكم خيالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » (1) .
(3) ومن هذا الضرب انه تعالى بعد ان بين أحكام الطلاق قال :
« وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » (2) .

(7) سخريته ممن لا يفكرون :

طالما سخر القرآن الكريم بمن حبسوا عقولهم عن التفكير وغلوها عن العمل فضلوا عن الاهتداء الى الحق والخير ، وعموا عن البصر فى الدلائل على وحدانية الخالق وقدرته ، وعطلوا اسماى هبة منحهم الله اياها ، فهم أناسى صورة لا حقيقة ، لانهم بتعطيل عقولهم وحبس تفكيرهم صاروا كالانعام أو أضل سبيلا .

I (فأولئك الذين تظاهروا بدعوة الناس الى الخير والبر ، وهم لا يأخذون أنفسهم بخبر ولا بر ، ويقرأون التوراة ويعلمون ما فيها ولا يعملون بها ، أولئك أناس عطلوا عقولهم ، وجعلوا كتابهم ، وكانوا قدوة سيئة لغيرهم ، فاستحقوا ان يهزأ القرآن الكريم بهم .

قال تعالى : « أتأمرون الناس بالبر ، وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون » (3) .

(2) وهم زعموا مزاعم يأبأها الحق والتفكير السليم ، فادعوا أن ابراهيم عليه السلام كان يهوديا ، وادعى النصراني انه كان نصرانيا ، وجعل هؤلاء وأولئك يجادلون رسول الله فيه ، فكان الرد عليه السخرية من تفكيرهم الضال ، لأن اليهودية والنصرانية كاننا بعد ابراهيم فكيف كان ابراهيم على دين لم ينزل الا بعده ؟ ولو انهم عقلوا لأدركوا بهتانهم ، ولم يجادلوا مثل هذا الجدل . قال تعالى :
« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ، أفلا تعقلون ؟ » (4) .

(3) والذين عطلوا تفكيرهم فلم يسجيبوا للحق ، وقد خلق الله

(1) سورة آل عمران 118

(2) سورة البقرة 229

(3) البقرة 44

(4) آل عمران 65

لهم عقولا ولكنهم لم يفكروا بها فى المظاهر التى تدل على قدرة الله وحكمته ، وخلق لهم عيوننا ولكنهم لم ينظروا بها نظرة اعتبار ، وخلق لهم آذاننا ولكنهم لم يستمعوا بها استماع تدبر فيما بتلى عليهم من آيات الله ، هؤلاء كأنما حرموا فهم القلوب ، وفقدوا ابصار العيون ، وسلبوا استماع الآذان ، فهم كالبهائم ، بل هم أضل ، لأن البهائم ترى الطريق السهل فتسلكه ، وترى المنحدر والوعر فتتجنبه ، وتسمع الصيحة فتستجيب لها ، وتعرف بالغريزة ما ينفعها وما يضرها ، وهؤلاء يعلم أكثرهم الحق ولكنهم يصرون على العناد المهلك لهم .

قال تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » (1) .

النتائج العامة

أما بعد :

فماذا نستوحى من هذه اللمعات ؟

اننا نستوحى منها عدة نتائج :

(I) ان القرآن الكريم قدر الفكر ، وأشاد به ، وحض عليه ، وحفزه لى ما ينفع الفرد والامة فى الدنيا وفى الآخرة ، واحتكم اليه فى كثير من القضايا ، وبرىء من تسخيره فى معاندة الحق ، وفى مؤازرة الباطل ، ونزعه عن استغلاله فى التضليل واشاعة الفوضى ، وتأييد الفساد .

• نعم ، هكذا قدر القرآن الكريم العلم .

• وهكذا أيقظ العقل .

• وبهذه الوسائل أثار الفكر .

• وبتلك المصاييح أثار الطريق .

(2) وقد أراد الله عز وجل أن يكون الاسلام دين العقل والفكر والعلم ، لأنه الدين العام للبشر جميعا ، فلا ينحصر في اقليم ، ولا يقتصر على لون ، ولا يختص بجنس ، ولا يحده زمن .

فهو دين الوحدة الانسانية ، ودين الخير المطلق ، ودين القوة المادية والروحية معا .

هو الدين الذي يربي النفوس تربية الهية تقوى عزيمة وتفكيرها ووجدانها ، ويغذيها بما يسمو بها في عقائدها وعباداتها ومعاملاتها وأخلاقها .

(3) فلا عجب في ان وثب المسلمون الاولون وثباتهم المذهلة ، ولا غرابة في أن قفزوا قفزات لم يعرف التاريخ لها مثيلا في سابق من عصوره أو لاحق ، لأنهم اهندوا بكتاب الله ، فبلغوا من القوى المادية والروحية أوجها ، وعمروا الارض بعلمهم وبحضارتهم في أحقاب مجدهم وفيما بعدها .

ولا يستطيع باحث منصف ان ينكر فضلهم في مجال العلوم والحضارات والنهضات .

(4) فعلى اصحاب الاقلام وارباب الالسن ان يجاهدوا بأقلامهم وبألسنتهم في دعم الفضائل ، وتقويض الرذائل ، وفي هداية الامة الى الحق والخير والعزة والمجد .

وعليهم ان يتساموا بأقلامهم وبألسنتهم عن الدعوة الى الشر ، أو الدعاية الى انحراف ، أو مجازاة الاهواء لأن البيان هبة الهية كما قال تعالى : « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان » ، فمن حقه ان يصاب عن الدنس .

ولأن القلم والعلم من المنح الربانية ، كما قال سبحانه : « اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ، فمن حقهما أن ينزها عن الشر ، ليكون العلم والادب ينابيع عذبة يستقي منها العطاش الى المعرفة ، وليكون الابداء والعلماء نورا يهتدى به الناس .

(1) سورة الرحمن . (2) سورة العلق .

التشريع في العالم الإسلامي اليوم حائرين الفقه والقانون

للمؤلف: د. محمد بن عبد الرحمن غليفة
محامي - عمان - المملكة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان القانون هو العقل الاجتماعي للامة التي تحتكم اليه في حل خصوماتها وتعتمد عليه في التخطيط لمختلف شؤون حياتها ، وهو من أهم العوامل الفعالة في بناء كيان المجتمع وتحديد هويته وتشيت صفاته ، كان من واجب الباحثين الاجتماعيين الذين يهتم التعرف على أحوال العالم الاسلامى اليوم ان يمعنوا النظر فى القوانين واللوائح والانظمة السائدة فيه ويحددوا موضعها - قريبا أو بعدها - من الشريعة الاسلامية. فان مثل هذه الدراسة تعينهم على الوقوف على أسباب التأخر المعيب الذى تعاني منه حكومات البلاد الاسلامية فى

ارجائها الفسيحة ومجتمعاتها المختلفة، وتساعدهم على معرفة العوامل الهدامة التي تعمل على اضعاف المجتمع بروحانياته واقتصاديته وكريم صفاته .

الحكام المنحرفون يتآمرون على شعوبهم :

وهذه العوامل المدمرة للعقيدة يراها اعداء الاسلام ويباركونها ويسعون جاهدين لتوفير الحكام المنحرفين في اخلاقهم وعقيدتهم وفرضهم على شعوبهم ويساعدونهم بالمؤامرات والاساليب الخفية الملتوية - على السيطرة التامة على جميع اجهزة الحكم ويرغمونهم على خنق الحريات والاخذ بالوسائل التي تهدم الاخلاق وتحرف السلوك العام بزعم التقدم ومحاربة الجمود والتعصب ويحطمون الاقتصاد ويفكرون البلاد بزعم التنمية وتوفير الرخاء ويحاربون العقيدة والايمان فيما يضعونه من مناهج للتربية والتعليم ويزعمون محاربة الرجعية والتخلف وبالتالي فانهم ينغصون الحياة على شعوبهم ويحرمونهم العيش الكريم وهم يزعمون التخطيط للاصلاح ويسبغون على أنفسهم القاب المصلحين وتأخذهم العزة بالانم اذا سمعوا أصوات الناصحين .

« واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ،

الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » (البقرة آية II و I2) .

رد عن الاسلام :

ان الذين يمعنون النظر في مثل هذه الدراسات الاجتماعية في مختلف ارجاء الوطن الاسلامي الكبير يصلون الى نتيجة حتمية واحدة وهي، ان العالم الاسلامي اليوم تهب عليه رياح الردة عن الاسلام ويعانى تنكرا معيبا لروح الشريعة الاسلامية في انظمتها وقوانينه وتنظيم حياته ، يتنكر للتشريع الاسلامي الذي هو مصدر فخره واعتزازه ، والذي يتفوق على كل التشريعات والقوانين الوضعية السائدة عند أهل الارض بميزات فريدة نادرة .

وقد بدأت هذه الردة عن الاسلام والتنكر للتشريع الاسلامي والافتتان بالغرب وبكل ما يصدر عن الغرب - من خير أو شر - أول ما بدأت في الطبقة الحاكمة من ابناء الشعوب الاسلامية المختلفة، حينما

ساد بينهم الجهل فى الاسلام فتنكروا للشريعة الاسلامية وانكروا عليها ان تكون نظام حكم ومنهاج حياة ، وقد تدرج هذا الفساد حتى عم وشمل أغلب المثقفين من شباب المسلمين الذين بهرتهم حضارة الغرب المادية فاغشى بريقها عيونهم الكليية ولطنخت بمفاسدها طهرهم وعفافهم ، فعموا عن حقيقتها وخلطوا بين العلم والتكنولوجيا المتقدمين عند الغرب والواجب اخذه واقتباسه ، وبين مفاسد المجتمع الغربى التابع من انحراف العقيدة وانتشار الزيف والضلال وذهيم الصفات الواجب تجنبها وعدم تقليدهم فيها .

الشريعة تصوغ نماذج الانسانية الكاملة :

ان كل أمة من الامم تصوغ من القوانين ما يلائم احوالها ويتمشى مع أهدافها، فهى تضع من القوانين والانظمة ما يتناسب مع احوالها فى زمان معين وتحت ضغط ظروف معينة، فاذا تغيرت هذه الظروف وتبدلت هذه الاحوال عمدت الى التعديل والتبديل فهى تضع القانون وتقيده نفسها به حتى تصبح اسيرة له تشكو من ضيقه وتقييده لحريتها، أى ان السلطة التى تشرع لرعاياها من ذاتها تصنع القيود وتحتفل بوضعها فى يديها حتى اذا ضاقت هذه القيود وجرحت معصمها لجأت الى تحطيم هذه الاغلال بصياغة قيود جديدة تتناسب مع احوالها الجديدة . . هذا شأن القوانين الوضعية التى يصوغها الانسان لنفسه وليس الامر كذلك فى التشريع الاسلامى. فقد انزل الله هذه الشريعة الغراء بواسطة الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كاملة مكملة، فجعل من المسلمين أمة قوية فى اخلاقها وتفكيرها ومثلها العليا السامية والتى ما زالت هذه الامة تتناول اليها وتتسامى حتى شرفت فى الانسانية كلها وجعل الله منها خير أمة اخرجت للناس « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

فالاسلام الحنيف صنع من المسلمين نماذج للانسانية الكاملة وجعل منهم أمة قوية عزيزة ، والتشريع الاسلامى جاء مستقلا بذاته لاصلاح الناس كافة ورعاية شؤون الانسانية فى معاشها ومعادها وسائر شؤون حياتها مكملا لمن يحتكم اليه القوة فى العقيدة والسماحة فى

الاخلاق والهداية والصلاح فى كل نواحي الحياة، ولذلك كانت الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع السماوية لاهل الارض لها من صفات الشمول والاحاطة ما جعلها عامة صالحة لجميع الناس فى مختلف الديار والامصار على مر الدهور والعصور .

اهمال الشريعة هو سبب الشقاء :

ومما لا مرأى فيه ان العالم الغربى اليوم رغم تقدمه المحسوس فى جميع وسائل العيش الهنىء ، ورغم وصوله القمة فى العلوم والاكتشافات وشتى الاختراعات حتى وصل القمر وجاس خلال النجوم وعاش فى الفضاء اللامتناهى فانه ما زال عاجزا فى تحقيق الرخاء والامن والسلام للانسانية المعذبة فى هذه الارض ، وان الذى لا ريب فيه ان الاسباب المباشرة لهذا الاضطراب والشقاء اللذان يعمان العالم اليوم ترجع لاهمال شريعة الله التى تتمثل فيها قدرته وكماله وعظمته واحاطته بما كان وما هو كائن وما سيكون. واذا كان يصعب على الضالين من الناس ان يؤمنوا بان الشريعة من عند الله فان مميزات هذه الشريعة الغراء لا يصعب الوصول اليها والتسليم بها عند كل ذى عين مبصرة وقلب واع وفهم صحيح .

وان الذى لا ريب فيه ان الاسباب المباشرة للاضطراب والشقاء اللذان يسودان العالم اليوم ترجع للقوانين الوضعية الحائرة والنظم الاجتماعية المنحرفة والتى لم يثبت لحد الآن صلاحها واهليتها لحل مشاكل الانسانية على وجه الارض، فما قيمة المال الوفير والاقتصاد المستنير والعلم الغزير اذا لم ينتظم كله صفا واحدا على استقامة المثل الانسانية الرفيعة بحيث تصوغ من ذلك كله مجتمعا فاضلا تحكمه قوانين وانظمة علوية سماوية فى منشئها ومبنيها من لدن حكيم خبير ، وهو الله الحكيم فى تصريف شؤون الخلق والخبير فيما ينفعهم ويؤمن العدالة بينهم ولا يرتبط فى ذلك كله بالاهواء البشرية - وهى كثر ومختلفة ومتنافرة ومتغيرة - ولا تتصل بالمصالح الخاصة لشعب دون شعب ولا يخضع لاهواء قائد أو أمير، انها رسالة السماء من لدن حكيم خبير .

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة آية 212)

« الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » (البقرة آية 257)

العودة الى الاسلام من جديد :

اننا نعتقد نحن المسلمين، ان لا مناص للعالم اليوم ان أراد توفير السعادة والهناء وسط ربوعه وبين ابنائه على مختلف ألوانهم وأجناسهم، لا مناص من بلل الجهد لرفع مستواهم الفكري والخلقي والانساني حتى يستمرثوا الاخذ بقواعد الشرع كمصدر رئيسي من مصادر التشريع وان يعودوا الى شريعة الله وهي الصافية الخالصة المنزهة عن التبديل والتغيير بالنسبة لتلاعب الالهواء والرغبات ، والمتسامية عن وجوه الانحراف والتضليل، والتي جاءت متممة للرسالات السماوية التي سبقتها ومحقة لارادة الله في توفير السعادة والهناء لجميع بنى الانسان على وجه الارض في كل زمان ومكان، وعلى اختلاف النزعات والعادات والامصار، وكل ذلك بمرونة وشمول وكفاءة، بحيث تؤدي حتما الى تأمين قواعد العدل وتوطيد دعائم الامن وتنصر الحق وتحقق كامل الرخاء .

فكيف يرضى المسلمون اليوم في شتى اقطارهم ان يستبدلوا حكم الطاغوت - المتمثل بالقوانين الوضعية - بالتشريع الاسلامي العظيم، وكيف يقبلون الاحتكام الى القوانين المقتبسة من قوانين الامم الكافرة في الشرق أو الغرب وهي من وضع البشر، ويتسركون قانونا علويا ساميا هو من لدن حكيم خبير .

كيف يرضى المسلمون اليوم العيش في واقع يكذب دينهم ويتنافى مع توحيد الله في عقيدتهم باشتراك طواغيت الحكم من البشر مع الله في العبودية ولا يتفق مع الأقرار بالحاكمية لله وحده. وانه لا يجوز ان يعبدوا المخلوق ويشركوه مع الله باعطائه حق تحريم الحلال وتحليل الحرام متى شاء .

روى الامام احمد والترمذى وابن جرير من طريق عن عدى بن حاتم
فى قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة فدخل عليه
وهو يقرأ الآية :

« اتخلوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » قال عدى فقلت
انهم لم يعبدوهم ، فقال « بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم
الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم » (تفسير بن كثير- سورة التوبة
آية 31 ص 348) .

وكيف يوفق المسلمون اليوم بين زعمهم بانهم يؤمنون بما انزل
الله على رسوله الامين، وبين قبولهم بالاحتكام الى الطاغوت وترك ما
انزل الله .

« ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من
قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا » . (النساء آية 60) .

وقد اقسم الله عز وجل فى كتابه الكريم مؤكدا ان هؤلاء المسلمين
الذين يرضون بالقوانين الوضعية بدىلا عن الشريعة الاسلامية التى
جاءهم بها ليسوا مؤمنين وأكد انهم لن يؤمنوا حتى يعودوا للاحتكام
الى الشرع الشريف برضى واقتناع وتسليم .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء آية 65) .
ولم ينف عنهم صفة الايمان فحسب وانما دمج الذين يقبلون
بالقوانين الوضعية بدىلا عما انزل الله بالكفر ووصفهم بالفسق
والظلم فقال عز وجل :

- (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) .
- (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) .
- (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) .

فما الذى جعل المسلمين يخرجون على اسلامهم وينزلقون فى
مناهات الحيرة والضلال فى تقليد الغرب بالضرار المهلك من عاداته
واخذوا عنه تشاريعه ونظم حياياته ؟ هل هو ضعفهم فى الدين
وانفسامهم على بعضهم فى الحياة وانشغال كل دويلة بهمومها دون

التفكير في مناصرة الدولة الاخرى؟ وهل هو الفقر في المال والعلم والاخلاق وتأخرهم عن ركب الحضارة؟ أم يرجع ذلك كله الى اختلاط جميع هذه الاسباب عليهم مع سبب آخر هام هو غلبة الدول الاستعمارية الفاتحة والتي هيمنت على اقطار المسلمين؟ ان من طبيعة الدول الفاتحة ان تؤثر بالبلاد التي تقع في قبضتها وتصير تحت حكمها، ولما كانت اكثر البلاد الاسلامية وقعت تحت حكم الدول الكافرة، فقد صار لزاما ان ندرج كيف اثر ذلك على اسلوب الحكم فيها وكيف ربت مدارس الغرب اجيالا بهرتها مدنية الغرب فراحوا يدعون للاقتباس منهم بدون تمييز بين الغث والسمين وبدون ادراك مدى خطورة اخذهم التقنين عنهم بلا روية ولا ضرورة، واهمالهم الشريعة الاسلامية جزئيا أو كليا وابعادها عن دور التشريع والقضاء، زاعمين بان الشريعة الاسلامية ان صلحت في الماضي فانها لا تصلح للحاضر ولا للمستقبل ولو أردت مناقشتهم الرأي ومطالبتهم بالحساب يتضح لك انهم لا يبنون رأيهم هذا على دراسة علمية او حجج منطقية بل ان العلم والمنطق يثبتان عكس مزاعمهم ويظهران بان الشريعة الاسلامية تتفوق على جميع القوانين الوضعية، وان الفقه الاسلامي يصلح لهذا العصر ولما يتلوه من العصور المقبلة .

حجة القائلين بعدم صلاحية الشريعة :

هناك فريق من الناس اليوم يقولون بعدم صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق ، ويزعمون انها لا تصلح ان تكون نظام حكم ولا منهاج حياة وانما يجب ان تحبس على الصلاة في المساجد وتحديد مناسك العبادة في الحياة ، اما الفريق الاول فمن الذين درسوا القانون دون الشريعة والفريق الآخر لم يدرس القانون ولا الشريعة وانما يهرف بما لا يعرف وكلا الفريقين ليسا اهلا للحكم على صلاحية الشريعة للحكم والحياة لانهم يجهلون الاسلام ومن جهل شيئا لا يصلح للحكم عليه . اما الفريق الاول الذين درسوا القانون فقد بنوا رأيهم على فهم خاطيء وقياس غير صحيح ولم يتبعوا اساليب البحث العلمي والدراسة المنظمة في ابحاثهم ومؤلفاتهم، فقد تعلم هؤلاء ان القوانين الوضعية الآن قد تطورت واستكملت شرائط صحتها وبلغت غاية

النضج والحكمة من نجارب الماضى ومتطلبات العصر حتى أصبحت تختلف كل الاختلاف عن القوانين القديمة. كما درسوا ايضا ان القوانين الوضعية الحديثة قامت على نظريات فلسفية واعتبارات اجتماعية وانسانية راقية حديثة تكاد تفتقدها فى القوانين القديمة فلا تجد لها وجودا ولا اترا وبذلك يتوصلون الى نتيجة طبيعية ومنطقية وهو ان هذه القوانين القديمة أصبحت لا تصلح للعصر الحاضر وهو اعتقاد صحيح فيما يتعلق بالقوانين الوضعية ، ومن هذا المنطق وبدون تفريق بين القانون الذى وضعه الناس الذين من صفاتهم الخطأ والتقصير والتأثر بالاهواء وعوامل البيئة والزمن، وبين الشريعة المطهرة التى انزلها الله العلى القدير والذى حاشا ان يخطئ ولا يؤثر فى علمه عامل بيئة او تقدم زمن. وهم من خطئ المنطق الخاطئ وبالجهل الفاضح فى أمور التشرع يقيسون الشريعة بالقوانين الوضعية ويقولون: ما دام كل قانون قديم لا يصلح لعصرنا فكذلك الشريعة الاسلامية لانها قديمة لا تصلح لعصرنا. وفى هذا القياس الباطل خطأ فادح وجهل فاضح لانهم سوا بين القوانين التى وضعها الانسان بالشريعة السماوية التى وضعها خالق الانسان ولكى يكون القياس صالحا يقتضى مساواة المقيس بالمقيس عليه فاذا انعدمت المساواة فلا قياس أو كان القياس باطلا .

هوية القائلين بعدم صلاحية الشريعة للحكم :

كان البلاء ينصب على الاسلام وأهله من اعداء الاسلام الذين يجهلون الاسلام واحكامه فتعصبوا ضده ويذكرون الحروب السابقة الطويلة بين الاسلام والكفر وغلبة المسلمين عليهم ودحرهم فى عقر دورهم فملأت قلوبهم الضغائن وباتت تتأجج نيران الحقد فى نفوسهم لانهم اعداء للاسلام واهله ولكن ما عذر المسلمين الذين اهلوا احكام القرآن وسنة رسولهم واعتقدوا خطأ ان الشريعة لا تصلح للتطبيق فى عصرهم الحاضر ؟ وهل علموا ان قولهم هذا لا يتفق مع عقيدتهم اذا كانوا مسلمين ؟ ان اكثر القائلين بعدم صلاحية التشريع الاسلامى مصدرا رئيسيا للتشريع وقانوننا اساسيا للحكم هم من المسلمين الذين ينتسبون الى الاسلام ويتظاهرون بالغيرة عليه، انهم لا يعارضون

ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة اذا كان ذلك يتعلق بالصلاة او الصوم او الحج او الزكاة ويردون ما سوى ذلك ، أى انهم يأخذون من الكتاب الكريم ما يروق لهم ويتركون ما لا يروق لهم ولا يذكرون قول الله عز وجل : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي فى الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون » (البقرة آية 84) .

كيف ابتعد المسلمون عن الشريعة :

اذا كان العمل بالشريعة الاسلامية هو جزء من العقيدة ولا يتم ايمان المرء الا بتحكيم كتاب الله تعالى فى كل امر من أمور حياته فكيف ابتعد المسلمون عن الشرع وأهملوا العمل به فى دواوين الحكم والقضاء وكيف حصروه فى العبادات والاحوال الشخصية والاقواقف ، اذا امعنا النظر فى أسباب تأخر المسلمين وانحطاط شأنهم نجد انهم قد انحرفوا عن تطبيق الشريعة تطبيقا عادلا فى عهودهم القديمة المظلمة وان حكاهم الجهلاء كانوا يحكمون أهواءهم فى كل ما يهتمون به ، ويتركون الامور التى لا تعنيهم ولا تضرهم ولا تنفعهم للشريعة الاسلامية فحدثت فجوة واسعة بين الشريعة والقانون ، بين احكام الله راجية التطبيق وبين الاعراف والتقاليد التى تتفق مع أهواء الحاكمين الجهلاء الطغاة ولا تتفق مع شريعة الله .

لقد طبق المسلمون فى بلاد الاسلام بعض احكام الشريعة دون البعض الآخر وآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه فماذا كانت النتيجة غير الذى نراه ، خزي فى الدنيا وعذاب وذل ما وراءه ذل وقد سلط الله علينا فى الحاضر كما سلط عليهم فى الماضى اعداء لا يرحمون، وجعلنا معهم عبرة لاولى الالباب . اللهم انا قد ظلمنا انفسنا بالانحراف عن شريعتك واهمال احكامك وترك سنة نبيك فسلطت علينا الظالمين من شرادم الارض وشذاذ الافاق ينسلون علينا من كل حذب وصوب فجاسوا خلال الديار فامتلكوها وتحكموا بقراب المسلمين فاذلوها وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الظالم سوط الله فى الارض يسلطه على الظالمين فينتقم به ثم

ينتقم منه » .

وهنا نتساءل ما الذى يخشاه المسلمون من تطبيق الشريعة فى الحكم ؟ ايتخشون حكم الله ؟ « أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله » (النور آية 50) .
كان العرب مضرب المثل بالفرقة والشتم والضعف حتى جاء الاسلام وامنوا به وحسن ايمانهم فمكن الله لهم فى الارض واستخلفهم عليها وجعل منهم هداة للناس اجمعين وان الذى اعزهم من بعد ضعف ولكن لهم من بعد ضياع وتيه وضلال لقادر ان يمكن لهم ويعزهم اذا آمنوا وحسن ايمانهم وعملوا وحسن عملهم ذلك وعد الله لعباده المؤمنين .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم » (النور آية 55) .
التشريع الاسلامى سبق القوانين الوضعية بقرون طويلة :

ليس أبلغ من تقرير الحقائق والدلالة على ثبوتها من ضرب الامثلة عليها، وانما سوف استعرض بعضها بايجاز ووضوح هناك قواعد أساسية فى القوانين الوضعية يعتز بها المشرعون اعتزازا كبيرا ومنها قاعدة (لا جريمة ولا عقوبة بلا نص) . فمتى عرفت القوانين الوضعية ومتى قررها الاسلام ؟ اما تاريخ التشريع فيقرر ان القوانين الوضعية لم تعرف هذه القاعدة الا فى أواخر القرن الثامن عشر لانها وليدة الثورة الفرنسية حيث دخلت فى اعلان حقوق الانسان سنة 1789 اما قبل ذلك فكان القضاة يتحكمون فى تحديد الجرائم وتعيين عقوباتها فيعتبرون الفعل جريمة، ولو لم يكن هناك نص على تحريمه . ويعاقبون عليه بأية عقوبة شاءوا ولو لم يكن منصوصا عليها وقد كانت هذه السلطة التحكيمية هى الدافع الاول الذى يدفع الى تقرير هذه القاعدة والعمل بها . (شرح قانون العقوبات للدكتورين كامل مرسي والسعيد مصطفى ص 101 والقانون الجنائى لعلى بدوى ص 102 .
الموسوعة الجنائية للاستاذ عبد القادر عوده ص 156 ج I) ومن القانون الفرنسى اخذت اكثر القوانين الوضعية ثم انتقلت قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة بلا نص » من القانون الفرنسى الى القوانين الوضعية الاخرى ثم اخذت تتطور تحت تأثير التجربة والاختيار وحاجات الجماعة وبقيت

هذه القاعدة سليمة محترمة زمنا طويلا فيما يختص بتعيين الجرائم حتى اذا جاء مطلع القرن العشرين اخذت هذه القاعدة تصبح محلا للانتقاد وهاجمها الكثيرون من الشراح بحجة انها لا تصلح لمواجهة الضرورات الاجتماعية وانها تؤدي الى ضياع مصلحة الجماعة، وان المجرمين يتفنون في الهروب والتملص من الوقوع تحت سلطان النصوص ويعبثون ما شاء لهم العبت وهم آمنون من العقاب فاذا صدرت قوانين جديدة لتحريم الافعال الجديدة التي أدى ارتكابها للعبث بالمصلحة العامة عاد المجرمون يعملون على التهرب من نصوصها القاصرة وعادوا الى الجريمة آمنين من العقوبة .

ولم يسع اكثر القوانين الوضعية الا ان تستجيب للنقد الشديد الذى وجهه شراح القانون الى هذه القاعدة فيما يختص بتعيين الجريمة وتحديد العقوبة، وقد عرض هذا الموضوع على المؤتمر الدولى الرابع لقانون العقوبات فى سنة 1937 ولكن المؤتمر لم يسعه الا ان يقرر الابقاء على القاعدة ونحن اليوم نلاحظ ان بعض العلماء والشراح يحاولون الخروج على هذه القاعدة من ناحيتين .

I - من ناحية الجريمة يرون الاكتفاء بتعيين الافعال المحرمة تعيينا عاما بحيث يدخل تحت النص الواحد اكثر من حالة واحدة، وبحيث لا يستطيع المجرم ان يفلت من مثل هذا النص العام المرن .

2 - ومن ناحية العقوبة يرون الاكتفاء بتحديد الحد الاقصى للعقوبة دون الحد الادنى ليكون للقاضى سلطة واسعة فى تطبيق العقوبة. وان هناك رأى آخر لبعض كبار المشرعين يرون ان يترك تحديد العقوبة بمقدارها ونوعها الى اختيار القاضى وتقديره. (التشريع الجنائى الاسلامى للسيد عبد القادر عوده ج I ص 159 والقانون الجنائى لعلى بدوى ص 103) .

كيف طبقت الشريعة الاسلامية هذه القاعدة :

ان المدقق فى تاريخ العمل فى قاعدة (لا جريمة ولا عقوبة بلا نص) يجد ان الشريعة الاسلامية قد طبقت هذه القاعدة قبل ان تعرفها القوانين الوضعية بأكثر من ثلاثة عشر قرنا حيث جاءت بها نصوص القرآن فى مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى :

« وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا » (الاسراء آية 15) .
وقوله : « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا
يتلو عليهم آياتنا » (القصص - 59) . وقوله : « لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل » (الانعام 19) . وقوله : « لا يكلف الله نفسا
الا وسعها » (البقرة 286) . وقوله : « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف » (الانفال 38) .

فهذه النصوص من كتاب الله الكريم قاطعة في ان لا جريمة الا
بعد انذار، وان الله لا يأخذ الناس بعقاب الا بعد ان يبين لهم
وينذرهم على لسان رسوله، وانه ما كان ليكلف نفسا الا بما تطيقه .
(التشريع الجنائي ج I عبد القادر عوده - ص 117 و 118) .

ومع ان القوانين الوضعية اقتبست هذه القاعدة الاصولية في
التشريع وطبقتها تطبيقا خاطئا افقدتها مرونتها وميزانها فان التشريع
الاسلامي لم يطبق القاعدة على غرار واحد في كل الجرائم بل ان كيفية
التطبيق جعلها تختلف باختلاف الجريمة فيما اذا كانت من جرائم
الحدود أو جرائم القصاص والدية أو جرائم التعزيز ، ونجد ان
الشرعية قد حددت الجريمة والعقوبة في جرائم معينة بحيث لم تترك
للقاضي اية حرية في اختيار نوع العقوبة او تقدير كمها لانها محددة
كما جاءت في كتاب الله وقد اطلق على هذه العقوبات اسم، الحدود،
واشترطت لعقوبة الحد ان تكون الجريمة تامة وعدم وجود المانع
الشرعي من توقيع العقوبة ، وهي عقوبات محددة النوع والمقدار
ولا يمكن العفو فيها أو المساس في كيفية تنفيذها لانها حق لله تعالى
فهي مقيدة بالامر الصريح بظاهر النص من الكتاب الكريم والسنة
المطهرة .

قال الله تعالى : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا »
(الاسراء آية 33) .

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (النور
آية 2) .

وما جاء في الحديث الشريف « خلوا عني فقد جعله لهن سبيلا:
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم
بالحجارة » .

فهذه النصوص تحرم الزنا وتعاقب عليه بالتغريب والجلد والرجم
وهي كل العقوبات المقررة للزنا فى الشريعة .

وفى جريمة القذف يقول الله عز وجل :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون »
(النور آية 4) .

فهذا النص يحرم القذف ويعاقب عليه بالجلد والحرامان من حق أداء
الشهادة وليس فى الشريعة عقوبة للقذف الا فى غير هاتين العقوبتين .

وفى شرب الخمر جاء التحريم بنص الكتاب والحديث .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب
والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (آية 90) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام » ، وقال صلى الله
عليه وسلم فى تعيين العقوبة « اضربوه » وقد روى عنه انه ضرب
أربعين فى الخمر وفى عهد عمر رضى الله عنه أجمع الصحابة على ان
يضرب الشارب للخمر ثمانين جلدة قياساً على القاذف .

وفى جريمة السرقة ورد النص فى التحريم وتحديد العقوبة من
كتاب الله :

« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالا من
الله والله عزيز حكيم » (المائدة آية 38) .

وحرم الحرابة والسعى بالفساد فى أرض وحدد فيها العقوبة
بصريح الآية « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض
فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو
ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب
عظيم » (المائدة آية 33) .

وفى جريمة الردة ورد التحريم لها وحدد العقوبة عليها بالقتل بما
ورد فى كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » (آل عمران آية 85) .
ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » .

وفى جريمة البغى ورد التحريم وتحديد العقوبة عليها بالقتل ،
قال تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان
بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله »
(الحجرات آية 9) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أتاكم وأمركم على رجل واحد
يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه » .

واما فى جرائم القصاص والدية فان الشريعة قد طبقت عليها
قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة بلا نص » تطبيقا دقيقا وعينت العقوبات
عليها تعيينا دقيقا والزم القاضى ان يوقع العقوبة المقررة اذا ثبت
لديه ان الجانى هو الذى ارتكب الجريمة . وبذلك فان الشريعة تكون
قد حددت سلطة القاضى فى جرائم القصاص والدية كما حددتها له فى
جرائم الحدود ولا تفترق عنها الا فى ان القاضى ملزم ان لا يطبق عقوبة
القصاص او الدية اذا عفا عنها المجنى عليه او وليه لان العقوبة فى
هذه الجرائم، وان كانت محددة النوع والمقدار كما فى الحدود الا انها
مقدرة حقا للافراد وصاحب الحق يستطيع ان يستوفيه او يتركه .

وقد قسم الفقهاء الحقوق التى تنشأ عن الجرائم الى نوعين :

I - حقوق لله تعالى وهى التى تنشأ عن الجرائم التى تمس مصالح
الجماعة ونظامها .

2 - حقوق للأدمنين، وهى تنشأ من الجرائم التى تمس حياة الافراد
وحقوقهم . وبما ان كل جريمة تمس مصلحة الجماعة انما تمس فى
النهاية مصلحة الافراد، وكل جريمة تمس مصلحة الافراد تمس فى
النهاية مصلحة الجماعة .

ويجرى تحديدها بالنسبة للصفة الغالبة عليها فينسب الحق لله
كلما كان خالصا لمصلحة الجماعة او غلبت عليه مصلحة الجماعة ونسبة
الحق لله لا تقيده جل شأنه شيئا وانما تمنع الجماعة والافراد من
اسقاط الحق لان حق الله تعالى لا يملك احد اسقاطه .

واما فى الصنف الثالث من الجرائم التى طبقت الشريعة الاسلامية
عليها قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة بلا نص » وهى جرائم التعازير وقد
جاء التطبيق عليها بصورة موسعة لان المصلحة العامة وطبيعة هـسنه

الجرائم تقتضى هذا التوسّع وبصورة مجملّة فان الشريعة تركت للقاضي ان يختار العقوبة الملائمة للجريمة بالنسبة لحال المجرّم ونفسيته وسوابقه والظروف التي وقعت فيها الجريمة بخلاف ما ورد في جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية . وقد جاء هذا التوسّع على حساب العقوبة . كما ان الشريعة عرفت التعزير (وهو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود) أى هو عقوبة على جرائم لم تضع الشريعة لها عقوبات معينة فهو يتفق مع الحدود بان العقوبة للتأديب والاصلاح والزجر بحسب اختلاف الذنب ولكنه يختلف عنها من وجهين :

- 1 - لكل حد من الحدود عقوبة معينة لا مناص من توقيفها على الجاني ، أما فى التعزير فهناك مجموعة من العقوبات تبدأ من النصيح وتنتهى بالحبس او الجلد، وقد تصل للقتل فى الجرائم الخطيرة .
- 2 - لا يجوز لولى الامر فى عقوبة الحد ان يصدر العفو عن الجاني بينما له مثل هذا الحق فى جرائم التعازير .

واذا كان المجال فى هذه المحاضرة الموجزة لا يساعد على استقصاء هذه الجرائم والحدود وانما تعرضنا لها بما يفيد التطبيق للقواعد التى ترعاها الشريعة وتختلف فيها عن القوانين الوضعية فانه لا بد ان نتعرض بايجاز الى المميزات الخاصة التى تفضل فيها الشريعة الاسلامية غيرها من الشرائع والقوانين الوضعية فما هى مميزات الشريعة الاسلامية التى تختلف فيها عن غيرها ؟

لا شك ان التشريع الاسلامى يتميز عن القوانين الوضعية بصفات كثيرة لا يحتاج الوصول اليها كثير نظر ولا وافر تدبر لظهورها ظهور الشمس فى وضوح النهار ولا يغيب أمرها عن كل ذى عين مبصرة وقلب متفتح لقائق الامور، وانى سوف اوجز هذه المميزات حسب اطلاعى المحدود والمراجع القليلة التى توفرت لى .

مميزات التشريع الاسلامى :

- 1 - التشريع الاسلامى منزّه عن الخطا والهوى لانه من عند الله تعالى المنزه عن كل خطا أو هوى . بخلاف القوانين التى يوضعها البشر فهى انبعاث عن أحوالهم - واحوال البشر متقلبة حسب تقلب

أهوائهم - وتفكيرهم المحدود بما فيه من نقص وامكانية الوقوع تحت سيطرة الهوى المؤدية بالنتيجة الى الخطأ والابتعاد عن جادة الصواب .

2 - فى الشريعة صفة الشمول والعموم والاحاطة بكل شؤون الناس وحاجاتهم دون قصور أو نقص فجاءت تامة سامية منزهة عن كل شوائب العيب وقد ختم الله بها جميع الشرائع السماوية بخلاف القوانين الوضعية التى يضعها البشر بالفكر المحدود والتعميم الناقص والعجز عن فض اختتام الغيب مهما بلغ هؤلاء المشرعون من الحكمة والمقدرة والكفاءة .

3 - يمتاز التشريع الاسلامى بالاهتمام المطلق فى التوجيه الروحى للكمال والتهذيب النفسى ليقظة الضمير ، وصفاء القلب وطهر السريرة ، وهو منبعث بهذه الصفات كلها الى حب الخير ومقاومة الشر . بينما تقتصر القوانين الوضعية على توجيه الناس بالخوف وخشية العقاب من السلطة الحاكمة فحسب . من غير اعتماد - بصراحة أو بتلميح - الى الخلق او الضمير . ولا تحريك القلب الى مبعث النور والهدى فى خشية الله او رجاء ما عنده .

4 - اعتمد التشريع الاسلامى على العقاب والثواب فوضع لكل عمل يعمله الانسان جزائين جزاء عاجلا فى الدنيا يردع فيه المذنبين من الناس وجزاء امؤجلا غير منظور وهو جزاء الآخرة تساس به النفوس الحيرة والاوساط الرفيعة المهذبة من الناس ، بخلاف القانون الوضعى الذى يعتمد على سوط العقوبة العاجلة فى هذه الحياة الدنيا كرادع ومانع لكل خلاف .

5 - التشريع الاسلامى يكافىء المحسن على احسانه كما يحدد العقوبة على المسىء فيجعل الناس يتسابقون الى اعمال الخير متمسكين بأهداف الفضيلة واصلين ما أمر الله به ان يوصل رجاء ثواب الله زاجرين النفس والهوى عن محارم الله خشية العقاب الذى توعد به المذنبين . بينما اقتصرت القوانين الوضعية على وضع الجزاء أو العقوبة على ناحية الشر وجدير بمثل هذه القوانين الا تحفز النفوس الى المسابقة فى اعمال الخير او التنافس فيه .

6 - الحكمية فى الاسلام لله، وينص التشريع الاسلامى على وضع سلطة التقنين وصياغتها كما وضعها الله فى اهل الذكر من العلماء

والمجتهدين، وهؤلاء تنحصر مهمتهم في تخريج احكام من نصوص الشريعة او صياغة الاوامر والبلاغات والتدابير وفق انظمة الاسلام وقواعده من غير ظلم او حيف على الناس. بخلاف السلطة التشريعية في القوانين الوضعية التي تتولاها هيئات معينة يحددها دستور كل دولة بما يلائم اوضاعها الخاصة .

7 - يهدف التشريع الاسلامى - وهو خاتم الرسالات السماوية - الى امرين رئيسيين فى تنظيم روابط الإنسان مع ربه وتنظيم علاقاته مع الآخرين بينما يقتصر شأن القوانين الوضعية فى تنظيم أمر الناس مع بعضهم فقط، وهذا وحده كاف للاستدلال على نقص القانون الوضعى وعدم توصيله الانسان الى كمال المقصود فى التسامى والطهر والحياة الافضل للناس اجمعين .

8 - يمتاز التشريع الاسلامى بقوة التنفيذ وهيبة القانون حيث تسهر (بموجبه) على اعمال كل فرد قوتان رادعتان هما قوة السلطة الحاكمة بوسائلها الظاهرة، وقوة الضمير المؤمن والوجدان الطاهر الذى يردع صاحبه عن مخالفة القانون ولو كان فى ادق حالات التستر والحفاء عن أعين الناس، بينما يتفلت الجانى فى القوانين الوضعية فى ارتكاب المخالفات كلما استأنس غفلة السلطة الحاكمة عن مراقبته .

9 - ان التشريع الاسلامى، وهو من عند الله تعالى، يفرض أوامره ومذاهبه على الجميع دون ان يشعر أى فرد بالغضاضة من الخضوع اليه لانه من عند الله والطاعة له طاعة للخالق الكبير وليس طاعة لمخلوق مثله فهو فى اشد حالات القسوة فى القمع والعقوبة يحتفظ بحرية الانسان وكرامته فلا يمتن لمخلوق مثله ولا يشعر اى غضاضة من رضوخه للخالق العظيم الذى خلقه وكرمه حتى وهو يعاقبه لانه يطهره بهذا العقاب .

10 - جاءت الشريعة الاسلامية موحدة للانسانية كلها حيث ختم الله بها جميع الرسالات السماوية، وجاءت الى عموم الناس فهى تدعو الى وحدة الانسانية المتكافلة على وجه الارض وتنظر اليهم اجمعين كأنهم أمة واحدة تدعوهم ان يعيشوا بسلام وهناء ورخاء موحدين لله لا يشركون به شيئاً ، بينما جاءت القوانين الوضعية مراعية

مصلحة واضعها وتكاد تحصر همها بتأمين مصلحة فئة دون فئة وتحقيق اهداف الحزب أو الافراد الذين وضعوها فهي - بهذه الصفة - تثبت الفرقة والتمييز بين فئات - الشعب الواحد وتثير بذلك الاحقاد وتورث العداوة والبغضاء بين الناس بما اوجدته من تفريق في تأمين المصالح الخاصة لفريق معين من الناس .

II - جاءت الشريعة الاسلامية رحمة للناس أجمعين « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وجاء التكليف بها للناس كافة وقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذه الرسالة الى اعظم حكام الارض، في ذلك الوقت ارسل الى هرقل امبراطور الروم، والى كسرى شاهنشاه الفرس، والى المقوقس حاكم مصر، والى الحارث الغساني ملك الحيرة، والى الحارث الحميري ملك اليمن، والى النجاشي ملك الحبشة ، فلم تأت الشريعة لجماعة دون جماعة أو لقوم دون قوم أو لدولة دون دولة كما هو الحال في القوانين الوضعية، وانما جاءت الشريعة للناس كافة على اختلاف مشاربهم وتباين عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم حتى يمكن ان يطلق عليها بحق اسم، الشريعة العالمية، التي تخيلها علماء القانون الوضعي ولكنهم لم يستطيعوا ايجادها لحد الآن .

I2 - يختلف التشريع الاسلامي ويتميز عن القوانين الوضعية في تقريره حقوق الافراد في المجتمع والنزعة الاجتماعية التي ينهج اليها ويؤكد السير عليها فلا تعتبر الشريعة الحقوق الخاصة بالفرد طبيعية مقررة له وانما هي منح الهية مقيدة بعدم الاضرار بالآخرين وبمراعاة المصالح العام وان المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة، ولان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لا ضرر ولا ضرار في الاسلام » ومعنى هذا انه يجب مقاومة كل عمل يترتب عليه الاضرار بالآخرين وان كان في الاصل مباحا. وهناك احاديث تورد بعض تفصيلات لهذه القاعدة كنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يبيع أحد على بيع أخيه أو يخطب على خطبته الا ان يأذن له. ومن هذا جاء تشريع الشفعة يقيد حرية المتبايعين بحيث يمنع ضرر الشريك او الجار وعدم المضارة بالافراد الآخرين مما يوفر الطمأنينة ويحقق ناحية من السعادة والصالح للمجتمع .

I3 - مزج التشريع الاسلامى العقيدة بالحياة فأعطى كل عمل من أعمال الدنيا منزلته الرفيعة فى الدين وثوابه الجزيل عند الله وقرر حقيقة سامية قدس فيها العمل وحث على الانتاج فى سبيل الصالح العام ورعاية لمصلحة الجماعة، وان كل عمل من اعمال الدنيا يعتبر عبادة وقربة عند الله ما دام الباعث اليه حب الخير والحرص على مصلحة الجماعة وبالصورة ذاتها قرر ان العبادة بالنوافل اذا شغلت صاحبها بمن العمل المنتج وتدير شؤون الدنيا ليست عبادة، وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى رجلا منقطعا للنسك والزهد وسمع من اصحابه ثناء عاطرا عليه من تلك الناحية فقال لهم: من بنفق عليه؟ قالوا: أخوه، فقال: «أخوه اعبد منه» وفى الحديث «الساعى على الارملة والمسكين كالجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل وصائم النهار» • «لان يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير له من ان يسأل احدا فيعطيه أو يمنعه» «ما أكل احد طعاما خيرا له من ان يأكل من عمل يده» • «طلب الكسب بعد الصلاة المفروضة هى الفريضة بعد الفريضة» • «ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة» قيل فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: «الهموم فى طلب العيش» •

I4 القوانين الوضعية لا تبحث فى علاقة الفرد بربه بل اقتصر على بحث علاقة الافراد ببعضهم البعض ، علاقة الفرد بالفرد وعلاقة الفرد بالجملة وعلاقة الدول مع بعضها بعض. بينما يبحث الاسلام فى هذه الأمور جميعها ولم يغفل علاقة العبد بربه وهى ما تسمى قسم العبادات فى الشريعة ، والحق بها الاحكام المنظمة للأسرة لما فيها من تكاليف بحرص الشارع على تحقيقها حفظا لنظام المجتمع الانسانى المثالى والحياة الانسانية الرشيدة ، وهذا ما يعبر عنه فى عصرنا الحديث بالاحوال الشخصية •

I5 - جاءت احكام المعاملات فى الشريعة منظمة لشؤون المجتمع الانسانى فى كل ما تدعو اليه مدنية الانسان الطبيعية حتى تكون على وجه يكفل الحياة الانسانية الرشيدة، وهذه الاحكام جاءت مجتمعة تشبه القواعد الكلية فى القوانين الوضعية، وقد تركت امر التفصيل لما يقتضيه العرف والعادة وما يتفق مع مصالح الناس ، وهذا القسم من

الشريعة قد تناول جميع النواحي التي تناولتها القوانين الوضعية في العصر الحديث، وسوف نستعرض بعض الامثلة التي توضح لنا كيف ان الفقه الاسلامي قد ألبس كل شيء من أمور المسلمين ثوب التشريع، وكيف ان فقهاء المسلمين قد توصلوا بالفهم الصحيح لروح الشريعة الاسلامية والاستنتاج الحكيم البارع الى احكام متعددة لكل ما يجب من مسائل وشؤون لم يرد لها نص في الكتاب والسنة حتى وصل الفقه الاسلامي الى بناء عظيم يقوم على أسس متينة تتحمل كل جديد وتستوعب ما عسى ان يجد من مشاكل واحداث. فالعلاقات الدولية قد نظمتها (بصورة مجملّة) عدة سور من القرآن الكريم منها سورة الانفال، والتوبة، والفتح، والمتحنة، وبينت نواحي كبرى منها معاهدات النبي صلى الله عليه وسلم وما ترتب عليها من وفاء او نقض وفي كتب السيرة النبوية الشريفة نصوص على معاهدات عديدة صبرت بين النبي صلى الله عليه وسلم وعدة طوائف مثل معاهدته مع ملك ايله، وقد اعتبرها الفقهاء مصادر الاحكام في موضوع العلاقات الدولية فتناولوا في قسم المعاملات علاقة الامة الاسلامية بغيرها في الحرب والسلم والحقوق فيها معاملات المسلمين مع غيرهم من الذميين والمستأمنين والحرية تحت اسم: السير والمغازي . كما بحثوا في قسم المعاملات ايضا النواحي الدسورية والادارية تحت اسم: السياسة الشرعية كما تناولوا فيه بعض ما يتعلق بالشؤون المالية والاقتصادية في ابواب العشور، والحراج، والجزية، والكنوز، والركاز، واحياء الموات . وتوصلوا الى قواعد اجتماعية غاية في العبدل استنبطوها من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، بينوا فيها مدى حرية الاستثمار والتملك، وفصلوا احكام الصلات المالية بين الناس، وأبانوا الحقوق والاموال وطرق تملكها وما يتعلق بها من التزامات ومن هو أهل للالتزام والولاية. وادخلوا في هذا القسم أيضا الشركات بأنواعها والحقوق به أبوابا متعددة تتعلق بالخصومات، كالقضاء، والدعوى والشهادة .

وهكذا نجد ان الفقه الاسلامي قد ألبس كل شيء من أمور المسلمين ثوب التشريع، واستنتج الفقهاء على تعاقب الاجيال احكاما لكل ما يجد من شؤون لم يرد عليها نص في كتاب أو سنة حتى وصل الفقه الى

بناء عظيم يعتمد على أسس قوية صالحة لتحمل كل جديد . ان الفقه الاسلامى بمصادره الضخمة وطبيعته المرنة قد وضع لكل شأن من شؤون الناس وتصرفاتهم اصولا تتبع وقواعد يقاس عليها مما جعله مسائرا لكل زمان وصالحا لكل مكان .

I6 - واخيرا يمكننا القول ان الشرائع السماوية وعلى رأسها بشريعة الاسلام مصدرها علوى حاشا ان ينسب اليه خطأ او هوى او تقصير. بخلاف القوانين الوضعية التى مصدرها من المخلوقين وهم غير معصومين عن الخطأ مهما بلغوا من العلم والذكاء والفظنة وغير منزهين عن الهوى ومزالتى الفتنة مهما بلغوا من التسامى والتجرد والتفانى فى سبيل الصالح العام .

وكما تميزت الشريعة الاسلامية من القوانين الوضعية فى مصدرها العلوى وانها جاءت خاتمة للشرائع السماوية كلها، فانها تتميز ايضا فى أهم مميزات التشريع من ناحية الاهداف، فبينما تقتصر القوانين الوضعية على تنظيم أمور الناس الدنيوية فقط وهذا يقعد بها عن الوصول الى كمال المقصود. فقد جاءت الشريعة مستكملة لجميع الامور التى تنظم رابطة الانسان بربه وتنظيم رابطة الناس بعضهم ببعض وجعلت الرابطة الاولى المقدسة هى الاصل وهى الاساس للرابطة الثانية الدنيوية، ويتصل بتنظيم الرابطة بالله عز وجل ان هناك حياة أخرى لها حكمها الذى يرجع الى القلب وما حوى من اتجاه سديد ونية صادقة وهى اشياء خفية بين العبد وربه ولا يثاب على أعماله الظاهرة بدونها .

« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » .

بينما قد يختلف هذا الامر مع حكم القضاء الذى يقوم على الظاهر المكشوف والذى يشبه حكم القانون من هذه الناحية .

ان ارتباط التشريع الاسلامى بالعقيدة اعطى التشريع قوة وقداسة فى نفوس المؤمنين لا يبلغ منزلتها ولا يتناول الى مكانتها اى قانون وضعى فى أمة من الامم مهما بلغ الوعى بينهم وتوفر الضمير الحى فى نفوسهم. فارتباط الفقه الاسلامى بالعقيدة جعل من هذه الشريعة قوة هائلة تسيطر على حياة المسلمين، فمن تنكر للفقه فقد تنكر للعقيدة

ومن لم يحكم بالشرية او تنكر لها فقد خرج من الاسلام وكفر بالله،
« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » •
« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » •
« آمنوا بالله ورسوله » •

ان الايمان بالله يستوجب العمل بما انزل الله - وهو فقه - ومن
خالف الشريعة فقد خالف مستلزمات الايمان - وهو عقيدة - ومن
خالف الايمان كان كافرا، وما اكثر الامثلة التي تتلازم فيها العقيدة مع
الفقه في الاسلام، ولولا العقيدة ما جرى تطبيق الفقه، ولولا الفقه ما
سلمت العقيدة في قلوب ابناء المسلمين من الانحراف والتغيير أو
التبديل •

« ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها » •

ان امتثال هذا الامر توجيه العقيدة ويأتى دور التشريع الاسلامى
في كيفية اداء هذه الامانات، ومن هم أهلها الذين يجب ان تؤدى
الامانات اليهم. وبهذا الفهم الصادق الصحيح للعقيدة طبق اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين من بعدهم احكام الاسلام
على أنفسهم فحاسبوها أى حساب واشتدوا على أنفسهم بالحساب
وكانوا يشعرون برقابة الله القادر عليهم المحيط بما فى نفوسهم
ولذلك عدوا التحايل على الشرع تحايلا على الله • قال عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما « من يخدع الله يخدعه » وقال أيوب السخيتيانى
عندما سئل عن الذين يحتالون على الحكم الفقهى « انهم ليخادعون
الله كما يخادعون صبيا » •

اثر الفقه الاسلامى فى تربية المسلمين :

ان ارتباط العقيدة بالفقه الاسلامى طبع المسلمين على السمو فى
الفكر وصادق النية ، والاستقامة والانقياد للحكم الفقهى برضى وطيب
نفس ما يفوق الوصف ويصل الى درجة الغلو والمبالغة المنهى عنها
ومن ابرز الامثلة على ذلك قصة المرأة الغامدية التي ارتكبت جرما
يعاقب عليه القانون، انها ارتكبت فعل الزنا سرا وبالحفاء ولكنها
شعرت بعظيم خطئها وذكرت حكم الله فى المحصنة وهو الرجم بعذابه
وقسوته وخزيه وعاره منها لهذا الامر، ولكن عقيدتها وايمانها ذكرها

بما توعددها الله به من عقوبة وخزى فى الآخرة فأثرت الرضوخ لحكم الشرع كى يطهرها من الحرام ورضيت بعقوبة الرجم لتحوز رضى الله، فجاءت الى الرسول صلى الله عليه وسلم طالبة تطبيق حكم الشريعة عليها فردها رسول الله حتى نضع حملها، فذهبت ولما وضعت حملها عادت الى رسول الله طالبة منه تطبيق الشرع عليها فقال لها: اذهبي حتى يستغنى عنك طفلك ، وتمر الايام الطويلة ولا تنسى وجوب تنفيذ القانون عليها لانه ارتبط بالايان فى قلبها. وتعود الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهى تحمل طفلها وفى يده كسرة من خبز يأكلها وهى تقول « يا رسول الله ها ان ابنى قد استغنى عنى فطهرنى . وما كان للرسول وهو العطوف الشفوق الرحيم ان يعفو عنها، لان الحكم هو حكم الله فى نص شريعته المطهرة الذى لا يسوغ لانسان اعفاء احد منه. وجرى تنفيذ الرجم على هذه المسلمة التى رضيت بتنفيذ الحكم عليها بل طلبته بالحاح واصرار لانها آمنت بهذه الشريعة المطهرة التى مصدرها الله عز وجل . وآمنت بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « ومن عوقب فى هذه فهو كفارة له يوم القيامة »؟ وهذا هو تأثير الفقه الاسلامى فى نفوس المؤمنين، فهل هناك قانون وضعى يماثله فى العدل والتنفيذ والرضى والتسليم فى جميع حالاته؟ وقد اقترن تطبيق احكام الله وحسن الانقياد لها من المسلمين فى مستوى تفكيرهم وسلوكهم وعزتهم وسلطانهم فى هذه الحياة .

اهمال الشريعة الذى الى ضعف المسلمين :

ان من أهم اسباب ضعف المسلمين اليوم واختلاف ميزان الحكم فى ديارهم هو عدم تطبيقهم - بصدق - لاحكام الشريعة الاسلامية المطهرة فى حياتهم ومجتمعاتهم رغم ميزاته العظيمة فى احقاق الحق وتأمين العدل وسهولة التطبيق فكان من جراء تهاونهم بتطبيق احكام الشريعة ضعف العقيدة فى قلوبهم، وهذا الضعف قادهم الى زيادة التهاون فى تطبيق احكام الاسلام ثم زاد الامر حتى صار التحايل على الاحكام بالحيل المكشوفة تارة والحيل الملققة تارة اخرى حتى ادى الامر الى الجهل باحكام الاسلام ومن جهل شيئاً عاداه فصاروا يعادون هذه الاحكام ويتنكرون لها وينادون بعدم اهليتها وعدم صلاحها للتطبيق

في هذا العصر وهي رجعية وجمود وتأخر، وصار مشرعوهم يتقممون موائد الغرب والشرق يستجدون منها القوانين والانظمة لما يعرض لديهم من حاجات واحكام. وقد أدى اهمال التطبيق لاحكام الاسلام الى ضعف الايمان وبضعف الايمان في قلوب المسلمين رضوا بالمهانة والذل وتنازلوا عن حقهم القيادي بين شعوب الارض، ورضوا بان تكون العزة والقوة والسيادة لغربهم متناسين قول الله عز وجل :

« **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » •

محاولة ابعاد الاسلام عن الحكم :

بذل اعداء الاسلام كامل الجهد لابعاد التشريع الاسلامي عن الحكم، فاستعملوا سلطان القهر والكبت ووسائل الاعلام التي استعملتها الدول الاستعمارية (من غربية وشرقية) المتغلبة على ديار المسلمين وبتأثير جميع الوسائل من اعلامية وغيرها التي استعملتها هذه الدول ومن ورائها الهيئات التبشيرية والصهيونية العالمية ضمن مخططات طويلة الامد والتأثير لابعاد التشريع الاسلامي عن الحكم في الدولة وعن الحياة العامة بين الشعوب ونجحت المحاولة - مع الاسف - وضعفت العقيدة تبعا لذلك وانقطع تأثيرها على سلوكهم وتنظيم شؤونهم حتى كرسوا هذا الانقطاع وثبتوه باستبدال القوانين الاسلامية والاعراف والعادات الاسلامية بالقوانين الوضعية المقتبسة - بتصرف أو بدون تصرف - من القوانين الاوروبية، ووقعت الكارثة بفصل الدين عن الدولة، أي بفصل الاسلام عن واقع الحياة في المجتمع وفي دواوين الحكم على السواء ولم يعد بعد ذلك كله للقانون في البلاد الاسلامية تلك القداسة التي كانت للشريعة الاسلامية المطهرة واجبة التطبيق والتنفيذ بموجب العقيدة والايمان، وأدى هذا كله الى ضعف الاخلاق والفوضى والانهازامية التي يعاني منها عالمنا الاسلامي اليوم •

سبيل الانقاذ :

وأخيرا لن ينقذ العالم العربي من المحيط الى الخليج من الفوضى والقلق والحيرة التي يعاني منها وليس من علاج لتضارب المذاهب والنظريات في مناهج التربية والتعليم والثقافة وتخطيط التنمية

والاقتصاد وفي علاقات دوله مع بعضها البعض وعلاقتها مع الدول
الاجنبية الاخرى الا الاخذ بالتشريعة الاسلامية عقيدة وحكما ونظام
حياة وبها وحدها نستطيع ان نبدل الحيرة والقلق اللذان يلفان الوطن
العربي، بل والعالم الاسلامي كله الى هدى، والضعف الى قوة ، والفرقة
الى وحدة ، وبه نجد لكل مشكلة حلا ولكل معضلة فصلا، وللذل الذي
خيم على شعوبنا عزة ورفعة ومجدا .

« **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** »

(. المنافقون آية 8) .

ونقول بأسف وحزن الى هؤلاء المتنطعين المنقطعين عن تراث امتهم
ويظنون بالله ظن السوء وينسبون النقص والجمود في شريعتهم، نقول
لهم كيف يمكن ان يكون التشريع الاسلامي ناقصا او جامدا وهو من
صنع الله تعالى « **الذي اتقن كل شيء** » ، والذي « **انزل كل شيء بقدر** »
والذي « **قدر فهدى** » ولا يزال علماء الفقه والقانون من مسلمين وغير
مسلمين يكشفون في التشريع الاسلامي عن معجزات وحسنات لا
تنتهي .

ولسنا بحاجة الى استشهادات نظرية للتدليل على قوة الاسلام
الديناميكية في تحريك البشرية. ولدينا شواهد كثيرة من الماضي البعيد
والقريب ومن الحاضر نصيبا . وكلها شواهد حية على هذه القوة
الهائلة التي حركت مختلف القوى منذ عهد الفتح الاسلامي الاول
حتى العهد الاخيرة في التحرير من ربة الدول الاستعمارية
المتسلطة . وان معجزة الاسلام الخالدة في تحريك الشعب الجزائري
في الثورة التي قدمت مليون ونصف مليون شهيد، والتي ما قامت الا
بالجهاد الاسلامي بعد ان وضع الاسس الاسلامية لها العالم الفقيه
ابن باديس وجمعية العلماء . ولقد كانت كل فرقة من ثوار الجزائر
خلال الثورة تحمل اسم صحابي جليل في حربها الطويلة غير المتكافئة
مع فرنسا، والتي كان يدعمها الحلف الاطلسي وبين ثوار الجزائر الذين
كان يدعمهم ويحفزهم الاسلام الذي كانوا يعيشونه عقيدة وسياسة
ونظام حياة، وكذلك الحال في ثورات بطل الريف الخطابى في المغرب

والمهدى فى السودان، والحسينى وعز الدين القاسم فى فلسطين
وغيرها وغيرها كثير .

واما الثورات التى فشلت فانها هى الثورات التى قامت على العزة
القومية والنظرة المادية ولكنها تخلت عن الله فتخلي الله عنها واعتزت
بغيره فاذلها الله . ومن اعتز بغير الله ذل . قال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه « انا كنا اذل قوم فاعزنا الله بالاسلام فمهما نطلب العزة
بغير ما اعزنا الله اذلنا الله » .

وصدق عمر رضى الله عنه فقد ذل المسلمون وفقدوا عزتهم
واستقلالهم وحریتهم واستعبدهم اعداؤهم من دول الغرب والشرق
الكافرة حين تخلوا عن اسلامهم وطلبوا العزة والكرامة بتقليد هؤلاء
الاعداء فى اخلاقهم وقبيح فعالهم « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت
السموات والارض ومن فيهن » (المؤمنون آية 71) .

ان الحيرة والتخبط هما الصفتان البارزتان الآن فى البلاد الاسلامية
وذلك كله - كما اعتقد - نتج عن ضعف ايمانهم وتخليهم عن اسلامهم
وفقدان الثقة بأنفسهم . يقول ماسينيون المستشرق الفرنسى فى
كتابه « المعجزة الاسلامية » :

« ان السوء الذى يقال عن المسلمين القدماء غايته نشر اليأس لدى
المسلمين الحاليين » وغاية هذه الدعاية المذلة ان يتنازل المسلمون
الحاليون عن شرفهم ومقدساتهم وتقاليدهم وتاريخهم وان يستسلموا
امام القوة الاستعمارية التى تخفى فى طياتها الطغيان الصهيونى
وامام الرأسمالية والشيوعية اللتين تطلبان من المسلمين الانسجام مع
طريقة تفكيرهم وعملهم فى هذه الحضارة الغربية الكاذبة، حضارة
الانسان الآلى (أى حضارة العبد) التى لم تعد تؤمن بنفسها او
بالذات الالهية والتى تحاول اخضاع البشرية لرقابة ثقافية امريكية
بلهاء . ان هذه الحضارة الصناعية المغشوشة المنعدمة الروح ستسقط
عما قليل وما على المسلمين الا الصمود، فالعالم فى حاجة اليهم .

ان عودة المسلمين الى تبوء مكانهم فى العالم بفضل الاسلام وبقوة
الاسلام هو العامل الاساسى فى اشاعة السلام بين الامم فى المستقبل
كما اشاعه المسلمون فى الماضى » (1)

(1) عن استراتيجیة العالم الاسلامى ، ص 85

زوال الايمان يؤدي لزوال السلطان :

أغفى العالم الاسلامى اغفاعة الغنى الجاهل الذى ترك لشهواته العنان فخدمت جذوة الايمان فى لبه واران الجهل على ناظره فابتعد عن الحاكم دينه القويم وترك قواعد التشريع المستقيم وغلب هواه على عقله وساد الظلم فى سلطان حكمه، ولم يصبح المسلمون الا على احتلال العدو لبلادهم بلدا بعد بلد، فقد احتل الانجليز الهند ومصر والسودان وجنوب الجزيرة العربية والملايو، واحتل الهولانديون اندونيسيا فى أقصى الشرق، والفرنسيون شمال افريقيا والسينغال ومالى والنيجر، واحتل الروس قفقاسيا وتركستان واذربيجان، واحتلت بلاد اسلامية كثيرة فى فترات متعاقبة حتى لم ينج شبر من ديار المسلمين من وطأة قدم لمستعمر غازى أو طامع طامح . وكان الدفاع والمقاومة يتمان فى كل بلد من قبل أهله فقط دون معاونة المسلمين من البلاد الاخرى مخالفين بذلك نصوص الشريعة المطهرة التى تفرض النصر على جميع المسلمين حتى يحرروا أى شبر احتله العدو من ديارهم، فحارب الشيخ شامل الروس فى قفقاسية، والامير عبد القادر فرنسا فى الجزائر، والامير محمد عبد الكريم الخطاى فرنسا واسبانيا فى الريف المغربى، والسنوسيون حاربوا ايطاليا فى ليبيا، والامام المهدي حارب الانجليز فى السودان، ثم كانت قضايا فلسطين، وكشمير، وارتيريا، والصومال، وزنجبار، ومسلمى الصين، ولا تزال تتوالى هذه النكبات على المسلمين، وما نكبة فلسطين ومصر وسوريا والاردن فى الخامس من حزيران سنة 1967 بعيدة عن الازهان. وكذلك نكبة باكستان المسلمة ومسلمى الفيليبين المجاهدين، ورغم ان المسلمين ما زالوا يرددون فى مجالسهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر » الا انهم مع الاسف الشديد لم يعلموا به بسبب خمود بذرة الايمان فى قلوبهم وتنكبهم الطريق التى هداهم اليها دينهم فأهملوا تشريع نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وتعلقت أمصارهم بحضارة الغرب فبهرتهم، وأهملوا تراثهم الفكرى وتشريعهم العلوى ففقدوا هويتهم. ولو انهم عملوا بهذا الحديث الذى هو اساس

متين من اسس التشريع الاسلامى القويم . لو كانوا عملوا به لما استطاع العدو مهما كانت قوته ان تغلبهم على امرهم وتذلهم وتستبيح محارم اوطانهم ومقدساتهم .

كيف يكون التعاون بين المسلمين :

يجب أن لا ننسى ان المسلمين ما زالوا لحد اليوم لا يتعاونون التعاون المرجو منهم، مع ان التعاون أساس من اصول دينهم وقاعدة رئيسية من قواعد تشريعهم واحكامه وتعاليمه . فاذا استطعنا ان نعيد التعاون الى الحياة الاسلامية بتطبيق هذه القاعدة العظيمة الواردة فى الشريعة، وهى وجوب التعاون بين أجزاء الوطن الاسلامى الكبير، كما يتعاون اعضاء الجسد الواحد فى درء الاخطار التى تهدده واقامة الحضارة على أساس التفاهم والنعاون والثقة بين ابنائه اجمعين، وانهم حين يحلون مشاكلهم عن طريق الاسلام الذى يدعوهم الى التعاون والتكافؤ يحلون مشاكل البشرية ويخدمون الانسانية وينقذون الحضارة من كارثة الدمار التى تهدده من جراء الصراع المريع المستمر بين كتلتى الرأسمالية فى الغرب والشـيوعية والاشتراكية فى الشرق . ان الاخذ بالاسلام كتشريع وعقيدة ونظام حياة نتيجة حتمية لتحقيق التعاون بين جميع شعوب أهل الارض اذا وعوه وعملوا به لما يقدمه لهم من فرص وامكانيات للتفاهم والتعاون والمشاركة فى اطار التربية الروحية السامية التى تجعل كل عمل يقوم به الفرد او جماعة يبتغى به وجه الله ويطلب به رضاه مهما كان نوع هذا العمل الدنيوى من تجارة او زراعة او صناعة، يبتغى به مرضاة الله والحياة الاخرى .

« وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » .

« وسيجنبها الا اتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى » .

ان غاية ابناء الحضارة الغربية فى حياتهم هو المال الذى يحقق لهم ما يشتهون من ملذات وشهوات، وهذا التنافس على حيازته هو من اهم اسباب

الصراع والنزاع بين الافراد، والطبقات ، والشعوب . ان كل فرد أو طبقة أو شعب منهم يجب ان يستأثر بالنصيب الاوفر والقسط الاكبر من المال على شتى انواعه، مواد أولية او سلع انتاجية . او ثمنا لهما ، كما يكون سببا للتنافس والصراع اللذان يؤديان الى الحروب وما تجره عليهم من دمار وهلاك . بينما عالج الاسلام هذه المشاكل فجعل المال فى خدمة الانسان . والعمل لخدمة بنى الانسان، والغاية الاخيرة من وراء ذلك كله هو رضى الله ونفع عباده كما ورد فى الحديث الشريف : «**الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه انفعهم لعباله**» وانطلاقا من مفاهيم الشريعة السامية صقل الاسلام النفوس واعدها للتعارف والتعاون الانسانى الكريم وجعل رابطة العقيدة فى الاسلام أقوى من رابطة الدم والجنس. فاخرج الفرد من ضيق الانانية الفردية والعصبية القبلية او القومية الى صعيد اللقاء الانسانى السامى على اساس مبادئ الحق والعدل والحرية، وعالج افات النفس وامراضها التى تحول دون التعاون كالحسد، والحقد، التى تثيرها دوافع المنفعة الذاتية للفرد او القبلية وتزيلها دوافع حب الخير وارضاء الله تعالى والرغبة فى حسن ثوابه . والامثلة كثيرة من كتاب الله .

١ «**وقولوا للناس حسنا**» «**والعافين عن الناس**» «**واذا حكمتهم بين الناس ان تحكموا بالعدل**» «**ولا تبخسوا الناس اشياهم**» .

ومن الحديث الشريف :

«**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» رواه الترمذى .

«**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم**» رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه واحمد . وقال عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : «**يا ايها الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد لا فضل لعربى على اعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا لأحمر على اسود ولا لأسود على احمر الا بالتقوى**» .

واعانوا على نشر المذاهب الفكرية المخالفة للاسلام ، وانتشرت بيننا شعارات غريبة كل الغرابة عن مجتمعنا وعن ماضينا وحاضرنا وهى ليست منا ولسنا منها، كالييسار واليمين، والامبريالية والتقدمية،

والرجعية، وكلها شعارات اوجدها الغرب والشرق الحاقدان على الاسلام واهله ليفرق شمل المسلمين ويبعدهم عن الحكم بالشرعية المطهرة التي اعزهم بها الله وجعلهم جديرين بما وضعهم فيه رب العالمين جل من قائل : « كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

الشرعية بين العالمية والاقليمية :

الاصل فى الشرعية الاسلامية انها عالمية لامكانية، فقد جاء الاسلام للعالم كله وللناس اجمعين، فهى شريعة الله لجميع خلقه لا يختص بها قوم دون قوم ولا جنس دون جنس، بل خاطب الله تبارك وتعالى بها المسلم وغير المسلم، وآمن بها من شرح الله صدورهم للايمان ويسرهم للخير من الانس والجن .

« قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشده قامنا به ولن نشرك بربنا احدا » .

وبما ان الناس لم يؤمنوا جميعهم بالاسلام ولا يمكن فرضه عليهم فرضا « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشده من الغي » .

فقد قضت عدالة الشريعة ان لا يجرى تطبيقها الا على البلاد التي دخلها الاسلام وصار له السلطان عليها دون غيرها من البلاد، فأصبح تطبيق الشريعة الاسلامية رهنا بوجود سلطان المسلمين، واما البلاد التي لا سلطان للمسلمين عليها فان الشريعة الاسلامية غير مطبقة فيها .
أى ان الشريعة الاسلامية وان كانت لها صفة العالمية من حيث ارسالها الله الى الناس كافة .

« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

فانها من الوجهة العملية ومن الوجهة التطبيقية تعتبر اقليمية، أى ان الظروف والضرورة هى التي جعلت من الشريعة الاسلامية شريعة اقليمية يجرى تطبيقها فى ديار المسلمين ، ومن هذا المنطلق قسم الفقهاء العالم كله الى قسمين فقط ، قسم يشمل كل بلاد الاسلام ويسمى دار الاسلام، والقسم الآخر يشمل كل البلاد الاخرى ويسمى دار الحرب .

دار الاسلام ودار الحرب :

اعتبر الفقهاء جميع البلاد التي تظهر فيها احكام الاسلام او يستطيع المسلمون الذين يسكنونها اظهار احكام الاسلام، اعتبروها دار الاسلام ، وهذه تشمل البلاد التي جميع سكانها مسلمون او الاغلبية العظمى من المسلمين او البلاد التي للمسلمين سلطان عليها ويحكمونها بموجب الشريعة الاسلامية، وان لم يكن اغلبية اهلها مسلمون ، ويدخل في هذا الوصف البلاد التي يحكمها وينسلط عليها غير المسلمين مادام فيها سكان مسلمون ويظهرون احكام الاسلام او لا يوجد لديهم ما يمنعهم من اظهار احكام الاسلام والعمل بها .

كما ان العدل في الشريعة الاسلامية قاعدة عامة فيها صفة الوجوب في جميع الاحوال « ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدوا، اعدوا هو اقرب للتقوى » والعلاقة مع غير المسلمين من المواطنين اذا لم يكونوا محاربين في الدين والارض لا تقف عند تأمين العدالة لهم فحسب بل تتعداها الى وجوب البر والقسط اليهم كما جاء في الآية الكريمة :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » .

وقد توعدت الشريعة ما يفعله المسلم بالآخرين من ظلم او اذى او اهمال كظلم البائع للمشتري وغش الطبيب للمريض واهمال الموظف لمصالح الناس وكآخذ الرشوة او اعطائها للسكوت عن حق الرعية وظلمهم، وجميع انواع الايذاء الموجه الى الافراد ، والجماعات توعدت الشريعة فاعليها بالعقاب الذي لا تكفره الصلوات والعبادات لانها تتعلق بحقوق العباد، ولا يكفرها عفو ولا غفران الا ان يغفرها او يسامح بها صاحبها .

وقررت الشريعة ان الاعمال التي يقوم بها المسلم لينفع المسلمين تفضل النوافل من العبادات . ورد في الحديث « من مشى في حاجة اخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين » رواه الطبراني والحاكم . وقد اعتبر الاسلام الاخلال بحقوق المسلم الاساسية اخلايا بأصل

الإيمان، فقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم صفة الإيمان عن من لا يتعاون مع أخوانه المسلمين في حال أعباسهم .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن،** و**الله لا يؤمن،** » قالوا خاب وخسر، من يا رسول الله؟ قال : « **من بات شبعانا وجاره جائع وهو يعلم** » .

وقوله « **والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** » .

وقوله « **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** » رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه واحمد فى مسنده .

عوائق فى سبيل التعاون :

ان اهمال الشريعة الاسلامية اليوم فى أكثر بلاد المسلمين واخذهم بالقوانين الوضعية المقتبسة من القوانين الاجنبية هو من اكبر العوائق التى تحول دون التعاون الاخوى المثمر بين الشعوب الاسلامية على صعيد التشريع الاسلامى . ان التبعية العقائدية للامم المعادية للاسلام من أهم العقبات التى تحول دون التعاون الوثيق بين الشعوب الاسلامية التى جعل منها الاسلام امة واحدة « **وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون** » وان هذه الفرقة أوجدتها وحرص على استمرارها اعداء الاسلام . فقد عملوا جاهدين على ايجاد التيارات الفكرية المعادية للاسلام والمتصلة اتصالا وثيقا بالتيارات العقائدية المنتشرة فى الدول الغربية الاشتراكية منها، والديمقراطية على حد سواء، وكل ذلك لتكريس الفرقة التى اصطنعوها فى ديارنا خوفا من نهوضنا من جديد . وخوفا من التقاء الشعوب الاسلامية على وحدة الهدف والفكر كما جاءت به شريعة الاسلام وانتهى الامر بهم الى اقامة مناهج فكرية تخطط طريقا للمجتمع غير طريق الاسلام ، وتقيم روابط عقائدية تحل محل الروابط الاسلامية وسكان دار الاسلام، اما ان يكونوا مسلمين أو يكونوا ذميين، وهم غير المسلمين الذين لهم اقامة دائمة فى دار الاسلام ويلتزمون احكام الاسلام بما لا يتعارض مع معتقداتهم على اختلاف اديانهم ومعتقداتهم وجميع سكان دار الاسلام من مسلمين وذميين معصومو الدم والمال .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » .

أما دار الحرب فتشمل جميع البلاد غير الإسلامية التي ليس للمسلمين سلطان عليها أو لا تظهر فيها أحكام الإسلام ولو كان فيها مسلمون ما داموا عاجزين عن إظهار أحكام الإسلام فيها وسكان دار الحرب، أما أن يكونوا مسلمين، وأما أن يكونوا حربيين أي غير المسلمين الذين يسكنون دار الحرب، وهؤلاء السكان تختلف معاملة الشريعة لهم فإن الحربيين منهم غير معصومين ويعتبرهم الفقهاء مستباحة أموالهم ومهدورة دماؤهم إلا أن يكون بينهم وبين دار الإسلام عهد يمنع ذلك فإن لم يوجد لهم عهد أو هدنة فليس لهم أن يدخلوا دار الإسلام مطلقاً ، فإن دخلها أحدهم بدون إذن أو أمان خاص فهو مباح الدم والمال ويجوز قتله ومصادرة أمواله كما يجوز حبسه والعفو عنه ، أما إذا دخلها الحربى باذن أو أمان خاص أو بناء على عهد يصبح مستأمناً معصوم الدم والمال على المدة المؤقتة التي استأمن فيها، فإذا انتهى أمانه عاد حربياً كما كان، ويرى بعض الفقهاء أنه يصبح ذمياً باختياره البقاء في دار الإسلام ويصير حينئذ معصوم المال والدم وعصمة مؤبدة .

أما المسلم الذي يسكن دار الحرب ولم يهاجر إلى دار الإسلام فإن الإمام الأعظم يعتبره غير معصوم لأنه يرى العصمة لا تتم بالإسلام وحده وإنما يعصم المسلم عنده بعصمة الدار ومنعة الإسلام المستمدة من قوة المسلمين وسلطانهم، بينما هو في دار الحرب لا منعة له ولا قوة فلا عصمة له . إلا أن الإمام مالك والشافعي وأحمد يرون أن المسلم الذي يسكن دار الحرب ولم يهاجر منها إلى دار الإسلام يكون كأي مسلم في دار الإسلام يعصم بالإسلام ماله ودمه ولو أنه مقيم في دار الحرب وبالوقت ذاته فإن المسلم والذمي مباحي الدم والمال للحربيين إذا دخلا دار الحرب دون إذن أو أمان ، وإذا تزوج المسلم أو الذمي حربياً أو مستأمناً فإنها تصبح بالزواج ذمية أما إذا تزوج الحربى المستأمن من ذمية فإنها لا تصبح بزواجه حربياً .

الجنسية فى الشريعة :

كذلك فان الجنسية فى الشريعة الاسلامية تقوم على اساس الاسلام والتزام احكامه والكفر به فجميع اهل دار الاسلام لهم جنسية واحدة كما ان اهل دار الحرب لهم جنسية واحدة مهما تعددت بلادهم وحكوماتهم ومهما تميز الانجليزى عن الامريكى، أو الروسى فذلك تمييز داخلى بينهم، ولكن احكام الشريعة واحدة بالنسبة لهم مجتمعين او متفرقين .
واساس الجنسية فى دار الاسلام هو اعتناق الاسلام او التزام احكامه، فجنسية المقيمين فى دار الاسلام واحدة سواء كانوا مسلمين او ذميين، وجنسية سكان دار الحرب واحدة ، وتغير الجنسية فى الشريعة الاسلامية بتغير الاساس الذى تقوم عليه، فالجربى تتغير جنسيته باعتناقه الاسلام او بالدخول فى ذمة المسلمين والتزام احكام الاسلام، ولا يكون داخلا فى ذمة المسلمين الا اذا ترك دار الحرب مهاجرا الى دار الاسلام ، وتغير جنسية المسلم بالردة عن الاسلام كما تتغير جنسية الذمى بعدم التزام احكام الاسلام وبالاقامة الدائمة فى دار الحرب .

ويتبع الصغار ومن فى حكمهم كالمجنون أبويهم فى الجنسية على ان يكون التغيير من جنسية ادنى الى جنسية أعلى، والجنسية الاسلامية هى العليا لقوله عليه السلام :

« الاسلام يعلو ولا يعلى عليه » .

فاذا كان التغيير من الجنسية العليا الى الجنسية الدنيا فلا يتبع الاولاد من غير جنسية من الابوين، بل يقون على جنسيتهم الاولى، فاذا ارتد الزوجان المسلمان واصبعا حربيين بقى اولادهما غير المميزين مسلمين، وكذلك الحكم لو ارتد أحد الابوين فقط .

نسأل الله تعالى ان يحقق للمسلمين ما يصبون اليه من عزة ومنعة ووحدة شاملة تعينهم على أداء الامانة الملقاة على عاتقهم فيقودوا ركب الانسانية الى الخير والفلاح من جديد كما قادوه أول مرة فسعد بهم العالم حين اقاموا احكام الاسلام بالعمل فى شريعته المطهرة وحققوا العدالة والمساواة بين الناس أجمعين .

الصراع بين الإسلام والاشعاع
في جنوب السودان
للميد أحمد البيبي
مدير صحة الدراسات الدينية - السودان

من الراجع لدى المؤرخين الذين عنوا بالحديث عن الاسلام في السودان ومن أى الجهات جاء اليه ، ان الاسلام دخل السودان من جهتين ، من الشمال - عن طريق مصر - ومن الشرق عن طريق البحر الاحمر . أما دخول الاسلام من ناحية الشمال ، فقد بدأ بعد ان استقر المسلمون في مصر واستتب الامر لهم ، وكان ذلك في سنة (احدى وثلاثين) 31 هـ في زمن ولاية عبد الله بن أبي السرح ، ففي عهده والعهود التالية بدأت هجرات المسلمين أفرادا وجماعات من مصر وغيرها تدخل الى السودان الشمالى ، تارة لغرض التجارة ، وتارة

فرارا من الاضطهاد السياسى ، وتارة رغبة فى ايجاد مراعى اكثر خصوبة واكبر مساحة وهذا (الاخير هو الذى كان يدفع بالقبائل العربية للتنقل فى شكل جماعات من اقليم الى اقليم ، ومن قطر الى قطر .

واما دخول الاسلام من جهة الشرق فقد كان فى عهد دولة (الفونج) وهى دولة أسسها المسلمون الهاربون من الاضطهاد السياسى فى عهد دولة بنى العباس فقد كان الوضع السياسى دافعا لبنى امية ومن كان مؤيدا لهم ان يبتعدوا ما أمكن من سلطان الدولة العباسية ، فكما هاجر بعضهم الى الاندلس ، هاجر بعضهم الى الحبشة وواصلوا سيرهم حتى استقر بهم المقام فى الجنوب الشرقى للسودان، وأقاموا دولة هناك فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى .

ولما ترمى الى العلماء فى مصر والعراق والحجاز والشام نبأ هذه الدولة المسلمة بدأت أفواجهم تاتى وتستقر وتأخذ فى نشر الاسلام وعلومه بين المواطنين فى كل قرية يحل بها عالم مسلم .

الاسلام فى جنوب السودان :

سكان جنوب السودان الاصيلون قبائل زنجية وثنية وتختلف مظاهر الوثنية من قبيلة الى أخرى ، ولم تعرف هذه القبائل الاديان الكتابية الا بعد ان وصلهم الاسلام على أيدي الشماليين ، والمسيحية على أيدي القساوسة الاوروبيين خلال القرن التاسع عشر .

كان المتوقع من اللغة العربية والاسلام - وقد وصلا الى وسط السودان - ان يوصلا زحفهما حتى يبلغا المديرية الاستوائية جنوبا، فتصبح العربية لغة الخطاب والثقافة ، والاسلام دين السكان ، ولكن حالت دون ذلك الطبيعة .

فان طبيعة الجنوب لا تلائم العرب ولا حيوانهم من خيل وابل ، فالامطار تهطل هناك عشرة أشهر فى العام ، والحشرات الكثيرة تفتك بالخيول والابل وان هناك صعوبة كانت فى اجتياز السدود العشبية المنتشرة فى النيل التى تعوق حركة السفن الصاعدة، وهناك الغابات التى كانت تحول دون سير القوافل والدواب بالاضافة الى الحيوان المفترس، لهذا لم تتمكن الجماعات العربية من الهجرة الى الجنوب على

النحو الذى فعلته من حيث الهجرة من مصر الى شمال السودان
ووسطه . فلم يبق اذن الا هجرة الافراد اما طلبا للمال عن طريق
التجارة أو رغبة فى الدعوة الى الاسلام .

الفترة التى عرف فيها الجنوب :

ان الاسلام ظل مجهولا لدى الشماليين وغيرهم لصعوبة الوصول
اليه كما تقدم ولم تعرف احواله - قبائله ولغاتهم ، وديانتهم الخ . .
الا بعد أن غزا الجيش المصرى السودان فى عهد محمد على سنة
1820 م .

وكان ذلك عندما بدأ العالم يهتم ويفكر فى الوصول الى منابع
النيل واستكشافها وفى خلال العهد التركى المصرى ، انتظمت البلاد
كلها شمالها وجنوبها حكومة واحدة عاصمتها (الخرطوم) وكانت
حدود القطر الجنوبية تمتد الى بحيرة فكتوريا .

العلاقة بين الشمال والجنوب :

والعلاقة بين العرب فى الشمال والقبائل الجنوبية فى الجنوب ،
كانت - بوجه عام - علاقة خصام وحروب من وقت لآخر . تغير قبيلة
جنوبية على قبيلة عربية شمالية مجاورة ، للنزاع الذى كان ينشب
بين حين وآخر . . والقبائل المتاخمة للعرب هى الشلك والدينكا
والنوير .

ومما رواه المؤرخون ان قبيلة الشلك اغارت مرة على العرب المقيمين
على شاطئ النيل الابيض فى المنطقة التى يطلق عليها الآن منطقة
مجلس ريفى كوستى وخربت جميع مدارس القرآن التى كانت قائمة
يومئذ .

وعلى الرغم من القتال الذى كان ينشب بين وقت وآخر ، فان
فترات من السلام كانت تمر بالقبائل المتجاورة وتمتد الى فترات
طويلة لا يحدث فيها ما يعكر صفو الامن .

ولذا فان لسانا طويلا من قبيلة الرزيقات العربية ، المقيمة فى
مديرية دارفور قد امتد طويلا داخل منطقة قبيلة الدينكا الجنوبية ،
وقد وصل الى ما وراء بحر العرب . كما فعلت نفس الامر قبيلة
المسيرية العربية فتوغلت داخل مديرية بحر الغزال حيث تنتشر
قبيلة الدينكا أيضا .

وكما كانت القبائل العربية تتوغل في مناطق القبائل الجنوبية ،
فان نفس الامر كان يحدث بالنسبة الى القبائل الجنوبية . فقد امتد
لسان طويل من قبيلتي الدينكا والشلك داخل الجهة الجنوبية من
مديرية كردفان وهي منطقة آهلة بالقبائل العربية كالرزقات
والمسيرية والجوازمة والهباينة ، والتعايشة والسلامات .

وبطبيعة الحال تحدث من هذا الاحتكاك الاثار الاجتماعية التي لا بد
منها حين تحتك مجموعة بشرية بمجموعة أخرى تختلف عنها عنصرا
وحضارة ولغة ودينا وهي ان يتغلب العنصر ذو الحضارة الارقى فيؤثر
في العنصر الآخر ويفرض عليه لغته وكثيرا من عاداته ومظاهر حياته .
وقد حدث ان انتقلت عادات عربية كثيرة من القبائل العربية
المجاورة الى الدينكا وغيرهم ، كعادة الحتان والملابس العربية الخ . .
وقد ظل الحال هكذا - من حيث الاحتكاك وآثاره - الى يومنا هذا .
هذا ما كان من أمر الاحتكاك بين القبائل المتجاورة .

وهناك صور أخرى لاحتكاك الشماليين بالجنوبيين وذلك عن طريق
الافراد الذين ينتقلون من الشمال الى الجنوب وبالعكس .

فمن الشماليين التاجر الذي يذهب الى الجنوب بغرض التجارة
والربح ، ومنهم من يذهب بحكم وظيفته الرسمية ، وهم الموظفون
والجنود وبعض العمال .

وعلى الرغم من ان الشمالي المسلم - تاجرا كان أو موظفا أو جنديا
لم يكن دافعه الاصلى الذى حمله على الذهاب الى الجنوب نشر الاسلام
واللغة العربية ولكنه بمجرد استقراره فى الجنوب واختلاطه بالمواطنين
الجنوبيين يجعل من نفسه داعية الى الاسلام وسط القوم ، وان مجرد
وضوئه وصلاته امامهم دافع لهم على السؤال تم التقليد ، ولهذا كان
كل شمالي ذهب الى الجنوب ناشرا للاسلام والعربية على نحو من
الانحاء .

أما بالنسبة للغة العربية فان انتشارها هناك يعود الى انه ليس
للجنوبيين لغة يتحدثون بها جميعا ، وقد اتيج للغة العربية ان تأخذ
فى الانتشار منذ الفتح التركى المصرى بين جميع القبائل مما جعلها

لغة التخاطب بين الجنوبيين على اختلاف قبائلهم ولغاتهم . فعندما يلتقى جنوبي من قبيلة (الدينكا) مثلا التى تنتشر بمديرية بحسر الغزال ، بجنوبى من قبيلة (الباريا) المنتشرة فى المديرية الاستوائية فلا سبيل للتفاهم بينهما ، الا بالاشارة أو بالعربية الدارجة المتأثرة الى حد كبير بطريقة النطق عند الجنوبيين مما جعلنا فى السودان الشمالى نطلق على العامية المتعارفة فى الاقليم الجنوبى بـ (عامية جوبا) وهى عاصمة استوائية وملتقى لكل قبائل الجنوب تقريبا ، وقد اتخذت عاصمة للاقليم الجنوبى كله بعد « اتفاق اديس ابابا » .

ومن صور الاحتكاك ايضا ، انتقال بعض الجنوبيين للعمل بالمديريات الشمالية موظفين فى مصالح الحكومة المختلفة ، أو حرفيين فى المؤسسات العامة والخاصة ، أو عمال مياومة ، أو خدما بالمنازل . وان الفترات التى يقضونها بالشمال ، تمكنهم من تعلم اللغة العربية، أو اتقان الحديث والقراءة بها وتتيح لهم فرصة الحياة فى مجتمع مسلم ، يرون فيه انماطا من السلوك الراقى الذى يحث الاسلام عليه ، كالنظام والاجتماع فى صلاة الجمعة والجماعة والنظافة ، والتعاطف والبر بالفقراء ، واکرام الضيف والغيرة على العرض الخ . . . تلك الظواهر التى لا يرونها فى المجتمعات الوثنية .

وعن طريق هذا الاحتكاك يرجع معظم العمال والجنود وخدم المنازل الى الجنوب وهم مسلمون ، وعن طريقهم ينتقل الاسلام الى أسرهم وجيرانهم .

محاولات الافراد والهيئات لنشر الاسلام

ان انتشار الاسلام عن طريق التجار والموظفين والعمال والاحتكاك بين القبائل لا يجعلنا نعين تاجرا بعينه أو عاملا بعينه ونصفه بانه كان داعية الى الاسلام قصدا اساسيا وتدييرا . ولكن هناك اشخاصا بأعيانهم عرفوا بأنهم عملوا بصورة مقصودة وهادفة الى نشر الاسلام فى جنوب السودان وهم :

(I) الشيخ محمد ابو صفية :

الاخبار المتناقلة عن هذا الشيخ انه كان يقطن مديرية كردفان ، وكان متطرقا بالطريقة السمانية ، وقد رأى ان يعمل على نشر الاسلام

فى القبيلة الوثنية القريبة من موطنه ، وهى قبيلة الدينكا التى تتاخم
منطقتها الجزء الجنوبى الشرقى لمديرية كردفان . فقد كان يذهب على
رأس اتباعه الى بلاد الدينكا بين حين وآخر عارضا عليهم الاسلام
ومخيرا لهم بينه وبين القتال . وقد اسلم على يديه عدد من الدينكا
وتوفى هذا الشيخ قبيل المهديّة أواخر القرن التاسع عشر ، قبل
عام (1882 م) ودفن بمدينة الابيض عاصمة كردفان وبنيّت على
قبره قبة . ولشهرة قبته سار المثل القائل « هو فى الابيض وما
عارف ودا بوصفية وين » .

(2) الشيخ محمد الامين القرشى :

يعتبر الشيخ القرشى رائد الدعوة الاسلامية الآن فى جنوب
السودان وجبال النوبة ، كان الشيخ قاضيا شرعيا ، ولما تقاعد
بالمعاش حملته غيرته الدينية على الا يخلد الى الراحة والدعة قانعا من
الدنيا بمعاش شهري ، منزويا فى احدى قرى الجزيرة ، منصرفا الى
شؤونه الخاصة ، بل رأى انه مكلف دينيا ان يجاهد بنفسه وماله
وفكره ، فى سبيل انتشار الاسلام بين المواطنين الوثنيين فى كل من
جبال النوبة والمديريات الجنوبية .

فسعى أولا لتكوين جمعية أطلق عليها « جماعة التبشير الاسلامى »
لكى تساعده على المشروع بجمع المال من المحسنين فى الشمال وغيره .
وقد باشرت الجمعية نشاطها سنة 1950 م بعد ان حصلت على التصديق
بقيامها من الادارة البريطانية التى تلكأت سنوات عدة ، قبل ان تمنح
المشرفين على الجمعية الاذن بالعمل فى منطقة جبال النوبة والجنوب .

وقد ارتحل الشيخ الى منطقة جبال النوبة اولا وشرع فى بث
الاسلام ، ونشر خلاوى القرآن وانشاء المساجد . وقد اسلم على يديه
الجمع الغفير ممن يعدون بالآلاف .

ثم انتقل عام 1960 الى مديرية بحر الغزال ، واتخذ منطقة (اكوكا)
مقرا له واقام هناك (3) ثلاث سنوات ، أدخل خلالها اعدادا كبيرة من
ابناء الدينكا وغيرهم فى الاسلام ، يقدرهم بنحو (20) عشرين ألفا .
وهناك قضاة شرعيون وأئمة مساجد اسهموا الى حد كبير فى نشر
الاسلام ومن ابرزهم :

الشيخ على عبد الرحمن الامين السياسى المعروف الذى كان قاضيا شرعيا بملكال فى الاربعينات . وهناك اسس (جمعية المؤلفه قلوبهم) واعضاؤها بعض التجار المسلمين المقيمين بملكال ، ولها فروع فى غيرها من المدن عملت ولا تزال تعمل على نشر الاسلام ويعوق تقدم مشروعاتها قلة المال .

الهيئات :

(I) اما الهيئات التى خطت خطوات لنشر الاسلام بالجنوب فان ابرزها مؤتمر الخريجين العام الذى كان مقره ام درمان ، فقد تقدم الخريجون بمذكرة للحكومة 1947 م ابان الحكم الثنائى يطلبون فيها السماح لهم لمزاولة الدعوة الى الاسلام فى جبال النوبة والجنوب ، وقد تقدم المؤتمر بهذا الطلب بعد ان نشرت الصحف تصريحاً منسوباً لسكرتير اتحاد المنظمات التبشيرية بلندن ونصه « انه لمن الضرورى اتخاذ كل الخطوات اللازمة لوقف انتشار الاسلام فى جنوب السودان » .

وقد رفض السكرتير الادارى الانجليزى الموافقة على هذا الطلب بدعوى ان المؤتمر لا يملك الموهلات التى تجعله قادرا على نشر الاسلام هناك ولم يرد السكرتير الادارى على الطلب الا بعد ان عرض امره على رؤساء الهيئات التبشيرية بجنوب السودان .

(2) جماعة التبشير الاسلامى التى انشأها الشيخ القرشى .

(3) جماعة المؤلفه قلوبهم التى انشأها الشيخ على عبد الرحمن بملكال .

(4) الطرق الصوفية :

وكما تعمل الهيئات التى مر ذكرها على نشر الاسلام ، فان الطرق الصوفية تعمل كذلك على نشر الاسلام بأساليبها الخاصة والطرق الصوفية المنتشرة فى الجنوب الآن هناك اربع هي :

I - الطريقة الاسماعيلية .

2 - « الحتمية »

3 - « السمانية »

4 - الطريقة البرهامية

الوسائل التي ينشر بها الاسلام :

ان الوسائل التي يلجأ اليها الدعاة الى الاسلام هيئات كانوا أو أفرادا هي :

1 - الخلوة : وهي مدرسة القرآن وبالجنوب عدد كبير منها تستقبل الاطفال من السن الخامسة .

2 - المسجد : لكي يتجمع فيه المصلون يوم الجمعة وغيره وفي ذلك مدعاة لتساؤل البدائيين عن سبب التجمع وتطلعهم الى معرفة الدين الذي يحث المسلمين على هذا الاجتماع .

3 - اللقاء والحوار الشخصي .

4 - حلقات الذكر التي يعقدها اصحاب الطرق ليلتى الاثنين والجمعة .

النشاط الحكومي لعون الاسلام على الانتشار بالجنوب

لم يكن للحكومة أي نشاط في الدعوة الى الاسلام وسط الجنوبيين خلال الحكم الثنائي (1898 - 1955) أي مدى (58) عاما .

ولكن لما حصلت البلاد على استقلالها سنة 1956 بدأت الانظار تتجه الى ان تعمل الحكومة شيئا ما نحو المسلمين الجنوبيين ، ليعادل ما لقيه الجنوبيون المسيحيون من عون خلال سنوات الاحتلال ، فانعقد مؤتمر بالخرطوم اشترك فيه مديرو المديرية الجنوبية الثلاث وناقش المؤتمر وضع المسلمين والاسلام بالجنوب وانتهى الى اصدار قرار بأن تتوسع مصلحة الشؤون الدينية في مشاريعها هناك ، وقد استجابت المصلحة يومئذ لهذا الطلب وتوسعت في معاهدها الوسطى حتى بلغت (15) معهدا .

وانشأت معهدا دينيا ثانويا بجوبا ، كما أنشأت (21) مركزا للوعظ والارشاد كما قامت الهيئة القضائية الشرعية بمجهود ضخم ، فقد بنت بعض المساجد وعينت لها أئمة ومؤذنين ، واسهم القضاة الشرعيون بقدر كبير في نشر الوعي الاسلامي هناك خلال هذه الفترة .

وقد انزعجت الهيئات التبشيرية لهذا العمل واعتبرته دعماً للحركة
الاسلامية وهدما لما كانوا قد بنوه من حواجز تحول دون انتشار
الاسلام . على الرغم من ان هذه المعاهد ما كان يؤمها غير الطلاب
المسلمين وكان من اثر هذا الانزعاج ان طالبت الهيئات التبشيرية
بالجنوب الدول الاوروبية التي كانت تقدم معونات للسودان طالبتها
بوقف تلك المعونات . بدعوى ان الحكومة تنفقها على المؤسسات
الاسلامية .

عدد المسلمين بالجنوب :

يبلغ تعداد المسلمين فى المديرية الجنوبية 376ر738 موزعين
كالآتى :

عدد المسلمين بمديرية اعالي النيل من الجنوبيين : 148ر241

عدد المسلمين بمديرية بحر الغزال من الجنوبيين : 216ر080

عدد المسلمين بالمديرية الاستوائية من الجنوبيين : 12ر417

الصعاب التى وضعت فى وجه الاسلام واللغة العربية

كانت السياسة البريطانية قد قررت اتخاذ الخطوات لفصل جنوب
السودان عن شماله ، وضمه الى البلاد الافريقية المتاخمة له فى اتحاد
فيدرالى .

وقد تبودلت مذكرات بهذا الشأن بين الحاكم العام فى الخرطوم ،
ومجلس الوزراء بلندن . ولما أصبح فصل الجنوب سياسة مقررة
شرعت الادارة البريطانية فى اتخاذ الخطوات التمهيدية لذلك . فقد
تقرر :

1 - عدم استخدام الموظفين الشماليين بالجنوب ، وعدم استخدام
الموظفين المصريين الا اذا كانوا مسيحيين .

2 - تغيير العطلة بالجنوب من الجمعة الى الاحد .

3 - لا يحضر مدير المديرية الجنوبية اجتماعات مؤتمر المديرين
بالخرطوم وقد وجهوا ان يكونوا على صلة بنظرائهم فى كينيا ويوغندا
يومئذ .

ثم صدر قانون المناطق المقفولة وظل مطبقا 18 عاما من (1930
1948) ومن ابرز المواد التى يشتمل عليها ما يلى :

- 1 - يجوز لأى مدير او مفتش ان يعلن ان منطقة كذا مقفولة .
 - 2 - على من يريد الدخول فى منطقة دفع مبلغ 50 جنيهاً أمانة ترد له عند خروجه ، ما لم يرتكب ما يراه الانجليزى حاكم المنطقة مخالفا للأوامر والسياسة .
 - 3 - للمدير أو المفتش سحب التصريح اذا شاء بدون ذكر اسباب .
 - 4 - يؤمر التجار الذين يمنحون تصاريح بالدخول فى الجنوب بالبقاء على جوانب الطرق الكبرى والمدن ، ولا يسمح لهم بالدخول فى الغابة والسكنى مع المواطنين المحليين .
 - 5 - الا يستخدم الشماليون عمالا معهم من الجنوبيين .
 - 6 - لا يجوز للشمالى الذى يتزوج بجنوبية ان يصحبها أو اطفالها للشمال .
 - 7 - لا يسمح للمسلمين ان يظهروا الشعائر الاسلامية للجنوبيين كالصلاة امام الحوانيت .
- وبالاضافة الى هذا القانون ، رأى الانجليز ان يحاربوا المظاهر الاسلامية البادية على بعض الجنوبيين :
- 1 - فقد وجهوا الاداريين ان يحاربوا الاسماء العربية ويغروا الذين تسموا بها ، الى تغييرها بأى اسم جنوبى أو أوروبى .
 - 2 - وحاربوا الملابس العربية التى بدأ بعض الجنوبيين فى استعمالها كالعمامة والجلابية، وصاروا يوجهونهم الى اللبس الاوروبى او البقاء عرايا . وقد هدد الانجليز سنة 1935 م بعض التجار الاغريق بالجنوب بسحب رخصته لانه كان لا يزال يبيع (الجلابيب) العمامم والسراويل الخ . .
- وامعانا فى الاحتفاظ بجنوب السودان بعيدا عن رياح العربية والاسلام ، فقد عدل الانجليز عن فكرة انشاء خط حديدى يربط شرق افريقيا بجنوب السودان خوفاً من ان يتسلل الاسلام والعربية من جهة الشرق .

3 - وخرّبوا القرى التي كان فيها مسلمون وتقع على الحدود بين دارفور وبحر الغزال حتى لا تكون هذه القرى حلقات وصل بين الشمال المسلم والجنوب الوثني .

وان يترك المجال للمبشرين وحدهم يمارسون الدعوة الى المسيحية .
وأمرّوا الجنوبيين المسلمين الذين كانوا في هذه القرى ان ينزحوا الى دارفور وأمرّوا المسيحيين والوثنيين منهم ان يتوغلوا داخل مديرية بحر الغزال . وبذلك كانوا قد اطمأنوا الى انهم أقاموا حزاما عريضا من الفراغ السكاني يحول دون زحف الاسلام واللغة العربية من الشمال . لعلمهم ان للاسلام بساطة وقوة ، تجعلانه يكتسب كل يوم أرضا جديدة . ويشتد اندفاعه ويقوى تياره حين يكون هناك تسامح ديني ومناخ حر للصراع بين الاديان والافكار .

صعاب في وجه اللغة العربية :

ان العلاقة بين الاسلام واللغة العربية غير خافية على الانجليز ولذلك اعتبروا تعلم العربية والتحدث بها مقدمة للاسلام ، ولذا فقد وجهوا جهودهم لمحاربة العربية بنفس القدر الذي وجهوه لمحاربة الاسلام . وقد ارسل السكرتير الاداري سنة 1930 م منشورا لحكام الجنوب من الانجليز يومئذ يقول فيه « ينبغي زحزحة اللغة العربية عن مكانتها الحالية ، اذ تعتبر عند كثير من الجنوبيين لغة رسمية بل ولغة حضارية يتناول بعضهم باستعمالها » .

ثم صدرت التوجيهات التالية للمسؤولين بالجنوب :

1 - ان يتكلم المسؤول الى المواطن الجنوبي بلهجته المحلية ، او اللغة الانجليزية على ان يكون بينهما مترجم ان كان المتحدث اليه لا يعرف الانجليزية .

2 - ان تكون لغة التعليم في المرحلة الابتدائية اللغة المحلية المكتوبة بالاحرف الرومانية وفي المرحلة الوسطى جعلت للانجليزية لغة التعليم .

ومن أجل محاربة اللغة العربية على هذا النحو اصبح حريجو المدارس الارسالية بالجنوب ضئيلي الامام باللغة العربية قراءة وكتابة وحديثا بحيث لا يستطيع حريجو هذا النوع من المدارس من اتخاذ العربية وسيلة لتصوير افكارهم وخواتمهم ومن هنا اضطررنا ان نقر فكرة اتخاذ الانجليزية لغة عمل في اتفاقية اديس أبابا بالنسبة للجنوب على الرغم من ان العربية هي اللغة الرسمية للدولة .

روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي

للأستاذ الفاضل عبدالله شمامي
مستشار بوزارة العدل - الجمهورية العربية اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه

الموضوع :

(1) روح الشريعة الإسلامية

(2) واقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي

ان هذين الأمرين يكونان موضوعاً هاماً بالنظر إلى الواقع الإسلامي اليوم ، وما كان عليه في الماضي ، وبالنظر إلى الحضارة المتسلسلة ومحل التشريع الإسلامي منها في الماضي وفي اليوم وتأثير الحضارة به ، وتأثيره بها .

ومن هنا فأنى قبل ان ادخل فى صلب الموضوع ، واتوغل فى احشائه بنوعية ، أرى أن ابدى وجهة نظرى فى حقيقة روح الشريعة الاسلامية ، وما هى ، ثم نقف قليلا مع مدلول لفظى الشريعة والقانون.

روح الشريعة الاسلامية

ان روح الشريعة الاسلامية هى العقيدة المعتبرة الجزء الاساسى للشريعة الاسلامية ثم ربط الشريعة بها ربطا شاملا لتوعى الشريعة ، العبادات ، والمعاملات وكل حكم من احكام النوعين .

والعقيدة المربوطة بها كل احكام الشريعة ، هى الايمان بالله وحده وانه هو مصدر التشريع وان من اخضع نفسه وتصرفاته وعلاقاته بربه وبالناس والكون لهذا التشريع نال الثواب فى الدنيا والآخرة وان من تمرد على حكم من احكام هذا التشريع فله فى الدنيا خزي وعقاب وفى الآخرة شقاء وعذاب .

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد » .

هذا الربط هو روح الشريعة الاسلامية والفكرة الاسلامية الخلاقة ، كما سنشرحه بعد مسيرتنا الفكرية التمهيدية الى الشريعة الاسلامية وروحها وواقع التشريع اليوم ، وخلال هذه المسيرة نقف قليلا مع لفظى القانون والشريعة ومدلولهما .

لفظ القانون والشريعة

أيها الاخوة ان الشريعة والقانون عرفا ، كما تعرفون - عبارة عن مجموعة من الاحكام والنظم تفرضها أحوال المجتمع ثم تصبح عادات تقليدية كعقيدة ترتبط بها حياة المجتمع ارتباطا مصالحي .

وهذه العادات او العقيدة قد تلتقى بالمثل العليا فتتكاتفان فى انهاض المجتمع الا انه لا تلازم بينهما ، وذلك ان المثل العليا هى الحقائق والفضائل وقد يكتب لها البقاء والاستمرار .

اما العقيدة الآتية من جهة العادات فهى عبارة عن مجموعة نظريات وفلسفة اجتماعية ناشئة من واقع الحياة اليومية الواسعة النطاق

الهائجة المتقلبة فهي عقيدة غير مستقرة ، وهذا لا ينطبق على الشريعة
الاسلامية فهي ثابتة العقيدة والتشريع لانها صادرة من عالم الغيب
والشهادة كما اشرنا اليه ونتكلم عنه .

فنحن اذا ما ألقينا نظرة على سلسلة الحضارات منذ أول انسان
الى يومنا نرى ان ما يطلق عليه اسم الشرائع غالبا يكون اشمل مما
يطلق عليه اسم القوانين فان القوانين لا تدخل في الاغلب في حسابها
الاحكام المتعلقة بالدين سيما القوانين المعاصرة .

اذا فالقانون مبنى على قاعدة انفصالية تفصل الدين وروحيته عن
الدنيا ودولتها وعلومها واعمالها .

ومن هذه القاعدة الانفصالية تفلتت القوانين المعاصرة عن العقيدة
بالله واليوم الآخر ثم عن المثل العليا ، وانطلقت بانسانها الاوروبي
الابيض ولا وازع له من دين ولا من خلق ومثل ، تدفعه قوانينه المادية
هي ومزاجه المادى الى المادة واشيائها وشراستها وتكالبها ومفرياتها
حولت الانسان الى وحش سلخته فتوحاته العلمية وتفوقه الصناعى
بغورها عن الانسانية فأصبح وحشا كاسرا سلخته العلوم المادية لا
بالناب والمخلب والخنجر بل بالطائرة والصاروخ ثم الذرة ، ليديك
الارض ومن عليها ، وما عليها من حضارة .

ابى العلم الا أن يضربنا العلم فاعذبه مر وبلسمه سم
وللعلم فاعلم شوكة وزهوره فازهاره تذوى واشواكه تنمو
ايخفض ما اعلا ويهدم ما بنى اذا فبناء العلم كان به الهدم
وسخره الانسان للظلم والشقا فارداه والانسان شيمة الظلم
اغار به وحشا نهيمًا على الورى وغايته التخريب والفتك والرجم
فقل لدعاة السلم رفقا بعهدنا فما عهدنا الا التسامح والحلم
اذا ما حصرتم علمكم ونبوغكم على الشر لا كان النبوغ ولا العلم
هذا هو القانون ودولته اليوم التي اشقت بتفوقها العلمى الانسانية
أكثر مما اسعدتها واستندلت الشرق فى الامس القريب ، وتكيدته
وتتأمر عليه اليوم، وهى التي محت من الوجود شعوب أمريكا الاصليين
وغيرهم محت هذه الدول المادية تلك الشعوب المسالمة المتحضرة
حضارة انسانية محتها باسم الحضارة الغربية الراقية حضارة الرجل

الايض وقوانينه المادية الدائرة بفكرتها حول الوزن والكم والمسال
والمتعة لا حول حب الخير وكره الشر .

بدأت هذه القوانين تنشر اجنحتها بروح مادية بلغت موجتها الى
الربا فى مبادئ القرن التاسع عشر ميلاديا ثم انحرفت نحو التطرف
المادى نتيجة التفاوت المعيشى الفاحش فى المجتمع المادى الغربى نفسه
فانشق الغرب مع قوانينه الى كتلتان :

1 (كتلة برجوازية رأسمالية اهدرت الانسان وعبدت المال .

2 (كتلة جدلية شيوعية تجاهلت الفطرة وسنن الحياة وعلى الحقد
والكراهية اعتمدت .

3 (كتلة عنصرية العرق والارض هى على الانسانية أمر وأطغى
طغيان ممثلة فى القرن العشرين فى الفاشية والنازية فى الامس وتمتله
الصهيونية ومن يساندها اليوم .

وهذا التطرف المادى وما نتج عنه من انشقاق جعل كل كتلة تضع
لقوانينها ونظريتها قاعدة فكرية اخرجت القوانين من طبيعة التنظيم
الى قوة العقيدة الموجهة للجماهير الى أهداف وأغراض معينة، وقد جلت
هذه الصبغة التوجيهية للقوانين فى القرن العشرين، أى ان واضعى
النظرة العقائدية للقوانين فى القرن العشرين ميلاديا بدأوا من حيث
بدأ التشريع الاسلامى من قبل ثلاثة عشر قرنا يطلبون بقوانينهم فكرا
وقاعدة يربطون بهما الجماهير كما فعل التشريع الاسلامى مع فرق
شاسع بين القاعدتين فهى فى التشريع الاسلامى روحية الهية تدور
حول الخير والحب واسعاد البشرية . وهى فى التقنين المادى المعاصر
مادية كأصلها تدور حول المادة وزينتها وما فيها من وزن وما فيها من
كم ضاربة بالخير والحب والرحمة خلف الحائط . (وكل اناء بالذى
فيه ينضح) .

أما التشريع سيما الاسلامى فقد مزج بين الدين والدنيا وجعل كلا
منهما مكملا للآخر ثم ربطهما بحقيقة هى الاسلام فى حقيقته الكاملة
وهذه الحقيقة هى روح الشريعة الاسلامية وجزؤه الاساسى .

روح الشريعة الاسلامية

(ان الدين عند الله الاسلام)

ان الشريعة الاسلامية كسائر الشرائع والقوانين ، جسم وروح ،
وان الكل تكاد تتشابه في الهيكل المكونة له المواد والأحكام والقواعد .
أما الروح فهي مظهر التفاوت وسر الاستمرار والديمومة أو
الوقتية والظروف المرحلية ، فما هي روح الشريعة الاسلامية ؟ لنا ان
نقول انها مرونة قواعدها وتفتحها لكل جديد صالح ، وصلاحيته لكل
زمان ومكان وامة ، وانها انما هي الشاملة التي لا طبقية فيها ولا
عصبية عنصرية ولا جمود ولا انغلاق ولا ضر ولا اضرار ولا احتكار ولا
استغلال ولا استعلاء بحكم او مال ولا اهدار ولا اباحية ولا امعية ولا
ميوعة ولا تكاسل ولا جبن ولا مهلق ولا رياء ، ولا افراط ولا تفريط في
مطالب الدين والدنيا ولا سيد ولا مسود بنسب أو أصل أو دم ولا
جور ولا اسنبداد فردي او حزبي ، أو انها لما تحملت تلك الشريعة من
حب الخير وكره الشر وقصد اسعاد البشرية واقامة العدالة الاجتماعية
وتحقيق التكافل الاجتماعي بأنواعه الادبي والعلمي والسياسي
والدفاعي والجنائي والاخلاقي والاقتصادي والعبادي والحضاري
والمعاشي الى غير ذلك . هذا الشرح للروح في الشريعة الاسلامية له
دوافعه واعتباره الواقعي في عظمة التشريع الاسلامي ومثاليته
المشرقة من ثنايا احكامه ومصادره الكلية .

ولكن من القوانين والشرائع السابقة للتشريع الاسلامي ما يمكن
القول معه بانها تشارك التشريع الاسلامي في تلك الصفات او
بعضها وفي ارادة الخير وكره الشر .

والذي أراه ان تلك الصفات تعد من مقومات الشريعة الاسلامية
ومظاهر عظمتها وروعة قواعدها الكلية التي جعلتها خاتمة الشرائع
وموردا يمكن فقهاء المسلمين من سن احكام لكل ما يتجدد من احداث
ومعاملات وعلاقات تتولد من تطور الحياة الواسعة النطاق الدائمة
الهيجان فيجعلون الشريعة الاسلامية دائمة الفيضان الذي به تواكب
التقدم الحضاري والعلمي ولكن هذه الصفات والقواعد ، ليست هي
روح الشريعة الاسلامية .

ان الروح الجوهري الابدى للشريعة الاسلامية هي تلك الفكرة
الاسلامية الخلاقة التي صاغتها الدعوة القرآنية في مشاعر اتباعه المعبر
عنهم بالمسلمين والمعبر عنها بالاسلام .

فالاسلام في حقيقته الكاملة اعتقاد بالعمل ووجدان بالقلب
والاخلاص في النية وعمل بالحواس ، والمسلم الحقيقي (لا الجغرافي
والتقليدي) هو الذي حقق في نفسه معنى الاستسلام لله والانقياد
لاوامره والخضوع لشريعته فكيف علاقاته بربه وبالناس وبالكون
وبالحياة مطبق ما أمر الله .

هذه الفكرة هي روح الشريعة الاسلامية وبها ربطت احكام
الشريعة ، وبهذا الارتباط كانت الاحكام التي جاء بها الاسلام نوعين:
1 (احكام يراد بها اقامة الدين واحكام العبادات واحكام العقائد
وفي احكام العقائد تكمن روح الشريعة .

2 (النوع الثاني وهو موضوع القانون - احكام يراد بها تنظيم
الدولة والجماعات وتنظيم علاقات الافراد والجماعات بعضهم ببعض
وهي تتناول احكام المعاملات والعقوبات والاحوال الشخصية
والدستورية والدولية الخ . . .

فالاسلام جمع بين الدين والدنيا واقام لهما تشريعا واحدا فرض
على كل مسلم الاخذ بجميع احكام نوعيه الديني والدنيوي وبروح هذا
التشريع وهو الاسلام وصفت الشريعة فقيلا ربط احكامها بالفكرة
التي صاغتها القرآن في مشاعر اتباعه المعبر عنها كما سبق بالاسلام :
الشريعة الاسلامية، فالاسلام دين ودولة وعبادة وقيادة « هالة ابراهيم
وسائر النبيين » .

وهذه الروح هي النواة التي غرستها الدعوة الاسلامية في القلوب
قبل كل شيء .

وهي المنطق الاول للشريعة الاسلامية وهي ما اعارها كل المرسلين
اهتمامهم .

« هالة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » . وهي اول ما
اعارها سيد الرسل وخاتمهم « محمد صلوات الله وسلامه عليه »

المزيد من اهتمامه ليرسخها في النفوس شريعة وعقيدة وفكرة تدور حول حب الخير وكره الشر ، ونهدف الى اقامة حضارة وسعادة الانسانية لخدمتها ومصالحه المجتمع الانساني سداها ، والحب والاخوة والمساواة والعدالة اركانها .

وقد رسخت هذه الروح اول ما رسخت في قلوب فئة قليلة عرفت بالمهاجرين والانصار ، حولتهم هذه الروح الى قسوة حولت مجرى التاريخ والتفكير واخرجت الناس من عبادة الاوثان والملوك والرجال والمال والالوهام الى عبادة الله وحده ، ونفقتهم من ظلمات العادات الموغلة في الفساد الاجتماعي الى النور نور الحرية والعزة والمساواة والعدالة والتكافل . مجتمع تسوده المحبة والاخوة والايثار يلتقي فيه المحكوم والتابع بالحاكم والمتبوع في الحرية والحقوق - والمسؤولية امام الله وشريعته - شريعة من أروع ما خطته بتوجيه تلك الروح اعتبار الحاكم خادما وأجيرا للامة يرعى مصالحها وينفذ احكامها ، لا ملكا مسلطا بسخر الامة لمصلحه، واحكامها لنزوانه وشهواته .

ولعل الاسلام اول من قرر ان الحكم خدمة للمحكومين ، وأول من ربط مسائل الاجتماع بشؤون السياسة والاقتصاد ، فالحكم خدمة للامة لا تحكم فيها ، يقوم على العدل والاحسان ، ثم هو امانة ثم يكمل هذا الحكم الى الامة نفسها ويكلفها ان تسير فيه على نهج العدل المتضمن خبر الفرد والمجتمع ورفض دواعي التحلل من العدالة في تعبير الهى بذكر العدل مرتين مقرونا بكلمة (ان الله يأمركم) تأكيدا للحكم ورمزا الى روح الشريعة فيقول : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

وأعطى الاسلام من السلطان ما لم يعطها أى دستور بشرى ، « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » وجعل للامة حق اختيار حكامها اختيارا يقوم على الرضى لا القهر والتحايل، وفرض على الامة مراقبة الحكام ومحاسبتهم ان انحرفوا عن منهج شريعة الاسلام ، الى غير ذلك مما يتعلق بالحكم فى الاسلام ، ولقد ارتبطت هذه المبادئ

والاحكام بروح الشريعة الاسلامية ، فطبقت عملياً ، ونجحت ايما نجاح سيما فى العهد المحمدى وعهد الخلفاء الراشدين ابو بكر وعمر وعلى فيسلم محمد صلوات الله وسلامه عليه ظهره ليقتص منه ، ويخاطبه اعرابى بقوله : اعطنى من مال الله الذى اعطاك لا من مال ابيك ، فيعطيه ، ويستوقف الفاروق عن الخطبة حتى يبين وجه تميزه بلبس بردين لا برد واحد كغيره ، ويشد على بطنه من الجوع وبيت المال يزخر بالاموال ، وينتزع الخليفة الراشد الصالح عمر بن عبد العزيز ابن عبد العزيز - وهو يخاطب ذويه ونفسه والمسلمين بقوله : ان المال ويسمىها المظالم ، فيفزع من ذلك أهله بنو امية يراجعونه فيقول لهم كلمته الخالدة المستهلة بروح الشريعة ، فستسمع اذن الدنيا اليوم ابن عبد العزيز وهو يخاطب ذويه ونفسه والمسلمين بقوله : ان الله بعث محمدا رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم اختار الله له ما عنده فقبضه اليه ، وترك للناس نهرا يشربهم فيه سواء ثم قام ابو بكر فترك النهر على حاله ثم ولى عمر فعمل عمل صاحبه فلما ولى عثمان اشتق من ذلك النهر نهرا ثم ولى معاوية فاشتق منه الانهار ثم لم يزل ذلك النهر يشتق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى افضى الى الامر وقد يبس النهر الاعظم ولن يروى اصحاب النهر حتى يعود اليهم النهر الاعظم الى ما كان عليه .

ان روح الشريعة التى هى حقيقة الاسلام بمعناه الكامل هى التى اعطت الشريعة حيوية احكامها وقواعدها واستقامة احكامها ، وهى التى نفخت فى المسلم الكامل شعوره فى حماس بمسؤوليته فى المجتمع الاسلامى والانسانى شعورا جعله يتصدق فى حماس لاداء واجبه وله من نفسه على نفسه حارس ودافع وزاجر .

فيما اعطتها من روح منحها الله لشريعته الشريعة الاسلامية ، شريعة هى فى ذاتها نظام محفوظ ما حفظ القرآن المتكفل بحفظه الذى انزله والذى بالمؤمنين به المتشبعين بروحه اظهره فى الامس على الدين كله .

واليه سترجع الانسانية مهما طال السرى فان تقلص ظل الشريعة الاسلامية ليس لضعف ذاتى فى الشريعة وروحها بل لعرض خارجى هو ضعف المسلمين الذين من عوامله انطفاء شمعة الايمان فى قلوبهم

فابتعدوا عن تعاليم الشريعة الصحيحة وعظفوا الكثير من احكامها
قتفروا فذهبت ربحهم « وان الله لا يفسح ما يقوم حتى يفتروا ما
يأنفسيهم » . فغلبتهم الامم لبلدانهم مستعمرة ، ولشريعهم معارفة ،
ولمفائدهم ناسفة ، فاذا بواقع التشريع الاسلامى اليوم فى العالم
الاسلامى يبحث على الاسف .

واقع التشريع اليوم فى العالم الاسلامى

انه واقع ، كما تعلمون ، يستعصر القلوب الما والميون فما ، نعمن
اذا ما القينا نظرة على خريطة العالم الاسلامى المتراصة الاطراف
الكثيرة الدول والامارات عدا عن ابتلعهم الاستعمار بنوعيه الشيوعى
والراسمالى او اذابتهم النظريات تحت مظاولها فاننا لا نكاد نجد
اكثر من خمس دويلات متمسكة فى وعن بالشريعة الاسلامية فى
الاحكام التى يراد بها تنظيم الدولة والجماعات . اما ما عداها وهى
الاكثرية الساحقة فلها قوانينها الوضعية المستمدة معظم احكامها من
القوانين الاوروبية . وقد ترتبت على ذلك عمليا تعطيل معظم احكام
شريعة الاسلام فى معظم العالم الاسلامى .

فى عالم الارض فتش هل ترى بلداً للمسلمين بغير النذل مشتمولا
واى الال لامة تحكم بغير ما تدين به جماهيرها ، وينسب اليه
مواطنوها ودولتها! انه الاستعمار الملقف ، استعمار اجتماعى ،
استعمار فكرى ، استعمار نظرى ، استعمار توجيهى . ان معظم العالم
الاسلامى هو اليوم يخضع - علم ام لم يعلم - للاستعمار الفكرى تبعاً
لخضوعه للقوانين الوضعية سواء فى ذلك الجماعات الاسلامية المستقلة
او الجماعات الاسلامية الذائبة فى الكتلة الشيوعية والبرجوازية ،
فهذه الجماعات الذائبة خاضعة مباشرة ، وتلك الجماعات المستقلة
خاضعة بواسطة ، ولهذا الخضوع المباشر وغير المباشر فقدت الشريعة
الاسلامية فى العالم الاسلامى مراكز الاعطاء والبث والتوجيه ومراكز
الاجتذاب والاختد والشد ، وبدل ان تفكر الدول الاسلامية المستقلة
فى تخليص الجماعات الاسلامية الذائبة فى الكتلة الشرقية والغربية
لتنقل تلك الجماعات ومواطنيها من الانسحاء والفناء المنحدرة اليه
بسرعة ، لاننا نرى هذه الدول الاسلامية المستقلة تسير هى بشعوبها

نحو الفناء ، فترسل شبابها الى الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي لا ليتعلم الصناعة ونحوها بل ليدرك القوانين وتنشئ هذه الدول الاسلامية في أرضها المدارس لدراسة القوانين لا الشريعة ، الا في مسائل قليلة لا ينص عليها بانها من الشريعة ويسنورد لهذه المدارس المدرسون القانونيون الذين لا يعرفون من الشريعة الاسلامية لانفاة ولا بذرة . وقد اقبل الشباب على هذه المدارس لانها هي ، لا المسجد ولا المصحف ولا الشريعة الاسلامية ، التي تكون مستقبلهم فهي التي ستخرجهم قضاة وموظفين ودكاترة قانون او قل مشائخ قانون لا مشائخ اسلام، وبهذا المنهج التقليدي ضعفت دوافع الدراسة للشريعة الاسلامية وفقهنا وراثنا التشريعي والفقهي الذي يعد بحق مفخرة الدنيا .

في بحره للسباحين على * أدب الحياة وعلمها ارساء وقد تولدت من هذا المنهج التقليدي ظاهرة قاصمة قصت اجنحة الشريعة الاسلامية، فجعل جماهيرها احكام شريعتهم الاسلامية التي بها يدبنون ، وكذلك جعلها اولئك القضاة ومشائخ القانون ، والموظفون ورجال القانون والمحاماة فقد اصبحوا وهم الصفوة المتقفة يجهلون كل الجهل احكام الشريعة الاسلامية واتجاهاتها العامة وهم الذين يديرون الدولة الاسلامية .

اما في الشعوب الاسلامية التي لا تدين دولتها للاسلام او التي ذابت وتلاشت في دول متسلطة غير اسلامية ، فواقع الشريعة الاسلامية في هذه الشعوب لا وجود له ، ولا يمر على الشفاء الا رمزا . وقد أدى هذا الواقع المؤلم الى ان جهل المسلمون بما فيهم مشايخ القانون ومثقفوه ورؤساء شريعة الاسلام . ومن المحزن المحز في القلوب ان الكثير من المثقفين ثقافة قانونية يزعمون ، ان الدين هو علاقة بين الانسان وربه ، لا صلة له بالحكم والدولة الى ما هناك من مفاهيم خاطئة للشريعة الاسلامية ومبعث هذا الخطأ يعود الى عوامل متعددة من أهمها، سيطرة الغرب على الشرق بما فيه العالم الاسلامي المتناول آسيا الوسطى والشرق الاقصى، فحلت القوانين الوضعية السنوردة او المتولدة من القوانين الاوروبية محل الشريعة الاسلامية .

ولم يقف هذا الاحتلال عند الجماعة والشعوب - طبيعة وضع القوانين - بل تعدى هذه الطبيعة فحمل معه فكرة جعل القوانين تضم الى جانب التنظيم قوة التوجيه للجماعات والشعوب نحو وجهات معينة لتنفيذ اغراض وشعارات معينة كالشيوعية والفاشية والنازية والرأسمالية والعنصرية الى ما هناك ، من افكار يهودية المصادر ، غايتها محو العقيدة الاسلامية ليسهل على المطامع اليهودية ابتلاع العالم العربي والسيطرة على العالم . وامام هذا الغزو القانوني بتوعية التنظيم والتوجيه المدعم بقوة الغرب وعلم الغرب ، وضعف الشعوب الاسلامية تراجعت الشريعة الاسلامية ، لا عن ضعف ذاتي ، محلية مواقعها في عالمها الاسلامي للقوانين وروح وفكر مصدرها من الكتلة الشيوعية والرأسمالية والعنصرية ، فعم الجهل بالشريعة الاسلامية جهلا التقى في حبالاته الجماهير المسلمة والصفوة المثقفة ثقافة قانونية مستوردة الجذور والروح .

فاختلط في العالم الاسلامي الحابل بالنابل والصالح بالطالح والغت بالسمن حتى استندت عفة مسرحية التشريع والقانون ، وحتى ترى انها قد انقطعت الاضواء والخيوط بين عقدة المسرحية وبين الحل الحقيقي لاستعادة الشريعة الاسلامية مواقعها في العالم الاسلامي ، فاستسلم النفر المثقفون ثقافة غير اسلامية من ابناء الاسلام استسلموا للقوانين المستوردة التي درسوها لا كما استسلم لها رؤساء وحكام معظم الدول الاسلامية ، ويبد هذه الفئة اصبحت السلطة وزمام الدولة ، فألقى الكثير من علماء وفقهاء الاسلام بل ومن جمعوا بين دراسة الشريعة والقانون القوا الى اليأس والقنوط زمام افكارهم يطاردهم اليأس وضعف مركزهم الى المساجد والزوايا والحصون خلافتية قليلة من اعلام الاسلام ومنهم من تضلع في القوانين فصلعه في الشريعة لم ييأسوا بل تحدوا الاعاصير فواصلوا السرى لقومهم منذرين وداعين وبعزيمة الخليفة الصالح الراشد عمر بن عبد العزيز وعلم امير المؤمنين علي واخلاصه فتمضى قافلة العلماء في دعوتهم حتى يعود النهر الاعظم الى ما كان عليه كما قاله ابن عبد العزيز رحمه الله ، «فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون» .

وهذا الامل المتسع بروح الله هو الطاقة لكل مجدد لاولئك الاعلام
فى مواصلة دعوتهم، وهذا الامل هو الذى اقام المجاميع الاسلامية من
جديد، بهذا الامل نجتمع اليوم هنا بالجزائر موطن البطولات من عهد
الفنيقيين وابن نصير وطارق وعبد المؤمن بن على والملثمين والموحدين،
وبهذا الامل والروح القرآنية الاسلامية خاضت الجزائر معاركها ضد
اشرس استعمار مائة وثلاثين عاما، بقيادة روح الاسلام وفكرة الاسلام
وهدى الاسلام وجهاد الاسلام الذى حمل رايتها عظماء من ابناء الجزائر
الى ان تسلمها الامير عبد القادر الجزائري الذى تسلمها منه عظيم
سلمها الى عظيم مثله، الى ان تسلمها جيسل ابى مدين ورفاقه الذين
توجوا النضال الاسلامى الجزائرى بغار النصر وشمس الاستقلال .

ان روح الاسلام وشريعة الاسلام هى التى اذكت البطولة الجزائرية
وجمعتها وقذفت منها اعصارا من حماس المؤمنين اقتلع عن الجزائر
الاستعمار ورسخ فى الجزائر الاستقلال فلتستمر روح الاسلام فى
الجزائر راسخة متوقدة .

واننا نلتمن لجزائر ان تستمر فى صعودها ، وان يحرس قادتها
على الاحتفاظ بروح الشريعة الاسلامية التى بها ناضلت الجزائر
وانتصرت .

أيها الاخوة، ان العلماء ورثت الانبياء فى التعليم والدعوة والارشاد
والتوجيه ، وان الرؤساء والحكام والملوك الصالحين ورثت الانبياء فى
القدرة على تنفيذ احكام الشريعة الاسلامية وتطبيقها كلها فى المجتمع
الانسائى ان امكن والا فيطبقها كل حاكم وملك ورئيس فى منطقة
نفوذه ، وان الله ليطالب العلماء والحكام والملوك بتأدية ما هو مفروض
عليهم .

نسأل الله التوفيق وان يرجع الى المسلمين وحدتهم وعزتهم
واخلاقهم وقيادتهم للعالم وان ينصرهم فى معركتهم مع اليهود
والملاحدين .

ولا حول ولا قوة الا بالله .

وصلى الله وسلم، وبارك على محمد وآله وصحبه، ومن تبعه باحسان
الى يوم الدين .

أخطار العزلة والإنعاج التي يتعرض لها
أبناء الجاليات الإسلامية وواجب الدول الإسلامية نحوهم
للدكتور عقبة عبد الحميد شيران
ممثل وادارية الجزائر بين بأروبا

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا كنا قد فضلنا تناول هذا الموضوع وطرحه على بساط المناقشة
في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي فذلك لان مشكلة
الجاليات الاسلامية التي تعيش في المهجر بعيدة عن اوطانها تكتسي
أهمية كبرى .

فضلا عن وطأة الغربة التي يعانيها أبناء الهجرة الاسلامية في
أوروبا من حيث اللغة والعادات والتقاليد والقيم وعيشتهم على هامش
المجتمعات الاوروبية ، فانهم يواجهون عوامل أخرى لا تقل خطرا عن
الاولى وربما تهدد وجودهم ، وهي الشعور بالعزلة والوحدة الشيء
الذي يضيف على أوضاعهم صعوبات شتى كمحاولتهم التأقلم وسط

مجتمعات ليست على استعداد لقبولهم واحتضانهم نظرا لمقومات شخصيتهم الذاتية : الشخصية الاسلامية حتى ولو بذل المسلمون الذين يعيشون في البلدان الغربية جهودا لاقامة اتصال مثمر .

هذا ، ورغم ما لهذا الاغتراب الثقافى والعاطفى والاجتماعى من أخطار جسبية ونتائج سيئة من شأنها التوقف عند حدود الافراد أنفسهم ، فهناك أخطار تهدد كيان هذه الجاليات وهى ترتبط أساسا بالمحاولات المختلفة التى تقوم بعض الاوساط وبعض الاندية الفكرية لاستغلال نقاط الضعف عند الجالية لتبث بين أفرادها أفكارا ومعنيدات لا تنسجم ولا تتلاءم مع معتقدات الجالية الجوهرية ومطامحها الذاتية .

لقد سبق لنا خلال الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاسلامى أن قدمنا تحليلا وافيا وشرحا ضافيا لواقع الجاليات الاسلامية فى المهجر تعرضنا فيه للاخطار التى تهدد شخصيتها ووجودها . ومع ذلك ، نرى انه من المفيد ان نذكر بمعطيات اساسية ترتبط بهذه الجاليات حتى نعرف على عددها ومواطن اقامتها وحتى نتفهم ظروف معيشتها والصعوبات التى تواجهها النىء الذى من شأنه ان يساعدنا على ايجاد صبغة واقعية لتقديم مقترحات لمختلف الحكومات الاسلامية لتتحمل مسؤولياتها بجاء انائها المغتربين .

التعريف بالجاليات :

يعيش فى مختلف أقطار أوروبا الغربية ما يناهز ثلاثة ملايين نسمة من العناصر العربية والاسلامية حسب التقديرات والاحصائيات الشبه رسمية ، والجدير بالذكر ان الاحصائيات الدقيقة للهجرة لم تضبط بعد لاسباب شتى مثل حركة هذه الهجرة وسرعة تنقلها من منطقة الى أخرى حسب متطلبات العمل الذى تقوم به ، ذلك العمل الذى كثيرا ما يفرض عليها التنقل وعدم الاستقرار من جهة وحسب بوعية السياسة المتسجعة تارة والعائقة تارة أخرى التى تنتهجها الدول الاوروبية المستقبلية التى تأخذ بعين الاعتبار طبيعة العلاقات السياسية مع الدوله التى ترد منها هذه الجالية من جهة اخرى .

تلتقى هذه العوامل كلها لتجعل امكانية حصر عدد المهاجرين عملية غير دقيقة غير انه من الممكن حصر مناطق الهجرة الرئيسية لاوروبا في أربع مناطق حسب أهمية المجموعات البشرية الوافده منها وهي :

1 (منطقة المغرب العربي بأقسامها الثلاثة (المغرب ، الجزائر ، تونس) والتي تمثل مركزا هاما اذا ما اعتبرنا الجالية الهامة التي تهاجر منها وتقيم خارج أراضيها ولا سيما الجزائر التي كانت أوضاعها السياسية الاستعمارية عاملا اساسيا في تشجيع سكانها على الهجرة، ويبلغ عدد الجالية المغربية هذه 980 ألف نسمة يعيش معظمها في فرنسا .

2 (منطقة آسيا الجنوبية :

تحتل المرتبة الثانية نظرا لعدد مهاجريها الذين يبلغ عددهم 700 ألف نسمة يتوجه اغلبهم الى بريطانيا وهولندا (بالنسبة للاندونيسيين) وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وسويسرا .

3 (افريقيا الوسطى والشرقية :

تأتي في الدرجة الثالثة حيث تعيش فيها جالية اسلامية هامة ويبلغ عدد المهاجرين منها حوالي 520 ألف نسمة يزحون في هجرتهم الى بريطانيا وفرنسا ونحو ألمانيا وبلجيكا والبرتغال وسويسرا .

4 (منطقة الشرق الاوسط : تشكل جاليتها في أوروبا مجموعات قليلة اذا ما قرناها بالمناطق السابقة باستثناء تركيا التي تصاعف جاليتها التي يتجه أغلبها الى ألمانيا التي تأوى حاليا ما يزيد على 200 ألف نسمة . أما مناطق الشرق الاوسط الاخرى فالملاحظ ان الجاليات المهاجرة منها باعداد هامة توجه اكثر ما توجه الى أمريكا بعسميها الشمالي والجنوبي .

أما عدد هذه الجاليات في أوروبا فانه يبلغ حوالي 10 آلاف نسمة يفدون من العراق ولبنان وسوريا وفلسطين ومصر ومناطق الخليج . والعدد التقريبي لمنطقة الشرق الاوسط يفدر بحوالي 350 ألف نسمة . واما الاقطار التي تحتضن هذه الجاليات الاسلامية فهي من حيث الأهمية على الترتيب الآتي :

- فرنسا ثم بريطانيا ثم ألمانيا وبلجيكا وهولندا وسويسرا .
- فرنسا : أكثر من مليون نسمة
- بريطانيا : 635000 ألف نسمة
- ألمانيا : 200 000 ألف نسمة
- بلجيكا : 70 000 ألف نسمة

وبما أن عدد الجالية الاسلامية في سويسرا وهولندا وبقية البلدان الاخرى غير مضبوط فاننا نستطيع ان نقدره وبدون مبالغة بثلاثين الف نسمة أو يزيد .

الإخطار : تعرضنا في محاضرتنا السابقة الى واقع هذه الجاليات الاسلامية وتناولنا الظروف الاجتماعية والنقافية والنفسية التي تحيط بها والاطار التي تهددها وعمدنا الى التأكيد على طبيعة الاعمال القاسية التي هي من حظ ابناء الجاليات والذين يعيشون معيشة ضنكا ويتحملون جميع انواع المشاق والظروف القاسية من أجل ضمان الخبر لاسرهم التي كثيرا ما يتركونها وراءهم في اوطانهم . كل ذلك معروف عند الجميع اما جملة واما تفصيلا ولذا لا داعي لذكره باسهاب غير اننا نذكر على العموم بأن نسبة 42% من ابناء الجاليات الاسلامية المهاجرة يعملون في البناء والاشغال العامة كالطرق وحفر الترع ورفع الجسور ومد الانابيب وغير ذلك من تنظيف الشوارع وحمل النفايات والازبال وغيرها .

هذا ويشغل 21% في تحويل الحديد وصهره في الافران وغير خاف على أحد ما يتطلبه مثل هذا العمل من كد ومجهود وما يعانيه العامل من قساوة البرد خارج العمل وشدة الحرارة داخل الفرن . بينما يشغل 3% في مناجم الفحم والحديد . هذه هي الاعمال التي تباشرها جالياتنا في اوروبا فهي أعمال شاقة بما لهذه الكلمة من معنى وتتطلب الى جانب الصبر والتجملد اجساما قوية تقاوم مختلف الامراض المهنية فأنى لعمالنا من مقاومتها وهم يعيشون بين عدوين : سوء التغذية وقلتها من جهة والجهد المصنئ الذي يحتمه الاستمرار في مثل هذه الاعمال من أجل تأمين العيش لهم ولابنائهم من جهة أخرى .

ان انتماء هذه الجاليات الى ثقافة ومعتقدات تختلف عن ثقافة ومعتقدات البلدان الاوروبية يخلق مشاكل التأقلم والاسستقرار النفسى ويضفى على واقعها صعوبات أخرى من شأنها ان تهدد كيانها ووجودها . . وليس هدفنا فى هذه اللوحة انتقاد الغربيين والبلدان المستقبلية لهذه الجاليات وانما هدفنا هو القيام بتحليل موضوعى لواقع جاليننا حتى نهتدى الى وسائل عليها تخفف من حدة وطأة الموقف أو تساعد على الخروج منه .

ان المسلمين الذين يعيشون فى المهجر مرتبطون ارتباطا وثيقا بدينهم الذى يشكل احدى مقومات شخصيتهم الرئيسية ذلك الدين الذى يملى عليهم جميع تصرفاتهم ومواقفهم ويجدد اساليب معيشتهم أما المجتمعات المستضيفة فهى لا تحاول عن قصد او عن غير قصد فهم أوضاع اخواننا المهاجرين وذلك بحكم انتماء هذه المجتمعات لدين واخلاق وثقافة تختلف عن ثقافة واخلاق الدين الاسلامى هذا من جهة ومن جهة ثانية ، تضرر هذه المجتمعات كراهية تجاه العالم الثالث بصفة عامة والعالم الاسلامى بصفة خاصة وهذه الكراهية نابعة من ذكريات ماضى مفعم بالحنين والحسرة .

لقد اصبح الرجل الاوروبى لا يرضى بنقافة غير ثقافته ولا بحضارة غير حضارته ولا بلغة غير لغته ولا بدين غير لغته ولا بدين غير دينه ولا بنظام غير نظامه ، بحيث اذا وجد جنسا بشريا يرى غير ما يراه تعرض له بالنقد والتجريح وظل يفاومه بجميع الوسائل حتى يتوصل أو يكاد الى تغييره فان لم يستطع فبتشويه حقيقة وجوده . وليس من الغريب ان تجد الجاليات الاسلامية مجتمعا مناهضا لها يرى فيها كائنات متخلفة تستحق الازلال والاحتقار واصدق دليل على ذلك ما ينخصه لها من أعمال قاسية ينفر منها ابناؤه هذا فضلا عن سوء المعاملة الادبية والمعنوية التى اصبحنا نشاهدها يوميا فى المعمل والمصنع حيث تسد الابواب فى وجوه المهاجرين العرب والمسلمين وفى المساكن والفنادق التى لا تفتح ابوابها الا لغبرهم . اما فى الشوارع فحدث عن البحر ولا حرج .

فاذا وقعت واقعة او حدث حادث بين أوروبى ومغترب فالاول يناصروالثانى يخذل.هذابالاضافة الى عاداتهم فى الصاق التهم بأبناء

الجالية عند وقوع أى جرم . ومما لا شك فيه ان العوامل الآتفة الذكر
يترب عنها جو متوتر واضطراب نفسى لدى الجاليات الاسلامية تدفعها
الى العزلة والشعور بقسوة المحيط ونألم من عالم يخلف تماما على
عادتها وتقاليدها وفيها . كل ذلك يربدها وحنسة واشممئازا
وضباعا . زد على ذلك عوامل اخرى ، هذا بالاضافة الى الدعاية
المعرضة والمعادية التى نشنها وسائل الاعلام الغربية والصهيونية ضد
الجاليات ، لقد لعبت هذه الحملة وما زالت تلعب دورا كبيرا فى تغذية
هذه الكراهية ضد العناصر الاسلامية وسبب ذلك وجود عناصر لم
تقبل ولن ترضى بخروج مستعمراتها من قبضتها .

فقسم كبير من العرنسبين مثلا لا يغفرون للعرب والمسلمين استقلال
الجزائر غير أنهم يجدون تعويضا معنويا كبيرا على ذلك فى هزيمة
العرب على يد الصهاينة الاسرائيليين ويظهرون مساندتهم للعصابة
الصهيونية ويجدر بنا القول فى هذا الصدد بأن اتساع نفوذ الحركة
الصهيونية يرجع الى تلاحم جاليتها واحكام انتظامها وقوة نشاطها
وتضامنها الفعال التى الذى تففده الجالية العربية الاسلامية .

الامكانيات والوسائل المتوفرة :

بعد هذه اللمحة الحاطفة يجدر بنا ان نطرح السؤال الآتى :

هل وقع تحسين أو طراً تغيير عن اوضاع الجالية المهاجرة منذ ان
نعرضنا لذلك باسهاب فى محاضرتنا السابقة ، وهل توفرت منذ
ذلك الحين امكانيات ووسائل سواء منها النابعة من المجموعات
الاسلامية فى المهجر نفسها أو تلك التى قدمتها بعض الاوساط
الاوروبية تلبية لبعض المساعى او تلك الترتيبات الحديثة العهد التى
انخذتها بعض الحكومات العربية والاسلامية فى هذا الشأن يا ترى ؟
الجواب : ما زال ذلك الواقع قائما بكل ثقله وما زالت تلك المخاطر
جائمة بحيث استفحل امرها واشتد ساعدها والمسؤولية والصدق
يدفعاننا ان نتوخى فى قولنا الموضوعية وعدم المغالاة فنقول بأن
السييل قد بلغ الزبا وان الوضع ازداد خطورة وكيف لا وقد تركت
الامور على ما كانت عليه وبقيت دار لقمان على حالها لاننا لم نولها أى
اعمار جدى لما كان ينبغى الاسراع بتنفيذه من طرف المسؤولين

المعنيين بالامر اللهم الا اذا استثنيانا بعض المحاولات الشسجاعة والمبادرات الجريئة من طرف بعض المجموعات المهاجرة نفسها حيث طفق أفرادها يبحثون عن خلق وسائل وظروف من شأنها ان تساعدهم على الحفاظ عن الشخصية والتمسك بمقوماتها .

قام هؤلاء الافراد بواجباتهم الاخلاقية والدينية تجاه انفسهم وتجاه اسرهم واولادهم احسن قيام ، فعمدوا فى فرنسا مثلا الى جمع مبالغ من المال واتخاذ اجراءات بمساعدة سفارات عربية اسلامية لبناء مسجد بحى بلفيل بالعاصمة الفرنسية، كما توصلوا الى عقد اتفاق مع شخصيات دينية أوروبية بغية فتح أماكن أخرى جديدة للمسلمين ليتسنى لهم القيام بفروضهم الدينية مثل الاتفاق المبرم بشأن كنيسة بمدينة ليل بشمال فرنسا التي استلمها المسلمون وحولوها الى مسجد وهم حريصون كل الحرص على تجنب تكرار مأساة مسجد باريس الذي افرغ من محتواه ووجه لخدمة اغراض غير الاغراض الدينية والروحية الخالصة بسبب وقوعه تحت ايدي مسيرين عملاء .

أما فى بلجيكا فقد سجلت الجالية الاسلامية انتصارا عظيما بفضل أول مبادرة جماعية من طرف بعض الحكومات الاسلامية التي اتفقت على توفير مبالغ من المال لفتح مسجد ببروكسيل ووضع تحت تصرف الجالية نفسها التي تأمل ان تكون هذه البادرة فاتحة مبادرات جماعية أخرى يكون محورها خدمة مصالح الجالية الاسلامية فى المهجر . هذا وينتظر ان تعيد السلطات الحاكمة فى بلجيكا النظر فى ترتيبات الدستور من أجل المصادقة على مشروع قانون جديد يسمح لابناء الجاليات الاسلامية القيام بأداء فرائضهم الدينية فى جو يتسم بالحرية التامة الشئ الذى لم يكن من قبل، هذا ووردت اخبار مفادها ان الملك فيصل عاهل المملكة السعودية قام اثناء زيارته لاطاليا باجراء معادثات مع سلطات هذا البلد من أجل انشاء مسجد بروما .

تدخل هذه الاجراءات مع قلتها فى اطار توفير امكانيات ووسائل من شأنها مساعدة الجاليات الاسلامية على تحمل اعباء الاغتراب والتخفيف من حدة آثار العزلة واطار الاندماج التي تهددها فى المهجر ، وما المجهودات التي تقدمها ودادية الجزائريين فى اوروبا الا

مساهمة من طرفها في هذا الاطار . فهي بحكم تجربتها الهامة في المنطقة استطاعت بفضل نشاطها المتواصل ان تتعرف على مشاكل هذه الجالية ورغم امكانياتها المحدودة وضخامة الجالية التي تشرف عنها فقد استطاعت ان تقوم ببعض الواجبات وقدمت بعض الخدمات لها بحيث بادرت بانجاز عدة اعمال وسطرت عدة مشاريع في نطاق الهجرة الجزائرية اهمها: تعليم اللغة العربية للناشئة اذ تمكنت من تأمين الدروس لما يزيد على عشرة آلاف طفل بالاضافة الى قيامها بمكافحة الامية في اوساط الكبار بالعربية والفرنسية وانشائها نوادي ومراكز للطلبة والشبان في مناطق مختلفة عبر القارة الاوروبية وهي مفتوحة في وجوه جميع الطلبة العرب والمسلمين لتكون نقطة اللقاء بينهم لتبادل الآراء والافكار والقيام بمختلف النشاطات الثقافية منها الرياضية والترفيهية . هذا وحرصت الودادية على تنظيم مخيمات صيفية للاطفال الجزائريين في الهجرة ليتمكنوا من التعرف على وطنهم والحفاظ على الروابط التي تربطهم بمجتمعهم متل ما قامت بتنظيم لقاءات فنية شعبية بمشاركة فنانيين جزائريين ومغاربة الى جانب تنظيم حفلات وسهرات ثقافية ودينية بمناسبة الاعياد الوطنية والدينية في مختلف الاماكن حيث تتجمع جاليتنا خصوصا خلال شهر رمضان المعظم . . . زيادة على عيادة المرضى وتسليتهم ونقل رفاة الموتى المواطنين وهي عملية هامة ومحمودة بالنسبة للمجموعات الاسلامية .

هذا وقد انشأت ضمن هيكلها هيئة تسهر على توجيه الشباب وهيئة نسائية تقوم بتوجيه المرأة واشعارها بمسؤولياتها العائلية وجعلها تلعب دورها كاملا غير منقوص خصوصا تربية الاطفال ضمن القيم والتقاليد الاسلامية . كما حرصت على انشاء جريدة الجزائرية بأوروبا حرصا منها على اطلاع الجالية على ما يجري في وطنها والدفاع عن مصالحها وابلاغ صوتها الى السلطات الوطنية ، ومما هو جدير بالملاحظة انها المنظمة الوحيدة التي فكرت في الدفاع عن الجالية العربية الاسلامية والسهر على مصالحها بأن احدثت منذ اربع سنوات مجلة آفاق عربية - المجلة العربية - الوحيدة في أوروبا .

هذه المبادرات كلها سواء التي انجزت او تلك التي هي في طريق الانجاز تبدو جليا دون المستوى المطلوب وغير كافية اذا ما قسرناها بواقع الجاليات الاسلامية ومختلف الاخطار التي تهددها وعليه يجب على هذه الجالية ان تتوفر على وسائل وامكانيات كافية من اجل تأمين مصالحها وضمان مستقبلها وصيانة كرامتها وبذلك فقط يمكنها سد الطريق امام الذوبان والتفسخ والانحراف . فالظروف التي تعيشها الجاليات الاسلامية في أوروبا تفرض علينا ان نلبي احتياجاتها الروحية والثقافية والمادية والقانونية معا .

فالاقتصار على تلبية الجانب الروحي وحده واهمال الجوانب الاخرى من هذه الاحتياجات مثل الوضع القانوني الذي يسد الطريق امام الجاليات الاسلامية في بعض الاقطار الاوروبية والحيلولة بينها وبين ممارسة حقها الشرعي مثل القيام بالفرائض الدينية يعتبر عملا مبتورا وبالتالي فهو لا يعود بالفائدة المرجوة . ونحن بطرحنا هذه المشاكل نقترح لها حولا تساهم فيها جميع الدول الاسلامية التي يهمها الامر . ان قضية الاسلام والمسلمين قضية تهم جميع المسلمين - خاصة وان اوضاع هذه الجاليات كما أشرنا - تحتاج من الجميع الى بذل مجهودات جبارة من اجل الحفاظ على مقومات شخصيتها وهنا يبرز واجب الدول الاسلامية لم يد المساعدة لهذه الجماعات المشردة التائهة التي تحاول ان تجتاز مصالحها وانتمائها الجغرافي وان تتطلع وتسمو لتلتقي عند عقيدة واحدة وديانة واحدة ألا وهي الاسلام .

ان مسؤولية الدول الاسلامية في مجال جالياتها مسؤولية جماعية وقد حان الوقت بأن تتجسم هذه المسؤولية من خلال اجراءات وترتيبات وقرارات ملموسة تتفق عليها جميع الدول الاسلامية . اننا لا ندعى في هذه العجالة تقديم عرض وافر دقيق ومرتب عن كل ما يجب القيام به من طرف مختلف الدول الاسلامية تجاه جالياتها . وانما شعورا منا بالمسؤولية والواجب وانطلاقا من معاشتنا للاوضاع والظروف التي تعاني منها هذه الجاليات ان نلفت الانظار ونذكر الهمم نحو الاجراءات الضرورية التي يجب الاسراع في اتخاذها لتأمين مصالح الجاليات المادية والادبية والروحية قبل فوات الاوان .

ان اول ما يتبادر للاذهان وجود اكثر من 25 سفارة اسلامية فى البلدان الاوروبية الآتفة الذكر هذا بالاضافة الى القنصليات والبعثات .
ولقائل أن يقول : ما هو النشاط الذى تبذله هذه الهيئات من أجل الدفاع عن حقوق هذه الجاليات ؟

فمما يؤسف له فى هذا المجال هو ان نرى اغلب هذه السفارات تقتصر على خدمة مواطنيها دون غيرهم عملا بروح الاقليمية الضيقة ، بينما الواجب يفرض على هذه السفارات ان تعتبر جميع المسلمين مواطنين لها تدافع عن حقوقهم وتسهر على مصالحهم . . هذا ما يتمناه ويتطلع له كل مسلم ، غير ان الواقع والظروف الراهنة تحول دون تحقيق هذه الغاية المنشودة تلك الغاية التى ينبغى لنا ان نهد لها السبيل ونوفر لها الشروط ونختار لها الوسائل ونجد لها صيغة ومدخلا ، ثم يعرض المشروع على الجهات المختصة والمسؤولين الذين يهمهم الامر بغية الشروع من الآن فى تقديم خدمات للجالية الاسلامية المهاجرة . على ان هذا المشروع يقتضى مبدئيا اتفقا بين جميع الدول من أجل بذل جهود مشتركة وتحديد سياسة موحدة وفعالة تجاه الهجرة ، الا ان الاقتراحات الاولى التى نقترحها على الدول الاسلامية والتى نرى فيها الاهمية الكبرى سواء بالنسبة للدول الاسلامية التى ترغب بأن لا تستمر حالة تشتت جاليتها التى سوف تقع بالتالى عرضة للاندماج والانحراف الاجتماعى والثقافى والسياسى او بالنسبة للجالية نفسها التى تعاني اخطبوط الغربة والعزلة والوحدة هى أولا وقبل كل شىء القيام جماعيا بدراسة امكانيات فتح مكتب دائم للجاليات الاسلامية بالمهجر فى كل عاصمة من عواصم الدول الاوروبية التى تاوى مجموعات هامة من المهاجرين المسلمين وهى فى رأينا فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وألمانيا وسويسرا ، وتكون مهمة المكتب الاساسية السهر على مصالح العمال المسلمين ، والدفاع على حقوقهم الشرعية سواء الدينية منها أو الثقافية والنقابية والعمل على توفير الوسائل الكفيلة بتحسين اوضاعهم المادية والادبية بشرط ان توفر له جميع الامكانيات الضرورية لكى يصبح الهيكل الاساسى الذى يقوم عليه تنظيم هذه الجاليات وتحديد احتياجاتها الضرورية وبالتالي يكون هذا

المكتب نقطة الالتقى ونقطة الانطلاق لجميع المبادرات التي تقوم بها الحكومات الاسلامية لدى سلطات البلد المستضيف سواء من أجل تذليل الصعوبات التي من شأنها اعتراض حياة الجالية او من أجل العمل على تحقيق مكاسب جديدة لها .

ان فتح مثل هذا المكتب الدائم يشكل مبادرة حسنة يجب العمل على تحقيقها اساسا لان المنطق يفرضها كي تظل جالياتنا موضع تقدير واحترام من طرف الحكومات والمجتمعات الغربية .

ورغبتنا الملحة هي اعطاء صورة صادقة للثقافة والحضارة الاسلامية لتصبح هذه الثقافة بمثابة جسر سليم يصل بين حضارتى العالم الغربى والعالم الاسلامى مثل ما فعلت اثناء عصورها الذهبية .

كيف نسمح لانفسنا استنكار مواقف المجتمعات الغربية المتسمة بالحق والكراهية تجاه الجاليات الاسلامية والتنديد بالاجراءات التعسفية التي يتعرض لها ابناء هذه الجاليات وبالتالي كيف نسمح لانفسنا بالتعامل على الحكومات والسلطات الغربية والقات نظرنا بل وارغامها على تغيير معاملتها الوحشية لهذه الجالية ، نقول كيف يمكننا ذلك ونحن نترك هذه الجالية وشأنها مهملة ولا نبذل لصالحه جهودا ملموسة ترمى الى تنظيم وتحسين أوضاعها وتذليل مشاكلها؟ ولنتذكر المتل الشعبى القائل : ما يحك لك الاظفرك ، وما يبكيك الا شفرک . وبناء عن كل ما سبق يجب على الدول الاسلامية ان تبادر بمساعيها سواء ضمن هذا المكتب الدائم او خارجه ولكن بشرط ان يكون العمل جماعيا على مستوى الوزارات الخارجية والسفارات الاسلامية المقيمة بالعواصم الاوروبية وذلك بفتح مباحثات مع سلطات الدول الغربية « خصوصا فرنسا وبلجيكا والمانيا وانجلترا » ودفعا بادماج (بند قانونى) ضمن دساتيرها يخول لافراد الجاليات الاسلامية ممارسة فرائضهم الدينية بكل حرية مثل باقى الابدان الاخرى مثل اليهودية ومنحهم نفس التسهيلات المنوحة لغيرهم والسماح لهم بانشاء منظمة دينية وثقافية خاصة بهم . وقد يكون من فائدة الجاليات الاسلامية فى المهجر عقد اجتماعات دورية كل ثلاثة أشهر مثلا على مستوى السفراء تدرس أثناءها اوضاع الجاليات الاسلامية ومن تمه ايجاد

أنجح الوسائل للدفاع عن مصالحها اذ ليس من المعقول بل ومن العدل والمنطق ان نرى فى هذا المجال الدول الاوروبية تجد امامها مجالا واسعا لفتح بعثات تبشيرية ومدارس فى جميع الاقطار العربية الاسلامية تنشر فيها لغنها وحضارتها ودينها لا لابناء جاليتها فحسب بل لابنائنا بينما لا تسمح هذه الدول للجاليات الاسلامية ممارسة حقها الشرعى بالقيام بواجبها الدينية وفتح منشآت مدرسية لتعليم اللغة العربية والقيم الاخلاقية والتعاليم الدينية لاطفالها الذين يزيد عددهم على 600 الف طفل، فعلى الدول الاسلامية اذا كانت تريد الحفاظ على شخصية جاليتها ومقوماتها ان تبذل كل ما فى وسعها وتسعى فى توفير الامكانيات اللازمة لتجعل التبادل الثقافى أمرا محترما من الجانبين وان تطالب بتكوين مؤسسات مدرسية وثقافية لجالياتها بالدرجة الاولى ثم لمن يهتم من الاوروبيين بحضارتنا. ونشير فى هذا الصدد الى ضرورة فتح مكتبة اسلامية فى أهم عاصمة اوروبية نقترح ان يكون مقرها بباريس يستقى منها ابناء الجاليات الاسلامية كل ما يحتاجون اليه من كتب دينية لو دراسات حضارية ، وتتولى طببع ونشر وتوزيع نسخ من القرآن الكريم ومختلف المراجع الدينية الهامة وتكون فى متناول يد ابناء الجالية الاسلامية عمالا وخصوصا الطلبة الذين يتحملون اتعابا حمة بحثنا عن الكتب فى الاقطار العربية البعيدة الشىء الذى يكيدهم مصليهم باهظة هذا بغض النظر عن وقوعهم ضحية كتب مزورة ونسخ قرآنية مشوهة وهو خطر آخر تتعرض له جاليتنا المهاجرة فى اوروبا وخلاصة القول ينبغى علينا جميعا ان نسهر على سلامة وأمن الجالية الاسلامية فى حياتها اليومية سياسيا واجتماعيا وثقافيا وعاديا ويكون هذا النشاط من ضمن نشاطات التنظيمات والبعثات العربية والاسلامية والسفارات وبذلك يسود الاستقرار النفسى ويعود الهدوء لجميع النفوس ويتفرغ افراد الجالية الى العمل الثمر بتحسين تكوينهم وترقية مستواهم المهنى والثقافى واستغلال وجودهم فى الصالم المتحضر بالاطلاع على الآلات العصرية ويكتسب الاساليب التقنية الحديثة حتى يقوموا بدورهم كاملا غير منقوص عند عودتهم الى اوطانهم فى بناء صرح اوطانهم العتيق تلك العودة التى يترقبها ويتطلع لها كل مهاجر. وعليه فنحن نهيب بالدول

الاسلامية الواعية بمسؤولياتها والمؤمنة بضرورة محور الاساليب التي
أدت بمواطنيها باللجوء الى اسواق العمل الغربية لتببيع قوة سواعدها
بأبخس الاثمان وفي اسوأ الظروف ان تفسح نصب اعينها واجبها
المقدس المتمثل في ترقية اوطانها بان توفر لجميع ابنائها في الهجرة
وسائل حياة جديدة في اوطانها ذلك ان الحلول الجذرية لمشاكل
الجياليات الاسلامية المهاجرة يمكن أخير الامر في العمل على اعادة
افرادها ان آجلا او عاجلا الى اوطانهم بغية ادماجهم في مجتمعاتهم
واعطائهم الفرصة بان يساهموا مساهمة فعالة في بناء اقتصاد
أوطانهم .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الخصائص والاتجاهات في التشريع الإسلامي

للأستاذ هادي الفسرو ساهيان
مبعوث الجامعة الإسلامية في مدينة «قم» إيران

بسم الله الرحمن الرحيم

- تعيش الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر فترة مخاض من حياتها .
- ولنل هذه الفترة أهميتها وتأثيرها البالغ في مستقبل حياة الأمة .
- كما ان لها متاعبها الخاصة بها . فقد عاشت الأمة الإسلامية فترة
- سبات طويلة استغرقت مرحلة طويلة من عمرها ، ثم استيقظت على
- شكل جماعات واقطار وشعوب واحدة بعد الاخرى . وبدأت تفكر في
- وجودها ومستقبلها والاتجاه الذي عليها ان تسلكه فيما تسنقبل من
- حياتها ، وفترة الاختيار وتقرير المصير فترة دقيقة من حياة الأمة .
- تحمل الأمة مسؤوليات المستقبل في نفسها وفي الاجيال التي تليها .

وهي فترة شاقة ايضاً من حياة الامة ، اذا ارادت ان تكون واعية
لمسؤولياتها مدركة لوجودها ، لا تلتين ولا تخضع للاغراءات وللضغوط
التي تأتيها من يمين او يسار وذلك هو السر في صعوبة هذه المرحلة
من حياة الامة فان عليها ان تختار وجودها ومستقبلها وان تقرر
مصيرها ، وتتحمل بعد ذلك مسؤوليات هذا الاختيار بجميع ابعادها .
وليس من شك ان مثل هذا الاختيار على قدر كبير من المشقة .

فان لكل الحرية والحتميات الاجتماعية ، متاعبها وصعوباتها
الخاصة . الا ان الحرية تتعب الانسان اكثر مما ترهقه الحتميات
الاجتماعية التي تسلب الانسان خاصية الاختيار وتضطره الى نوع
خاص من السلوك .

وامتنا في هذه المرحلة مقدمة على الاختيار ، بعد ما ارهقها
الاستعمار طويلاً ، وأرغمها على الرضوخ والاستسلام حيناً طويلاً من
الدهر . فهي تنفض آثار الماضي عن نفسها بشجاعة وقوة كبيرتين
وتستجمع كل إرادتها وحريتها لتختار لنفسها الاتجاه الذي تسلكه
والمستقبل الذي تقررره .

فعلينا ان تكون واعية لثقل المسؤولية ودقة الموقف واهميته .
ونظرة شاملة على الموقف كافية لتعطينا صورة واضحة من دقة الموقف
وصعوبته . فهناك عروض كثيرة تنهال على هذه الامة من اليمين
واليسار تصحب بعضها اغراءات ووعود عريضة يسيل لها اللعاب ،
وتصحب بعضها ضغوط على أشكال مختلفة . ومن الصعب جداً ان
تدرك الامة في مثل هذا الظرف ما يجب عليها وما تفرضه عليها
مسؤولياتها المرهقة الكبيرة فلا تلتين لاغراء ، ولا تخضع لضغط تابع
للعاطفة ، ولا تستسلم لاختيار عجول ، وانما تختار عن وعي وادراك
موضوعي معمق شامل ويؤمنا ان بعض هذه الاقطار استسلمت لمثل
هذا الاختيار العجول ، في نشوة الحرية وغيوبة عن وعي الامة ،
وكان الاتجاه مختلفاً نتيجة اختلاف الضغوط والاغراءات المنطقية منها
من مال نحو اليمين ومنها من استسلم لليساار ، ومنها من اضطرته
ظروفه الخاصة ان يمزج بين هذه وتلك .

ونحن نأمل باخلاص ونحرص على ان تفتح الامة عينها وتعي بعمق مسؤولياتها لتختار مصيرها ومستقبلها عن فهم وادراك موضوعي شامل .

وان يكون هذا الملتقى بعض انطلاقات هذا الوعي الشامل وان يكون الملتقى حريصا كل الحرص على اعطاء الفرصة الكافية لعلاج هذه القضية المصيرية في حياة الامة وانطلاقا من هذه القاعدة فسوف نطرح هنا مسألتين اثنتين لنحدد في ضوءهما الموقف الصحيح الذي ينبغي ان تفقه امتنا من قضية النظام والاتجاه . لا شك ان مسألة الاختيار للنظام والاتجاه الفكري والسلوكي مسألة عقيـدة ولا يمكن ان تملى العقيدة على الامة او على الفرد املاء وانما هي مسألة اختيار واقتناع . وهي كذلك من وجهة النظر الاسلامية أيضا والقرآن الكريم يصرح بذلك تصریحا لا يقبل التشكيك والتأويل حيث يقول تعالى : (لا اكراه في الدين) فلا يمكن ان يتم قبول الدين والاستسلام له عن (اكراه) وانما ينبغي ان يتم دائما عن عقيدة واقتناع والمنطلق الصحيح الاسلامي لهذه القضية ان الانسان عبد الله استخلفه على وجه الارض فلا يملك من أمر نفسه ، ولا ما استخلف عليه من الارض وما عليها من ثروات شيئا وانما هو مستخلف عليها يعمل فيها بما حدد الله تعالى له من منهج ، ليس له ان يعدل عنه الى منهج آخر أو طريقة أخرى في الحياة غير دين الله ومنهجه ولا يملك الا الرضوخ والاستسلام الكامل لدين الله اجمالا وتفصيلا دون ان يحسن له ان يضيف الى هذا الدين شيئا من عنده او ينقص منه ، ودون ان يحق له ان يحدد او ينحرف عن شريعة الله ودينه في قليل او كثير فهو لا يملك من أمر نفسه ، ولا ما يحيطه وما يتصرف فيه من الارض وما عليها شيئا وانما هو عبد خلقه الله على وجه الارض ورسم له المنهج والطريقة ، وضع له الدين الذي يحدد سلوكه وتصرفاته ، والحدود التي تضبط حركاته وأعماله .

الا ان ذلك لا يعني تصحيح اتجاه آخر غير اتجاه الرسالة والنظام الاسلامي وما ذكرنا صريح القرآن الذي لا لبس فيه . يقول تعالى : (واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
قال انى أعلم ما لا تعلمون (البقرة آية 30) .

(وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض
درجات ليلوكم فيما اتاكم) الانعام آية 165 .

ويقول تعالى : (إن الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين
القيم) يوسف آية 40 (يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر
كله لله) آل عمران آية 156 . (وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى
الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) ، القصص آية 70 .

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)
النساء آية 105 (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء
آية 65 .

(ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) المائدة آية 44
(ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون) المائدة آية 45 .
(ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) المائدة آية 47 .

فالحاكمة المطلقة فى حياة الانسان المسلم لله سبحانه وتعالى وحده
له الحكم وله الامر فى كل شيء من حياته وليس لاحد غيره سبحانه حتى
فى الحكم فى حياة الانسان بغير ما حكم الله وكل حكم دون حكم الله
تمرد وضلال وانحراف وكل حاكم بغير ما انزل الله طاغوت جبار وعلى
الانسان المسلم ان يستسلم فى رضوخ وطواعية وعن عقيدة واختيار
لمنهج الله ورسالته لا يحيد عنها ولا ينحرف عنها فى شيء ، فأمر
النظام والتشريع اذن خاص بالله سبحانه وتعالى قد استأثر أمره
لنفسه ليس لاحد ان يتدخل فى شأن من شؤونه أو يضيف عليه أو
ينقص عنه فى شيء وذلك هو المعنى الصحيح والدقيق للعبودية
والاستخلاف والمنطلق الاسلامى الصحيح لفهم موقف الانسان المسلم
من اختيار النظام الذى ينظم حياته والاتجاه الفكرى الذى يرتبط به ،
وبعض التأمل فى معنى العبودية والاستخلاف يكفى للجزم بهذه
الحقيقة والذين يشكون فى هذه الحقيقة ويترددون فيها لا يخلو حالهم

عن أحد امرين فهم اما ان لا يعترفوا لله بالعبودية واما انهم لم يفهموا بعمق معنى العبودية الشامل وما يستتبعه من رضوخ واستسلام له تعالى في كل شيء وكل شأن .

دراسة النظام :

والمسألة الاخرى التي ينبغي ان تستأثر بكثير من اهتمامنا هي القيام بدراسات واسعة في حقل التشريع والنظام الاسلامي الذي نرتبط به الامة ارتباطا عقائديا وحضاريا وتاريخيا وثيفا من أجل أن ندرك بوضوح وبعمق قيمة ما عندنا من تراث وفكر قبل ان نجيد الى يمين أو يسار في احضان الحضارات الشرقية والغربية .

وليس من شك ان دراسة النظام الاسلامي وتقييمه من أجل اختيار مسيح للحياة يأتي في الدور الثاني من المسألة المتقدمة فنحن كعبيد لا نملك حفا في اختيار نظام غير هذا النظام ومذهب وطريقة في الحياة غير هذا الدين ولا دخل لتقييم النظام في هذه المرحلة في مسألة اختيار النظام والاتجاه وانما بنطلق الموقف هنا في مسألة اختيار النظام والاتجاه من فهم موقفنا تجاه الله سبحانه وتعالى ، وهو موقف العبودية الذي يقتضى منا الرضوخ والاستسلام الكامل في كل أمر ونهى له تعالى، ولكن من الضروري بعد ان تفهمنا موقفنا من رسالة الله تعالى وشريعته انطلاقا من هذه النقطة ان نفهم ايضا طبيعة هذا النظام واصوله وخصائصه الفذة التي تجعله فوق كل نشرع وضعى ونظام وضعه الانسان ، وهنا في تفصيل المسألة الثانية نتناول نحن في هذه الدراسة بعض الملامح العامة والخصائص الكلية والاتجاهات العامة للنشريع الاسلامي وذلك تحقيقا لغرضين .

الاول اعطاء صورة مصغرة عن النظام والتشريع الاسلامي وخصائصه ومرونته واصالته في علاج المشاكل الانسانية ومقارنته بالقوانين الوضعية وهو أمر بالغ الاهمية في الظروف الاجتماعية والفكرية الحاضرة فان من الضروري أن يكون الجيل الصاعد الذي سوف يستلم زمام هذا المجتمع في الغد ان يكون على بينة من أمر دينه وان يفهم قيمة هذا التراث الفقهي الخالد الذي ارتبطت به أمتنا

أمدًا طويلًا من التاريخ ولا يزال على أوثق ارتباط واعمقه به رغم الهزات الحضارية العنيفة التي انتابت هذه الأمة في تاريخها المعاصر . والفائدة الثانية التي نجنيها من مثل هذه الدراسات انها توقفتنا على الاصول والمقاييس والخصائص الكلية والعامّة لهذا الدين . وهو بدوره يصحح لنا كثيرا من الاخطاء والانحسرافات التي يقع فيها الباحثون عن الفقه الاسلامي عن عمد احيانا وعن غير عمد .

فان الاعتماد الكلي على النص الشرعي دون ان يؤخذ بنظر الاعتبار روح هذه الشريعة واصولها ومقاييسها العامة يفسح المجال للتأويل والتلاعب بالنص الشرعي لنحميل النص الشرعي فروضا واحتمالات كثيرة قد تتنافى احيانا مع روح هذا الدين وخصائصه الاصلية اللصيقة به وقد استغلت هذه الناحية من النص الشرعي أسوأ استغلال في فترات من التاريخ الاسلامي على أيدي علماء كانوا يعملون شيئا في خدمة السلطات الحاكمة فكانوا يبررون لهم تصرفاتهم وأعمالهم المنافية للدين بالتصرف في الكلمة ودلالاتها وبالتلاعب في الجانب اللفظي من النص الشرعي مهملين روح النص والاساس الذي يقوم عليه . ولكن عندما تتحدد الاتجاهات والخصائص العامة لهذا الدين وتتضح معالمه واصوله بشكل فاطح فان فرص التلاعب بالنص الشرعي وتأويله وتحميله ما لا يتحمل من وجوه وافتراضات تقل أو تنعدم بشكل مطلق .

ولست أعني اغفال الجانب اللفظي من النص الشرعي ، فان الجانب اللفظي من النص ركن هام من أركان الاجتهاد والاستنباط ، ولكن الذي اعنيه ضرورة العناية الى جنب ذلك بالخصائص والاتجاهات العامة لهذا الدين لتسليط الاضواء الكاشفة على النص الشرعي ومحاولة فهم النص في ضوء من ذلك .

وفيما يلي نستعرض بعض الملامح والخصائص العامة للتشريع الاسلامي .

الواقعية والانسانية والايجابية في التشريع الاسلامي

صلاحية التشريع تقدر على قدر صلته بالواقع وعمق ادراكه لواقع العلاقات القائمة في الكون ومهما يكن واضح النظام اكثر لحاطة وعلمها

بواقع الكينونة الانسانية والعلاقات التي تربطه بالله وبالآخرين من الناس وبالأشياء يكن النظام أوفى بحاجات الانسان واقدر على وضع الحلول الصحيحة لمشاكل الانسان ولذلك فان النظام الصالح ينبع دائما من واقع الكينونة الفردية والاجتماعية للانسان .

وبعكس ذلك فان النظام الذي لا يتطابق مع الكينونة الانسانية لا يصلح لحياة الانسان ولا يفى بحاجاته ولا يتمكن من اعطاء حلول كافية لمشاكله .

وهذا التطابق التكويني التشريعي بين النظام التكويني للسكون والنظام التشريعي لحياة الانسان من أخص خصائص هذا الدين فان النظامين جميعا من صنع ووضع خالق وواضع واحد ، ولذلك فان التطابق بين النظامين يأتي على أتم صورة ومن ثم فان التشريع يتسم على أفضل شكل . وليس الامر كذلك في القوانين الوضعية التي تتم على يد الانسان فان الانسان لما كان لا يستطيع ان يحيط علما بكل الخصائص التي تتدخل في تكوين الكينونة الانسانية مهما أوتي من علم وخبرة فان النظام التشريعي يتخلف في كثير من الاحسوال عن النظام التكويني ، وذلك هو المتسبب في شقاء الانسان في ظل هذه الانظمة الوضعية التي يتدخل في وضعها انسان لا يعلم عن هذه الكينونة والعوامل والنوازع الكامنة فيها والعلاقات الدقيقة القائمة بينها وبين الكون . ولست بحاجة الى ايضاح ان الدراسات البشرية مهما اتسعت وأوغلت في هذا الكائن العجيب ادركت اكثر من ذي قبل عجزها في فهم دقائق هذا التكوين المعقد بما تضم من عوامل ونوازع عجيبة .

ومن ذلك يتضح ان التطابق بين النظامين التكويني والتشريعي من أخص خصائص رسالة الله ولا تتوفر هذه الصفة في مذهب من مذاهب الحياة كما تتوفر في شريعة الله ودينه نظرا لوحدة الخالق والمشرع فيهما ، والتطابق بين هذين النظامين يؤدي دائما الى استقرار الانسان وسعادته بينما يؤدي انفصال النظام التشريعي في حياة الانسان عن النظام التكويني للكون الى شقاء الانسان وقلقه .

والسبب في ذلك واضح فان النظام الشرعى حينما ينبع من النظام التكويني فان الانسان يركن الى هذا النظام ركونا طبيعيا في انسجام وائتلاف كامل ويتفاعل معه بصورة طبيعية ويعكس ذلك عندما يختلف النظام التشريعى عن التكويني فان الانسان في ظل مثل هذا النظام ينشق على نفسه وليس شىء ادعى الى شفاء الانسان وعدم استقراره من ذلك . وهناك سبب آخر في انحراف الفوانين الوضعية عن الواقع التكويني للانسان والكون وذلك ان الانسان يعح كثيرا عرضة لتأثيرات عاطفية وردود فعل قوية تحرفه عن النماس الواقع ودرك متطلباته وضروراته . وفي مثل هذه الظروف الذاتية التى تصادف كثيرا عمل التقنيين ووضع الانظمة يكون النظام مجايبا لواقع الكينونة الانسانية ومتطلبات هذه الكينونة ، وليس من السهل ان يتخلص المقنن أو الهيئات التقنينة من التأثيرات العاطفية او ردود الفعل القوية التى تملى عليهم صورا للنظام التشريعى يجافى واقع النظام التكويني ، الذى خلق الله تعالى الانسان والكون عليه . وكمثل على ذلك اذكر موقف القانون الوضعى الحديث من قضية المرأة ، ليلمس القارىء بنفسه كيف ينحرف النظام التشريعى عن النظام التكويني حين يتناول الانسان أمر النسرير ويخضع نظام الحياة لميوله الخاصة التى تأتى كثيرا نتيجة لحالات انفعالية خاصة تتناوب الانسان فردا ومجتمعا . فليس من مجال للشك فى ان تكوين المرأة يختلف عن تكوين الرجل فالمرأة كائنة تغلب عليها العاطفة والرجل كائن يغلب عليه العقل وفى المرأة لبن ونعومة وفى الرجل قوة وخشونة والمرأة تفتن الرجل والرجل يفتن بها .

ولأمر ما خلق الله الرجل والمرأة على شكل قطبين متقابلين فى حياة الانسان .

فقد خصص الله الرجل والمرأة لحقلين مختلفين من الحياة فخص الرجل بالحقل العامل الجاد فى الحياة الذى يتطلب صلابه وقوة وجدا وفضا من العقل والتدبير وخصص المرأة لحقل البيت والتربية الذى يتطلب لنا وسحرا وفضا من العاطفة . ولكن الانسان حول المرأة الى المبادى العاملة الكادحة فى الحياة فحرم البيت من ربته المدبرة

وحرَم الاطفال من حنان الام وعاطفتها وحرَم الرجل من اسـتقرار البيت وركونه وحرَم المرأة نفسها عن مؤهلاتها وكفاءاتها واقحمها في ميدان لم تخلق له .

ولست اعنى ان المرأة يجب ان تبغى عاطلة عن العمل والعلم ، كما يفهم البعض وانما اعنى ان تطور حياة المرأة المعاصرة كان ينبغى الا يؤدي الى اهمال الدور الذى خلقت المرأة من أجله .

ونظرة واحدة الى الحضارة المادية المعاصرة تكفى ليلمس الانسان بنفسه ابعاد الخط الذى يحدد كيان الاسرة واستقرارها من الحضارات الجاهلية الحديثة .

وليس من شك ان الانسان المعاصر عندما اندفع الى عزل المرأة عن بناء الاسرة واقحامها في ميادين لم تخلق لها المرأة ولم يكن يجهل الدور الذى خلقت المرأة من أجله ، والذى يؤهلها له تكوينها الخاص ولكنه تأتير الحالات الانفعالية وردود الفعل التى تنتاب الانسان فردا وجماعة ويصعب الانفلات منها . ويعكس الاتجاه المادى المعاصر فان الاتجاه الاسلامى فى التشريع يضع المرأة فى موضعها الخاص الذى يهيئها لإمكانياتها ومؤهلاتها وتكوينها الخاص ولا يعنى ذلك اطلاقا تعطيل المرأة عن العلم وعن العمل وعن الجد وعن الاسهام فى شؤون الحياة بل هو محاولة جادة لتنسيق موقع كل من الرجل والمرأة من الحياة والحيلولة عن حدوث ارتباك فى موقع كل من الجنسين من الحياة وانهدام كيان الاسرة او حدوث اختلال فى بناء الاسرة لا تستطيع الاسرة معها ان تستمر فى أداء دورها الخاص من حياة الانسان وعن هذا الطابع التكوينى فى الشريعة الاسلامية يتحدث القرآن الكريم فى وضوح وجلاء (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) الروم آية 30 .

فان الشريعة الاسلامية منهج للفترة فى صفاتها وخلوصها وسلامتها ومنهج للكينونة الانسانية فى علاقتها بالله وبالكون وبنفسه (فطرة الله التى فطر الناس عليها) .

وهذا المنهج الفذ ، يطبعه طابع من الثبات والدوام . وشأن كل نظام قائم فى الطبيعة لا يعترضه التغيير والتحوير ، ولا يتأثر بالاهواء

والميول ، (لا تبديل لخلق الله) ، وهذا الدين وحده بما له من طابع تكويني ثابت ، وبما فيه من مرونة الطبيعة ويسرها وجريها وتكاملها هو الذى يصلح ليقوم الانسان فى حياته، ويسعده ويرضيه ويريجه .
(ذلك الدين القيم) فلا يمكن ان يشذ هذا الدين عن الخط التكويني العام الذى رسمه الله تعالى للانسان ، ولا يمكن ان يفقد طابعه التكويني الفذ ، مهما كانت علاقات الظروف الاجتماعية ، ولا يمكن ان ينطلق فى معالجة قضايا الانسان ومشكلاته ، ومسائل الحياة الاجتماعية ومتطلباتها ، عن غير هذه القاعدة التكوينية الكبرى التى ينطلق منها دائما فى التشريع .

(2) تشريع انساني :

تكريم الاسلام للانسان بما هو انسان وبما خصه الله به من كرامة وما اودع فيه من قيم امر معروف .
فالانسان فى نظر الاسلام من اكرم خلق الله واعظمه قدرا عند الله :

(ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وقد سخر الله لهذا الانسان كل ما على الارض من بر وبحر وسخر له الشمس والقمر والليل والنهار . (وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريّا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه) .

فالانسان قمة ساطعة من قمم الوجود اكرمه الله تعالى وآتاه من القيم ، ما لم يؤت شيئا من خلقه الا القليل وقد سخر الله تعالى له هذه الارض وما فيها والشمس والقمر وجعل كل ذلك فى خدمة الانسان . ويعتبر الاسلام الانسان من اصل واحد من دون اختلاف بين كبير ووضيع ومسلم وغير مسلم ورقبيصق وحر فليس فى خلق الانسان من تفاوت بين الافراد وبين السلالات البشرية وانما

خلقهم الله تعالى من أصل واحد ، وخلق ذلك الاصل من تراب (يا ايها
الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منهما رجلا كثيرا ونساء) النساء (I) .

ويقول الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (كل
انسان اما أخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق) .

فليس هناك اختلاف في اصل الناس افرادا أو سسلالات
وانما خلقوا جميعا من اصل واحد وقد اكرم الله هذا الاصل ، وجعله
قمة ساطعة من قمم الوجود .

وانطلاقا من هذه القاعدة التشريعية فقد عمم الاسلام اعمال الخير
والبر والقسط على الناس جميعا دون أن يخص ذلك بالمسلمين فقط من
بين الناس وابعح للمسلمين ان يبروا غيرهم وان يقسطوا اليهم من غير
حرج .

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم
من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين، انما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم ،
وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)
(المتحنة آية 8-9) .

فليس من بأس على المسلمين ان يحسنوا الى الذين لم يسلموا وان
يقسطوا اليهم ويعدلوا معهم والله يحب المقسطين .

والطائفة الوحيدة التي تستثنيها الآية الكريمة من هذا التعميم هم
اولئك الذين يناوئون المسلمين ويقاثلونهم ويخرجونهم من ديارهم
فيحرم على المسلمين برهم والاحسان اليهم وتوليهم : (ومن يتولهم
فأولئك هم الظالمون) فليس من حرج على المسلمين اذن في ان يتعاونوا
مع المجتمع الانساني الكبير ويتبادلوا معهم البر والقسط في كل
مجالات الحياة في الثقافة والصحة والتجارة والخبرات الانسانية . وان
يمدوهم بالامدادات الضرورية حين تلم بهم بعض كوارث الدهر ، وان
يعقدوا معهم معاهدات صداقة وتعاون وذلك يدل على نظرة انسانية
رحبة في التشريع الاسلامي تتسع للناس جميعا من دون تفرقة بين
دين وآخر وأمة واخرى في مجال التعاون الانساني .

اللهم الا أن يكون التعاون والتبادل في الشؤون الانسانية سبيلا
للكافر في النفوذ الى بلاد المسلمين واستعمار بلاد المسلمين وان تنوى
أمة ما التسلل الى بلاد المسلمين فيحرم التعاون معها مادام ذلك يؤدي
على المؤمنين .

(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) (النساء آية 141)

وبهذه النظرة الانسانية الرحبة يحاول التشريع الاسلامي ان يدفع
الكتلة الاسلامية على وجه الارض الى التعاون مع المجتمع الانساني
الكبير عسى ان تذوب الخلافات التي تمنع عن وجود علاقات وتفاهم
انساني بين المسلمين وأمم الارض جميعا (عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم)
(المتحنة آية 6) على ان تكون الامة الاسلامية في هذه العلاقات هي
الطرف المؤثر الفاعل أما حين ما يتقلب الموقف فنكون الامة الاسلامية
هي الطرف المنفعل والمتأثر فقد سبق انه سبيل على المجتمع الاسلامي
(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) .

(3) تشريع ايجابي :

وللإسلام موقف محدد من كل قضايا الانسان ومسألة الموقف
واللاموقف أمر جوهري في صلاحية النظام للبقاء والاستمرار .
فان النظام حيث يتصف باللاموقف في مسألة أو مشكلة من مشاكل
الحياة فان نوعا من الارتباك والقلق يطبع النظام والحياة معا لا يصلح
معه النظام لتنسيق حياة الانسان والفقهاء الاسلامي بما يملك من ثروة
تشريعية بضع مواقف محددة لكل المسائل التي تعترض حياة الانسان
في دقة ووضوح .

والمهم في هذه المواقف انها تنصف بالايجابية ولم يعهد في
التشريع موقف سلبي ازاء مسألة من المسائل حتى فيما لو كان الموقف
يتصف بسلبية صورة فان جوهر الموقف ومحتواه ايجابي على كل
حال . فالمقاطعة مثلا موقف اسلامي ازاء الاشخاص الخارجين على
الاعراف الاسلامية وازاء الاشخاص الذين يرتكبون خيانة ما في
قضايا الامة وهو موقف سلبي شكلا . ولكن جوهر الموقف ايجابي
فهو ننطوي على شجب عملي للخروج على اعراف الامة ولارتكاب الخيانة

ومحاولة لتأديب الحائنين وردعهم من ممارسة الحياة أو المنكر من جديد واعطاء العبر للآخرين وليس في الاسلام موقف يتمخض في السلبية والانهازامية مهما كانت المشكلة التي يحدد الاسلام موقفه منها ولم يعهد في هذه الشريعة موقف انطوائى ازاء مشكلة من المشاكل البشرية فردية واجتماعية واذا كانت هناك مواقف انهازامية وسلبية تجاه المشاكل الاجتماعية بين المسلمين فهو حصيلة سوء فهمهم للعالم هذا الدين وأصوله . فالتقوى مثلا ، موقف اسلامى تجاه الانحرافات الفردية والاجتماعية وما اكثر ما يساء فهم هذا الموقف الاسلامى ويعطى تفسيراً سلبياً محضاً فيحسب الناس ان التقوى هى الفرار عن الانم والانهازام عن المغربات والمنيرات والانغلاق على النفس والذى يتردد على اوساط غير محافظة ويتصل بشكل او بآخر بمجتمعات يغلب عليها طابع الانحراف فهو لا محالة يعرض نفسه لخطر الانزلاق والانحراف .

ولكى يسلم من هذا الخطر ينبغى له ان يجنب نفسه مخاطر الاحتكاك والانصال ببيئات فاسدة من مثل هذه البيئات . ولست اريد ان اناقش كثيراً فى الجانب السلبى من هذا التفسير ولكن احب ان اقول ان التقوى فى التفسير الاسلامى للكلمة ليست محضاً فى السلبية كما يتصور البعض وانما هى على نصيب كبير من الايجابية فان حقيقة التقوى اسس هو الانهازام والنوارى عن الانحراف والمنكر وانما هى مهاجمة المنكرات ومكافحتها فى داخل النفس وفى نطاق المجتمع ، ففى داخل النفس لا تتحقق التقوى بنمويت الغرائز والنوازع النفسية انما تتحقق بمكافحة التمرد فيها على سلطان الارادة ومحاولة تجديدها وتعديلها وفى نطاق المجتمع لا تتحقق التقوى بالانطواء على النفس والانهازام من المنكرات وانما يتم بالتصدى لها ومكافحتها وقد يكون الابتعاد عن المنكرات لسلامة الفرد من عدوى المنكر وتأثيره ولكن السلامة الحقيقية للفرد والمجتمع عن عدوى المنكر وتأثيره لا يأتى الا بمقاومة المنكر بالذات ومكافحته ولكي يقى الفرد او المجتمع نفسه عن الانحراف والمنكر لا يكفى ان يتوارى عن المنكر ويتغلق على نفسه وانما ينبغى ان يخطط للقضاء على المنكر من الجذور وهو أفضل طريقة للتوقى عن المنكرات واسمى مراحل التقوى . والتقوى مثل واحد من

أمثلة متعددة على الاتجاه الايجابي من مواقف هذا الدين في حياة الانسان ومشاكله الفردية والاجتماعية . وليس من موقف في التشريع الاسلامي يتصف بالسلبية المحضة شكلا ومضمونا وهو خاصة فريدة من خصائص هذا الدين .

التشريع الوسيط

قلما يتفق أن يخلص الانسان في تفكيره وميوله عن التطرف افراطا وتفریطا والسر في ذلك ان الانسان يميل الى المغالاة فيما يحب ويتحكم في تفكيره وردود الافعال القوية فيما يكره . فهو بين هذا وذاك يميل مرة ميلا قويا الى اليمين الى حد الافراط ويميل اخرى الى اليسار الى حد التفریط ونتيجة هذا الافراط والتفریط في الميول والاتجاهات الانسانية هو الانحراف عن الحق . ولا يختلف الانحراف ان يكون الى يمين أو يسار مادام في جوهره شيئا واحدا دائما وهو الميل عن الحق والواقع . وكما ان التطرف والميل امر طبيعي في تفكير الانسان وميوله فان الاعتدال والتوسط امر طبيعي أيضا في التشريع . والميل والتطرف في التفكير يؤدي الى رد فعل مقابل للاول يعاكسه في الاتجاه ويساويه في الانحراف وهو بدوره يؤدي الى الاتجاه المقابل، وكذلك تتردد الاتجاهات الوضعية في التفكير الانساني بين نقاط متطرفة ومتقابلة .

فان التشريع من وضع من خلق الانسان ويعلم كل صغيرة وكبيرة فيه وكل العوامل المؤثرة في تكوينه فلا يمكن ان يتطرف التشريع الى يمين أو يسار او يخرج عن حالة الاعتدال والتوسط في الحلول التي يقدمها لمسائل حياة الانسان فردا ومجتعا .

والى هذه الخاصة الفريدة في التشريع الاسلامي يفسر القرآن الكريم حيث يقول: (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وفيما يلي نستعرض الشواهد على صلة الاعتدال والتوسط في هذا الدين ليلمس القارئ بنفسه ابعاد هذه الظاهرة في التشريع بوضوح أكثر .

بين الانظمة الفردية والانظمة الاجتماعية :

تنزع الاتجاهات الوضعية البشرية الى اتجاهين متعاكسين في تنظيم

حياة الانسان وتنسيق حركاته وفعالياته : نزعة فردية واخرى اجتماعية تغطي الصفة الفردية في النزعة الاولى على الخصائص الاجتماعية للانسان وفي النزعة الثانية تغطي الصفة الاجتماعية على الخصائص الفردية للانسان .

فتميل النزعة الاولى في التفكير الانساني الى تجريد الانسان من صفاته الاجتماعية تقريبا والتأكيد على الجوانب الفردية في شخصيته وفي مثل هذا المجتمع تغطي الحرية الفردية على اي جانب آخر من شخصية الفرد في المجتمع فيسمح المجتمع للفرد ان يمارس حرياته الفردية في نطاق واسع جدا بينما بهمل جانبا كبيرا من المسؤوليات الاجتماعية التي يتحملها الفرد بالنسبة الى المجتمع وفي مثل هذا المجتمع تأخذ الحرية صفة فردية محضة وتخرج عن دورها الانساني العام لتكون في احتكار قلة من الافراد تسمح لهم امكانياتهم الواسعة بممارسة حقهم في الحرية على صعيد واسع بينما تضطر الاكثرية ان تخضع في حياتها لما تمليه عليها هذه القلة المترفة من المجتمع نظرا لعدم توفر القدرة المالية والاجتماعية الكافية لديهم في ممارسة الحرية .

فان الحرية وان كانت نظريا موزعة على كافة قطاعات الشعب توزيعا واحدا بعدالة وعلى حد سواء الا أن الحرية في مجال الممارسة العملية ترتبط ارتباطا مباشرا بالقدرة التنفيذية للفرد او المجتمع ، وحيث تضعف هذه القدرة او تتقدم لدى طبقة من المجتمع فان ذلك ينعكس بصورة مباشرة على قدرتها في ممارسة حقها في الحرية .

وبناء على ذلك فان الحرية الفردية في مثل هذا المجتمع تكون من نصيب فئة قليلة تتوفر لديها الامكانيات الكافية لممارسة الحرية بينما تفقد الاكثرية فرص الاختيار الحر والممارسة الحرة وتضطر ان تخضع لما تملي عليها هذه الاقلية من شروط في حياتها العادية . وهذه الظاهرة من ابرز خصائص المجتمعات الرأسمالية .

ففي هذه المجتمعات تغطي الناحية الفردية من شخصية الانسان على النواحي الاجتماعية من شخصيته وتغطي الحرية الفردية على

المسؤوليات الاجتماعية التي يحملها الفرد تجاه المجتمع وتنحصر هذه الحرية في نطاق ضيق جدا لا يتجاوز القلة المترفة من المجتمع بينما تبقى الاكثوية الساحقة من المجتمع مضطرة لقبول ما يملى عليها من شروط وفروض .

وفي الانجاء المقابل لذلك ينزع المعسكر الانساني الآخر الى تجريد الانسان تقريبا من الصفة الفردية لشخصيته واسباغ الصفة الاجتماعية عليه بأكثر من الحد المعقول الذي تتطلبه طبيعة تكوينه الاجتماعي فتطغى صفة المسؤولية الاجتماعية في مثل هذا المجتمع على صفة الحرية فتتسع وتتصاعد الى مسنوى المسؤوليات الاجتماعية في حياة الافراد بينما تنقلص الحريات الفردية الى حد بعيد جدا او تنعدم رأسا وتكون الدولة بوجودها الاجتماعي كل شيء في حياة المجتمع ولا يكون للافراد أي حق في تقرير مصبرهم او ممارسة اي مستوى من مستويات الحرية الفردية .

وهو اتجاه معاكس للاتجاه الاول تماما تعطى الصفة الاجتماعية للانسان الاولوية على الناحية الفردية فيه . واذا كان الاتجاه الاول يقضى على الناحية الاجتماعية من شخصية الانسان ويحدد شخصية الانسان في الجوانب الفردية من تكوينه فان الاتجاه الثاني يقضى على استقلالية الفرد وحرية وتكوينه الفردي . ولذلك فان هذين الاتجاهين متكافئان في حجب جزء من شخصية الانسان واقصائه عن مجالاته الطبيعية في الحياة وان كانا متعاكسين في الاتجاه ولكل من هذين الاتجاهين نظام اجتماعي يواكبه وينبع عنه ويبنى عليه في اصول تنظيم المجتمع وقواعد بناء المجتمع وتنسيقه .

الاتجاه الثالث الوسط : ولا يحتاج الى مؤونة بحث لكي نكتشف ملامح التطرف في هذين الاتجاهين عن واقع كينونة الانسان وطبيعته الفردية الاجتماعية المزدوجة فبالنظرة الاولى يلمس الانسان ملامح التطرف يمينا ويسارا في كل من النظامين المتقدمين ويلمس ان كلا من هذين الاتجاهين جاء نتيجة لمغالاة متطرفة في التفكير او رد فعل قوى في الجهة المقابلة وفي مقابل هذين الاتجاهين نجد ان الاتجاه الاسلامي يدرك بعمق وفي توازن واعتدال هاتين الناحيتين معا في كينونة

الانسان ويبنى النظام على اساس من المحافظة على هذين الجانبين معا دون ان يفرط باحدهما على حساب الآخر او يغالى فى اعتبار واحد منهما والتأكيد عليه على حساب الطرف الآخر . فهو يدرك ان شخصية الانسان مزيجة من خصائص فردية وأخرى اجتماعية تتكافأان وتتوازنان فى اعتدال وتوازن، والنظام الصالح هو الذى يأخذ بنظر الاعتبار لهاتين الناحيتين معا متكافئتين ومتوازيتين . وعلى اساس من هذا الدرك الشامل المعتمد لشخصية الانسان وتكوينه بضع الاسلام نظامه التشريعى فى بناء المجتمع الانسانى وتنسيقه فهو يسمح للفرد بممارسته حقه الطبيعى فى الحرية الفردية وتقرير المصير والعقود والمعاملات بمختلف أقسامها وفى الملكية الفردية ، وفى اختيار العمل والسكن وابداء الراى ، وفيما يريد ان يمارس من نشاط على أن لا يخرج عن حدود القانون ولا يفرط فى أمن المجتمع وسلامته ويسمح له بمعارضة الدولة ومناقشة الحكام ومؤاخذتهم فى الاخطاء والانحرافات ومحاسبة المسؤولين على تصرفاتهم بدقة وقسوة ايضا فيما لو كان محقا فى المحاسبة والمعارضة. وقد كانت التربية الاسلامية تتغلغل فى نفوس الافراد حتى كاد الفرد من عامة الناس ان يقف على قدميه فى حشد كبير من الناس ليعترض على خليفة المسلمين وامامهم فى جراءة وقسوة ايضا ولا يملك الخليفة امامه-ولو كان محقا فى المحاسبة والاعتراض- الا ان يحضه للحق ويعدل عن سلوكه ويواكب هذا الاهتمام بالناحية الفردية من شخصية الانسان اهتمام بالجانب الاجتماعى من شخصية الانسان بنفس الدرجة من القوة والتأكيد بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر .

فيضع التشريع الاسلامى قواعد المجتمع الاسلامى على أساس من تعميم المسؤولية الاجتماعية على أوسع نطاق لا يكاد يناله التفكير الانسانى والاتجاهات الوضعية البشرية مهما امعنت فى درك الانسان واتسعت فى تقديم الحلول والانظمة لحياة الانسان .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وهذا المستوى من تعميم المسؤولية الاجتماعية يكاد يكون فوق درك الانسان وفهمه فضلا عن أن يتأتى للانظمة الوضعية تشريعه

وتنفيذه في حياة الانسان وبصراحة يعتبر القرآن الكريم مقياس
الفضيلة في الامم مسؤولية (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)
(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله) (آل عمران - 110) .

فعلى قدر تحمل الامة لهذه المسؤولية الكبيرة تقدر قيمتها وفضلها .

الملكية بين الحق الفردي والحق الاجتماعي

والحديث عن البناء الفردي والبناء الاجتماعي للمجتمع يستتبع
الحديث عن موقع الملكية في هذين الاتجاهين بالذات . ففي المعسكر
الرأسمالي تغطي الصفة الفردية على الملكية وتمحصر الملكية في الحق
الفردي ، وتتجرد عن المسؤولية والحق الاجتماعي تقريبا .

وبعكس ذلك المعسكر الشيوعي حيث تغطي الصفة الاجتماعية
بالملكية على الصفة الفردية لها وتحاول الشيوعية ان تقضى على الصفة
الفردية للملكية بصورة نهائية وتمحصر الملكية في الحق والمسؤولية
الاجتماعية فلا تكون ثمة ملكية فردية بشكل مطلق .

فالصفة الغالبة على الملكية اذن في المجتمع الرأسمالي هو حق الفرد
في التصرف في أمواله على أي نحو يشاء وفي تنمية ثرواته بأية
صورة وعن أي طريق دون ان يحمل الرأسمالي مسؤولية نوازي هذا
الحق ولو بعض الشيء . بينما الاتجاه الشيوعي يعاكس هذا الاتجاه
بالتأميم فهو يلغى او يكاد ان يلغى حق الفرد في كل ملكية وتعتبر
الدولة صاحبة كل شيء وتجرد الملكية عن العلاقة الشخصية وتخصها
للمسؤولية الاجتماعية .

ولكل من هذين الاتجاهين تطرفاته وانحرافاتة الخاصة ففي الاتجاه
الاول تتحول مهمة رأس المال الى خدمة الفئة الخاصة التي تملك رأس
المال ولا يحمل رأس المال مسؤولية نجاة المجتمع والنتيجة الطبيعية
لمثل هذا الاتجاه هي تمركز رأس المال في الايدي القليلة المالكة لرأس
المال وحرمان الاكثرية الساحقة من نتائجه وفائدته رغم ان عملية
الانتاج تتم بمجهود الاكثرية العاملة في ميادين الانتاج وهو بدوره
يؤدي الى توسع الملكية الفردية والامكانيات المادية في طرق الاقلية
المستثمرة وتزايد الحرمان والفقر في جانب الاكثرية .

والى هذه الحقيفة يشير الامام امير المؤمنين عليه السلام فى هذه الكلمة القيمة : (ما رأيت نعمة موفورة الا وبجاسها حق مضيع) وفى الاتجاه الثانى حيث تنعدم الصفة الفردية للملكية فان الفرد لا يمكن ان يملك فى مثل هذا الاتجاه الدافع القوى للانتاج والابداع وتأثير النوازع الفردية فى تحركات الانسان واعماله امر لا يمكن اغفاله والتغاضى عنه وحيث سعدم عدالة الجهد والحراء وبتحكم قانون (من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته) ولا يعود عمل الانسان وانتاجه عليه بجزء عادل يوازى الجهد الذى بذله فى الانتاج فان دوافع الانتاج والابداع يحف الى حد كبير جدا يودى الى هبوط سريع فى مستوى الانتاج ولامر ما لم تسنطع الشيوعية العالمية لحد الآن فيما تحكم من اقطار من تنهيد هذا العانور سعبذا كاملا بل هى عادت نتراجع عن الخطوات الاولى التى انحدثنا بهذا الصدد الى حد ما واعترفت بالملكبة الفردبة فى نطاق أوسع مما كانت نعرف به سابقا رغم ان النظرية على الصعيد الفلسفى تؤمن بضرورة الغاء الملكبة بصورة نهائية ، وتمحض المال فى الخدمة والمسؤولية الاجتماعية .

وكذلك نجد ان الاتجاهين المعاصرين فى فهم الملكبة يتطرفان الى اتجاهين متعاكسين تماما . ويستتبعان نظامين على وحه الارض . يحملان مضاعفات الاخطاء التى ارتكبتها الانسان فى فهم الملكبة ودورها وفهم التكوين الانسانى والعوامل المؤثرة فيه ، على الصعيد النظرى .

الاتجاه الاسلامى فى الملكبة :

والاتجاه الاسلامى يفاير تماما الاتجاهين السابقين فى فهم الملكبة وفهم دورها فى حياة الانسان ويقع وسطا بين الاتجاهين المقدمين . وفى النظرية الاسلامبة تعتبر الملكبة مزاجا من الحق الفردى والمسؤولية الاجتماعية تتعادل وتتكافأ فيها كل من هاتين الصفتين فى توازن وانتظام فهى حق للفرد من دون ترديد بما فى هذه الكلمة من شمول وعمق ويحمى القانون الاسلامى هذا الحق حماية مطلقة ويعتبر التجاوز على هذا الحق غصبا وسرقة واعنداء يضمن المعتدى تبعات اعتدائه ويعطى للفرد حرية فى التصرف فى حقه فيما يريد فى نطاق القانون .

يقول صلى الله عليه وسلم (التاس مسلطون على أموالهم) وهو غاية في الاعراف بالملكية الفردية والى حنب ذلك تحمل الملكية صفة اجتماعية توازي الناحية الفردية فيها قسوة وشمولا وامتزج معها امتزاجا كاملا حتى لا تكاد يمكن تفكيك بعضها عن بعض الا على صعيد نظري خالص فيعتبر الاسلام الملكية مسؤولية اجتماعية في حق المالك لا يجوز له ان يعرط فيها في شيء أو في حال فهو لا يملك من المال بالمعنى الدقيق الا الخلافة على هذا المال ليصرفه في ما يريد الله تعالى، فان هذا المال وكل شيء آخر في الكون لله تعالى ، والانسان لا يتجاوز دوره ان يكون خليفة لله على هذا المال لينفذ فيه منهج الله ونظامه في امانة ودقة ، شأن كل خلافة و امانة ومن منهج الله ان يحضر هذا المال في مرحلة الانتاج عن طرق خاصة لا تؤدي الى اضرار على المجتمع وان يصرف جزء كبير من هذا المال على المحتج ومراقبه وامنه وسلامته وثقافته وقوته .

يقول تعالى : (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) فهو مال الله يجب على الفرد ان يصرفه فيما يأمره الله من خدمة اجتماعية ومنعه عما لا يرضى به الله مما يؤدي الى الحاق اضرار بالامة .
ويقول تعالى : (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (الحديد- ٢٧) فليس الاتفاق اذن من مال للفرد او ملك له فلا يملك الفرد شيئا تحت يديه ، وانما هو مستخلف على ما في يده .
ليضعه فيما يأمره الله في خدمة المجتمع ومنعه عما يمنعه الله من موارد الاضرار بالمجتمع واصرح من هذا وذاك في دور المال الاجتماعي قوله تعالى في أموال السفهاء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما) سورة النساء، الآية 4 .

فان المفروض في هذه الاموال انها للسفهاء، الا ان الآية الكريمة تضيف هذه الاموال الى المجتمع مباشرة (أموالكم) وليس أموالهم ثم تأمر الامة ان تتولى هي مهمة تدبير هذه الاموال وتنميتها وتوظيفها في السوق والانتاج فان هذه الاموال قوام لحياة المجتمع ولا يجوز ان تسمح الامة لاحد ان يعرط في هذه الاموال ويبذرهما او يهدرها فيما لا تعود على المجتمع بنفع على ان هذه الاموال لا تفقد بعد صفتها الفردية

الخاصة في النظرية الاسلامية فهي أموال للسعفاء على كل حال ولكن دون ان يملك السعفاء التفريط في هذه الاموال وتبذيرها واهدائها فيما لا ينفع المجتمع فالنظرية الاسلامية اذن تعطي الملكية صفة اجتماعية وتحملها مسؤولية اجتماعية شاقة في حين نحفظ لها طابعها وشكلها الفردي .

فلا يجوز ان يفرط في ماله في اسراف او تبذير ولا يجوز له ان ينمي أمواله عن طريق غير مشروعة تلحق الضرر بالمجتمع كالربا والاحتكار ولا يجوز له ان يمنع الجزء المخصص من هذه الاموال للفقراء ولحاجات المجتمع ومرافقه عن المورد الذي خصصه الله تعالى له في حال ، ولا يجوز له ان يمنع هذا المال عن التوظيف في الانتاج وفي الاسواق وتشغيل الايدي العاملة كما لا يجوز له كنز هذا المال وحبسه عن حاجات الامة وضروراتها . (والذين بكنزوا الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لانفسكم، فذوقوا ما كنتم تكنزون) (التوبة 34 - 35) ومما تقدم يتلخص ان الملكية في الاسلام مزاج من الحق الفردي والمسؤولية الاجتماعية تتكافأ فيها هاتان الناحيتان في تعادل وتوازن فلا تغطي الصفة الفردية للملكية على صفتها الاجتماعية ولا تغطي الصفة الاجتماعية فيها على الصفة الفردية .

وذلك دائما من خصائص هذا الدين فهو الشريعة الوسطى التي لا تتطرف الى يمين او يسار ولا تخرج عن حالة الاعتدال والتوسط وهذه بعض الملامح العامة للفقهاء الاسلامي، استعرضناها بصورة موجزة علنا نستطيع ان نلمس في وضوح استقلالية الفقه الاسلامي في تشريعائه وأحكامه عن القوانين الوضعية البشرية وغنى هذا الفقه وامكانياته الحسنة في تنسيق حياة الانسان ، وذلك في مقابلة التطرفات ونقاط الضعف البشرية في القوانين الموضوعية من قبل الناس، وأنى لقابون يضعه انسان ضعيف ان يوازي نظاما يضعه رب السماوات والارضين ورب هذا الانسان ؟ !

جامعة الشعوب الإسلامية

للدكتور محمود دياب
محافظة - جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

أصيبت الامم الاسلامية بعد حرق المسجد الاقصى بصدمة عصبية
قوية .

ولقد قامت على اثر ذلك المظاهرات في جميع البلاد الاسلامية
 واجتمع رؤساء الدول الاسلامية في مؤتمر قمة اسلامي انتهى الى
قرارات تعرفونها جميعا لم تصل الى مستوى ما تنشده جماهير
الشعوب الاسلامية ، فلقد كنا ننتظر ادانة اسرائيل بحرق المسجد
الاقصى وسحب قرار اعتراف أي دولة اسلامية باسرائيل .

ولقد تجرأ موسى ديان بعد ذلك وذهب مع كبار قواد جيشه الى
المسجد الاقصى وفتح الباب الغربي للمسجد الاقصى ثم ذهب الى

المجلس الاسلامى واخذ جميع مفاتيح المسجد الاقصى وفتح جميع
أبوابه لغير المسلمين .

وكل ذلك حدث لسبب واضح هو تفكك البلاد الاسلامية وان اكرر
العبر مرارة فيما يحدث هو ان ما يجرى فى معظم البلاد الاسلامية
يحمل فى ثناياه الكثير من الاسباب التى ادت بنا الى هذا المصير
المحزن .

وحالنا السيئة اذا استمرت على ما هى عليه ستؤدى بنا الى هزائم
جديدة .

هل يكفى ان نقول اننا اخطأنا أم نقول اننا اخطأنا وابتدأنا العمل
بعد دراسة اخطائنا وعلاجها؟

ما هى الخطة المدروسة الواجبة التنفيذ بالرغم مما يحيط بنا من
ظلام؟

ما هى الخطة التى تقابل بها قوى عالمية غاشمة لا تعرف الرحمة
بالاسلام؟

ما هو العمل البناء الجاد البعيد عن الانانية وعن التعصب وعن
الغطرسة للوصول بالامة الاسلامية الى الخير . هذه الامة الاسلامية
التي ينجه جميع افرادها بوجدانهم من أقصى المشرق الى أقصى المغرب
الى قبلة واحدة بمكة المكرمة فى كل وقت للصلاة هؤلاء الذين يتجهون
فى اتجاه واحد خاشعين لله الواحد الاحد الفرد الصمد لا يسجدون
لغيره من طغاة الارض فلقد رأوا بأعينهم مصير الطغاة عبر القرون بين
مشنوق ومحترق ومذبوح .

هذه الروح الدينية لو ارتبطت ببعضها ماذا يمكن ان تعمل؟ انها
ستعود بنا الى مجدنا الغابر حين هزمت الامة الاسلامية الصغيرة فى
عددها الكبيرة بأيمانها اكبر قوتين مجتمعتين فى ذلك الزمان
الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية .

وهذه الروح هى التى يمكن ان تحول المسلمين الذين يتقدون
عاطفة دينية من غير نشاط والذين يتشبثون بالماضى فى تفكيرهم
وعملهم الى قوة ناهضة صاعدة تستطيع ان تنسق طريقها وسط القضايا
المعاصرة ومشكلاتها .

ان العالم الاسلامى اليوم فى حاجة الى بناء مجتمع اسلامى تقدمى
يستطيع فيه الاسلام ان يعبر عن نفسه تعبيرا عمليا .

لقد عاش المجتمع الاسلامى فى القرنين الاول والثانى للهجرة قويا
متدفقا بالحوية والنشاط وصالحا للتقدم ولقد اقتطفت الحضارة
الاسلامية من ذخائر الحضارة الفارسية والحضارة الرومانية ما
يلائمها ولم تصب بالرق الفكرى الذى نتشاهده اليوم من الرق الفكرى
للغرب وحضارته وتقليده تقليدا أعمى والانسلاخ عن روحا الدنسة
وحضارتنا الاسلامية التى ملأت العالم يوما مهانة واحلالا لينا

والدين الاسلامى يطالب بالاخذ بجميع اسباب التقدم فى الحياة
والعلم .

ان أزمة العرب حادة وفى داخلها توجد حدة أزمة الاسلام والمسكلة
الكبرى هى ان هؤلاء الذين يعرفون الدين او يدعون معرفته قد فقدوا
الصلة بالحياة الحديثة .

وان هؤلاء الذين طوروا انفسهم ليعيشوا عيشة حديثة قد فقدوا
الصلة بالدين .

ما هى حفقة أغلب البلاد الاسلامية اليوم ؟

هى فى أغلبينها تشكو الفقر والمرض والجهل ولو قدمت حفيقة كل
بلد اسلامى من الناحية الاقتصادية والصحة والتعليم لهالنا الامر
واستبكتنا احزان .

واذا وجد تقدم اقتصادى نسبى فى بعض البلاد الاسلامية فليس
مرجعه للاسف الشديد انه نابع من نشاط ذاتى للشعوب الاسلامية
وانما هو نابع من نشاط الشركات التى تمنل الاحتكارات العالمية .

والآن بعد ان اجتاحتنا الموائب والكوارث من كل جانب حتى
وصلت الى احراق المسجد الاقصى أولى القبلتين على يد اليهود الذين
اطعمناهم من جوع وآماهم من خوف .

ماذا تنتظر هل تنتظر حتى يصلوا الى مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم ؟؟

يجب ان نواجه الحقائق بشجاعة وعلم واصلاح ما يمكن اصلاحه
باخلاص وصدق ببرنامج عملي مبنى على خطط وأهداف محددة بعيدة
عن الخيال ونعيش في الواقع ونعرف حقيقة التحديات المعاصرة
للاسلام وحقيقة المشاكل التي نعيش فيها وكيف نعالجها .

لقد فكرت طويلا في تاريخ الامة الاسلامية وتتبعنا الجامعة الاسلامية
منذ عهد جمال الدين الافغاني حتى الآن وفكرة الجامعة الاسلامية
فكرة عظيمة في حد ذاتها لو تحققت على الوجه الصحيح ولقد تبلغ
في الاخلاص المدى ولكننا لا نملك من الوسائل ولا من الظروف المحيطة
بكل بلد اسلامي ما يجعل في قدرتنا تحقيق هذا الامل الجميل ولقد
ظهرت فكرة التكنل الاسلامي يوما كبريق لامع ثم اتضح ان هناك
من يريد استغلال هذه الكتلة لجهات معينة .

ومعنى ذلك انها حركة تعمل لحساب هذه الجهات لا لحساب الاسلام
والمسلمين .

اذن وجب علينا ان نقوم بايجاد نوع من التعاون المشترك بين
البلاد الاسلامية كوسيلة للنهوض باحوالها الاقتصادية والاجتماعية
وكأداة لتحريرها مما تتعرض له من ألوان الضغط أو السيطرة من
الدول العظمى .

لذلك فكرت وفكر كثير من مفكري المسلمين في قيام جامعة الشعوب
الاسلامية .

ولقد أخذت فكرتها من الحج .

والحج هو المؤتمر الاسلامي الكبير الذي أوجب الله فيه على كل
قادر الذهاب الى الكعبة ليطوف بها ويسعى الى الله في رحابها وهو
فضلا عن انه عبادة خالصة لله يبتغى بها ثوابه ورضوانه فانه خير مؤتمر
لجمع شمل المسلمين ويمكن ان يكون مؤتمرا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا
وصحيا يجتمع فيه قادة المسلمين ورجال الفكر والرأى فيها والمجتهدون
في جميع نواحي المعرفة ويمكنهم ان يضعوا خطوطا عريضة لسياسة
بلادهم ونعاونها معا حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد وانه ليحسز
في قلبي ان تنطوى بعض البلاد الاسلامية تحت لواء جامعة الشعوب

البريطانية وينطوي البعض الآخر تحت لواء جامعة الشعوب الفرنسية
وها نحن نقدم لهم اليوم جامعة الشعوب الاسلامية لتكون لهم
حصنا ووقاء .

هناك تعاون شامل بين جماعات من اتباع الديانات الاخرى على
مهاجمة الاسلام والمسلمين وهذا يشمل ايضا هؤلاء الملحدين الذين
يعتقدون ان الدين خرافة .

والتاريخ السابق الطويل يدل على ذلك متملا فيما يلي .

(1) الحروب الصليبية .

(2) الاستعمار ومساعدته لبعض مثل الاتفاق الودي بين فرنسا
وانجلترا عام 1904 - مفاضة احتلال مصر باحتلال مراكش .

(3) الاتفاقات المستمرة بين المستعمرين على تمزيق البلاد الاسلامية
واحتلالها على مدى العصور .

(4) مساعدة انجلترا لهولندا الضعيفة في احتلال اندونيسيا .

ولما انحصر الاستعمار وأصبحت الدول الاسلامية مستقلة انصلت
بالدول الاستعمارية كعضو في الكومنولث تتبادل معها الدفاع
والتجارة وترك الاستعمار هذه البلاد في حالة من التأخر لا تقوم معها
منفردة الا بالمساعدة وقد تركت في نفوس المسلمين أثارا سيئة منها
ان دينهم رجعي وانه متخلف ولذلك نجد كثيرا من الحكومات الاسلامية
قد بعدت عن روح الدين الاولى روح النضحية والفداء والقيم ونشر
الدين .

(5) وجود اسرائيل وهي أعلى مراحل الاستعمار وتكوينها من مقر
لاجئين يهود الى تكوين مستعمرات يهودية الى وطن قومي لليهود
الى دولة يهودية ، ولقد ساعدت جميع امم العالم من الكتلة الشرفية
الى الكتلة الغربية في تكوينها وفي اعلانها ثم اصبحت الآن ربيبة
للاستعمار الغربي تكون منه نقطة ارتكاز للهجوم على البلاد العربية
والاسلامية كما حصل في سنة 1956 و 1967 .

ولسنا بصدد تسامح المسلمين في جميع العصور مع غيرهم من
الديانات فهذا ما يمكن ان نفرده له أبوابا وأبحاثا منذ عهد محمد عليه

السلام حتى الآن ولكننا بصدد تعاون جميع الغربيين في الحرب الصليبية واخرى العالمية الاولى ضد الاسلام ولم يتأخر الجنرال النبي ان يقول حين دخل القدس بواسطة العرب للاسف الشديد (الآن انتهت الحرب الصليبية) .

ولقد نكرر ذلك في دير ياسين من اليهود .

ونحن اليوم كما كنا في عهد جمال الدين الافغانى حينما نادى بالجامعة الاسلامية اننا لا نريد توحيد الحكومات وضمها جميعا الى حكومة واحدة ولكننا نريد اتحادا قلبيا من افراد الشعوب الاسلامية ، حتى لا تتدهور العلاقة بيننا كما هي الآن اذ ان حال المسلمين اليوم يتضح فى الآتى :

(1) تمزيق الباكستان .

(2) صراع بين اليمن الشمالية والجنوبية .

(3) ايران تحتل جزر الخليج العربى بعد ذهاب بريطانيا .

(4) العراق تحتل جزءا من الكويت وتنسحب لسبب أو لآخر .

(5) بلاد غرب افريقيا مزقتها الاستعمار قبل اعطائها الاستقلال وفرض عليها التخلف بالقوة وهى وان كانت تزيد فى عدد اعضاء الامم المتحدة الا انها للاسف لا تزيد شيئا فى القوة الحقيقية والثقل السياسى وأغليبتها مسلمة ولكن حكامها مسيحيون .

(6) شرق افريقيا تحتل الجبهة اريتريا ولقد وحدت الجبهة لغتها الى الامهرية والغت اللغة العربية وأعلنت انها ستوحد الدين فى بلادها أى يصبح مسيحيا فى مدى عشرين عاما .

واحتلت اسرائيل جزر اريتريا هدية من الجبهة .

(7) جنوب السودان اتفق السودان مع المبشرين يدل على قوتهم وانه ستتاح لهم الفرصة لأن ينصروا الجنوب ويمنعوا وصول الاسلام اليه .

(8) الفيليبين يذبح فيها المسلمون وتهدم فيها المساجد وقبرص يعمل بها مثل ما يعمل فى الفيليبين .

(9) القضاء على الفدائين الفلسطينيين فى الاردن ومحاولة القضاء عليهم فى لبنان .

10 (حوادث التصادم بين اندونيسيا وماليزيا .

ان الاسلام يحارب حربا لا هوادة فيها فى كل انحاء العالم . .
فالعالم التسويعى لا أثر فيه للاسلام الحقيقى ودعنا من مظاهر الدعاية
الشكلية التى تدعى وجود الاسلام به بالرغم من وجود مدارس الاحاد
فيه . والعالم الغربى هو الذى يغذى الحملات الصليبية ضدنا .

ان ما وصفته صورة سيئة واسوأ منها الحقيقة والتفاصيل .

والناظر اليوم الى خريطة العالم الاسلامى يجد ان الاجانب هم
الذين يغنون الحلاف بين الامم الاسلامية وهم الذين يستفيدون من
البغضاء بيننا بأخذ أى امتياز منا والعلاج السريع لهذه المحنة يبدأ
بالنوفيق بين الامم الاسلامية حتى تكف المطامع والدسائس عن بلادنا .

ولقد صدق جمال الدين الافغانى حين وصف المسلمين :

متحدين على الحلاف مختلفين على الانحاد مطاوعين للمستعمرين
والمستغلين جادين فى خدمتهم كأنها فريضة من فرائض الدين .
والآن كيف تكون جامعة الشعوب الاسلامية وما هو جهازها
التنظيمى .

1 (مؤنمر عام لجامعة الشعوب الاسلامية .

بتكون من جميع الاعضاء المنتسبين للفروع المختلفة فى جميع
البلاد الاسلامية التى قبلت قيام فرع للجامعة الاسلامية بها .

2 (المجلس العام :

يتكون من جميع الممثلين للفروع المختلفة فى البلاد الاسلامية .

3 (اللجنة التنفيذية للمؤنمر يحدد عددها المجلس العام وينتخبها

أعضاء المجلس من بينهم ويراعى فيها الكتل الاقليمية .

4 (رئيس منظمة المؤنمر ينتخبه المجلس العام .

ونائب رئيس المنظمة تنتخبه اللجنة التنفيذية .

5 (مكتب تنسيق المنظمة .

مهمته تنسيق الاعمال بين الاجهزة المركزية للمنظمة والاجهزة
المحلية للمنظمة ومنعا لما قد ينشأ فى أى تعارض مع قوانين أى دولة

يكتفى بخلق اطار عام لهذه الاجهزة تاركين لمنظمة الفروع المختلفة
تقرير الشكل الذي تراه مناسباً لبلدها .

وعلى اللجنة التنفيذية ان تقدم لنا دراسة عن :

(1) كيفية تمويل المؤتمر وما هي المصادر التي يمكن ان يعتمد
عليها في استمراره .

(2) دراسة اقتصاديات الدول الاسلامية .

(3) دراسة تطوير مختلف البلاد الاسلامية .

(4) دراسة احوال مختلف البلاد الاسلامية من جميع النواحي
الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية والصحية والاجتماعية .

وأول شيء نريده من جامعة الشعوب الاسلامية :

(1) دراسة الخلاف بين الامم الاسلامية .

(2) ايجاد الابواب على المستعمرين والمستغلين حتى تنقطع المطامع
التي تسول لهم العدوان على الامم الاسلامية .

(3) ايجاد الرسالة العلمية الدينية ورفع الحجر عن العقول باجازه
الاجتهاد لمن يقدر عليه وتفسير الآيات العلمية في القرآن الكريم
تفسيرا يطابق العلم الحديث .

(4) ايجاد نهضة علمية شاملة لان ضعف المسلمين السياسي انعكس
عليهم في صورة جهل فاضح .

(5) ايجاد لغة مشتركة هي لغة القرآن العربية بين البلاد الاسلامية
مع دراسة قادة الفكر الاسلامي والزعماء المصلحين .

وانى أرى ان الظروف مهيأة اليوم لجامعة الشعوب الاسلامية
للاسباب الآتية :

(1) جامعة الشعوب العربية تكاد تكون اليوم حقيقة واقعة وجامعة
الدول العربية بالرغم مما يقال فيها فهي تصلح نواة على شرط اعادة
النظر في جهازها وتكوينه بصورة ترتفع بها الى مستوى الاحداث
والمسؤوليات .

وإذا قدر للشعوب العربية ان تنتهج منهجا نحو تجميع شـمسـل المسلمين ، فاننا بذلك نكون قد وضعنا اللبنة الاولى في قيام الجامعة الاسلامية .

وفي دعوتنا للجامعة الاسلامية يجب ان نكون حذرين من الاتصال بأى اجنبي مهما كان نوعه في الشرق والغرب ، فالغرب يريد ضم المسلمين نحوه ضد الشيوعية بالرغم من انه اذلنا طول عمره .
والشيوعيون يريدون ان يضمونا الى الشيوعية ضد الغرب لانه كان يستعمرنا .

ولكننا نريد الجامعة الاسلامية الخالصة لوجه الله والخالصة لشعوب المسلمين والخالصة لخير الانسانية جمعاء .

(2) تحقيق الحريات في جميع بلاد المسلمين حتى تكون نواة للتضامن الاسلامى .

(3) ايجاد التعاون السليم بين مختلف البلاد الاسلامية للنهوض بأحوالها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والصحية .

(4) ايجاد المكاتب المختلفة في البلاد الاجنبية التى تدافع عن الاسلام ووجهة نظره في مختلف المشاكل التى تمس جميع البلاد الاسلامية .

(5) الدفاع عن فلسطين والمقدسات الاسلامية بها من المسجد الاقصى الى مسجد الخليل ابراهيم عليه السلام .

(6) الدفاع عن المسلمين المضطهدين في بعض الدول والعمل على كفالة حقوقهم التى قررها لهم ميثاق حقوق الانسان .

ويجب علينا الابتعاد عن السياسة المحلية لاي دولة . فانى أرى ان السياسة المحلية والاصطدام بها خطر يجب ان نتفاداه .

فلنتعاون مع مختلف الهيئات غير السياسية بعضها مع بعض وتعقد مؤتمرات يحدد فيها اساليب العمل ، وتتبادل الاساتذة والطلاب في الجامعات .

ولقد نالت معظم البلاد الاسلامية استقلالها اليوم وما أمامها الا ان تعمل والمطلوب اليوم القيام بما يلي :

1 (اجتماع المؤتمر الاسلامى فى كل عام فى مكة المكرمة ايام الحج
وقيام المتقنين المسلمين كل فى فرع تخصصه بتقديم ابحاثه الى
البلاد الاسلامية بلغاتها واللغة العربية .

2 (اجتماع المؤتمر الاسلامى فى عاصمة كل دولة اسلامية مرة
واحدة كل عام ويبدأ بالبلاد التى تقبل المبدأ حتى تشعر البلاد التى
لم تنضم الى المؤتمر انها لا شىء بجوار قوة الاسلام والمسلمين وستهرع
الىنا من تلقاء نفسها يوما من الايام .

3 (فروع للمؤتمر الاسلامى فى كل بلد اسلامى يزاول نشاطه
حسب خطة موضوعة .

4 (توحيد نشاط الهيئات الاسلامية فى كل بلد اسلامى او غير
اسلامى وايجاد رابطة بينهم للعمل الدائم فى خدمة الاسلام والمسلمين
والانسانية جمعاء .

**دفاع عن الشريعة الإسلامية وصلاحتها
لهذا العصر في ضوء الفلسفة والتاريخ والقانون**

**للمأستاذ أمين عبد الله القرفوري
المدير العام لرابطة العالم الإسلامي - المملكة العربية السعودية**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا أمة واحدة واحسدة « وان هذه امتكم أمة واحدة »
والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله الذي قال :
« من أتى ليفرق جماعتكم فاقتلوه » وعلى آله واصحابه الذين حققوا
لامتنا وحدتها ومن تبع هديه الخالد الى يوم الدين •

المقدمة :

أيها الاخوة في العقيدة والمسيرة والمصير ،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :
من قبلتكم ومهوى افئدتكم ،

من الارض التي ولد فيها نبيكم ، وانطلقت منها عقيدتكم ، وتكونت فيها أمتكم ، ونمت في ظلالها حضارتكم .

من مهبط الوحي ، ومزار الاسلام :

من أرض محمد و ابراهيم واسماعيل ، أرض العقيدة الرائدة ،
والخالدة والخلافة المثالية الراشدة ،

من أرض القرآن الذي أنزله الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فكان المنار الذي اضاء للانسان طريقه الى الحرية والحضارة .

من الارض التي انطلق منها اسلافكم الخالدون الصالحون الى العالم فحرروا الانسان من سيطرة الطواغيت ، واسر الطفلة ، وتأثير الاوهام والخرافات .

من الوطن الام لكل مسلم ،

من الارض التي شرفها الله ببيته الحرام ، وقبر نبيه الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومسجده الذي كان الجامعة الاولى التي تخرج فيها طليعة امتكم الخالدة ، وقادة الانسانية وبناة حضارتها المثالية الفريدة التي حققت التوازن الحقيقي والوحييد بين مطالب الجسد والروح ، وحقوق الجماعة والفرد ، وحمى الانسان - ايا كان دينه ولونه - من الطغيان والاستغلال .

من قاعدة الاسلام التي قال القس زويمر - كما جاء في كتاب الفكرة على العالم الاسلامي ص 247 ط 2 - انها لم تزل نذيرا للمسيحية ، وهو يعنى بالمسيحية هنا العالم المستعمر الذي يريد ان يظل في مركز القيادة الدائمة للعالم ويخشى ان يستعيد العالم الاسلامي مكانته السامية في العالم ويقود التحدى العالمى للاستعمار ، كما اعترف بذلك عدد من المفكرين الغربيين منهم المؤرخ البريطانى الكبير ارنولد توينبى في محاضراته التي القاها في عام 1952 م عن الاسلام والغرب والمستقبل وجاء فيها ما يأتى :

« صحيح ان الامكانية المدمرة للاسلام لا تظهر الآن حتمية الوقوع لأن الكلمة المؤثرة (الوحدة الاسلامية) والتي كانت دائما بعبع المسنعمين بدأت تفقد سيطرتها على عقول المسلمين» ثم يقول :«ان

الوحدة الاسلامية نائمة ولكن النائم قد يستيقظ واذا سبب الوضع
الدولى حربا عنصرية يمكن للاسلام ان يتحرك ليلعب دوره التاريخي
مرة أخرى وارجو - يقول توينبى - ان لا يتحقق ذلك ، .

ونحن جميعا بالطبع نرجو ان تتحقق عودة الاسلام الى مركز القيادة
فى العالم ليقود الانسانية مرة أخرى الى حضارة الايمان والعلم .
من قاعدة الاسلام التى ما تزال نذير خطر لاعداء العقيدة الخالدة . .
من مكة المكرمة .

جئت الى أرض الجهاد والاستشهاد والانتصار !

جئت الى الارض التى انتصر شعبها البطل - فى جهاده من أجل
الحرية - وغسل بدمائه الطاهرة التى ارتشفتها قمم الاوراس عار
الهزيمة التى حطمت كبرياءنا فى بلاط الشهداء ، بعد جهاد شاق
أثبت ان للانسان طاقات - ليس لها حدود - تصنع المستحيل حين
يريد ، وحين يصر على تنفيذ ما يريد .

أى بيان يصور عظمة الجهاد الذى هزم الاستعمار بكل قواه
ومؤيديه ؟

وأى بيان يصور روعة الامل الذى بدد ظلمات اليأس والتردد
وصنع لفجر الحرية الافق الكبير الذى اشرق منه ؟

هيئات ، لن ينقل هذه الصور الرائعة قلم ، ولن يصورها بيان . .

ولسوف تمر القرون اثر القرون ، والاجيال المتعاقبة تستمع - فى
اجلال واعجاب - الى اصداء الكفاح المجيد ، يوردها التاريخ ويخلد
بها المؤمن ، ويزهو بها الانسان !

وستمضى الايام ، ويبقى جهاد الجزائر الباسلة رمزا كبيرا لما يمكن
ان نحققه ارادة الانسان الحر من امجاد .

من مكة المكرمة :

جئت أحمل اليكم تحيات رابطة العالم الاسلامى التى يضم مجلسها
التأسيسى واحدا وخمسين عضوا يمثلون (50) دولة وأقلية اسلامية ،
عاهدوا الله - كما جاء فى ميثاق الرابطة - على « ان يؤدوا فريضة

الله عليهم بتبليغ رسالته ونشرها في جميع انحاء العالم » وان يؤكدوا
– من جديد – ايمانهم بانه لا سلام للعالم الا بتطبيق القواعد التي
ارساها الاسلام ، وان يدعو الامم عامة الى التسابق في ميدان العمل
لخير البشرية واسعادها ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين افرادها ،
وايجاد المجتمع الافضل ، وان بشهدوا الله على انهم لا يريدون
فسادا لأمر أحد ، ولا سيطرة على أحد ، ولا هيمنة على أحد .

وفي سبيل هزم الاهداف اعتمروا :

بذل قصارى جهدهم في توحيد كلمة المسلمين وازالة عوامل التفكك
المحيقة بالمجتمعات الاسلامية المنتشرة في بقاع العالم، وتذليل العقبات
التي تعترض انشاء جامعة العالم الاسلامي ، ومساندة كل من يدعو
الى الخير والهدى ، واستخدام جميع ما يملكونه من وسائل روحية
ومادية وأدبية لتحقيق ما يصبون اليه في مناقهم .

ان يوحدوا جهودهم لتحقيق هذه الاغراض بطريق ايجابي سليم
وان يطرحوا كل دعوى جاهلية قديمة منها وحديثة ، وان يعلنوا ان لا
شعبوية ولا عنصرية في الاسلام .

وانه ليسعدني ان أمثل مع الزميل الكاتب والشاعر السعودي
الكبير الاستاذ محمد سعيد العامودي رئيس تحرير مجلة الرابطة –
الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي في هذا الملتقى الثقافي السابع
الذي تنظمه الجزائر في الفترة من 10 الى 20 جمادى الثانية 1393 هـ
الموافق 10 الى 20 يوليو 1973 م في هذه المدينة الطيبة .

ويطيب لي ولزميلي ان نقدم الشكر صادقا وجزيلا بالنيابة عن معالي
الشيخ محمد صالح القزاز الامين العام للرابطة واصالة من شخصينا
– للاخ الكريم معالي السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصيل والشؤون
الدينية – على عنايته الكريمة بهذا الملتقى الثقافي الذي يستهدف
التعرف على الفكر الاسلامي ، وجعله في مجال الرؤية الواضحة
للباحثين عن الحقيقة ، ونرجو مخلصين ان يحقق هدفه الخير ، وان
يكون مرحلة مضيئة من مراحل تطور الفكر الاسلامي الحديث
ونصوجه .

ومع ايماني الصادق والعميق بان النقاط التي ستركز عليها البحث في المحاضرات والمناقشات وهي التي حددتها معالي الوزير السيد مولود قاسم في دعوته الى الملتقى - مع ايماني الصادق والعميق بان هذه النقاط جديرة بالبحث ، وخليقة بالعناية فقد رأيت - ولعل لم اخطيء في هذا الرأي - ان أحول النقطة الاولى من البحث عن روح الشريعة وواقع التشريع اليوم في العالم الاسلامي ، الى البحث عن الحقائق التي تؤكد ان الشريعة صالحة لهذا العصر ، وهي حقائق من القانون الوضعي نفسه ومن تاريخ التجارب الانسانية في الحكم عبر القديم والحديث .

وقد دفعني الى البحث عن هذه الحقائق عاملان :

الاول : ان واقع التشريع في أكثر الدول الاسلامية يدل بوضوح كامل على ارتباطه بالاسس التشريعية الاوروبية المناقضة للاسلام ، انطلاقا من ايمان رجال الحكم وكثير من رجال الفكر - في تلك الدول الاسلامية - بالمثل العليا للحضارة الغربية التي تحتم فصل الدين عن الدولة وتجعل الانسان سيد نفسه ، لا يخضع - في مجال التشريع - الا لارادته وحدها ، دون ان يقيم وزنا لمبادئ الدين والاخلاق ، بزعم ان المبادئ التي صلحت لعصر لا يمكن ان تصلح لعصر آخر يخلف عن سابقه بما حقق فيه الانسان من تطور ، وبما حدثت فيه من اقصية ومشكلات لم تعرف من قبل .

وهذا الواقع يدعو - بالحاح واصرار - الى دحض هذه الشبهة في ضوء حقائق من القانون الوضعي نفسه ، ومن تاريخ التجارب الانسانية في الحكم عبر الحاضر والماضي .

الثاني : ان وفدا من كبار رجال القانون في فرنسا زار المملكة العربية السعودية في شهر صفر من عام 1392 هـ الموافق مارس 1972 م واشترك في ندوة نظمتها وزارة العدل بناء على رغبته أثار فيها بعض النقاط الاساسية حول التشريع الاسلامي ، وكانت النقطة الاولى عن مدى صلاحية الشريعة لهذا العصر ونصها كما يأتي :

« ان تأكيد السيادة العلماء على كون دستورهم وقوانينهم في الشؤون المدنية والاجوال الشخصية تعتمد على القرآن الكريم فقط

كما انزل منذ اربعة عشر قرنا ، هو فى نظرنا شىء يستحق البحث والملاحظة لان الحياة فى تطور مع تطور الازمان وليس من المصلحة للاسلام فيما نرى بناء نظمه على القرآن فى جميع ما أشرنا اليه من الاحكام لأن ذلك قد يسىء الى القرآن نفسه مع تطور الحياة واختلاف الظروف ، .

ولقد أجاب الوفد السعودى الذى يمثل وزارة العدل على النقاط التى أثارها الوفد الحقوقى الفرنسى اجابة صريحة اكد فيها صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر ، فى ضوء حقائق علمية وواقعية بالاضافة الى الحقائق التى تضمنتها مذكرة المملكة العربية السعودية للهيئات الدولية المختصة حول شريعة حقوق الانسان فى الاسلام وهى المذكرة التى قدمت فيها المملكة تحفظات على بعض مواد الاعلان العالمى لحقوق الانسان التى تناقض احكام الاسلام مثل حرية الانسان فى تغيير دينه ، وزواج المسلمة بغير المسلم . وكانت المملكة - وما تزال - الدولة الاسلامية التى لم تجد أى حرج فى الاعلان عن تمسكها بشريعة الاسلام ورفضها للمبادئ المناقضة له .

ومع ان اجابة الوفد السعودى على النقاط التى أثارها الوفد الحقوقى الفرنسى تفتح الطريق الى الاقتناع الكامل بصلاحية الشريعة الخالدة لهذا العصر ، فان مجال البحث الرحب فى هذا الموضوع يتسع للمزيد من حقائق الاسلام الخالدة القادرة على اقناع الباحثين عن الحقيقة بان الشريعة الاسلامية صالحة لهذا العصر وقادرة على مواجهة التطور الانسانى فى كل العصور ، بما فيها من عوامل الكمال : وامكانيات الصلاح والبقاء فى كل زمان ومكان .

كما يتسع مجال البحث الرحب فى صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر ، للمزيد من حقائق الواقع ، ومنطق العقل ، الذى يمكن ان يثبت المسلم - فى ضوءه وحده - ان الشريعة افضل من القوانين الانسانية فى تحقيق المجتمع الافضل للانسان .

اننا نؤمن ايمانا صادقا وعميقا بان الشريعة الخالدة صالحة لهذا العصر ، ليس بحكم الايمان المطلق بها فحسب ، بل بحكم حقائق من العقل ، ومن تاريخ التجارب الانسانية فى الحكم .

وانطلاقاً من هذا الايمان الصادق والعميق نقدم الحقائق الآتية :

الحقيقة الاولى :

ان جميع القوانين والنظم الانسانية قد انبثقت عن العقائد الدينية وارتبطت بها ، وقد اكد هذه الحقيقة الخبير القانوني المعروف السير هنري مين بقوله : « لا يوجد منال واحد في القوانين التي تم تسجيلها من قانون الصين الى بيرو الا وكان ذا علاقة بالعبادات الدينية منذ بداية امره » كما نقل ذلك عنه الاستاذ وحيد الدين خان في كتابه القيم « الاسلام يتحدى » .

ويؤكد هذه الحقيقة تاريخ الفكر السياسي منذ اقدم العصور فقد كانت العقيدة الدينية هي المصدر الاول والوحيد للنظم السياسية والقانونية في الدول القديمة التي سبقت دول العالم الى ايجاد النظم السياسية وهي مصر واليونان والرومان ، وقد ذكر الدكتوران بطرس بطرس غالى ومحمود خيرى عيسى في كتابهما « المدخل فى علم السياسة » ان الفكر السياسي ارتبط بالفكرة الدينية من حيث المبدأ فى عصور الدولة القديمة فى مصر كما ذكرنا عن الفكر السياسي الاغريقي ما نصه :

« ولجميع دول المدينة نظم اجتماعية ودينية واحدة » - ص 65 - .
واكد هذه الحقيقة الفيلسوف البريطانى الراحل برتراند رسل فى كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود بقوله :

« ان الفكر اليونانى كانت تسوده الى عهد ارسطو روح الولاء الدينى والولاء الوطنى للمدينة التى يتبعها الفرد » - ص 8 .

ويؤكد هذه الحقيقة ان الزعيم الاسلامى الاستاذ علال الفاسى نقل فى كتابه « مقاصد الشريعة الاسلامية » عن كتاب « أصول تاريخ القانون » ان جماعة من العلماء الالمان والبريطانيين قاموا - فى القرن الماضى - بأبحاث لدراسة النظم القانونية لدى الشعوب القديمة ، وانتهت ابحاثهم الى نتيجة واحدة - مع انهم اختلفوا لها ميادين مختلفة - اذ تبين من هذه الدراسات المقارنة انه كانت توجد لدى

أغلب الجماعات القديمة احكام - قبل نشوء العرف - مصدرها العقيدة الدينية ، وان هذه الاحكام تحولت فيما بعد الى عرف بتكرار الحوادث. وقد ايد هذا الرأي العلامة سمبزمين في كتابه « القوانين » وغيره من مؤلفاته ، ونقل الاستاذ علال الفاسى عن الدكتور سليمان مرقس قوله : « وقد عرف الانسان الدين قبل ان يعرف القانون ، بل ان واعد القانون الاولى كانت فى بدء نشأتها قواعد دينية وكان القانون فى كل مجتمع ينشأ معتمدا على الدين ممتزجا به ، حتى ان رجال لدين كانوا هم أنفسهم رجال القانون » .

ويسند كثير من علماء الديانات المقارنة وعلماء الاجتماع - كما ذكر الاستاذ علال - الى التشابه الموجود فى نشأة القانون والعرف فى كل الجماعات البشرية ليؤكدوا ان المصدر واحد وهو الوحي الالهى الذى نزل على المصطفين الاخيار ليربوا المجتمعات البدائية بما يناسبها من حكمة وعلم .

ومما يؤكد انبثاق القوانين عن العقيدة الدينية وارتباطها بها ، ورفض الانسان المؤمن للقوانين الوضعية وجود نص فى الادب الاغريقى عالج موضوع الصراع بين الواجب تجاه القانون البشرى والواجب حيال القانون الالهى ، وأكد ان الانسان لا يستطيع ان يلغى قوانين السماء الخالدة التى لا تفنى .

وقد أشار الى هذا النص الاستاذ جورج سباين استاذ الفلسفة بجامعة كورنل الامريكى فى الجزء الاول من كتابه « تطور الفكر السياسى » وقرر انه بفضل المقارنة بين القانونين الالهى والوضعى وابرار الفارق بينهما ، فى النص المشار اليه ، اتسع المجال لنقد القواعد والنظم الوضعية ، ورفض الاثار التى تنتج عنها وأصبح هذا النقد يتجدد خلال تاريخ الفكر السياسى

ومن المؤكد ان من ابرز الادلة التى تؤكد ارتباط القوانين بالعقيدة الدينية ، الانر الكبير الذى تركته نظرية القانون الطبيعى كما صاغها المفكر الرومانى شيشرون فى الفكر الغربى منذ القرن الاول قبل الميلاد حتى القرن التاسع عشر كما قرر ذلك الاستاذ جورج سباين فى كتابه المشار اليه آنفا .

ويقرر شيشرون في نظريته « انه يوجد قانون ينبثق من واقع حكم العناية الالهية للعالم كله ، لا يجوز تعطيل احكامه بتشريعات من صنع البشر ، لانه ملزم لكل الناس في كل وقت ، فلن يكون للناس أبدا الا حاكم واحد هو الله متبرع هذا القانون والذي يعصى حكم هذا القانون من الناس خليف بان يقاسى شر العقوبات ولو نأى عن عواقب مخالفة التشريعات الوضعية » . - ص 24I ج 2 -

ويؤكد حقيقة انطلاق الفكر الانساني من القاعدة الايمانية الفيلسوف ان اوجست كونت يرى ان العقل الانساني مر بأدوار ثلاثة : دور الفلسفة الدينية ، ثم دور الفلسفة التجريدية ، ثم دور الفلسفة الواقعية ، ومع ان هذا الفيلسوف يعتبر الدور الواقعي للفلسفة هو آخر الاطوار واسماها ، وهو ما لا يقره اتجاه الفلسفة في هذا العصر ، فان الذي يهمننا من رأيه اعترافه بان الايمان هو المنطلق الاول للفكر الانساني .

ومما يؤكد هذه الحقيقة قول الفيلسوف هنري برجسون :
« لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم أو فنون ، وفلسفات ، ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة » .

الحقيقة الثانية

حين يرجع الباحث الى تاريخ الفكر السياسي في العالم يجد ان الامم لم تعرف مبدأ فصل الدين عن الدولة ، الا في بداية العصر الحديث ، وقد قال الفيلسوف البريطاني برتراند رسل وهو يتحدث عن تطور فكرة سيادة الولاة الديني في أوروبا ما نصه :

« ان سيادة الولاة الديني على الولاة السياسي ظلت قائمة وهي - الى حد ما - لا تزال قائمة » ، انتهى النص .

ولولا التآمر الصهيوني على العالم وعقائده الدينية لبقى تأثير الدين - في أوروبا نفسها - على كل القوانين ويؤكد هذه الحقيقة ديلان :

الاول : قول الفيلسوف هربرت مينسر « بعد الحركة الوطنية الفرنسية في عام 1789م اخذ المشرعون الاوروبيون في تجريد القوانين من كل حالة مساس بالدين والاخلاق والفضائل الانسانية ، فاقترنت

رسالة القانون على تنظيم علاقات الافراد وما يمس الامن ونظام الحكم».

الثانى : ان الحركة الفرنسية المشار اليها ليست الا مرحلة من مراحل التآمر الصهيونى على العالم ، ولقد اعترف بدور الصهيونية فى هذه الحركة مؤلفو كتاب « اليهودى العالمى » الذى أعده المليونير الأمريكى هنرى فورد وأصدره فى عام 1921 م فى أكثر من موضع ، كما نقل الاستاذ جنسين فى الجزء الاول من كتابه « مؤامرة فلسطين » اعترافين عن دور الصهيونية فى هذه الحركة اولهما من كتاب « مسؤولية العقبة » تأليف اللورد اوستاس بيرس ، وثانيهما من كتاب « حكم أسرة روتشيلد » تأليف الكونت كورتى الصادر فى عام 1928 م ، ومن قبل هذه الاعترافات نشرت مجلة اكاسيا الايطالية الماسونية فى عددها السنوى لعام 1904 م اعترافا بان الماسونية هي التى هيات لحركة عام 1789 م كما جاء فى كتاب « أسرار الماسونية » للجنرال التركى محمد جواد رفعت .

وفى ضوء هذين الدليلين القاطعين يتضح ان التآمر الصهيونى هو الذى حال دون استمرار تأثير العقيدة الدينية على القوانين الاوروبية ولولا هذا التآمر لبقى تأثير الدين - فى اوروبا نفسها - على كل القوانين .

الحقيقة الثالثة

ان القواعد العامة فى الشريعة الاسلامية لا تقبل التغيير ولا التبديل ، أما التطبيقات للاحكام التفصيلية على تلك القواعد العامة ، فانها قد تتغير فيها الاحكام تبعا لتغيرات المصالح والازمان ، كما جاء فى اجابة الجانب السعودى على اسئلة الوفد الحقيقى الاوروبى فى الندوة التى عقدت فى الرياض فى شهر صفر من عام 1392 هـ .

وان هذه القاعدة الاصولية الاسلامية هي التى انتهى اليها خبراء التشريع الغربى باقتناعهم بضرورة وجود عنصر فى التشريع يتمتع بالدوام والابدية ، مع عناصر تتصف بالمرونة ، وقد عبر عن هذا الاتجاه السليم القاضى الأمريكى كاردرورد بقوله : « من أهم ما يحتاج اليه التشريع اليوم ان نصوغ له فلسفة للتوفيق بين الرغبات

المثابرة حول ثبات عنصر وتغيير عنصر آخر» كما نقل ذلك عنه
الاستاذ وحيد الدين خان في كتابه «الاسلام يتحدى» .

وبذلك تكون الشريعة الاسلامية تتفق مع الاتجاه الصحيح للعقل
في مجال القانون ، كما تتفق معه في كل المجالات .
وان هذه القاعدة الاسلامية الاصولية تجعل الشريعة الاسلامية
قادرة على مواجهة المشكلات في كل العصور وحلها .

ومن قبل ان يتجه خبراء التشريع الغربي الى ضرورة وجود عناصر
تتمتع بالدوام والابدية في التشريع بجانب العناصر التي تتصف
بالمرونة ، عرفت الدول الاوروبية نظريتي الدستور الجامد والديستور
المرن ، والغاية من النظرية الاولى ، كما يقول الدكتور وايت ابراهيم
في كتابه (القانون الدستوري) : «ان لا يكون اساس النظم الحكومية
عرضة للتغيير في كل آن ، والغالب ان كل دستور مسطور يكون
جامدا ، وكل دستور غير مسطور يكون مرنا في الغالب » انتهى النص .
ومن المعروف ان الدساتير غير المسطورة نادرة جدا في العالم .

ومما يؤكد أهمية وجود عنصر يتمتع بالدوام والابدية في التشريع
ان الفقيه الفرنسي الكبير وجني اعتبر الحقائق التاريخية احسدى
الركائز التي يتكون منها جوهر القاعدة القانونية حيث رأى « انه لا
يمكن اغفال دور الحقائق التاريخية في تكوين القواعد القانونية اذ
انها تضيف عليها نوعا من الثبات والاستقرار واذا لم يكن من شأن
تلك الحقائق ان تعصم قواعد القانون من التطور الا انها تجعل هذا
التطور يتم في ضوئها وعلى هديها الامر الذي يباعد بينه وبين الطفرة
والاندفاع ، ويجعله يتم على صورة يتصل فيها الحاضر بالماضي »
- نظرية القانون د. عبد الفناح عبد الباقي ص 73 - .

ان القواعد العامة التي لا تقبل التغيير في الشريعة الخالدة هي كما
قال الفقيه الاصولي الكبير ابو اسحاق الشاطبي في كتابه القيم
« الموافقات في اصول الشريعة » : « كلية ابدية وضعت عليها الدنيا
وبها قامت مصالحها في الخلق حسبما بين ذلك الاستقراء ، فذلك الحكم
الكللي باق الى ان يرث الله الارض ومن عليها » .

وقد ذكر العلامة ابو الاعلى المودودي في كتابه « القانون الاسلامي وطرق تنفيذه » ان القواعد العامة التي لا تقبل التغيير تنقسم الى ثلاثة اقسام - ص 44/43 - :

- الاول : الاحكام الصريحة القطعية الواردة في القرآن والحديث الثابتة كحرمة الربا والميسر وحدود الجرائم وتقسيم التركة .
- الناني : القواعد العامة ، كحرمة كل بيع لا يتم فيه تبادل المنفعة بين الجانبين وقوامية الرجال على النساء .
- النالت : الحدود المقررة في القرآن والسنة لنجد بها حرمتنا في الاعمال ولا نتجاوزها .

ثم قال العلامة المودودي : فهذا الجزء القطعي غير القابل للتغيير من اجزاء قانون الاسلام هو الذي يعين في حقيقة الامر حدود مدنية الاسلام وصورتها الممتازة المخصوصة ، ومن المحال ان يشار الى مدنية تستطيع البقاء بدون ان يكون فيها عنصر لا يقبل التغيير ، وكل مدنية ليس فيها عنصر كهذا العنصر فما هي بمدنية مستقلة اصلا .

وعلى الرغم من ان القوانين الوضعية تقرر مبدأ الدستور الجامد والدستور المرن ، الا ان الدستور الجامد لا يتمتع بالدوام والابدية ، وان كان تعديله يتطلب اجراءات طويلة ومعقدة .

الحقيقة الرابعة

منذ مطلع القرن التاسع عشر ، وبعد صدور مجموعة نابليون القانونية وبياعت من اعجاب القانونيين بها ظهرت مذاهب قانونية في انجلترا وفرنسا تحتم التزام النص القانوني وشرحه في مجال تطوير القوانين واصحاب هذه المذاهب - كما ذكر الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه المدخل لدراسة الفقه الاسلامي - يصعدون عن فكرة واحدة تجمع بينهم وهي ان النصوص التشريعية قد حوت كل القواعد القانونية ، ولم تفرط فيها من شيء ، فليس امام القانوني الا ان يستعرض هـنـه النصوص ويفسرها نصا نصا فاذا اعجزه استخلاص قاعدة منها فليس الذنب على هذا التشريع فانه يتضمن كل القواعد القانونية ، وانما العيب على القانوني الذي لم يوفق الى

استخلاص القاعدة من النص « - ص 71/70 المدخل لدراسة الفقه الاسلامي » .

وقد ذكر الدكتور صبحي محمصاني في كتابه « فلسفة التشريع في الاسلام » ان المحاكم الابتدائية في الولايات المتحدة الامريكية ، وبريطانيا ملزمة باتباع اجتهاد المحاكم العليا ، والمحاكم العليا بدورها تنقيد باجتهادها السابق بصورة تجعل من السابقات اساسا ثابتا لاحكامها لا يمكنها تغييره بسهولة وتجعل الاجتهاد موحدا معلوما « - ص 133 ط 3 - 1300 - 1961 م - » .

وفي ضوء اتجاه هذه المذاهب القانونية الغربية يتضح ان التزام النصوص الاسلامية في الشريعة الاسلامية لا يناقض العقل لان هذه المذاهب القانونية تلتزم بالتصوص التي تعتبرها تشريعية ، كما تلتزم بشروحها ، وتعتبرها المصدر الصحيح والوحيد لاستخلاص القواعد القانونية التي يدعو اليها التطور الانساني .

ويرى الدكتور محمد يوسف موسى ، ان القانون باهماله للعرف واعتباره التشريع مصدره الوحيد بخلاف التشريعة الاسلامية التي لم تهمل العرف وجعلت رعايته اصلا من اصول الدين .

الحقيقة الخامسة

ان قدم الشرائع او القوانين او الافكار - بمرور قرون او عشرات القرون على انتشارها - لا يكفي مطلقا لاعتبارها غير صالحة ، فقد تكون قواعدها قابلة لمواجهة تحديات التطور في الحياة يدل على ذلك مثلا ان نظرية ارسطو في شكل الحكومات وفي تتابع اشكال الدول قد أصبحت النظريات السياسية الاساسية ، كما يقول عدد من فقهاء القانون الدستوري وعلماء السياسة المعاصرين ومنهم الدكتور وابت ابراهيم في كتابه « القانون الدستوري » - ص 13 - .

ومما يدل على ان قدم القوانين لا يكفي مطلقا لاعتبارها غير صالحة لان بريطانيا لا تزال تعتمد اليوم على قوانين قديمة كالعهد الاكبر الصادر في عام 1215 ميلادية وقانون وبيان الحقوق الصادر في عام 1689

وأكثر من ذلك كله دلالة على أن قدم القوانين لا يجعلها غير
صالحة ، ان معظم القوانين الاوروبية الحديثة - كما يقول الدكتور
صبحى المحمصانى فى كتابه « فلسفة التشريع فى الاسلام » - ص
I29 - تأثرت بوجه عام بالقانون الرومانى ، واتخذته اساسا لها مع
التغيير الذى يتطلبه تطور الامم ، كما ان قانون نابليون لا يزال الى
اليوم معمولاً به فى فرنسا مع التعديلات التى طرأت عليه رغم انه
صدر فى عام 1804 م وقد كانت القوانين الفرنسية متالا انبعثت معظم
دول اوروبا فى تدوين قوانينها حتى جاء بعضها كالقانون البلجيكى
منقولا عنه بكامله تقريبا .

وأسمى من ذلك كله دلالة على ان مرور زمن طويل على أية شريعة
لا يجعلها غير صالحة ، ان القانونيين الغربيين قد نقلوا عن الشريعة
الاسلامية كثيرا من القواعد والاحكام .

ومن المعروف ان قانون نابليون - كما قرر ذلك مفكرون ومؤرخون
غربيون ومنهم المؤرخ المعروف سيديو - تأثر بالشريعة الاسلامية ،
ولقد اعترف المؤرخ ويلز فى كتابه « ملامح من تاريخ الانسانية ان
اوروبا مدينة بالجانب الاكبر من قوانينها التجارية والادارية للاسلام »
ولقد ذكر معالى الاستاذ احمد زكى يمانى فى كتابه « الشريعة
الحالدة ومشكلات العصر » ان الفقيه الايطالى المشهور دى سانتيلانا
يبرو اهتمامه واهتمام القانونيين الغربيين بالشريعة الاسلامية بانها
هى التى أوحى دون شك بالمبادئ القانونية الحديثة فى المجتمع
الغربى واعادته بعض القواعد الفنية فى التجارة والشركات المحدودة .

الحقيقة السادسة

لقد انتقل علماء القانون الغربيون من مرحلة الاعتراف الصامت او
العملى بقدرة الشريعة الاسلامية على مواجهة تحديات التطور بنقل
الكثير من احكامها العادلة الى قوانينهم - كما ذكرنا فى 'حقيقة
الخامسة - الى مرحلة الاشادة بهذه القدرة البعيدة المدى التى تملكها
الشريعة الاسلامية ، فى دروس القانون بجامعة اوروبا ودراسات
اساتذتها أولا ، ثم فى المؤتمرات والجمعيات القانونية فى اوروبا
نفسها .

ولعل الاعتراف الذي نشره الفقيه الالماني كوهلر فى العقد الثانى من القرن العشرين هو أول اعتراف بصدر عن فقيه أوروبى بارز يشيد فيه بعظمة الشريعة لانها تحتوى على احكام لم يصل اليها القانونيون الغربيون الا بعد عشرة فرون .

ولقد كتب الفقيه الالماني الكبير اعترافه بعد صدور رسالة عن الاعتساف فى استعمال الحق نال بها الدكتور محمد فتحى شهادة الدكتوراه من جامعة ليون بفرنسا ، ومما كتبه الفقيه الالماني قوله : « ان الالمان كانوا يقيهون عجباً على غيرهم لا يجادهم نظرية الاعتساف فى استعمال الحق وادخالها ضمن التشريع فى القانون المدنى الالماني الذى وضع فى سنة 1787 م ، اما وقد ظهر كتاب الدكتور فنحى وأفاض فى شرح هذه النظرية نقلاً عن الفقه الاسلامى فانه يجدر بعلماء القانون الالمان ان يتنازلوا عن المجد الذى نسبوه لانفسهم - ويعترفوا بالفضل لاهله وهم فقهاء الاسلام الذين عرفوا هذه النظرية وأفاضوا فى الكلام عنها قبل الالمان بعشرة قرون » كما ذكر ذلك المستشار على منصور فى كتابه نظم الحكم والادارة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية .

كما نقل مؤلف دولة القرآن الاعتراف الذى أدلى به عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا البروفيسور شيرل فى مؤتمر الحقوق فى عام 1927 م ونصه :

« ان البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم اليها ، ان تشريعه سنكون نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفى سنة » .

أما المؤتمرات والجمعيات القانونية التى اشادت بالشريعة الاسلامية وقدرتها على الاستجابة لجميع مطالب الحياة ، واعتبرتها من مصادر التشريع فهى كثيرة ، ونكتفى بقرارين من قراراتها :

الاول : قرار مؤتمر القانون الدولى المقارن الذى عقد فى مدينة لاهاي الهولندية فى عام 1937 م وجاء فيه ما يأتى :

أ - اعتبار الشريعة الاسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام .

ب - اعتبار الشريعة الاسلامية حية صالحة للتطور .
ج - اعتبار التشريع الاسلامي قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره .
ومن الواضح ان هذا الاعتبار ينفي الاتهام الذي صدر عن بعض
اعداء الشريعة الاسلامية من المستشرقين وغيرهم بانها تأثرت بالقانون
الروماني .

الثاني : اصدره المجمع الدولي للحقوق المقارنة في كلية الحقوق
بجامعة باريس تحت اسم « اسبوع الفقه الاسلامي » في عام 1951 م
وقد جاء في هذا القرار ما يأتي :

أ - ان مبادئ الفقه الاسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى
فيها .

ب - ان اختلاف المذاهب الفقهية ينطوي على ثروة من المفاهيم
والاصول الحقوقية هي مناط الاعجاب وبها يتمكن الفقه الاسلامي ان
يستجيب لجميع مطالب الحياة والتوفيق بين حاجاتها .

وباعت من الاعتراف بأهمية الشريعة الاسلامية قام في فرنسا
مؤسس القانون المقارن ادوارد لامبير ، والاستاذ بكلية الحقوق بجامعة
باريس رينيه دافيد بتدريس الشريعة الاسلامية والكتابة عنها كواحدة
من الانظمة القانونية الطبيعية في هذا العصر ، كما ذكر ذلك معالي
الاستاذ احمد زكي يماني في كتابه « الشريعة الخالدة ومشكلات
العصر » .

الحقيقة السابعة

ان احكام الشريعة الاسلامية هي الاحكام التشريعية الوحيدة التي
تحقق التوازن المثالي الفريد بين مصالح الجماعة والفرد بحيث لا يطغى
احدها على الآخر مهما كانت الظروف والاحوال ، وذلك على عكس
احكام القوانين الانسانية التي لم تستطع تحقيق هذا التوازن رغم
كل الظروف ، لان واضعيها يخضعون - في اكثر الاحوال - لتأثير
انتمائهم الطبقي او المهني او لضغوط السلطة ، مما يحول دون تحقيق
التوازن العادل بين مصلحتي الجماعة والفرد ، ويجعل القوانين وسيلة
لدعم سلطان السلطة المستبدة لا لتحقيق العدالة الحققة .

ولعل من أبرز الأدلة التي تؤكد هذه الحقيقة أن القوانين التي صدرت في فرنسا - بعد حركة عام 1789 م التاريخية - وانخذهتها أوروبا مثالا لقوانينها فيما بعد . . ان هذه القوانين سادتها روح الفردية المطلقة الى الحد الذي يجعل لصاحب الحق الحرية الكاملة في استعمال حقه ، ولو أدى ذلك الى الاضرار بغيره .

وتحت ضغوط الانار السيئة التي ترتبت على هذا الخطأ القانوني ، وبدافع من الرغبة في وضع حد لحرية الفرد التي لا حد لها ، نشأت نظرية سوء استعمال الحقوق .

وعلى الرغم من الظروف التي حتمت ايجاد هذه النظرية فالحقيقة ان الهدف منها لم يتحقق ، لان الفرد - في بعض الدول الاوروبية - ما زال يمارس بعض حقوقه الى حد الاضرار بغيره ، كما ان الفرد - في دولات أوروبية أخرى - يحرم من ممارسة حقوقه بدعوى الحفاظ على مصلحة الجماعة ، بينما الواقع يتبث ان مصلحتى الفرد والجماعة - في هذه الدول الشيوعية - تهدران من أجل الحزب الشيوعي وحده .

ومن الثابت الذى لا ريب فيه - كما يقول الدكتور السعيد مصطفى السعيد - ان نظرة الشريعة الاسلامية لحقوق الافراد وتقييدها بما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر مصلحة الفرد صاحب الحق ، أوسع مدى وأبعد تأثيرا من نظرة القوانين الحديثة فى هذه الناحية .

وقد ذكر الدكتور محمد يوسف موسى فى كتابه « المدخل لدراسة الفقه الاسلامى » انه يعتقد ان التفرقة الواضحة بين طابع الشريعة الالهية وطابع القانون البشرى بين حقوق الفرد والجماعة ترجع الى تفرقة اساسية فى أصل حقوق الفرد بين الشريعة والقانون ، اذ ان القانون يعتبر حقوق الفرد حقوقا طبيعية يملكها ويتصرف فيها حسب ما يرى ، أما الشريعة فانها تعتبر حقوق الفرد منحة من الله تبارك وتعالى وهو يأمر بالعدل والاحسان وعدم الاضرار بالغير .

الحقيقة الثامنة

من الخصائص التي تميز الشريعة الاسلامية عن القوانين الوضعية انها تعنى بالحفاظ على الامن والنظام لتحقيق الاستقرار والتقدم فى المجتمع ، وفى الوقت نفسه تُعنى - بعكس القوانين الوضعية - بحماية

الاخلاق ، ورعاية مصلحة الفرد ، وضمان حقوقه بحيث لا نسقط بالتقادم او وضسع اليد ، كما تعنى بحماية من الانحلال الخلقى ، والانحراف الفكرى ، لانها تستهدف حماية القيم الاجتماعية والمصالح المادية فى وقت واحد بعكس القوانين التى تستهدف حماية الامن والنظام وتتجاهل ما تقضى به قواعد الدين والاخلاق فى كثير من الاحوال .

يؤيد هذه الحقيقة ما نقله الدكتور محمد يوسف موسى فى كتابه « المدخل لدراسة الفقه الاسلامى » عن كتاب اصول القانون للدكتور عبد الرزاق السنهورى ونصه كما يأتى :

« اقامة النظام فى المجتمع على نحو من الانحاء غاية بحرص عليها واضع القانون كل الحرص ، حتى ولو اقتضاه ذلك ان يجيد احيانا عن مقتضى قواعد الاخلاق والدين ، فالقانون مثلا بفر لمن يضع يده على عقار بنية الملك خمس عشرة سنة بملكيتها حتى لو كان غاصبا ، كما انه يقضى بسقوط الحق بالتقادم اذ يرى ان ذلك ادنى الى قيام النظام فى المجتمع مجاوزا بذلك ما تقضى به قواعد الاخلاق فى هذا الخصوص» انتهى النص .

وتتجلى أبعاد تجاوز القانون لما تقضى به قواعد الاخلاق التى لا ينكرها العقل مهما كانت عقيدته فى اباحة الغواصم التى ترتكب بدون اكراه ، الى الحد الذى ذابت فيه كل معالم الحفاظ على الاخلاق ، وبالتالي اعتبار السلوك الشخصى - مهما كان مناقضا للاخلاق - غير مناقض للقانون اذا لم يؤد الى الاخلال بالنظام أو الاضرار بالغير ، رغم انه يؤدى الى الاضرار بفاعله نفسيا وصحيا ، وربما بأسرته وبالتالي بمجتمعه فى المدى البعيد .

كما تتجلى أبعاد تجاوز القانون لما تقضى به قواعد الاخلاق فى حمايته وتنظيمه لكثير من الاعمال التى تؤدى الى انحلال المجتمع عبر نشرها لكثير من ألوان التهتك والاستغلال رغم ان حماية المجتمع من الانحلال من أهم الاهداف التى يجب ان تعمل على تحقيقها كل الانظمة والقوانين .

وبسبب تجاهل القوانين للاخلاق، انحدرت اكثر المجتمعات المعاصرة الى حضيض الانحلال والانحطاط الخلقى ، واعترف عدد من علماء الغرب بهذا الانحطاط كالعالم الامريكى الكسيس كارليل فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » وغيره من العلماء الذى رأوا فى هذا الانحطاط بداية لانهاية الحضارة الغربية وفنائها .

أما الشريعة الاسلامية ، فانها تحرص أشد الحرص على حماية الاخلاق ، لانها أساس رقى الامم ولانها جزء من الايمان ، كما أنها فى الوقت نفسه – من الاهداف الانسانية التى آمن بها العقل منذ أقدم العصور حتى اليوم .

ولقد كان افلاطون يرى ان القوانين لا توضع لتمكين الفرد من فعل ما يشاء ، ولكنها توضع لهدايته الى فعل احسن ما يستطيع ، ولا يرى خيرا من اكرامه على صلاح أمره – كما ذكر ذلك الاستاذ العقاد فى كتابه « فلاسفة الحكم فى العصر الحديث » .

وكما قلنا – فيما سبق – لقد بقيت كل القوانين حتى القرن الثامن عشر تعنى بالاخلاق أشد العناية ، ثم اخذ المشرعون الاوروبيون فى تجريدتها من كل حالة مساس بالدين والاخلاق بعد حركة عام 1789 م كما ذكر ذلك الفيلسوف هربرت سبنسر بفعل التآمر الصهيونى على عقائد العالم واخلاقه .

والحقيقة التى لا ريب فيها ان تجريد القوانين من القواعد الاخلاقية قد جنى جناية بالغة على الشعوب التى تخضع للحكم القانونى ، باعتراف علمائها ومفكرىها .

الحقيقة التاسعة

من أبرز الخصائص التى تميز الشريعة الاسلامية عن القوانين الوضعية انها تحقق المساواة الكاملة والمطلقة بين الناس جميعا وفى كل المجالات لا سيما القضاء – دون أى اعتبار للفروق الجنسية او الطبقيه او الاجتماعية ، لان « الناس سواسية كاسنان المشط الواحد ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعكس القوانين الوضعية التى لم تعرف

إطار العام للمساواة في مجال القضاء الا في أواخر القرن الثامن عشر ، ولم تحقق حتى اليوم المساواة الكاملة بين الحاكمين والمحكومين وبين الفرد والفرد ، كما انها تميز الاغنياء عن الفقراء ، والبارزين في المجتمع عن الداهية .

يؤيد هذه الحقيقة ان احكام الاسلام العادلة تسوى بين رئيس الدولة والمواطن ، اذ ان القضاء العادي - كما جاء في اجابة الجانب السعودي على اسئلة الوفد الحقوقي الاوروبي - يخضع له جميع الناس مدنيا وجزائيا ، حتى الملك فانه يخضع عند الاقتضاء الى المحاكم العادية ، كما جرى منذ مدة غير بعيدة عندما اختلف معه رجل من عامة الناس في حدود ملكية عقارية مختلف عليها ومبنية على عقد خاص لدى كل من جلالته وذلك الرجل من العامة فقد نظرت المحاكم العادية في ذلك وحكمت لذلك الرجل على جلالة الملك ونفذ الحكم من غير ما تأخير ولا تمايز بينهما ، وهذا ما يؤيد قولنا من قبل ان شريعة الاسلام في هذا البلد قد حددت سلطات رئيس الدولة بالاحكام العادية المشتركة من غير سلطان مطلق ولا تمايز في الحقوق امام شريعة الله .

اما القوانين الوضعية ، فانها تميز بين رئيس الدولة وبين المواطنين، اذ تعتبر بعضها ذات رئيس الدولة مقدسة او مصونة لا تمس ، ولا تخضع للقانون بدعوى ان رئيس الدولة هو مصدر القانون ، وانه السلطة العليا ، فلا يجوز ان يخضع لسلطة ارقى منه .

وأقصى ما وصلت اليه القوانين في تحديد مسؤولية رئيس الدولة امام القانون ، اعتباره مسؤولا في حالة واحدة هي حالة الخيانة العظمى في بعض الدول كفرنسا وبعض الدول الاوروبية التي لم تصل الى هذا المستوى الا بعد الحرب العالمية الاولى .

أما القاعدة العامة في مسؤولية رؤساء الدول في القوانين الوضعية فهي - كما ذكر الدكتور ابراهيم وايت في كتابه « القانون الدستوري » - ان ليس للمحاكم سلطان على الرئيس التنفيذي سواء كانت الجريمة التي ارتكبها جريمة سياسية أم جريمة عادية ، لانه من القواعد الاساسية للقانون العام ان الرئيس التنفيذي لا يخضع لاية محكمة ما دام في وظيفته .

ولا تكتفى القوانين الوضعية بالتمييز بين رؤساء الدول ومواطنيهم بل انها تميز رؤساء الدول الاجنبية واعضاء الهيئات التشريعية ، والشخصيات البارزة اجتماعيا ، وبعض الموظفين ، كما انها تميز الاغنياء عن الفقراء فى مجال القضاء وفى الاقتراع العام .

ولقد كان القانون الوضعى فى الدول الاوروبية لا يعترف بالمساواة بين المواطنين حتى أواخر القرن الثامن عشر - كما قرر ذلك أكثر من باحث قانونى - اذ كان يجعل لكل فئة من الناس محكمة خاصة بها ، وقضاة يختصون بالحكم فى قضاياها وحدها دون الفئات الاخرى ، لان لكل فئة قضاة فى مستواها لا يجوز لهم الفصل فى قضايا غيرها من الفئات .

كما كانت الاحكام تختلف - رغم وحدة الجريمة او القضية المدنية - تبعا لاختلاف المحاكم ، فالجريمة التى يرتكبها احد البارزين فى المجتمع ، واحد المواطنين العاديين ، يعاقب عليها المواطن العادى بأقسى مما يعاقب عليها المواطن البارز فى المجتمع ، وأكثر من هذا كله ، ان بعض الاعمال تعتبر فى نظر القانون جرائم اذا مارسها المواطن العادى ، اما اذا مارسها غيره من ذوى النفوذ فانها تعتبر من الاعمال التى لا عقاب عليها .

ولقد ظل القانون فى هذا المستوى ، بعد عصر النهضة وبعد ان قررت الشريعة الاسلامية المساواة الكاملة بين الناس بما يقرب من اثنى عشر قرنا .

وحين دفعت الاحداث التاريخية الكبرى فى أوروبا رجل القانون الى تقرير مبدا المساواة فى أواخر القرن الثامن عشر ، لم يصل هذا المبدأ الى مستوى الشريعة الخالدة فقد احتفظ القانون بحالات من التمييز بين المواطنين ، وعلى الرغم من ان بعض القوانين التى وضعف فى أواخر القرن التاسع عشر قضت على كثير من حالات التمييز بين المواطنين ، فان الحقيقة التى لا ريب فيها ان القوانين لم تصل الى مستوى الشريعة العادلة فى المساواة الحقيقية بين الحاكمين والمحكومين ، أكثر القوانين تزخر بمبادئ التمييز لا بين رؤساء الدول والمواطنين بل بين فئات المواطنين انفسهم ، ونؤكد هذه الحقيقة بما يأتى :

أولا : يقول المفكر المسلم الهندي وحيد الدين خان في كتابه « الاسلام تتحدى » الذى نشر فى الهند سنة 1966 م عن صورة من صور التمييز بين المواطنين فى القانون الهندي :

« على الرغم من ان كل الدول تقر مبدأ المساواة المدنية فان هذه المساواة لا تنفذ فعلا فى أية دولة ، فلو انك كنت تريد ان تحاكم رئيس جمهورية الهند أو احد حكام الولايات فلن تستطيع ذلك كما تستطيع ان تحاكم المدنيين العاديين اذ لابد من الحصول على موافقة الدولة ، والامر لا يقف عند هذا الحد ، بل ان الموظفين الحكوميين ليس من شأن المحاكم النظر فى قضية احدهم الا بعد الحصول على موافقة الحكومة المركزية أو المحلية .

وليس هذا عيب الدستور الهندي ، بل هو عيب القانون البشرى بعامة ، وهو عيب موجود حيث يوجد هذا النوع من الدساتير الوضعية»

ثم يقول الاستاذ وحيد الدين خان :

«ليس من الممكن ان يتحقق العدل الكامل الا فى ظل القانون الالهى، حيث يكون كل انسان مساويا للآخرين ، وحيث تمكن مقاضاة أية سلطة سياسية وتنفيذية كما يحاكم ابن الشعب ، لان الحاكم فى هذا القانون هو الله سبحانه وحده ، والمحكومون هم سائر افراد المجتمع دون أدنى تمييز » - ص 248 - 249 - .

ثانيا : ذكر الاستاذ عبد القادر عودة فى كتابه « التشريع الجنائى الاسلامى » مقارنا بالقانون الوضعى ان وكيل النيابة لا يستطيع رفع الدعوى العمومية الا بعد استئذان جهات معينة اذا كان المتهم موظفا أو طبيبا أو محاميا ، ويجوز له ان يحفظ القضية اكتفاء بجزء ادارى، وبذلك ينجو المتهم من العقوبة ومثل هذا الحفظ غير ممكن بالنسبة لافراد الشعب العاديين » - ص 314 ج I - .

ثالثا : يؤكد جانبا من هذه الحقيقة ان قانون تحقيق الجنايات - كما يقول الاستاذ عبد القادر عودة رحمه الله فى الجزء الاول من كتابه « التشريع الجنائى الاسلامى » - يوجب على القاضى ان يحكم بالسجن

فى كثير من الجرائم على أن يقدر للمحكوم عليه كفالة حالبة اذا دفعها
أجل تنفيذ الحكم عليه حتى يفصل فى الاستئناف وفى هذا خروج على
مبدأ المساواة اذ يستطيع الغنى ان يدفع الكفالة فلا ينفذ عليه الحكم،
بينما يعجز الفقير عن دفعها فى أغلب الاحوال فينفذ عليه الحكم فى
الحال .

ويقول الاستاذ عودة رحمه الله : وبجيز قانون تحقيق الجنايات
للفاضى ان يفرج عن المتهم السجين بضمان مالى ، اذا كان قادرا على
تسديده ، أما الفقير فيظل سجينا وقد نبرته المحكمة فنكون السحرة
انه سجن لا لانه اجرم بل لانه فقير .

وبازاء هذا السميذ الذى تقره القوانين الوضعية رغم انه ساقض
مبدأ المساواة الذى تعترف به من حيث المبدأ ، نجد احكام الشريعة
العادلة الخالدة تحمى المواطن الفقير من هذا التمييز باقرارها لمبدأ
الكفالة الشخصية وحسدها حيث انها ميسرة له ، ومحففة لاهداف
الشريعة فى العدل والمساواة وعدم العسر كما قال تعالى « يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة آية 185) .

رابعا : ان القوانين الوضعية التى تميز الاغنياء وذوى النفوذ - فى
مجال القضاء - عن الفقراء ، تحتفظ للاغنياء بحق الترشيح لعضوية
المجالس التشريعية اذ ان اكثرها يشترط ان يكون المواطن الذى
يشترك فى هذا الترشيح من اصحاب الملكية الخاصة لا بجيز للمواطن
الفقير الاشتراك فيه على الاطلاق ، كما ان بعضها يشترط دفع تأمين
مالى - يعجز عن دفعه المواطن الفقير - مقابل الترشيح للمجالس
المذكورة .

وليس من شك فى ان هذين الشرطين يناقضان مبدأ المساواة الذى
تقره القوانين الوضعية الى أبعد حدود المناقضة ، كما انها تمثل
اتجاها لا يتفق مع رغبة وحسب الاكثرية المطلقة من كل شعب فى
المساواة الحقيقية بين المواطنين .

ومن الحقائق التى تكاد تكون مجهولة اليوم ، ان حركة عام 1789 م
التاريخية التى أصدرت اعلان حقوق الانسان ، هى التى حرمت

المواطن الفقير من الاشتراك فى الاقتراع العام والترشيح لعضوية
المجالس التشريعية بقانونها الصادر فى 22 ديسمبر 1789 م .

ومما يدل على ان هذه الحقيقة تكاد تكون مجهولة - رغم اهميتها
البالغة - اننا نفتقدها فى بعض المراجع السياسية الحديثة - مثل
كتاب « المدخل فى علم السياسة » للدكتورين بطرس بطرس غالى ،
ومحمود خيرى عيسى ، فقد أشار المؤلفان أثناء بحثهما عن شرط
الملكية الخاصة فى الاشتراك فى الاقتراع العام الى رأى الفيلسوف
جون ستيوارت ميل فى هذا الموضوع دون الاشارة الى دور الحركة
التاريخية فيه ، رغم ان هذه الحركة سبقت موعد الفيلسوف ميل
بحوالى عقدين من الزمان .

ومع ان الفيلسوف قد عنى عناية كبيرة بنظام الحكم الا ان هذه
العناية لا تلغى دور الحركة التاريخية فى وضع مبدأ حرمان المواطن
الفقير من الاشتراك فى الاقتراع العام والترشيح لعضوية المجالس
التشريعية .

ويرى الفيلسوف ميل - كما ذكر الدكتوران غالى وخيرى - ان من
المهم ان تكون الهيئة التى تقر الضرائب مشكلة بواسطة المواطنين
الذين يقع عليهم عبء هذه الضرائب ، لان الذى لا يدفع ضريبة يميل
فى الغالب الى التبذير فى المصروفات العامة ، ويقول أنصار هذا
الشرط ان من لا يدفع الضرائب لا يهتم عادة بالشؤون العامة ، كما
انه يسهل التأثير عليه فضلا عن ان النروة دليل على الكفاية ، كما انها
تمكن الشخص من الحصول على قسط من التعليم .

وبالرغم من ان بعض الدول قد الغت من شروط الاشتراك فى
الاقتراع العام شرط الملكية الخاصة فى القرن التاسع عشر فان بعضها
بمثل انجلترا لم تلغها الا فى عام 1918 م ، كما ان بعض الدول قد
اقرت هذا الشرط فى عام 1956 م كما ذكر الدكتور محمد كامل ليلة
فى كتابه « النظم السياسية » .

ولكن أكثر الدول ما زالت تحتفظ بشرط الملكية الخاصة فى
الترشيح للمجالس التشريعية ، والدول التى لا تخصص مكافآت
لاعضاء هذه المجالس تعد شرط الملكية واجبا من الناحية العملية ،

وان لم يكن واجبا من الناحية القانونية ، كما جاء في كتاب المدخل في علم السياسة ولان اعلان حقوق الانسان الذي صدر في عام 1789 يعتبر في رأى اكثر المفكرين الغربيين وغير الغربيين رمزا لآمال الانسان في الحرية والمساواة وسيادة القانون ومنطلقا لكل وثائق الحرية في العالم ، فاننا سنلقى بعض الضوء على تقييمه للمساواة وتحديد ابعاده ليعبر مدى البون الشاسع بينه وبين تقييم الاسلام السامى للمساواة ، وهو التقييم المجرد من كل ألوان الاستثناء والتمييز .

ونود ان نشير الى ان اعلان حقوق الانسان لا يمثل آراء الجيل الذى اعمله فحسب ، بل انه يمثل - كما قرر بعض الباحثين - آراء ثلاثة من أشهر فلاسفة الحكم والسياسة فى أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وهم الفيلسوف الانجليزى جون لوك ، والفيلسوفان الفرنسيان شارل مونتيسكيو وجان جاك روسو ، ولكنى نذكر بميل اعلان حقوق الانسان لآراء هؤلاء الفلاسفة ، يكفى ان نعرف ان البيان تضمن بعض الجمل التى نقلت حرفيا من كتاب العقد الاجتماعى لروسو .

وان تمثيل البيان لآراء هؤلاء الفلاسفة يجعله رمزا لاسمى ما وصل اليه الفكر الغربى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وليس مجرد اعلان سياسى مرتجل ، وبالتالي يجعل المقارنة بين احكامه وأحكام الاسلام عن المساواة ذات موضوع جدير بالبحث والتحليل ، وخلق بان يكون مصدر ادانة للعالم المناقض للاسلام .

ونود ان نعترف ان المادة الاولى من اعلان حقوق الانسان قررت ان الناس يولدون ويظلون احرارا متساوين فى الحقوق ولكن المادة الثانية التى اوضحت هذه الحقوق لم تذكر المساواة ضمنها ، وحين صدر اعلان عام 1793 م - الذى يعتبر أرقى من سابقه - وضع المساواة قبل الحرية فى مادته الثانية وقرر فى مادته الثالثة ان جميع الناس متساوون بالطبيعة ولدى القانون . ولكن الاعلان الذى صدر فى عام 1795 م أعاد المساواة الى مكانها الاول فى اعلان عام 1789 بعد الحرية ولم يذكر ان الناس متساوون بطبيعتهم وفى كل الحقوق ، وانما

ذكر المساواة لدى القانون ، ولقد عبر احد زعماء الحركة التاريخية التي اصدرت اعلان حقوق الانسان والاعلانات التابعة له ، وهو بواي دانفلا في تقريره في 5 يونيو 1795 م عن رأى زعماء الحركة في المساواة بقوله : المساواة المطلقة وهم .

ويتجلى عدم ايمان هؤلاء الزعماء بالمساواة في حرمانهم لبعض الطوائف الدينية من التمتع بحرية العبادة كالبروتستانت الذين لم تمنح لهم هذه الحرية الا في عام 1791 م .

كما يتجلى رفض هؤلاء الزعماء للمساواة في القرار الذي اصدرته الجمعية التأسيسية في عام 1791 م بحرمان جميع الملونين من حقوق انلوطن .

وقبل ذلك كله ، اصدرت الجمعية التأسيسية قانونا في ديسمبر 1789 م جعل للاغنياء وحدهم حق الترشيح للجمعية التشريعية ، كما جعل لدافعي الحد الادنى من الضرائب الحق في الاشتراك في الاقتراع العام ، أما الفقراء الذين وصفهم هذا القانون بالمواطنين السلبيين فقد حرّمهم من هذين الحقين .

وبالرغم من ان بعض اعضاء الجمعية التأسيسية قد عارض مشروع هذا القانون فان الاغلبية المطلقة من الاعضاء وافقت عليه ومن الغريب ان احد أهدافه لا يزال حتى اليوم يحظى بتأييد اكثر القوانين الوضعية وهو حرمان الفقراء من الاشتراك في الجمعيات التشريعية .

ان الشريعة الاسلامية هي الشريعة الوحيدة التي تحقق المساواة الحقيقية بين الناس جميعا بحيث لا تفرق - في مجال القضاء - بين رئيس الدولة وأى مواطن ، في الوقت الذي تميز فيه القوانين الوضعية كلها الاغنياء عن الفقراء ، وذوى النفوذ عن المواطنين الآخرين .

وليس من شك في ان هذا التمييز الذي يتناقض مع العدالة الحقّة يمثل دليلا من أقوى الأدلة على ان الشريعة الخالدة صالحة لهذا العصر أكثر من أى قانون وضعى ، لانها تحقق للانسانية المثل الاعلى في المساواة .

وليس من شك أيضا في ان احتفاظ القوانين الوضعية بهذا التمييز الذي لا يتفق مع مبدأ المساواة رغم اعتراف حقوق الانسان في عام 1789 م واصرار الشعوب على تحقيق المساواة ، يدل على ان القوانين تمثل «بقية الفقرة غير واضحة في النص ، فمعدرة» .

ويدل - في الوقت نفسه - على ان القوانين الوضعية لا يمكن ان تصل الى المستوى المثالي الذي ترتفع اليه الشريعة ، لان العقل الذي يضع القانون محدود الادراك اولا ، ويخضع لمؤثرات مختلفة تحول بينه وبين التجرد المطلق للحق وحده ثانيا ، ولان أفضل قواعد المجتمع التي تتلاءم مع طبيعة الامم تتطلب - كما يقول الفيلسوف جان جاك روسو في كتابه «العقد الاجتماعي - الها يمنح البشر قوانينه» .

ولقد حاول الانسان - في اكثر أمم الارض - ان يرتفع بقوانينه الى مستوى الكمال ، ولكنه - وبعد محاولات استمرت ما يقرب من ثلاثة قرون - انتهى الى اقرار التمييز بين المواطن والمواطن في الدولة الواحدة حتى في مجال القضاء الذي يجب ان تدوب فيه كل السوان التمييز .

ومن المؤكد ان القوانين الوضعية ستظل تحتفظ بهذا التمييز بين المواطنين لانها من وضع الانسان الذي لا يستطيع ان يتخلى عن الانانية ، التي تدفعه الى رفض المساواة مع غيره ، الا بدافع الايمان وسلطانه .

وسيظل الانسان الذي يحتكم الى القوانين يخضع لاحكامها التي لا تكتفى بالتمييز بين رؤساء الدول ومواطنيهم ، بل بتمييز الاغنياء عن الفقراء ، وذوى النفوذ على غيرهم من المواطنين .

وسيظل المسلم الذي يحتكم للشريعة الاسلامية هو الانسان الوحيد الذي لا يخضع لاي تمييز لان الشريعة الخالدة تحقق المساواة الحقيقية بين الحاكمين والمحكومين والاعنياء والفقراء ، لا سيما في مجال القضاء .

وان التاريخ الاسلامي ، يؤكد بواقعه المشرق ان المجتمع الاسلامي لم يعرف التمييز بين المواطنين في مجال القضاء حتى في فترات التخلف والضعف ، فقد بقيت احكام الشريعة الخالدة تحقق المساواة بين المسلمين عبر تاريخهم كله ، دون ان يطرأ عليها أي تحريف .

وعلى الرغم من ان المرحلة الاولى فى تاريخنا الزاخر بالامجاد - وهى عصر النبوة والخلافة الراشدة - تكاد تخفى المراحل المضيئة فى تاريخنا بما فى عصر النبوة والخلافة الراشدة من اشراق لا تظهر معه أضواء المراحل الاخرى . . على الرغم من ذلك فان فى كل مرحلة من مراحل تاريخنا ادلة لا حصر لها على ان امتنا الاسلامية لم تفقد حقوقها الخالدة فى المساواة الحقيقية بين افرادها لا سيما اقسام القضاء .

وستظل الشريعة على امتداد المستقبل كله مصدرا لاسمى قواعد المساواة بين البشر برغم كل الظروف .

ومن المؤكد ان الشريعة الخالدة ، ستظل - رغم كل ما تحققه القوانين من تطور - المنل الاعلى للعدالة على امتداد المستقبل كله ، لانها تحقق للانسان اسمى آماله الخيرة فى كل مجال من مجالات الحياة .

وهى حقيقة اعترف بها المنصفون من العلماء الغربيين ومنهم المؤرخ الكبير ادوارد جيبون صاحب الكتاب المعروف « تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها » الذى قال ما نصه :

« ان الشريعة الاسلامية تشمل الناس جميعا فى احكامها من اعظم ملك الى اقل انسان ، وهى شريعة لا يوجد لها متيل فى العالم » .

الحقيقة العاشرة

ان مما يؤكد ان الشريعة الاسلامية صالحة لهذا العصر اكثر من أى قانون وضعى ، ان القوانين الوضعية قد ألغت بعض احكامها - تحت ضغط التجارب المريرة التى اثبتت فشلها وعدم قدرتها على مواجهة تحديات التطور الانسانى واخذت بأحكام الشريعة الخالدة بدلا عنها ، كما اخذت احكاما شرعية لم يكن فى القوانين ما يماثلها .

وهذه الحقيقة بجانب تأكيدها بان الشريعة الخالدة صالحة لهذا العصر اكثر من أى قانون وضعى تؤكد انها قادرة على مواجهة تحديات التطور فى أى عصر ، لان احكامها ظلت صالحة لهذا العصر على الرغم من ان كثيرا من الاحكام القانونية التى وضعت قبل قرن ،

او عقد من الزمان لم تعد صالحة لمواجهة تحديات التطور في هذا العصر .

ومن احكام الشريعة الخالدة التي اخذت بها بعض القوانين الوضعية بدلا من احكامها التي اثبتت التجارب المريرة فشلها او التي يدعو المفكرون الى الاخذ بها الاحكام الآتية :

أولا : اباحة الطلاق ، يقول الاستاذ عبد القادر عودة في الجزء الاول من كتابه « التشريع الجنائي الاسلامي » مقارنا بالقانون الوضعي ما يأتي :

« واذا كانت الشريعة الاسلامية قد قررت حق الطلاق للزوجين من أربعة عشر قرنا واحاطته بالضمانات القسوية العادلة ، فان العالم المتحضر لم يعرف هذا الحق ولم يعترف به الا في القرن العشرين بل كان البعض يأخذون على الشريعة الاسلامية انها جاءت مقرررة لحق الطلاق ثم دار الزمن دورته وجاء عصر العلوم والسرقي فرأى العلماء والمفكرون ان تقرير حق الطلاق نعمة .

ولا يكاد اليوم يخلو قانون وضعي من قوانين الامم المتحدة من النص على الطلاق والاعتراف به ، فالقانون الروسي يبيح الطلاق للرجل والمرأة دون قيد او شرط وقوانين بعض الولايات المتحدة الامريكية يتيح للرجل والمرأة معا هذا الحق - التشريع الجنائي الاسلامي ج I ص 49/48 - .

وهكذا بدأ العالم - بعد اربعة عشر قرنا - يعترف بنظرية الشريعة الاسلامية ويأخذ بها وقد لا يمضي القرن العشرون حتى تتوسع القوانين الوضعية في اباحة الطلاق وتطبيق نظرية الشريعة الاسلامية بحذافيرها .

ومن المعروف ان السلطة التشريعية في ايطاليا صادقت أخيرا على قانون يتفق - من حيث المبدأ - مع احكام الشريعة الخالدة في هذا الموضوع ، كما ان بريطانيا أصدرت في عام 1969 م قانونا يسمح بالطلاق على أساس التفاهم بين الطرفين ، وهو اقرار بحاجة المجتمع لمبدأ اباحة الطلاق .

وفى ضوء هذه الحقيقة التى تؤكد ان احكام الشريعة الخالدة قادرة على مواجهة تحديات التطور الانسانى ، فى الوقت الذى عجزت فيه القوانين الوضعية عن مواجهتها .

ثانيا : تحريم الخمر ، يدعو الكنبرون من القانونيين والمفكرين فى الغرب والشرق غير المسلم ، الى الاخذ بحكم الشريعة الخالدة فى تحريم الخمر .

ولقد دعت الشريعة الاسلامية العالم الى ترك الخمر وحرمتها على الناس منذ القرن السابع الميلادى ولكن لم يستجب لهذه الدعوة الا البلاد الاسلامية ، أما ما عداها من البلاد فقد بقيت تحت سلطان الخمر حتى أثبت العلم المادى أخيرا ان الخمر مفسدة عظيمة ، هنالك بدأت الدعوة لتحريم الخمر تظهر وتنتسند ، وقد نجحت بحيث يمكن ان يقال : ان الدعوة لتحريم الخمر اصبحت اليوم عامه .

ويستطيع الانسان ان يرى اثر الدعوة الى تحريم الخمر ظاهرا فى التشريعات التى صدرت فى القرن الحالى، فالولايات المتحدة اصدرت من عدة ستين قانونا يحرم الخمر تحريما تاما والهند اصدرت قانونا مماثلا ، أما أكثر الدول فقد استجابت للدعوة اسـنـجـابة جزئية فحرمت الخمر فى الاماكن العامة ، فى أوقات معينة ، كما حرمت تقديمها أو بيعها لمن لم يبلغوا سن الرشد ، كما ذكر ذلك الاستاذ عبد القادر عودة فى كتابه « التشريع الجنائى الاسلامى » مقارنة بالقانون الوضعى - الجزء الاول ص 51 - .

ونستطيع ان ندرك مدى اكبار المفكرين الغربيين لحكم الاسلام فى تحريم الخمر حين نتأمل رأى المؤرخ العالمى ارنولد توينبى فى خطرهما العظيم على الانسانية ، وعجز القوانين الوضعية عن تحرير الانسان من سلطانها ، وقدرة روح الاسلام على انجاز ما عجزت القوانين عن انجازه .

يقول المؤرخ الكبير ما نصه :

« هناك مصدران ظاهران من مصادر الخطر الاول نفسى والثانى مادى ، ومصدر الخطر التمييز العنصرى والخمر .

وفي مجال الصراع عند هذين الشرين نجد للفكر الاسلامي دورا يؤديه وببرهن فيه عن قيم اجتماعية واخلاقية سامية ، والذي أتصوره ان روح الاسلام ستكون التعزيز المناسب الذي سيقدر مصير هذه المعركة لمصلحة التسامح والسلام .

أما شرب الخمر - وما زلنا نقل رأي المؤرخ الكبير توينبي - فهو الآن في اوجه ، ورغمنا عن ان قسما من الرأي العام الغربي المتنور قد وعى هذا الشر واتعب نفسه في مكافحته فان نتائج تلك المكافحة لم تتعد نطاقا ضيقا جدا . . وفي هذه المنطقة يمكن للاسلام ان يلعب دوره في هذا الموضوع ، ومن المنتظر ان تظهر روح الاسلام بعدة أوجه عملية وقد تكون احدي هذه الواجه تحررهم من شرب الخمر وبذلك تكون قد استطاعت ما لم نستطع القوانين الغربية انجازها» ، محاضرة توينبي « الاسلام والغرب والمستقبل » ترجمة د . نبيل صبحي .

ولا يدع هذا الايضاح الدافع الذي قدمه المؤرخ الكبير عن خطر الخمر وقدرة الشريعة الاسلامية على انجاز ما عجزت القوانين الوضعية عن انجازه في حماية الانسان منه . . لا يدع هذا الايضاح الرائع مجالاً لأي تعليق .

تالنا : الدعوة لاباحة تعدد الزوجات : ان موقف العقائد الدينية وبعض الفلاسفة الغربيين من اباحة تعدد الزوجات يؤيد حكم الاسلام فيه رغم ان القوانين الوضعية لم تقره حتى الآن .

وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعي في كتابه « المرأة بين الفقه والقانون » ان الاسلام لم يكن اول من شرع تعدد الزوجات بل كان موجودا في الامم القديمة كلها تقريبا ، كما ان اليهودية كانت تبيع التعدد بدون حد ، ولم يرد في المسيحية نص صريح يمنع التعدد ، فقد قال العالم الثقة وستر مارك ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي الى القرن السابع عشر ، بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية الى ايجاب تعدد الزوجات ، ويعتبر المورمون - كما هو معلوم - تعدد الزوجات نظاما الهيا مقدسا .

وقد حدث ان مؤتمرا للشباب العالمي عقد في ميونيخ عام 1948 م وكانت من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة النساء في المانيا اضعا

مضاعفة بعد الحرب عن عدد الرجال ، وأقرت اللجنة توصية المؤتمر
بالمطالبة بإباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة .

وفي عام 1949 م تقدم اهالي بون بطلب الى السلطات المختصة
يطلبون فيه ان ينص في الدستور الالماني على اباحة تعدد الزوجات ،
وقد نشرت الصحف في عام 1959 م ان الحكومة الالمانية ارسلت الى
شيخ الازهر تطلب منه نظام تعدد الزوجات لانها تفكر في الاستفادة
منه لحل مشكلة زيادة النساء ، ثم اتبع ذلك وصول وفد من علماء
الامان اتصلوا بشيخ الازهر لهذه الغاية .

ثم ان المفكرين الغربيين الاحرار اثنوا على تعدد الزوجات وبخاصة
عند المسلمين ، فقد عرض جروتبوس العالم القانوني المشهور لموضوع
تعدد الزوجات فاستصوب شريعة الانبياء في العهد القديم .

وقال الفيلسوف الالماني شوبنهاور : « اذا رجعنا الى اصول الاشياء
لا نجد ثمة سببا يمنع الرجل من الزواج بنانية » .

وتحدث المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه « حضارة
العرب » عن تعدد الزوجات عند المسلمين فقال : « ان مبدأ تعدد
الزوجات نظام طيب يرفع المستوى الاخلاقي في الامم التي تقول به ،
ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوروبا » .

ويرى الدكتور ليبون ان القوانين الاوروبية سوف تجيز التعدد ،
وبرغم مخالفة الفيلسوف الانجليزي سبينسر لتعدد الزوجات ، فانه
يراه ضرورة للامة التي يفنى رجالها في الحروب « المرأة بين الفقه
والقانون » .

وان هذا الموقف الحديث من حكم الاسلام في تعدد الزوجات
يمثل جانباً من جوانب صلاحية الشريعة لهذا العصر وحاجة
الانسانية اليها .

رابعا : بداية تحطم التحدى الشيوعي لمبدأ الملكية الخاصة في
الاسلام . كانت اشتراكية كارل ماركس التي لا تعترف بمبدأ الملكية
الخاصة تمثل - في نظر كثير من مؤيديها - تحدياً قوياً للاسلام

ومبادئه الخالدة ومنها مبدأ الملكية الخاصة الذي يعتبره من حقوق الفرد التي يحتم على الدولة حمايتها .

ولكن الاشتراكية الماركسية فقدت هذا التحدى المزعوم للاسلام واضطر المسؤولون فى الاتحاد السوفياتى نفسه الى التراجع عن الموقف الماركسى من الملكية الخاصة تحت ضغوط تجارهم المريرة التي انتهت الى الفشل الذريع فى ايجاد حافز بديل للانسان للعمل والانتاج يحل محل نزعته الى الملكية الخاصة .

وكانت نتائج هذا التراجع تعديل دستور الاتحاد السوفياتى واطرافه المادتين 7 و 10 اليه ونصهما كما يأتى :

مادة 7 : لكل عائلة من عائلات المزارع التعاونية - بالاضافة الى دخلها الاساسى الذى تكونه من اقتصاد المزرعة التعاونية - ان تملك قطعة أرض خاصة بها ملحق بها سكن تملكه العائلة وماشية منتجة وطيور كملكية خاصة بها .

مادة 10 : ان حق الملكية الشخصية للمواطنين فى دخلهم وتوفرهم الناجمين عن عملهم ، وكذلك حقهم فى الارث مصون بموجب القانون .
والى جانب ذلك سمح القانون السوفياتى بتقدير الايمان للسلع الكمالية ، وأقر تفاوت الاجور وأحوال المعيشة ووضعت السلطة المركزية أجورا للتعليم العالى بحيث اصبح وفقا على ابناء الطبقة ذات الدخل المرتفع من كبار الموظفين والفنانين .

وفى ضوء نتائج المقارنة بين انتاج الملكيات الخاصة والعامه «اتضح للمسؤولين السوفيات ان نسبة الاراضى المملوكة للفلاحين تبلغ 3% (ثلاثة بالمائة) بالنسبة لاراضى الدولة ، ومع ذلك انتجت اكثر من 50% من انتاج البطاطا فى الاتحاد السوفياتى كله .

ولذلك ألغيت حدود الملكية الخاصة فى جمهوريتى اوكرانيا وايستونية كما اعلنت ذلك وكالة تاس السوفياتية فى 6 اكتوبر 1964 م ، ويقول اليكسى كوسيجين : ان السبب الوحيد لتدهور الانتاج الزراعى يعود الى فقدان المصلحة الخاصة بالفلاح» التشريع الاسلامى وحاجتنا اليه تأليف محمد الصباغ ص 9 - .

وان بداية انحسار التحدى الشيوعى لبدء من مبادئ الشريعة
الخالدة يدل على صلاحية مبادئها لهذا العصر .

وهنا نود ان نشير الى ان الاسلام الذى لا يقر مبادئ الشيوعية ،
يرفض فى الوقت نفسه مبادئ الرأسمالية اذ ان مبادئه الخالدة تمثل
الحق الذى ضل عنه انصار المذهبين .

الحقيقة الحادية عشرة

يقول الاستاذ وحيد الدين خان فى كتابه القيم «الاسلام يتحدى» :
« من الحقائق المعروفة لرجال القانون ان جميع الدساتير الراجعة فى
هذا العصر تفقد اية اسس علمية او نظرية تجيـز بقاءها ويرى
الاستاذ « فولر » « ان القانون لم يكشف عن نفسه بعد » وقولر هذا
هو الذى وضع كتابا اسماه « القانون يبحث عن نفسه » .

وقد وضعت كتب لا حصر لها حول هذا الموضوع بالذات ، وبذلت
عقول جبارة من علمائنا اوقاتها فى سبيل البحث عن مقومات القانون،
وكما يرى محرر « موسوعة تشامبرز » : « لقد اعطى القانون اهمية
علم هام حتى رفع من شأنه الى اقصى الحدود » ولكن هذه الجهود لم
توفق فى الحصول على صورة متفق عليها من القانون ، وقد تشعبت
بهم السبل حتى قال خبير فى التشريع : « لو طلبت من عشرة خبراء
ان يعرفوا القانون فعليك ان تستعد لسماع احد عشر جوابا » .

واما السبب فى هذا الاختلاف بين خبراء التشريع فهو عدم توصلهم
الى اساس صحيح يمكن اقامة صرح التشريع عليه .

ويعبر الاستاذ « و . فريدمان » عن هذه المشكلة بقوله :

« وانها حقيقة ، ان الحضارة الغربية لم تجد حلا لهذه المشكلة غير
ان تنزلق من وقت لآخر من نهاية الى نهاية أخرى » .

وقد لاحظ « جون استين » ان الدستور – أى دستور – لا يصبح
نافذ المفعول الا اذا كانت تسنده قوة من ورائه ، وأصبح التشريع
بناء على ذلك « مرسوما لصاحب السيادة » ولذلك شن المحققون من
العلماء حملة شديدة على هذه الفكرة ، وقالوا : انه لا يمكن منع
انحرافات الحكام الا اذا كان رضا الشعب العام وعامة اساسية

للتشريع ، وأنكروا أى قانون أو دستور لا يحرز رضا الجماهير، وترتب على ذلك ان ضوابط كثيرة يجمع على صحتها وافادتها اهل العلم ومعلمى الاخلاق - لا يمكن تنفيذها لأن الشعب لا يوافق عليها وعلى سبيل المثال : لم يتمكن الامريكيون من ادخال مشروع قرار يحرم الحمر ، لان الشعب لم يرض عنه ، كما اضطر البريطانيون الى ادخال تعديلات هامة فى قانون عقوبة القتل ، واضطروا الى اباحة انواع محرمة من العلاقات الجنسية على الرغم من ضجيج المثقفين واحتجاج علماء القانون « انتهى النص » .

كيف يمكن بعد هذا كله ان يكون القانون الوضعى بديلا عن شريعة الله التى رضىها لخلقه ١٩٠ .

الحقيقة الثانية عشرة

يقول الفيلسوف الامريكى تشارلز بيرس : « لكى نجد معنى للفكرة ينبغى ان نفحص النتائج العلمية الناجمة عن هذه الفكرة اذ بدون هذا فان النزاع حول معنى الفكرة لا ينتهى ولا يؤدى الى فائدة »
- قصة الفلسفة ص 6١8 تأليف ول ديورانت - .

وعن هذا القول انطلق الفيلسوف الامريكى وليم جيمس فوضع أسس المذهب العملى « البراجماتزم » الذى يعتبر ان الحقيقة هى القيمة الفورية للفكرة ، فعوضا عن التساؤل عن مصدر الفكرة او مقدماتها فان المذهب العملى يفحص نتائجها ليحول الفكر الى العمل والمستقبل » .

وفى ضوء هذا المذهب - الذى يمثل لونا من ألوان المنطق الغربى سنرى - فى لمحات من التطبيق العملى للشريعة الاسلامية فى المجتمع الاسلامى القديم ، مدى ما حققه من نجاح ، كما نرى الفشل الذى انتهى اليه تطبيق القوانين الغربية فى عالمها الحديث .

ونبدأ فى - استعراض لمحات عن نجاح شريعتنا الخالدة - بلمحة عن مستوى حياة المسلمين المادية والاخلاقية :

يقول جوستاف جزدنيام فى كتابه « حضارة الاسلام » - ص 80/

: - 8١

« ان المعاصرين لتلك الحضارة لم يكونوا وحسب مدركين لما عليه العيش في العالم الاسلامي من مستوى رفيع وتفوقه المادى على وجه العموم بل ان اولئك الذين احتكوا بالفكر الغربى وأدب السلوك كانوا كثيرا ما يحيون ازاءهما باعجاب لا يستطيعون له ردا، وكثيرا ما كانوا يجدون أنفسهم يحاكون المسلمين في طرائقهم » .

وقد نقل المؤرخ فودا بخسن في كتابه (حضارة الاسلام) اعترافا للراهب نيكلروس الذى عاش سبع سنوات في العالم الاسلامي خلال القرن الرابع عشر الميلادى ابدى فيه اعجابه بحب المسلمين للاحسان وانتشار المؤسسات الخيرية واثنى على نظام الزكاة وابدى اعجابه باغنياء المسلمين الذين يوقفون بعض املاكهم لاعمال الخير ويفكون اسرى المجاهدين المسلمين » .

وقد صور الامام الشاطبي جانبا من السلوك الاخلاقى الرفيع لامتنا في كتابه القيم « الموافقات » بقوله :

« وتجدهم في الاجارات والتجارات لا يأخذون الا بأقل ما يكون من الربح والاجرة ، ولذلك بالغوا في التضحية فوق ما يلزمهم بل كانوا يرون المحاباة لانفسهم – وان جازت – كالعيش لغيرهم ومنهم من يكتسب الشيء فيكون فيه وكيل على التفرقة على خلق الله بحسب ما قدر ولا يدخر لنفسه شيئا » .

وفي مجال معاملة المسلمين للاقلييات غير المسلمة .

أكد باروتولد في كتابه « الحضارة الاسلامية » ان النصارى كانوا أحسن حالا تحت حكم المسلمين اذ ان المسلمين اتبعوا في معاملاتهم المدنية والاقتصادية مبدأ الرعاية والتساهل .

ونجد مثل هذا التأكيد لدى السير توماس ارنولد في كتابه « الدعوة الى الاسلام » والمستشرق جولد تسيهر وغيرهما .

ولم تكن المبادئ الاسلامية – فى المجتمع الذى سادته شريعة الاسلام مبادئ خداع او خيال غير قابل للتطبيق .
يقول ول ديورانت فى كتابه « قصة الحضارة » :

« ويلوح لي ان الثغرة التي لابد من وجودها بين النظريات المجردة والافعال الواقعية كانت اضيق في الاسلام منها في سائر الاديان »
- ج 2 مجلد 4 ص 67 - *

اما معاملة العمال في المجتمع الاسلامي القديم فيقول عنها الاقتصادي الفرنسي الكبير لوبليه ما يأتي :

« لقد صان المسلمون انفسهم عن مثل اخطاء الغرب فيما يمس رفاهية العمال ، وليس من المبالغة في شيء القول بان ذلك الشعب الذي يزعم الاوروبيون انهم يرغبون في اصلاحه هو في الحقيقة خير مثال يقتدون به » - العدالة الاجتماعية عند العرب « ث . ابراهيم حداد ص 98 - *

ويؤكد هذه الحقيقة ول ديورانت في « قصة الحضارة » :

« ولم يبلغ استغلال العمال في بلاد آسيا الاسلامية من القسوة ما بلغه في البلاد الوثنية او المسيحية حيث كان الفلاح يكدح طوال النهار ولا يكسب الا ما يكفي للحصول على طعام لا يكاد يقيم اوده »
- ج 2 مجلد 4 ص 113 - *

ومن المعروف لدى الجميع ان مبادئ الشريعة الخالدة هي التي صانت المجتمع الاسلامي والمجتمعات التي حكمها الاسلام من الاقطاع وفوارق الطبقات ، وحمت حقوق الافراد من الطغيان باحكامها الخالدة التي لا تقبل التغيير وبما للقضاء من حرية وحرمة حتى في عصور التخلف والضعف *

وحسنا ان نذكر هنا ان الملك قسطن والمملك الظاهر بيبرس وأمير المسلمين يوسف بن ناشفين قد رجعوا الى العلماء المعاصرين لهم ومنهم الندوى والعز بن عبد السلام وابى الوليد الباجي حين أرادوا فرض جزية على المسلمين لاعداد الجيوش لمقاتلة التتر والصليبيين ووقف العلماء يحمون مصالح المسلمين - لان هؤلاء الحكام لم يثبتوا عجز بيوت أموال المسلمين عن اداء هذا الواجب عجزا حقيقيا *

والحاكم الذي لا يجرؤ على اخذ قسط من المال باسم الجهاد لا يجرؤ حتما على أخذه بأي مبرر آخر ونستطيع ان نرى الفشل الذي انتهى

اليه التطبيق العملي للقوانين الوضعية فى العالم الغربى الحديث فى الحقائق الآتية :

أولا : ان القوانين الوضعية - التى يعتقد بعض المنقذين غير الاسلاميين انها أكثر سلامة للحياة الحديثة من الشريعة الخالدة - ان هذه القوانين هى التى فتلت فى تحقيق آمال الانسان فى السلام والاستقرار النفسى ، كما فتلت فى القضاء على احساسه بالقلق والضياع والتعاسة ، بسبب ضعف الوازع الدينى وانحلال الاسرة ، وانحطاط الاخلاق ، وهى العوامل الهدامة التى اوجدها تجسريد القوانين من كل الاصول والقواعد الدينية والاخلاقية ، وأدى فتسل القوانين - فى هذا المجال - الى انجاء الحضارة الغربية نحو السقوط برغم الانجازات المادية العظيمة التى تحققت فى كل يوم .

ثانيا : لقد بدأ بعض المفكرين الغربيين - منذ الحرب العالمية الاولى على الاقل - فى نبيه الغرب الى المصير الذى ينتظر حضارته ، والخطر الذى يهددها بالزوال .

ولعل الفيلسوف الالماني شبنجلر هو أول من أكد ان الحضارة الغربية سائرة لا محالة للانحلال وانتهاء الحضارات أمر معترف به من حيث المبدأ .

وفى عام 1955 م اصدر لوسيان دوبليسى كتابه « روح الحضارات » وقد لخص الاستاذ عبد اللطيف شرارة نتائج أبحاث هذا الكتاب بقوله : وعندما يصل لوسيان الى خاتمة كتابه يستعرض الامم والدول ليرى أيتها تصلح لانقاذ الحضارة المتداعية فيجد ان المجتمع السوفياتى ليس بداية ولكنه نهاية اما الولايات المتحدة فانها ذات مجتمع لا ينبثق فيه تصنيف الناس الا على اساس الدخل المادى ، وليس فيه تماسك متين للاسرة وكذلك هو شأن غيرها من الدول .

وأخيرا . . يتساءل دوبليسى هل لنا ان نترقب انبعث الاسلام ؟ ومع انه أكد ان الامة الاسلامية ان تستعيد استقلالها ووحدها فقد جعل المستوى السياسى هو الحد الاعلى الذى يبلغه الاسلام والمهم فى بحثه الاعتراف بان حضارة الغرب سائرة للانحلال .

وفي الولايات المتحدة اصدر الدكتور الكسيس كارليل كتابا بعنوان « الانسان ذلك المجهول » وقد نفل منه العلامة سيد قطب رحمه الله فقرات طوالا فى كتابه « المستقبل لهذا الدين » ومنها هذه الفقرة : « اننا قوم تعساء لاننا ننحط اخلاقيا وعفليا ، ان الجماعات التى بلغت فيها الحضارة الصناعية اعظم نمو هى على وجه الدقة الامم الآخذة فى الضعف وتساءل كيف نسنطع ان نحول دون تدهور الانسان ؟

وقد قال الدكتور كارليل انه كتب كتابه لأولئك الذين يجدون من أنفسهم شجاعة كافية ليدركوا ضرورة قلب الحضارة وظهور فكرة أخرى للتقدم الانسانى » .

ونجد فى كتاب المسـتر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الاسبق الذى اصدره بعنوان « أحرِب أم سلام » اعترافا يؤيد نظرية لوسيان دوبليسى اذ يقول :

« ان الامر لا يتعلق بالماديات ، فلدبنا اعظم انتاج عالمى فى الاشياء المادية ، وان ما ينفعنا هو ايمان صحيح وبدونه يكون كل ما لدينا قليلا ، وفى بلادنا لا تجتذب نظمنا الاخلاص الروحى اللازم للدفاع عنها ، وهناك حبرة فى عقول الناس ونأكل فى أرواحهم » .

ثالثا : كتب غاندى فى كتابه حضارتهم وخلصنا بقول :

« لقد وصلت هذه الحضارة الى درجة لم بعد علينا سوى الانتظار بصبر لتراها تقضى على نفسها وتنهار » .

وهناك كتاب وشعراء غربيون كثيرون يؤكدون ان الحضارة الغربية فى طريقها الى الانهيار ، ومن المؤكد ان القوانين السياسية والاجتماعية والجنائية هى مصدر الخطر الذى يقود الحضارة للانهيار لان مكاسبها المادية مكاسب بناء بدون شك .

الحقيقة الثالثة عشرة

لقد اكدنا - فى الحقيقة الاولى التى كانت منطلق هذا البحث - ان جميع القوانين الانسانية قد انبثقت عن العقيدة الدينية وارتبطت بها منذ اقدم العصور ارتباطا وثيقا حتى بداية العصر الحديث .

ونود ان نؤكد بهذه الحقيقة التي نختتم بها بحثنا هذا ان الانسانية التي ضلت عن الصراط المستقيم الذي قادها الى الحق عبر عصور سابقة بدأت تبحث عن طريق العودة .

وبداية البحث عن طريق العودة الى الايمان كمنقذ للانسانية من متاهات المادية نجدها لدى بعض الفلاسفة ، كما نجدها لدى بعض القانونيين .

ويتجسد الاتجاه القانوني نحو العودة الى الايمان في اتجاه الفقه المعاصر الى العودة الى المذهب التقليدي للقانون الطبيعي .

يقول الدكتور عبد الفتاح عبد الباقي في كتابه « نظرية القانون » :
« لا شك ان مذهب القانون الطبيعي ذي الحدود المتغيرة جاء تسليما بهزيمة فكرة القانون الطبيعي اكثر من مجيئه بعنا لها فأساس هذه الفكرة هو وجود قواعد عامة ابدية تصلح لكل وقت ولكل مكان ، فالقول بان ما يحويه القانون الطبيعي يتغير من بلد لآخر وفي البلد الواحد من زمان الى زمان متضمن في ذاته انكارا لفكرة القانون الطبيعي نفسها . ولذلك لم يتمكن انصار هذه الفكرة الحقيقيون الى مذهب القانون الطبيعي ذي الحدود المتغيرة ، ورأوا فيه رداً خداعاً ظاهره انه يطهر الفكرة من عيوبها ، وهو في الحقيقة يخنقها ، وهكذا رأينا كثيراً من الفقهاء المعاصرين يقودون الى القانون الطبيعي في شكله التقليدي ، وقد بدأت الحركة في أوائل القرن الحالى ، ولا زال انصار هذا الرأي يتزايدون يوماً بعد يوم .

وتقوم فكرة القانون الطبيعي على انه يشمل قواعد عامة ابدية لا تتغير بحسب الزمان أو المكان وعلى ان هذه القواعد تسمى فوق القانون الوضعي بحيث اذا خالفها الشرع فيما يسن من قوانين كانت قوانينه ظالمة .

والقانون الطبيعي - كما قال القانوني والفيلسوف الروماني شيشرون - ينبثق من واقع حكم العناية الالهية ، وهو بهذا المعنى - لدى عدد من الفقهاء الغربيين - يعنى الشريعة الالهية فان القواعد العامة للبشر ، وحيث قد ثبت ان الدين سبق كل انواع القانون واوجدها وائر فيها فان القانون الطبيعي هو قانون من حيث المبدأ .

وقد نقل الاستاذ وحيد الدين خان في كتابه « الاسلام يتحدى »
عن البروفيسور (باتون) قوله : « لقد استخرج اصحاب نظرية
القانون الطبيعي القديمة اسسهم من الحقائق الالهامية في الدين » -
ص 234 - .

ونجد تأكيدا للاتجاه القانوني نحو العودة الى الايمان في قول
الدكتور فرويدمان :

« يتضح بعد دراسة هذه الجهود المختلفة انه لا بد من هداية الدين
لتقييم المعيار الحقيقي للعدل والاساس الذي يحمله الدين لاعطاء المبدأ
صورة عملية يتفرد هو به في حقيقة وبساطة » - ص 235 - .

أما الاتجاه الفلسفي نحو العودة الى الايمان في الغرب فنجد له لدى
عدد من الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين في أوروبا وأمريكا ، ومما
يدعو للدهشة والاعجاب ان بعضهم تجاوز التطلع للايمان ككل وتطلع
للاسلام نفسه كمنقذ لاوروبا والعالم من مشكلات حضارة الغرب
وجنباياتها على الانسان .

وكان في مقدمة العلماء الغربيين الذين امنوا بفشل الحضارة
الغربية في تحقيق المجتمع الافضل للانسان ، وتطلعوا للاسلام كبديل
عنها ، الفيلسوف الالماني اوزفلد شبنجلر الذي قال « ان الحضارة
تغرب هنا لتشرق هناك ، وان حضارة جديدة اوشكت على الشروق في
أروع صورة هي حضارة الاسلام » .

وقد ذكر الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه « أوروبا والاسلام »
انه كان مع احد العلماء الامريكيين في زيارة للازهر ، وقد وجه العالم
الامريكي سؤالا - الى لجنة الفتوى - قال فيه : ان الغرب الآن في حالة
روحية مضطربة ومن الممكن أن يتجه الى الاسلام فهل أعد الازهر
او الهيئات الاسلامية برنامجا لتوجيه الغرب الى الاسلام ؟

ونقل الدكتور عبد الحليم عن اللورد هيدلى قوله في كتابه « ايقاظ
الغرب للاسلام » ما نصه :

« من عدة سنين خلت كان احد افكارى الرئيسية هو كيف يمكننا
- نحن معشر الغربيين - ان نعد انفسنا لنفقه معنى الاسلام الحقيقي؟ »

كما نقل المفكر الهندي المسلم محمد علي في كتابه «الاسلام والنظام العالمي الجديد» عن المستشرق المعروف جب قوله : « ولكن الاسلام ما زال في قدرته ان يقدم للانسانية خدمة سامية جليلة ، فاذا ما وضعت منازعات الشرق والغرب موضع الدرس ، فلا بد من الالتجاء للاسلام لحسم النزاع » .

وقد نقل احد الباحثين عن برنارد شو قوله : « ان أوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد وسيكون دين محمد هو النظام الذي يؤسس دعائم السلام ويستند على فلسفته في حل العضلات ، ويمكنني ان اؤكد - والقول ما زال لبرنارد شو - ان بوادى العصر الاسلامي الابدى قريبة لا محالة » .

وفد نقل الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه « الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان » عن سالمون ريناك قوله : « وليس امام الديانات مستقبل غير محدود فحسب ، بل لنا ان نكون على يقين من انه سيبقى شيء منها أبداً ذلك لانه سيبقى في الكون دائما اسرار ومجاهيل ، ولان العلم لن يحقق أبداً مهمته على وجه الكمال » .

كما نقل عن الفيلسوف الفرنسي ارنست رينان قوله : « ان من الممكن ان يضمحل كل شيء نجبه وان تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن ليسنحيل ان ينمحي التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد ان يحصر الفكر الانساني في المضايق الدنيئة للحياة الارضية » .

ونقل عن الدكتور ماركس نوردوه قوله عن الشعور الدينى : « ستبقى الديانات ما بقيت الانسانية وستتطور بنطورها وستتجاوب دائما مع درجة النقاة العقلية التى تبلغها الجماعة » - ص 89 - .

وقد أوضح البروفيسور اميل برييه عضو المجمع الفرنسى واستاذ الشرف فى السربون فى كتابه « انجاهات الفلسفة المعاصرة » ان الفلسفة الحديثة بدأت تبحث منذ بداية القرن الحالى عن توازن العقل الانساني بين العلم والدين بحيث لا يضحى احدهما من أجل الآخر .

وفى ضوء هذه الحقائق ، وفى ضوء قواعد الشريعة التى تضمن لها التطور والصلاحية لكل عصر ، مثل القياس والاستعجاب ومراعاة العرف ، وسد الذرائع والمصالح المرسلة والاستحسان التى لا يحتوى على مثلها أى قانون وضعى .
فى ضوء ذلك كله ، يجد الباحث عن الحق وحده ان الشريعة الخالدة أفضل من القوانين الوضعية ، وانها صالحة لهذا العصر ، وقادرة على مواجهة تحديات التطور فى كل عصر ، ذلك ان قواعدهما العامة التى احتفظت بقيمتها التشريعية والحقوقية عبر اربعة عشر قرنا ، رغم كل تحديات التطور ودفعت القانونيين الغربيين الى الاعتراف بها كمصدر من مصادر التشريع العام ما زالت قادرة - وستظل قادرة دائما - على الاستجابة لمطالب الانسان على امتداد المستقبل كله ، بما فى حقائقها الخالدة من عوامل الكمال وامكانات الصلاح والبقاء فى كل زمان ومكان .

« ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين » (الجاثية آية 18 و 19) .
• وآخِر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .
• والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

واقع المسلمين اليوم

للأستاذ حسن القوتلي
مدير عام الشؤون الإفتاء - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ان واقع المسلمين اليوم هو واقع متخلف ، ونحن نعلم أن معنى التخلف اليوم أصبح يتركز على التخلف في مجال الحضارة المادية . الا أن الدين الاسلامي الذي لم تكن له مثل هذه النظرة الجزئية الى الحياة ، يحتم علينا ان ننظر الى واقع المسلمين اليوم بمنظار كلي جامع لنلاحظ ان هذا الواقع متخلف اليسوم في كلا المجالين معا ، مجال الحضارة المادية ، ومجال الحضارة الروحية ، أو مجال الحضارة الحقيقية في مختلف أبعادها ومعانيها .

ونحن لسنا بحاجة ، في هذا الموقف العابر ، الى التدليل على هذا

التخلف بالارقام والمقارنات ، ذلك ان قناعات المواطن العادى ، العربى
والمسلم ، باتت وحدها تكفى للتدليل على هذا التخلف .

ان التخلف الصناعى ، والتخلف الزراعى ، والتخلف التكنى فى
كل المجالات ، أصبحت كلها « معطيات سلبية » تنعكس على حياة
المسلم والعربى اليومية فقرا وفوضى .

وان التخلف الروحى الاسلامى على صعيد العبادات والمعاملات
وانظمة الحكم ، أدى بشكل عام الى انهيار الفرد ، وتصدع الجماعة ،
وزعزعة الحكومات ، فانعكس ذلك كله على الحياة اليومية لدى المواطن
العادى ، المسلم والعربى ، ضياعا وقلقا وأسى .

وليست هزيمة الخامس من حزيران ، وما تعانیه الامة حتى اليوم
من جرائها ، الا برهانا قاطعا على هذا التخلف فى شتى أبعاده
وصوره .

واذا كان واقع المسلمين اليوم واقعا متخلفا فمعنى ذلك ، فى
رأينا ، أن لدى المسلمين اليوم ، فهما خاطئا لمنطلقات الحياة الاسلامية،
أعنى لطبيعة الاسلام ، فى مصادره الاساسية ، هذا الاسلام ، الذى
لم يتخلف من ذاته ولن يتخلف ، لانه المبدأ الذى بلغ الكمال ، وجمع
القيم ، ووضع أسس الحضارات ، قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر ،
وانا له لحافظون » .

وفى تحليلنا للواقع الاسلامى المتخلف ينبغى أن نلاحظ أن هذا
الواقع مبدأ ، وموضوعا ، ومنهجيا ، وغاية . أما المبدأ فهو الاسلام ،
وهو مبدأ غير متخلف كما رأينا ، ولا يمكن ان يتخلف كما نؤمن ،
فلا بد اذن الا وأن يكون التخلف مصدره موضوع هذا الواقع الاسلامى،
ومنهجيه فى الحياة ، وغايته من الوجود .

أما موضوع هذا الواقع الاسلامى فهو الانسان المسلم ، أما غايته
فهى فهم الانسان المسلم للغرض الابعده من الوجود ، وأما منهجه ،
فهو الكعبة التى يتحرك بها الانسان المسلم فى عصرنا باتجاه الغاية
التي فهمها عن الحياة .

ونحن في هذه الدقائق سنتناول جوانب التخلف الثلاثة من هذا الواقع ، أعني الموضوع الذي هو الانسان المسلم ، تم المنهج ، ثم الغاية ، لتبين جوانب التخلف وأسبابها ، التي أوقعت المسلمين في ما هم واقعون فيه من تخلف وضياع .

ان هذه الصيغة المعقدة ، تنلخص في اعتقادنا ، في كونها أساسا ، أزمة علاقة بين المبدأ ، الذي هو الاسلام ، من ناحية ، وبين الموضوع والغاية والمنهج من ناحية أخرى .

وسوف أختصر في تفصيل ذلك ، الا انني أرجو المعذرة ، اذا اضطررت لاعطاء الامثلة المؤيدة مستمدة في معظمها من هذا اللقاء الاسلامي الكريم ، لسببين أولهما ان هذه الامثلة تبقى اكر حصورا وبالتالي أكثر وضوحا ، وثانيهما سبب مبدئي يتصل بروح النقد الذاتي الصادق الذي التزم به الاخ الوزير السيد مولود قاسم أثناء ادارة جلسات هذا اللقاء ، فدعانا عن طريق العذوة الطيبة منذ اليوم الاول الى خلع قفازاتنا الملساء خارج هذه القاعة ، والنخيل عن لغة الحفلات المخملية الى غير هذه المناسبة .

أقول .

أما على صعيد الموضوع ، أعني على صعيد الانسان المسلم ، فالملاحظة الحادة التي نستخلصها من حياتنا الاسلامية العامة ، أن هناك أزمة علاقة بين الفكر الاسلامي وموضوعه . الفكر الاسلامي يتمثل بمصادر التشريع ، أما موضوع هذا الفكر فهو يتمثل بالانسان المسلم المعاصر . والملاحظة التي أعني ، أن هناك أزمة واضحة بين الفكر الاسلامي الحضاري المتوارث ، وبين انسان العصر المسلم .

وان وجه هذه الازمة ، في العلاقة بين الفكر والانسان ، ان هذه العلاقة اليوم هي على علاقة جزئية . فالانسان المسلم المعاصر يمارس اليوم علاقة جزئية بوائه واسلامه ، أفلها الاكتفاء بالشهادتين ، وأكثرها لا يفى بالعرض ، ولا يصل الى الحد الأدنى من المطلوب .

ومن مظاهر هذه الجزئية التي تختلف درجتها لدى المسلمين ، حتى عند معظم المثقفين منهم ، تلك التعاقبات الصيفية التي تنحكم بهم ، كما ثقافة مدنية غربية لا صلة بينها وبين التراث ، واما ثقافة شرعية

وعربية تقليدية لا يتبين صاحبها الصلة بينها وبين روح العصر
وحضارته .

لقد كان من نتيجة هذا ، الشلل النصفى الذى أصاب الانسان
المسلم فى هذا العصر ، فأقعدته عن الحركة ، وعطل عليه فريضة العمل .
ان تراثنا يؤكد ، وان حضارتنا تؤكد ، أن الثقافات الشاملة التى
تتخطى حدود النظرة الجزئية الى الحياة ، هى وحدها الفادرة على صنع
الحضارات . ان صناع حضارتنا ، كانوا فى وقت واحد ، علما ، دين
وعلماء دنيا ، ويكفى ان نذكر منهم بالقليل ، كالغزالي ، وابن سينا ،
والفارابى ، وابن الهيثم وابن جبير .

ولقد أدت هذه الجزئية فى الثقافة العصرية لدى المسلمين ، الى ان
يتتبعه معظم رجال الفكر الاسلامى عن موضوعاتهم ، فباتوا لا يعرفون
ماذا يريدون ، فأضاعوا أهدافهم ، ومن أضاع هدفه ، فقد فى الوقت
نفسه وسيلته اليه ، ومن فقد الوسيلة الى هدفه ، شلت حركته ،
ووقع فى الشح والجمود .

ان آفة ذلك فى حياتنا اليوم أن معظم الدعاة من رجال الفكر
الاسلامى قد أضاعوا موضوعاتهم الحقيقية، وتوجهوا الى غيرها . انهم
اليوم يتوجهون بالدعوة الاسلامية الى من هم ليسوا بحاجة لها ،
فقصروا الدعوة على المساجد ، وراحوا يدعون المصلين الى التمسك
بالصلاة ، والصائمين الى المحافظة على الصوم ، والمتدينين الى التعلق
بأهداب الدين ، فى الوقت الذى تركوا فيه ، كتل الناس ، وجموع
الشباب بشكل خاص ، ممن لم يصلوا بعد الى المساجد ، بعيدين
كل البعد عن نعمة الهداية ، معرضين لمختلف المؤثرات والعقائد
المستوردة تفعل فيهم ما تشاء .

حتى فى هذا اللقاء الكريم ابعد الفكر الاسلامى عن موضوعه ،
حينما سمعنا أصواتا عالية ، وهى مخصصة من غير شك ، تدغونا ،
وعلى رأسنا كبار العلماء الاجلاء ، الى التمسك بالاسلام كأنه أفلت
منا ، وتحثنا على العودة الى كتاب الله . . كأننا تركناه .

وليس الخروج عن الموضوع فى هذا اللقاء ، من قبل بعض السادة المحاضرين والمعقبين ، الا صورة من صور الازمة الحادة القائمة اليوم بتشكل ظاهر بين الفكر الاسلامى وموضوعه .

وعلى صعيد الغاية فان الازمة حادة أيضا بين الفكر الاسلامى وغايته ، لان الصلة بينهما هو الانسان المسلم المعاصر المتخلف .

ان غابة الفكر الاسلامى دعوة الكون ، روحا ومادة ، الى عبادة الله بشكل مستمر ، بكل ما ينضمه معنى العبادة ، من معانى المساواة بين الناس ، ومعانى الوحدة بين الكائنات جميعا .

قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

وقال جل شأنه « يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شىء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

الغاية الاسلامية اذن بالنسبة للكون والانسان ، المادة والروح ، هى فى طاعة الخالق جل شأنه . وعلى ذلك فان الازمة على صعيد الغاية مردها فى اعتقادى الى أن المسلم المعاصر ، فقد العدرة على تحقيق التوازن بين المادة والروح ، فتوحه البعض الى هذه ، والبعض الآخر الى تلك ، وكل رأى غابته فى طرف دون الطرف الآخر . ولعل ذلك كله مرده الى ضعف الثقافة الاسلامية لدى المسلم ، فى الوقت نفسه الذى عزت فيه الثقافات الغربية ، روحية كانت أم مادية ، عقول أبناء هذه الامة .

أضف الى ذلك ان أضواء انجازات الحضارة المادية الممتدة على الخط الزمنى القائم بين النورة الصناعية وعصر الفضاء كانت قد بهرت عيون ابنائنا ، فعطلنها عن رؤية الفربب الاقرب ، أعنى حضارة الاسلام وانجازاته النسبية . ولقد كان من نتيجة ذلك أن انصرف الشباب المسلم الى هذه الحضارة المادية النصفية ، وتمسكوا بها ، فى الوقت الذى بدأت فيه صيحات الانسان الاوروبى ، تعلقو مستغيثة من ضغط هذه الحضارة على سعادته ومصيره ، وقيمه الانسانية والحلقية . واذا كانت أزمة الانسان الغربى اليوم ، أساسها طغيان المادة على لروح ، فان أزمة الفكر الاسلامى من وجهة غايته ، هى اليوم

قائمة من طغيان الروح على المادة ، ان كثيرا من مفكرينا اليوم
لاهم لهم الا ان يحقروا هذا الوجود المادى ، ويحطوا من قدره ، ويحذروا
الناس من دنسه ، كأنما ليس هو من هذا الكون ، الذى صورہ الله
وأحسن تصويره .

ان الاسلام هو دين الوسطية ، دين التوازن بين حياتنا الروحية
وحياتنا المادية ، وواقع الفكر الاسلامى اليوم ، أنه أخل فى هذا
التوازن الفائق .

أما على صعيد المنهج ، والمنهج كيفية معالجة الانسان المسلم
لقضاياہ ، فهو أخطر هذه الازمات كلها التى بعانيها الانسان المسلم
فى عصرنا الراهن .

ان منهج التفكير الاسلامى اليوم ، فى معالجة القضايا الحياتية ،
التربوية منها والاجتماعية والسياسية والمادية والانسانية هو منهج
متخلف وأهم صفات هذا المنهج :

1 - انه منهج تعددى : ومعنى هذا ان هنالك أفهاما متعددة لمعنى
الاسلام وتطبيقه ، وبالتالي فقد أصبحت هناك تبعا لذلك ، مناهج
متعددة لمعالجة القضايا الحياتية والاجتماعية والسياسية على ضوء
الاسلام ، تتوزع كلها بين الافراد والاحزاب ، والسياسات ، وكل بما
لديهم فرحون .

2 - انه منهج تجارى : أعنى ان هذا المنهج اليوم لا يوصل الى
الغاية الاسلامية ، بقدر ما يطمح الى مكسب فردى ، أو حزبي ، أو
سياسى محورى ، فى خضم الصراعات المحلية والدولية الراهنة .

ثالثا - انه منهج دعائى : أعنى أنه يتوقف عند صيغ الاعلام ،
والكشف النظرى ، عن قيم الاسلام ومعانيه ، من غير ان يتجشم مؤونة
الحركة والعمل ، لمعيشة الناس ، وحل مشاكلهم الناتجة عن حاجاتهم
الضرورية .

4 - انه منهج منبرى : أعنى ان الخطابة المنبرية هى كيفية اساسية
فى معالجة قضايا المسلمين اليوم ، بعيدا عن المنزل ، والنادى ،
والمصنع ، والحقل .

5 - انه منهج خطابي : أعنى أنه يركز على مخاطبة العاطفة من دون العقل ، وهذا ما لمسناه من البعض أثناء هذا اللقاء بالذات .

- انه منهج تقريعي : أعنى أن كثيرا من أساليب الدعوة يتميز بالاسلوب التقريعي ، فالدعوة الى التمسك بأهداب الدين ، غالبا ما تأخذ صورة التأنيب ، أو اللوم أو التفريع ، مما يؤدي بالشباب الى النفور والهرج ، وهذا ما حصل بالنسبة لدعوة الشابات لوضع غطاء الرأس على رؤوسهن في هذا اللقاء .

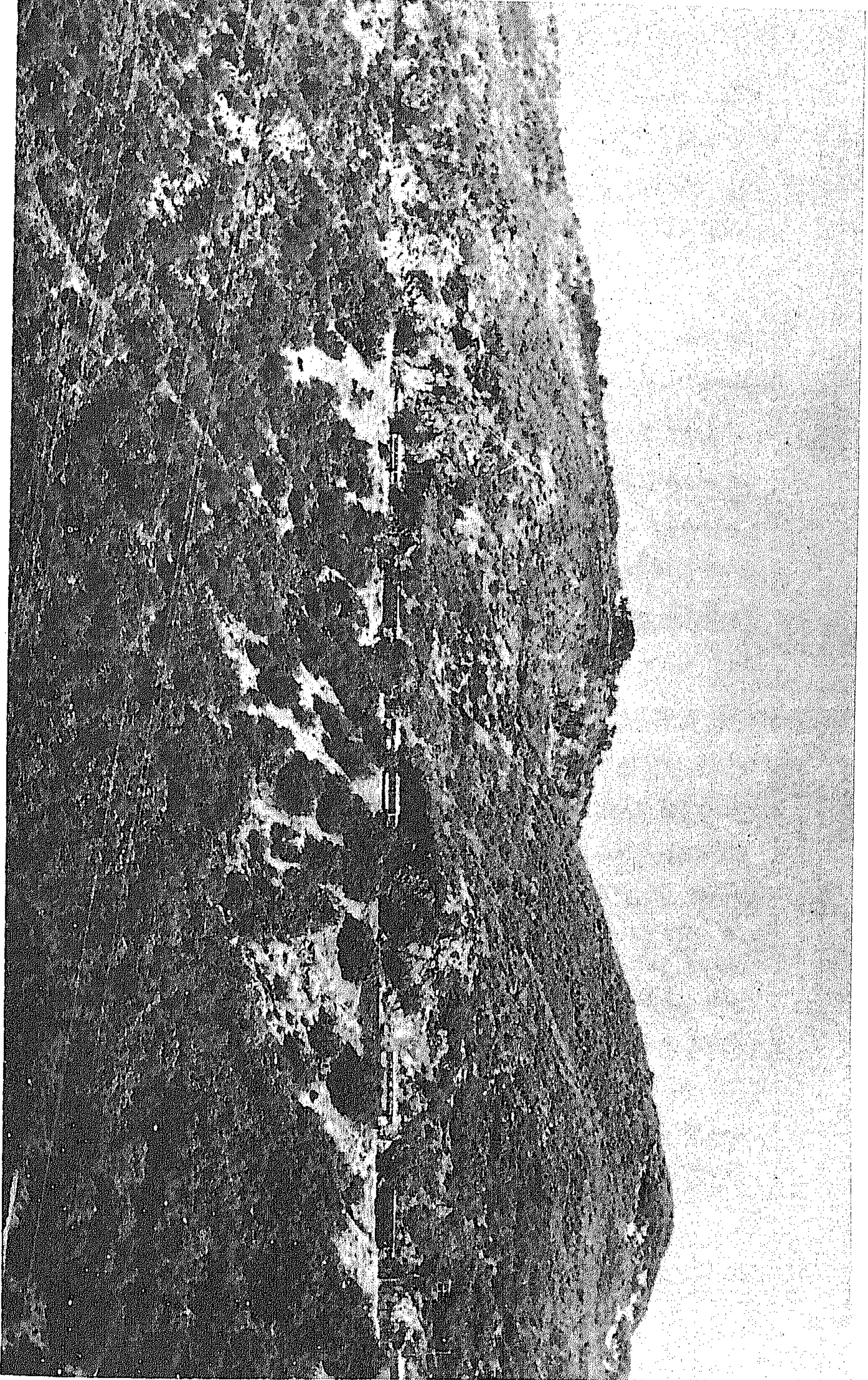
7 - انه منهج لفظي : أعنى أنه يهتم بالالفاظ أكثر مما يهتم بالاشياء والموضوعات ، وآية ذلك هذا الاهتمام الزائد أثناء التعقيب (بلفظتي تكريس وتركيز) انهما غير مفيد ، وغير ذي موضوع .

8 - انه منهج فردي : أعنى أنه بالرغم من قوله تعالى: ﴿وَأمرهم شورى بينهم﴾ فان الكثيرين منا تأخذهم العاطفة فيفرون ويتصرفون بدافع فردي ، بصرف النظر عن المجموعات التي ينتمون اليها ، وهذا ما حصل بالفعل في هذا اللقاء عندما قام السيد مدود الجامعة العربية ، ليعلن أن الجامعة العربية لم تقم الا على أساس تحولها فيما بعد الى جامعة اسلامية .
وبعد أيها السادة :

ويبدو أننا نستطيع ان نستطرد الى مدى قد يطول كثيرا في ذكر مثل هذه الجوانب السلبية التي تزخر بها حياتنا اليومية ، الى جانب بعض الايجابيات ، والتي تشكل جوهر الواقع الاسلامي في عصرنا الراهن ، لذلك نرى أنه لا يبد لنا من أن نستدرك ونتوقف عن الاستطراد مشفقين على أنفسنا ، حتى لا يغلبنا اليأس ، في الوقت الذي نتطلع فيه بكثير من الامل ، الى نتائج هذا اللقاء الموفق باذن الله ، لما رأينا فيه من جدية وحزم واخلاص . اخلص من جميع المشتركين فيه بلا استثناء .

- هذا هو واقع المسلمين اليوم من شريعتهم ، من خلال وصف الانسان المسلم في رؤيته الغائية للوجود ، وفي منهجه في معالجة قضايا الحياة .

- انه واقع متخلف . . . ولا يمكن النهوض الا باعتماد الانسان لمنهج اسلامي واضح . فما هو هذا المنهج ؟



جبل جرجر

المهاجر المسلم

أوضاعه الاجتماعية والثقافية في أوروبا الغربية

للأستاذ إسماعيل العربي - كاتب جزائري

سيادة الوزبر ، أيها الاخوة :

ان ظاهرة هجرة المسلمين الى أوروبا الغربية للاقامة والعمل فيها ، ظاهرة حديثة وتمتل نواها وجزرا حضاريا وثقافيا في تاريخ الامة الاسلامية . فان البلدان الاسلامية قد شهدت هجرة المسيحيين خلال الفترة بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر الميلادي ، واستقرارهم في المشرق حيث أقاموا ممالك وادارات وشاهدت هجرة المعمرين والتجار والاداريين الانجليز الى الهند تم الى مصر في القرن الماضي ، وعرفت غزو الجزائر وتونس والمغرب الاقصى بجيوش جمعت لغرض الاستعمار من الفرنسيين ومن أخلاط الضفة الشمالية للبحر الابيض المتوسط . وقد قاوم المسلمون بنجاح هذه الامواج المتعاقبة من

المهاجرين الذين كان هدفهم بسط السيطرة السياسية والاستغلال الاقتصادي . ولكن العالم الاسلامي لم يشهد تيارا معاكسا للهجرة - هجرة المسلمين الى أوروبا الغربية - الا في أعقاب الحرب العظمى الاولى .

وأسباب هذه الهجرة ، تعود خصوصا الى اختلال توازن النمو الاقتصادي والعلمي نتيجة للثورة الصناعية التي ظهرت في الغرب ، من جهة ، والى انفتاح أبواب الهجرة أمام سكان المستعمرات الى البلدان التابعة لها لتوفير اليد العاملة الرخيصة ، خصوصا بتيسير اجراءات السفر وعدم وجود قيود على تبادل العملة ، من جهة أخرى .

وقبل ان نستعرض وضع المهاجر المسلم الاجتماعي والثقافي في أوروبا الغربية ، ينبغي أولا ان نقدم تعريفا لتوضيح تعبير « المهاجر المسلم » حتى نتمكن من تشخيصه في أذهاننا . فان هذا البحث يستبعد السياح والتجار الذين يسافرون الى أوروبا لاغراض تتصل بالاعمال ثم يعودون الى أوطانهم ، كما يستبعد الطلبة المسلمين الذين يقصدون الى أوروبا لاتمام دراستهم ، ونحن لا ندرج في الفئة التي ينطبق عليها تعبير « المهاجر المسلم » أيضا اللاجئين لاغراض سياسية، ورجال السلك السياسي ، وموظفي المنظمات الدولية ، وموظفي المكاتب والمنظمات الحكومية القومية ، مثل شركات الطيران والمكاتب التجارية الخ .

وبعزل هذه الفئات التي لا ينطبق عليها المضمون القانوني لمصطلح « المقيم » تبقى لدينا فئة واحدة من المهاجرين ، وهم فئة العمال اليدويين ، بما في ذلك تجار التجزئة وذوي الكفاءات الذهنية . وهنا ينبغي ان أسارع الى القول ، بأنه ، على عكس الحالة السائدة بين المهاجرين المسلمين (وخصوصا العرب) الى الولايات المتحدة ، فان نسبة المهاجرين المسلمين الذين يمارسون أعمالا تتطلب كفاءات ذهنية في أوروبا الغربية ، نسبة ضعيفة جدا ، بالقياس الى الفئة الاولى ، والفئة الاخيرة من المهاجرين تتكون خصوصا من الاطباء الباكستانيين والهنود في انجلترا ، والاطباء المهاجرين من شمال افريقيا الى فرنسا ، وبعض الموظفين في قطاع المصارف في سويسرا من السويسريين

واللبنانيين • وهؤلاء ، على كل حال ، لا ينطوي وضعهم في البلاد المستضيفة على مشاكل اجتماعية أو ثقافية دقيقة • ولكن سهولة اندماجهم في المجتمع الاوروبي الذي تشبعوا بقيمه الثقافية ، تجعل أبناءهم يتعرضون لفقد كل مقوماتهم القومية من العادات والتقاليد ، ولا سيما اللغة والدين •

وهكذا نجد الفئة الاولى من المهاجرين هي المتغلبة بنسبة يمكن تقديرها بما يزيد عن 99% • وهذه الفئة تمارس نشاطا في الانتاج والتوزيع ذا أهمية ثانوية وبعيدا عن كل مقاليد المسؤوليات • وهذا النشاط يشمل الاعمال الثقيلة وغير المتخصصة في الصناعة والمناجم والزراعة وقطاع المرافق العامة ، مثل تعبيد الطرق والبناء وشق القنوات ، كما يشمل بعض نواحي قطاع تجارة التجزئة ، مثل البقالة والمطاعم والمقاهى والفنادق الصغيرة •

وهجرة المسلمين الى أوروبا الغربية ، هي جزء من الصورة الخلفية القائمة للعلاقات بين الدول الصناعية المتقدمة والدول المتخلفة اقتصاديا • والبلدان المصدرة لليد العاملة غير المدربة الى الدول الصناعية في أوروبا الغربية كثيرة ، وتشمل الى جانب باكستان والهند وشمال افريقيا ، وافريقيا الغربية ، دولا أوروبية تعتبر دولا صناعية متقدمة ولكنها تشكو من فائض في اليد العاملة ، وفي مقدمتها اليونان وتركيا وايطاليا والبرتغال والهجرة للعمل في الدول الصناعية ، على الرغم من أهميتها في ادارة عجلة الانتاج ومن خطورة المشاكل الاجتماعية التي نجمت عنها للمهاجرين في المكان الاول ، وللبلد المستضيف نفسه ، لم تكن موضوعا للدرس والبحث ، لا من قبل الدول المستوردة لليد العاملة ، ولا من قبل المنظمات الدولية أو من أجهزة الامم المتحدة المتخصصة ، مثل منظمة العمل الدولية • وبالتالي ، فان الباحث في هذا الموضوع لا يجد تحت تصرفه أية معلومات منسقة ، أو احصاءات رسمية او شبه رسمية ، وسيكون مضطرا للاعتماد على ملاحظاته الخاصة • وهذا بالضبط ، وضع هذا المتحدث الذي جمع معلوماته خلال اقامة دامت في مجموعها نيفا وخمس عشرة سنة في أوروبا الغربية وتتمثل في المراحل التالية :

I (المرحلة الاولى ، استغرقت أكثر من سنة حين بعثته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لإدارة حركة « نوادي التهذيب » التي انشأتها الجمعية في عهد الاستاذ عبد الحميد بن باديس لتعليم العمال المسلمين مبادئ اللغة العربية والدين الاسلامي وللتثقيف والتهذيب .

2 (مرحلة الدراسة الجامعية في باريس ، حيث ظل هذا الباحث على اتصال مستمر باخوانه المسلمين وبحركة جمعية العلماء حتى منتصف الخمسينيات .

3 (مرحلة العمل الصحافي ، في لندن وأمستردام . وفي هذه المرحلة التي استغرقت بضع سنوات تمكن من الاطلاع على أحوال المسلمين الباكستانيين في إنجلترا وخصوصا في لندن كما تعرف على شؤون الجالية الاندونيسية الكبيرة العدد في الاراضي الواطئة ، ولا سيما في وسط هولندا وفي لاهاي وأمستردام واتريخت .

4 (مرحلة العمل بصفته مندوبا لدولة عربية لدى الامم المتحدة في جنيف ، خلال فترة تمتد على سبع سنوات . وفي هذه المرحلة أتاحت لي الفرصة للاتصال بمختلف ممثلي الدول الاسلامية ومساعدتهم وبموظفي الامم المتحدة والمنظمات الدولية وبابناء بعض الجاليات الاسلامية في سويسرا . فهذه الاتصالات والعمل المباشر في حقل التعليم والتهذيب ومخالطة المسلمين سنين عديدة ، هي اذا مصدر المعلومات والملاحظات التي أعرضها عليكم اليوم ، والتي أرجو ان يكملها غيري بملاحظات أخرى في هذا الموضوع الذي يمثل مشكلة ، من أخطر المشاكل التي تتحدى المسلمين في عصرنا .

الدور الاقتصادي للمسلم المهاجر :

وبعد هذا التعريف الوجيز للمهاجر المسلم والتعريف على مشكلة عدم توفر المراجع ، يحسن بنا ان نتعرف على دوره بوصفه عاملا اقتصاديا منتجا ، وهو بهذه الصفة ، يستحق الرعاية والحماية من سلطات بلده ومن سلطات البلد المستضيف معا .

تشكل الموارد المالية التي يحولها أفراد الجاليات الاسلامية في أوروبا الغربية الى بلادهم فيضا مستمرا من الدخل الذي يعول عائلاتهم

وذويهم ، ويكون في نفس الوقت عاملا في تنشيط الحياة الاقتصادية والتبادل التجاري في أرض الوطن . ونحن نستطيع ان ندرك أهمية هذا الدخل في الاقتصاد القومي اذا اتخذنا الجزائر مثالا . فان عدد العمال الجزائريين في أوروبا الغربية يقرب من اربعمائة الف (400000) عامل . واذا قدرنا ان كل عامل يعول في المتوسط ستة أشخاص وهو حجم متوسط العائلة المسلمة ، فسنجد ان عدد المواطنين الذين يعتمدون على دخلهم من الموارد التي تحولها الجالية الجزائرية في أوروبا الغربية يبلغ نحو مليونين ونصف مليون نسمة (أي نحو سدس مجموع السكان) وهذا العدد ، يوفر بدوره دخلا معتبرا لمختلف فئات السكان ، حيث ان الموارد الآتية من المغترب تنفق لشراء المواد الغذائية ولدفع الايجار ولشراء الخدمات مثل وسائل النقل والترفيه الخ ، وبذلك يكون اندغام دخل المسلم المهاجر في دورة الحياة الاقتصادية ، عاملا منسجما ومنعشا باستمرار لعجلة الانتاج ولشبكات التوزيع في أرض الوطن .

وبالاضافة الى ذلك ، فان هذا العدد من المهاجرين يخفف من عبء البطالة الذي تتحمله الدول الاسلامية بدرجات متفاوتة . واذا أخذنا مثال الجزائر مرة أخرى ، فسنجد ان عدد العاطلين في الجزائر ، سيبلغ ما يقرب من مليون عامل (بدلا من 540 ألف عامل) لولا تيار الهجرة الى أوروبا الغربية . وهذا عدد ضخم سيزيد الضغوط الاجتماعية والاقتصادية المختلفة التي يواجهها البلد في المرحلة الحالية ، كما يزيد من عبء النفقات غير المنتجة التي تتحملها الدولة ، وبالتالي تناقص الموارد المالية التي يمكن تخصيصها للتنمية الصناعية والزراعة والتعليم ولبناء المرافق الاساسية .

ولكن الدخل الذي يتمثل في المبالغ التي يحولها المهاجرون المسلمون في أوروبا الغربية له أهمية اقتصادية قومية من نوع آخر . فان المبالغ المحسولة هي من العملة الصعبة (الفرنك والفلوران ، والمارك ، والجنيه الاسترليني) التي تحتاج اليها الدول الاسلامية حاجة ملحة لمواجهة تكاليف عملية التنمية الاقتصادية وخصوصا لشراء الآلات والخدمات التقنية .

ونحن اذا نظرنا في حالة الجزائر التي اتخذناها مثلا ، فسنجد
أنها تتلخص فيما يلي :

فاذا قدرنا ان دخل المهاجر المسلم لا يتجاوز الحد الادنى من الاجور
على أساس النظام الفرئسي هو 1000 فرنك في الشهر
(وهو تقدير متحفظ جدا) فسيكون مجموع دخل مختلف فئات
العمال المهاجرين نحو 4 ملايين فرنك فرنسي جديد في شهر . واذا
افترضنا ان المهاجر المسلم سينفق نصف دخله لمواجهة تكاليف
معيشته في الغربية ويحول الى ذويه النصف الآخر ، فسيبلغ مجموع
المبالغ التي تتلقاها الجزائر من العملة الصعبة ، ما يساوي حوالي
مليونين من الفرنكات الجديدة في الشهر ، أي ما يقرب من 25 مليون
فرنك في العام (وهذا أيضا تقدير متحفظ جدا) .

ولكن تحويلات المغتربين المسلمين في اوروبا الغربية الى اوطانهم
ليست كلها من هذا النوع وبهذا الحجم . وذلك لان حجم التحويلات ،
يتوقف على عدد من العوامل التي لا يمكن تحديد دور كل منها بوضوح
الا بعد دراسة اجتماعية متعمقة للفئات المهنية وللأوضاع العائلية
ولمستوى معيشة المهاجر ، وهي الامور التي ستسمح بمعرفة متوسط
الدخول وتوزيع الدخل بين الاستهلاك والادخار . هذا من جهة ، ومن
جهة أخرى فان مستوى الاجور والمرتبات يختلف بين بلد غربي
وآخر ، وكذلك مستوى الاسعار وتكاليف المعيشة وبالتالي دخل
العامل وطاقته الادخارية .

والعامل الآخر الذي له دور كبير في مستوى تحويل الموارد الى
أرض الوطن ، هو اعتبار حالة المهاجر المسلم العائلية ومدة اقامته
في أرض الغربية . فان من البديهي ، ان المهاجر الذي اصطحب معه
عائلته الى أرض الغربية تكون الموارد التي يحولها الى بلده أقل من
الموارد التي يمكن ان ننتظر ان يحولها الاعزب ، أو المهاجر الذي ترك
عائلته وراءه . ثم ان الهجرة للاستيطان وبدون نية في الرجوع الى
أرض الوطن (وهذه هي حالة الاغلبية الساحقة من المهاجرين
الاندونيسيين الى الاراضي الواطئة ونسبة عالية من المهاجرين

الباكستانيين والهنود الى انجلترا) ، عامل يجعل دور المهاجر الاقتصادي في بلده ، ضئيلا أو منعدما تماما .

ومما تقدم يتضح لنا ان المهاجر المسلم يساهم في تنمية اقتصاد بلده وفي نشر الرخاء فيه ، بطريقة مباشرة ، بالمبالغ التي يحولها الى ذويه والتي يستفيد البلد منها بصفة خاصة لانها بالعملة الصعبة ، وبطريقة غير مباشرة ، لانه يخفف من حدة مشكلة البطالة ومن ضغط الاستثمارات الاجتماعية غير المنتجة ، من جهة ، ولانه يعمل في بلد صناعي حيث تتوفر امامه امكانيات غير محدودة لكسب الخبرة والتدريب المهني ، مما سيجعل منه عضوا منتجا حيويا في المجتمع حينما يعود الى بلاده ، من جهة أخرى . ولهذه الاعتبارات وغيرها ، فان المهاجر المسلم له حق لا يمكن انكاره في ان يتمتع بعناية ورعاية خاصة من سلطات بلده التي يجب عليها ، في المكان الاول ، ان توفر له المساعدة التي ستمكنه من الاحتفاظ بشخصيته المعنوية ومن ممارسة شعائر دينه ، في الوقت الذي تسهل عليه التكيف لظروف المجتمع الذي يعيش فيه والتفاعل مع القوى الاجتماعية والثقافية التي تحيط به . وهذا يفضي بنا الى الحديث عن وضع المهاجر المسلم الاجتماعي في مهجره ، في أوروبا الغربية .

وضع المهاجر الاجتماعي :

تضبط وضع المهاجر المسلم الاجتماعي الى أوروبا الغربية ثلاث معطيات أساسية : السكن ، والعمل ، والتفاعل مع البيئة الأوروبية .

السكن :

يعاني المهاجر المسلم من مشكلة الحصول على مسكن معقول ، ومنه في ذلك مثل بقية العمال اليدويين المهاجرين من الاقربقيين والآسيويين والاوروبيين أيضا (الايطاليين والبرتغاليين والاسبان) . وهذه الصعوبة مرجعها في المكان الاول الى النقص الذي تعاني منه كثير من دول أوروبا الغربية في المساكن والذي بلغ درجة التأزم في بلاد ، مثل هولندا وفرنسا . ولكنه ، الى جانب هذا العامل الاقتصادي الذي يجعل السكن خاضعا لقانون العرض والطلب ، توجد عوامل سيكلوجية تزيد مشكلة المسلم المقرب حدة وتضعه في طبقة

المنبوذين • وصعوبة الحصول على مسكن فى الاحياء المتوسطة ، وارتفاع الياجار فيها تجعل العمال المسلمين يتكتلون فى الاحياء الشعبية التى تتوفر فيها الشروط الصحية أو يلجأون الى أطراف المدن ليرتجلوا مساكن مبنية بأعمدة الحشب والصفيح • ومثل هذا السكن بطبيعة الحال لا تتوفر فيه المرافق الصحية والماء والكهرباء ، وذلك فضلا عن بعده عن مركز العمران ومكان العمل • ومن هنا صعوبات أخرى ، مثل التنقل للعمل أو التبضع أو لتبادل الزيارات الخ ••

والعمال الذين يسعفهم الحظ فى الحصول على غرفة فى نزل رخيص لا تتوفر فيه الشروط الصحية فى معظم الحالات ، يكونون ضحية لما اصطلح على تسميته بـ « تجار النوم » وهؤلاء قد يكونون اوروبيين او من ابناء العالم الثالث ، يستغلون وضع العامل الذى لا توجد قوانين تحميه أشنع استغلال • فان الغرفة التى خططت لتأوى شخصا واحدا، سيعمل تاجر النوم على تجهيزها بأربعة اسرة ويؤجرها فى المرحلة الاولى لاربعة أشخاص • وفى مرحلة تالية ، سيستغل كثرة الطلب ويؤجر كل سرير لشخصين ، أحدهما يعمل بالليل والآخر بالنهار ، بحيث تكون الغرفة البائسة وكل سرير فيها عامر بالليل والنهار ، دون فسحة للتهوية والتنظيف •

ولكن هذه الظاهرة – ظاهرة تجار النوم – انما تبدو فى أشنع صورها فى فرنسا • وأما فى انجلترا ، حيث نجد شعورا قويا من العنصرية فى الاوساط الشعبية ، فان الحالة لم تبلغ بعد هذه الدرجة من السوء • وفى البلدان الشمالية ، على الرغم من التحفظ والنفور الذى يسود فى بعض الاوساط من « الملونين » (ضد الاندونيسيين فى هولندا ، مثلا) ، فان معاملة المسلم فى سوق السكن تكاد تكون عادية •

العمل :

نقول نظرية للاقتصادى البريطانى ، آدم سميت (1723 – 1790 م) ، شرحها فى كتابه « أبحاث عن أسباب ثروة الامم) ، ان الاستثمار فى المشاريع فى البلدان المتخلفة اكثر عوائد واكبر ربحا من الاستثمار

في البلدان الصناعية • ولكن هذه النظرية التي تأخذ الى الاعتبار
العوامل الاقتصادية وحدها صيغت في وقت لم يبدأ فيه الزحف
الاستعماري لاختلاس ثروات الامم بالقوة السافرة • والفائدة
الاقتصادية التي تترتب على الاستثمار في البلدان المتخلفة تنحصر في
توفر المواد الخام المنتجة محليا وكثرة اليد العاملة الرخيصة • ولكنه
بعد ما بسطت الدول الاوروبية سلطانها على هذه المناطق ، تضاءلت
قيمة هذا العامل كثيرا ، اذ أصبح في امكانها ان تشتري المواد الخام
بأبخس الاسعار وتحولها الى المراكز الصناعية ، وتفتح باب الهجرة
على مصراعيه لتدفق اليد العاملة المحلية الزهيدة التكاليف الى « أم
الوطن » • وبذلك نتسع الصناعة التي تنوفر لها المرافق العامة والخبرة
التقنية في أوروبا وتزدهر ، دون ان تجنى المستعمرات تلك الفوائد
الناوبة التي تترتب على حركة التصنيع •

وهذه الخطوط العامة النظرية تحدد لنا الاطار الذي يمارس فيه
المهاجر المسلم نشاطه ، كما تفسر لنا الاتجاه الى استغلاله • والطاقة
التي يوفرها العامل المهاجر ، طاقة عضلية بحتة. وحتى في الظروف
التي تتاح له الفرصة للاتجاه الى نوع من التخصص ، فان تخصصه ،
في العادة ، لا يخرج عن نطاق استعمال العضلات بطريقة اقتصادية •
وهذه الطاقة العضلية ، هي بالضبط التي تحتاج اليها مراكز الصناعة
التي ارتفع فيها مستوى التعليم والتدريب المهني والتقني ، بحيث
تقلصت طبقة السكان التي توفرها ، وأصبح من الضروري الالتجاء
الى اليد العاملة المتخلفة •

وسوق العمل (أو ما يسمى بورصة العمل) تتمتع بتنظيم محكم
وتضبط التشريعات مختلف جوانبها • وعلى الرغم من ان ميل
الرأسمالية الى استغلال العمل (وهو ميل يعتبر من العناصر
الاساسية في النظام الرأسمالي) أصبح محاطا بقيود تختلف صرامة
بين بلد وآخر . فان العامل لا يزال أداة مسخرة في يد أرباب
الاعمال •

على أن النظام النقابي الذي نما مع نمو الصناعة في أوروبا الغربية
يمثل أداة فعالة لمنع الجور والاستغلال الفادح للعمال بقدر الامكان •

ولكن التنظيم النقابي انما يحمى طبقة العمال التي تسميها الماركسية « بروليتاريا » أي العمال المحليين الذين يمثلون كتلة انتخابية وقوة سياسية معتبرة . وأما العمال المهاجرون ، وفي مقدمتهم العمال المسلمون الذين تعتبرهم النظريات الماركسية وغير الماركسية ، من طبقة أدنى من البروليتاريا وبصعب تنظيم الدفاع عن مصالحهم، فان التنظيم النقابي في أوروبا الغربية لا يوفر لهم الحماية الا عرضيا، أي، حينما تختلط مصالحهم المهنية بمصالح العمال المحليين . وهذا الاهمال المشوب بالازدراء في الاوساط النقابية لقوة يد العمل المهاجرة ، يفسر لنا كيف انه لم يظهر زعيم نقابي واحد من المهاجرين في تاريخ النقابات الاوروبية . وهو يفسر لنا في نفس الوقت ، لماذا يتجه أرباب الاعمال ، ولا سيما في قطاعات معينة ، مثل قطاع البناء والتشييد ، الى استغلاله أكثر من العامل المحلي .

والمهاجر المسلم ، يجد صعوبة كبيرة في الحصول على بطاقة الإقامة، حيث يطلب اليه ابراز شهادة العمل للحصول عليها ، وصاحب العمل يطلب الى العامل ابراز شهادة الإقامة أولا ، قبل ان ينظر في امكان تشغيله . والعامل في كثير من القطاعات مضطرا الى ان يتنازل عن حقوقه في الاجر وفي ساعات العمل المقررة لكي يحتفظ بعمله ، نظرا لكثرة اليد العاملة التي تبحث عن العمل . والعفود التي تمنح للعمال كثيرا ما تكون صورية ، بسبب ضعف المراقبة او غموض وجودها ، على تطبيق الالتزامات القانونية التي نص عليها هذه العفود .

ولهذه الاعتبارات وغيرها ، يفضل العمال المهاجرون ممارسة الاعمال الحرة ، متى توفر لديهم رأس المال الضروري . ومجال هذه الاعمال التقليدي هو المطاعم (وهذا مجال نشاط الباكستانيين المفضل في لندن ، ومجال الاندونيسيين في هولندا عموما) والفنادق والبقالة .

التفاعل مع البيئة :

ان تفاعل المهاجر المسلم مع البيئة التي تحيط به في أوروبا الغربية ضعيف الى الحد الأدنى لما يمكن التعبير عنه . والعزلة المادية التي شرحناها في معرض الحديث عن السكن ، نجمت عنها وترافقها عزلة نفسية وانطواء على الذات . فالعامل المسلم لا يفشى الاماكن

الرياضية وأماكن التسلية التي يتردد عليها زملاؤه من العمال المحليين الا في القليل النادر . وهو لا يستضيف ولا يضاف ، اما لعدم وجود أى ارتباط مع العمال المحليين اطلاقا ، أو فى بعض الحالات ، لتخرج المسلم من تناول الطعام الاوروبى الذى يشمل لحم الخنزير ومشتقاته ويتطلب تناول الخمر .

ومن جهة أخرى ، فان المستوى الثقافى (وفى كثير من الحالات مستوى الذكاء أيضا) وحاجز اللغة ، وقلة اهتمام العامل الاوروبى بالقيم الحضارية السائدة فى مجتمع غير مجتمعه ، كلها ، تجعل الاتصال بين المهاجر والمحيط الذى يعيش فيه أمرا فى غاية الصعوبة .

قلنا ان تفاعل المهاجر مع البيئة ضعيف جدا . وهذا ينطبق على التفاعل الواعى الهادف . ولكن التفاعل ، أو بعبارة أدق ، تأثير البيئة بطريقة لا شعورية فى المهاجر ، كثيرا ما يكون قويا . فان العامل الذى يتجول فى الشوارع ويشاهد ما تزخر به من المنتجات الفاخرة وتطالعه هنا وهناك اللافتات والاعلانات والصور المرسومة بأحرف « النيون » ويرى مناظر تمتل مختلف ألوان الحياة الاوروبية ، لابد وأن يتأثر بكل ذلك وان يأخذ منه انطباعات حية . وهذه الانطباعات ، هى التى سيقارنها حتما بما تقدمه حياته القديمة فى قريته أو مدينته عند عودته الى ارض الوطن . ونتيجة هذه المقارنة بطبيعة الحال ، ليست فى صالح بيئته القديمة والتي سيعيش فيها . ومن هنا ، فان تأثير البيئة الاوروبية ، أو الجانب السطحى من هذه البيئة ، سيظل غير قابل للتحليل ولا للفهم الصحيح ، وبالتالي مصدرا للقلق والاضطراب النفسى ولعدم التكليف ، فى كثير من الحالات ، مع مقتضيات البيئة القومية .

ولكن أخطر تأثير للبيئة الاوروبية على المهاجر المسلم ، هو ، بدون شك ، ذلك الذى يتعرض له الشباب ولا سيما الفتيات . فأولاد المهاجرين يترددون على نفس المدارس التى يتردد عليها أبناء البلد المستضيف ويشتركون معهم فى النشاط الرياضى وفى ألوان محدودة من النشاط الاجتماعى . وهذا التفكير هو من النوع الواعى والذى يمكن تحليل عناصره . ولكنه نظرا لان ابن المهاجر المسلم لا يتمتع

بوقاية كافية من التربية القومية والتعليم الدينى واللغوى ، فهو غير مسلح لحماية نفسه من طغيان هذا التأثير ولا يمكنه بنفسه اقامة التوازن السيكولوجى والفكرى الضرورى لى يصبح مواطنا صالحا وعضوا فعالا فى المجتمع عندما يعود الى وطنه . وهذه الفئة من المهاجرين المسلمين هى التى تدعو الحاجة بالحاح الى اهتمام الرأى العام والحكومات الاسلامية بها وتوفير الوسائل الفعالة لانقاذها .

الوضع الثقافى :

توجد ثلاثة عناصر اساسية هى التى تتحكم فى وضع المهاجر الثقافى . ففى المكان الاول نلاحظ ان بيئة المهاجر الاصلية ، سواء كانت ضفاف نهر مهران ، أو سهول الاناضول او جبال الشلح أو جبال القبائل فى الجزائر ، بيئة زراعية متخلفة وبعيدة عن مراكز الحضارة فى بلده (وهذا ، بالطبع ، لا ينطبق على المهاجرين ذوى الكفاءات الذهنية مثل الاطباء الخ) . والمهاجر ، فى كثير من الحالات ، يجعل لغة بلده الاصلية (العربية بالنسبة للقائل مثلا) ويجهل لغة البلد المستضيف أيضا . ومن جهة أخرى ، فان مستوى تعليم المهاجر المسلم (متى كان يتمتع بحظ من التعليم) ضعيف وذو مضمون غير عصرى ، ومتى كان المهاجر يعرف لغة اجنبية ، فان معرفته لتلك اللغة فى العادة تنحصر فى لهجة الخطاب وقلما تتجاوزها الى لغة القراءة والكتابة .

وفى المكان الثانى ، يوجد عامل الوقت . فان العامل الذى يقضى ثمان ساعات فى المصنع ، ويحتاج فى المتوسط الى ساعتين للمواصلات والى وقت للتبضع والطبخ ولتناول الاكل ، يجد نفسه فى آخر النهار منهك القوة الجسمية ، فاطر الذهن والعزيمة . وكل محاولة لتعليمه وتنقيفه ومساعدته لتوسيع آفاق تفكيره ، ستصطدم حتما بهذا العائق الذى لا مجال للتغلب عليه الا فى احوال استثنائية .

وأخيرا ، توجد هذه العزلة الاجتماعية التى أشرنا اليها فى الفقرة السابقة والتى فرضتها البيئة ، وخصوصا ، ظروف السكن على المهاجر . فقد جرت العادة ان يتكتل ابناء كل منطقة على انفراد ، بحيث نجد الشلحى يقيم مع الشلحيين والقبائل يقطنون مع ابناء

عمومتهم ، والاندونسيون يكادون يختلطون بمسلم من بلد آخر .
والمهاجر في الحقيقة رهن المحبس ، أو هو ، بعبارة أخرى ضحية
لعزلة مزدوجة ، تلك العزلة التي فرضتها عليه البيئة الاوروبية
واضطرتة اليها ، والعزلة التي فرضها هو على نفسه ، بحكم انكماشه
النفسي الاجتماعي الذي يجعله يتجنب الاختلاط مع ابناء وطنه وابتداء
ملته على صعيد الاخوة والتفاهم .

وكذلك نرى ان الجهل بلغة البلد المضيف (يستثنى من هذا
الاندونيسيون الذين يعيشون في هولندا) ، وضآلة محصول المهاجر
من الثقافة القومية يجعل من الصعب عليه توسيع مداركه بالاستعانة
بأجهزة الاعلام مثل الاذاعة والاذاعة المرئية والصحف الخ .

والمساجد التي يمكن ان تكون مؤسسة فعالة وتؤدي دورا في
التهديب والتوعية قليلة جدا في أوروبا . فاذا استثنينا مسجدا في
ألمانيا وآخر في زوريخ (سويسرا) ومسجد في لاهاي (هولندا)
ومسجد في ووركينج (لندن) ومسجدا صغيرا كان حظيرة للسيارات
في جنيف . وأما مسجد باريس فهو لا يزال بحكم الظروف التاريخية
في يد السلطات الفرنسية) ، فان المسلمين لا يجدون مكانا للعبادة
والصلاة الجماعية . ومن جهة أخرى ، يجب ان ننوه بالحاح بأن مساجد
سويسرا وانجلترا وهولندا ، انما قامت بتأسيسها وتشرف على
ادارتها طائفة الاحمدية (غلام الله) ، وهي طائفة وان كانت تقوم
بمجهود يذكر في نشر الاسلام في أوروبا ، الا انها تختلف عن المذاهب
الاسلامية في كثير من المبادئ الاساسية (مثل ميلاد المسيح وكون
محمد (ص) خاتم الرسل ، والمهاجر المسلم الذي يقصد الى مساجد
طائفة الاحمدية لاداء الشعائر الدينية ، أو للاجتماع باخوانه
المسلمين ، يجب ان يكون واعيا وعلى بينة من هذه الفوارق حتى لا
يقع في سوء تفاهم مؤسف .

وخلاصة القول ان وضع المهاجر الثقافي يتميز بخصائص سلبية
من جميع النواحي تقريبا ، فهو تنقصه القاعدة الضرورية من التعليم
التي يمكن ان ينطلق منها جهود شخصي للتوعية الذاتية ، والتثقيف ،
كما تنقصه الاتصالات الاجتماعية التي تنبعث منها شرارة الرغبة في

التقدم والمعرفة ، كما يعوزه المكان الذي يجد فيه الرعاية والاهتمام
برفع مستواه الاخلاقي والذهني .

والاسوأ من ذلك كله هو ، ان هذه العوامل المتبطة تتصل اتصالا
وثيقا بوضع المهاجر العام ونكاد تكون جزءا طبيعيا من هذا الوضع ،
وما لم يتغير نوع المهاجرين ، وما لم يطرأ تغيير على مستوى تعليمهم
العام وتدريبهم المهني ، فسيفى هذا الوضع ، حتما كما هو ، على
المدى القريب والمتوسط ، وكل محاولة لعلاج هذه الحالة ، يجب ان
تقوم على دراسة اجتماعية متعمقة وعلى احصاءات دقيقة ، بقدر الامكان ،
فى موضوعات مثل : التوزيع الجغرافى للمهاجرين ، وأعمارهم
ومستوى التعليم والتدريب المهني وأنواع المهن التى يمارسونها ،
والاوضاع العائلية ، وحالة السكن ، والمدة التى قضاها العامل فى
المهجر الخ .

وهكذا نرى ان عددا غير معروف بالدقة ، ولكنه ليس من المبالغة
تقديره بنحو خمسة ملايين من المهاجرين المسلمين يعيشون ويعملون
فى محيط غير ودى لا يتفاعلون معه الا بصورة سلبية . وتراكم تأثير
البيئة الاوروبية ينطوى على خطر مزدوج ، فقد المهاجر لجذوره وتنكره
لبئته الاصلية لدى عودته الى أرض الوطن ، وتضييع مقومات
شخصيته الادبية (وهذا ينطبق خصوصا على الاحداث) وتعرض
شخصيته الاسلامية للانفكاك ، متى طالت غربته او اختار الإقامة فى
أوروبا الغربية بصفة دائمة .

وهذه الحالة التى نجمت ، كما قلنا ، عن ظهور فجوة بين الدول
الصناعية المتقدمة والبلدان المتخلفة ، واستغلالها الاستعمار لتوفير اليد
العاملة الرخيصة لعجلة الصناعة الاوروبية ، حالة لم يواجه المسلمون
مثلها من قبل ، وهى تتطلب علاجا أصيلا وسريعا لوقف اخطارها فى
المرحلة الاولى ، ثم محاولة استئصال ما تنطوى عليه من الاخطار فى
مرحلة تالية . والعمل لهذه الغاية واجب جماعى يقع على عاتق الهيئات
والمنظمات والحكومات الاسلامية .

العلاج - دور الحكومات والمنظمات الاسلامية :

يتطلب علاج حالة المسلمين في أوروبا الغربية عملا شاملا عميق
الإبعاد شاملا ، بمعنى انه يمتد على جميع المناطق الجغرافية ، حتى
التي تكون كثافة الهجرة فيها ضعيفة ، وعميق الإبعاد ، بمعنى انه
يشمل الجالية الاسلامية كلها ، بقطع النظر عن الاعمار ومستوى
التعليم وحواجز اللغة والمذهب التي تفصل بين فئات المهاجرين ،
وهذا العمل يتطلب استثمارات مالية وبشرية كبيرة وبدون مردود
اقتصادي اللهم الا ما يتعلق منه بتوفير التدريب المهني والتقني .

ولكن كيف يمكن القيام بهذا العمل الذي يتحدى تفكيرنا
وعزائمنا ؟ هل يمكن ان تقوم بمهمة مساعدة الجالية الاسلامية في
أوروبا الحكومات الاسلامية بتنظيم التعاون بينها لهذه الغاية ؟

جواب هذا المحاضر على السؤال الاخير بالسلب، وذلك للاعتبارات التالية:

I - ان الدول الاسلامية ليست كلها مصدرة لليد العاملة الى
أوروبا الغربية ، بل ان البلدان التي توفر العمال للصناعة الاوروبية،
أقلية ، حيث انها تنحصر في بلدان الشمال الاريقي الثلاثة وباكستان
واندونيسيا (وتركيا التي لا يزال شعبها مسلما على كل حال ويهم
مصير المهاجرين من ابناء الحكومة التركية ايضا) وبالتالي ، فان
مطالبة جميع حكومات الدول الاسلامية (وبعضها لم تعد دساتيرها
تنص على أنها دول اسلامية) بالمساهمة في هذا العمل لا يستند على
أساس من الواقعية . والدول الاسلامية المصدرة لليد العاملة ، تساهم
باعداد متفاوتة الحجم ، فاذا كانت الجالية الجزائرية مثلا ، تعد بمئات
الآلاف ، فان الجالية التونسية ، يعد افرادها بعشرات الآلاف ومن
البدوي ان المساهمة في الاستثمارات الاجتماعية المطلوب توفيرها ،
يجب ان تأخذ الى الاعتبار هذا العامل الهام .

2 - ان التوزيع الجغرافي للجالية الاسلامية في أوروبا الغربية ،
يقوم على أساس التبعية السابقة للدول الاوروبية المستعمرة ، واذا
كنا نجد عمالا مغاربة في ألمانيا الغربية وفي هولندا وبلجيكا ، مثلا ،
فان تيار هذه الهجرة حديث العهد وقليل الاهمية ، ولكن القاعدة ،
هي ان الباكستانيين يهاجرون الى انجلترا ، والاندونيسيين الى
هولندا بينما يتردد المغاربة على أوروبا الناطقة باللغة الفرنسية ،

وبالتالي فليس من الواقعية في شيء مطالبة أندونيسيا وباكستان بالمساهمة في عمل مشترك في صالح الجالية المغربية في فرنسا ، أو مطالبة دول المغرب بالعمل مع أندونيسيا وباكستان من أجل تحسين حالة جاليات البلدين في هولندا وانجلترا على التوالي .

3 - واختلاف اللغات القومية واللغات النانية ، يشكل عقبة أخرى في طريق التعاون بين الدول الإسلامية ، لان ارسال المعلمين والمرشدين الاندونيسيين أو الباكستانيين لتعليم العمال المغاربة ولارشادهم في فرنسا ، سيكون غير ذي جدوى حيث ان اللغة الثانية للاندونيسيين والباكستانيين هي على التوالي : الهولندية والانجليزية .

4 - تختلف البلدان الإسلامية المصدرة لليد العاملة اختلافا كبيرا من حيث المذاهب السائدة فيها فبينما نجد ان بلدان المغرب تدين بمذهب أهل السنة على أساس تفسير الإمام مالك بن أنس ، فاذا بنا نجد ان المذهب الشائع في باكستان ، مثلا ، هو مذهب الشيعة (وذلك بالاضافة الى الاحمدية) ومادام العمل يستهدف مساعدة الجالية الإسلامية للمحافظة على مقومات افرادها الادبية من الدين والتقاليد الخ ، فليس من الواقعي على ضوء الانقسام المذهبي الحالي تكليف رجال يدينون بمذهب بتلقين المهاجرين مبادئ الدين على أساس مذهب آخر .

ومما تقدم ، يتضح لنا انه من غير الممكن ان نتظر من الدول الإسلامية ان تقوم بعمل مشترك لصالح مجموع الجالية الإسلامية في أوروبا الغربية ، بل على العكس ، فلكي نضمن جدوى هذا العمل وقيامه على أساس متين ، يتحتم ان يجرى على أساس من التخطيط والانجاز في الاطار القومي ، ولكن هذا لا يمنع من قيام التفاهم والتشاور لتنسيق العمل بين دول المغرب الثلاث التي كثيرا ما يعمل مواطنوها في منطقة واحدة ويتعايشون جنبا الى جنب .

وعلى الصعيد القومي ، نجد ان المصالح الحكومية التي يعنىها الامر بصفة مباشرة هي : وزارة الشؤون الدينية ، ووزارة العمل ، ووزارة الثقافة ، ووزارة الشؤون الاجتماعية ، ووزارة الخارجية ، حيث ان لكل منها دورا حيويا يمكن ان تقوم به . ولكنه ينبغي ان يكون مفهوما

جيدا ان مهمة مساعدة المهاجرين المسلمين ، لا تنحصر في توفير الاستثمارات المالية وفي تنظيم توزيع هذه الاستثمارات بطريقة مجدية ومراقبتها اداريا ، بل هي تتطلب اولا وقبل كل شيء ، العامل البشرى الذى يتمتع بالكفاءة ويعمل بدافع من العقيدة وتوفير هذا العامل وتدريبه من الناحية الدينية واللغوية ، تم غرس روح «المبشر» فيه ، هو بدون شك ، أصعب ما تنطوى عليه العملية ، ولذلك يبدو ان تكليف وزارة الشؤون الدينية بالتخطيط والتدريب والاشراف على عمليات التنفيذ (بتعاون مع الجهات التى يعنىها الامر) ، ولكن هذا يتطلب تفاهما خاصا ، مع وزارة الخارجية ، حيث ان القنصليات التى هى بمثابة خلايا حية فى مجتمع المهاجرين ، سيكون لها دور خطير الشأن فى العملية ، ويفتضى الامر تزويدها بالموظفين الكفاء والخبراء الاجتماعيين ورجال الاحصاء .

ونقطة الانطلاق فى هذا العمل ، هى بطبيعة الحال ، توفير المراكز الضرورية للعمل فى المناطق الكثيفة الهجرة ، ولكن ما هو الشكل الذى ينبغى ان نتخذه هذه المراكز ؟

ان بناء المساجد فى مختلف المناطق والمراكز الصناعية فى أوروبا الغربية أمر غير ممكن من الناحية العملية لتعدد هذه المراكز وللاستثمارات الكبيرة التى سيتطلبها مثل هذا المشروع (وهذا لا يمنع من اقامة مسجدين أو ثلاثة فى كل بلد) وبناء المدارس فى المناطق التى يضمن وجود جالية مسلمة كبيرة فيها باستمرار ، شئ ضرورى لتوفير تعليم الدين واللغة القومية ، ومثل هذا المركز يمكن ان يستغل ايضا لتوفير التدريب المهنى للعمال الكبار السن ، ولتنشيط الحياة الاجتماعية فى أوساط المهاجرين .

ولكن الحل الافضل فى رأى هذا المحاضر ، هو ذلك الذى اعتمدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى يدين لها العالم الاسلامى بالفضل ، حيث كانت أول هيئة اسلامية تهتم بحالة المهاجر المسلم النكافية وبالعامل للمحافظة على عقيدته الدينية ولتعزيز وقايتة من التأثير غير المرغوب فيه للبيئة الاوروبية ، والنظام الذى وضعتة جمعية العلماء واخططه رئيسها المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس

يقوم على أساس « نوادي التهذيب » التي انتشرت في مختلف المدن التي كانت تقيم فيها جالية اسلامية في فرنسا ، وكان مركزها في باريس ، والميزة الاساسية لهذا النظام ، هي انه يخفض الاستثمارات المطلوب توفيرها الى الحد الادنى ، حيث ان المهاجر مطلوب منه ان يساهم باشتراكات شهرية في عملية تعليمه وتنقيفه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان النوادي التي تبيع مشروبات غير روحية توفر مصدرا مهما للدخل الذي يمكن ان يساهم بحصة معتبرة في تمويل العملية .

ونوادي جمعية العلماء ، كانت مراكز ثقافية نشيطة حية حيث كانت تعقد فيها اجتماعات وحفلات في الاعياد الدينية والمناسبات القومية ، وتلقى فيها الدروس والمحاضرات في الوقت الذي توفر فيها مكانا صالحا للقاء والتعارف بين أفراد مختلف فئات المهاجرين الاجتماعية ، والنادي النموذجي ، مجهز بقاعة واسعة للمحاضرات والاحتفالات ، وبمكتب لحفظ الدفاتر ولتحرير الرسائل الخ ، وبقاعة مفروشة مزودة بالمصاحف وبعض الكتب ، تستعمل للصلاة والعبادة والقراءة .

والميزة الاخرى لهذا النظام هي انه مرن ويقبل التطوير والتكييف لمختلف الاوضاع التي تسود بين المهاجرين في مختلف البلاد ، ولكن تنظيم العمل في صالح الجالية المسلمة على أسس فعالة ، يتطلب مع ذلك درسا متعمقا للمسألة من جميع جوانبها حتى يمكن استخلاص الحلول العملية الملائمة ، وهذا الدرس ينبغي ان يقوم به خبراء وعلماء الاجتماع ورجال الدين ، بتعاون مع ممثلي الجاليات الاسلامية في أوروبا الغربية .

دور وسائل الاعلام للأستاذ تيمور عبدلاني المدير العام بوزارة الشؤون الدينية - اندونيسيا

ونعنى بها خاصة الصحافة ، والسينما ، والتلفزة التى لها تأثير هدام على المسلمين فى حين يكافح هؤلاء من اجل استعادة شخصيتهم، وهى المسؤولة ايضا على جنوح الشباب ، بل وعلى الاجرام بصفة عامة، والانحطاط الخلقى .

فى هذا العالم المعاصر المتميز بالتقدم فى مجال الاليكترون وغزو الفضاء ، تلعب وسائط الاعلام الجماهيرية دورا حيويا فى ازدهار الانسانية . واذا نحن لم نراقب هذا الدور ، أو لم نوجهه الوجهة اللائقة ، فسيكون لوسائل الاعلام هذه تأثير هدام أكثر منه بناء .

ان التأثير الهدام للصحافة والفيلم والسينما قد يلاحظ بمنتهى السهولة في القارتين الاوروبية والامريكية بل وحتى في البلاد الآسيوية ، ومن بينها البلاد الاسلامية . وما لم نتخذ على الفور أو بأسرع ما يمكن اجراءات وقائية للحد من هذا التأثير ، فانها ستزداد توغلا وتعمقا في مجتمعاتنا الاسلامية لتشكل فيها تحديا خطيرا للهوية ، وللطابع الخاص للمسلمين . وأكثر ما يبرز هذا التأثير الهدام في أوساط الاجيال الصاعدة من المسلمين الشباب .

ونحن بالنظر الى اساليب التواصل الحديثة ، لا يسعنا ان نحول كلية دون هذا التأثير بحكم ان البرامج التي تبثها الاذاعة والتلفزة قادرة على النفاذ الى أبعد الانحاء ، وحتى الى البقاع المقدسة الاسلامية .

ولهذا السبب ، فان انجح وسيلة للدفاع ضد هذه التسلسلات الهدامة كانت ولا تزال تتمثل في **الايمان** ، في الاعتقاد بالله طبقا لما جاء في تعاليم الاسلام .

فواجب علينا نحن جميعا على مستوى الاسرة ، ربها وأطفالها ، ان نتسلح بالقوة الروحية التي يتيحها لنا ايماننا الى درجة ان هذه القوة تغدو قادرة على تحريك أيدينا لادارة القفل واطفاء المذياع أو التلفزة كلما كانت الحصنة المعروضة او المذاعة ذات طابع مناف للاخلاق او لديننا الحنيف . ومع ان التدابير الوقائية او العلاجات التي يحفل بها الاسلام لاتقاء هذا التأثير السيء معروفة بما فيه الكفاية ، فانه يتعين علينا ان نبذل اولا قصارى جهودنا قبل ان نعوذ بالله ، ونلتجىء الى لطفه . ان أمة اسلامية مكافحة لا يسعها أبدا ، ولا يجوز لها بحال من الاحوال ، ان تجهل او تتجاهل مبدأ « **الامر بالمعروف والنهي عن المنكر** » .

انه لمن الواجب علينا ان نعلم ابناءنا منذ نعومة اظفارهم قواعد الصحة الجنسية والعقلية ، وذلك بتدريبهم على كيفية الاخذ بالطهارة الجسمية والعقلية . وهذا ما يتضمنه المعنى الحقيقي « للوضوء » قبل الانتقال الى « الصلاة » التي تمدنا في الآونة الراهنة بأحسن ألوان التربية الجنسية .

ومن ناحية أخرى ، فإن قواعد الايمان ، وأركان الاسلام الخمسة ، اذا ما لقنت بمثل هذه الطريقة بحيث تستثير لدى الطفل فهما يتماشى وسنه ، ستساعد على خلق قوة ديناميكية تحمى اجيالنا الطالعة من التأثير الهدام للصحافة والسينما والتلفزة .

ان مشاكل شبابنا الصاعد ، وخاصة ما يتعلق منها بتكوين طبعمهم بحيث يسمح لهم مقاومة الجنوح والميل الى الاجرام لا تقفأ تزداد أهمية فى مجتمعنا ، وخاصة فى المدن الكبرى . والغاية التى ينبغى ان تهدف اليها كل تسوية لهذه المشاكل نكمن فى تحقيق حياة اسروية سعيدة مزدهرة ، تعيش فى انسجام تام مع تعاليم الاسلام ، ومثل هذه الاسرة ، من شأنها ان تساعد على تأسيس جماعة اسلامية ديناميكية قوية ، تكون قادرة على تحقيق شريعة الاسلام بوصفها نمطا للحياة الاسلامية . ويستطيع المسلمون بهذه الوسيلة ان يجعلوا بلادهم تتقدم وتزدهر بالمعنى الاوسع للكلمة أى روحيا ، وعقليا ، وماديا ، وكذلك من الوجهة الاجتماعية الثقافية . ان اتقاء هذه التأثيرات السلبية للصحافة والفيلم ، والتلفزة ، وكذلك تكوين وتربية الشباب لأشد ارتباطا ببناء الامة ذاتها . فمن الاهمية بمكان بالنسبة لمستقبل العالم الاسلامى ان يكون واثقا متأكدا من هذه الطاقات البشرية الهائلة التى تشكلها هذه الشبيبة .

ولهذا السبب ، يتعين على الامم الاسلامية أن تعتمد الآن الى اعداد مشروع اجتماعى يعنى بتصحيح وتحسين وضعية الشباب الاسلامى الصاعد .

ان مستقبل العالم الاسلامى مرهون بكفاح أو بجهاد الشعوب الاسلامية ، ومتوقف على مدى نجاح القادة المسلمين فى توحيد هذه الشعوب .

ويشرفنى أن أقترح عليكم مشروعا اجتماعيا اسلاميا ذا طابع كونى، وقابلا للتطبيق على كافة الامم الاسلامية مع مراعاة خصوصياتها الوطنية . ومع ذلك فأنا على شئ من التفاؤل بصدد نجاح هذا المشروع بالنظر الى القيم الخلقية التى ما تزال قائمة فى الجماعة الاسلامية العالمية ، وبالنظر ، خاصة ، الى العوامل الآتية :

أ - ان المعايير الدينية للاسلام وللشريعة يعترف بها ويعمل بها معظم المسلمين .

ب - ان عدد الخبراء المسلمين فى الميدان العلمى ، وفى الشؤون الاجتماعية ، بل وحتى فى الحقل التكنولوجى لا يفتأ فى نماء وازدياد .
ج - ان الجهود ما تزال مبدولة للحفاظ على المعايير الاسلامية القائمة .

د - ان المسلمين يبرهنون على ارادة قوية وعلى عزيمة صلبة لمحاربة التأثيرات السلبية كالتى يشيعها مثلا الحنافيس ، والادب الداعر ، والافلام الجنسية ، وغير ذلك .

هـ - ان بنية الجماعة الاسلامية والتقدم الاجتماعى فيها تجعل من قبيل الامكان ممارسة الرقابة على تجاوز المعايير .
و - والعامل الاكثر ايجابية هو بطبيعة الامر الايمان بالله .

(I) اللوحة الخلفية للمشكل : ان التأثيرات السلبية للصحافة والفيلم والتلفزة تتجلى بوصفها نتيجة للنمو وللتحولات الاجتماعية . فبقدر ما تنفتح سبل المواصلات والتواصل بين العالم الاسلامى والعالم الخارجى مثل سبل التواصل مع روسيا والصين ، يبرر كون هذه التأثيرات السلبية تنمو اذا لم يوضع لها حد بصورة جسيمة .

(2) ان الجنوح لدى الشباب قد يعثل نذيرا بالنزعة الاجرامية لدى الراشدين ذلك لانه يعبر عن مسلك غير عادى ، ويشكل عملا ذا طابع غير اجتماعى بل ومناهض للمجتمع ، عملا يتجاوز القانون ، وعادات المجتمع وتقاليده ، والمعايير الدينية .

ان التأثيرات السلبية للصحافة والفيلم والتلفزة تكون مسيطرة :

أ - حين يكون الوضع الاجتماعى السياسى للامة غير ملائم .

ب - حين لا يكون المجتمع ذا مناعة بسبب ضعف القاعدة الاجتماعية الاقتصادية .

ج - حين يكون المحيط الاجتماعى السيكولوجى غير مستقر .

- د - حين تكون الجوانب الديموغرافية غير قابلة للمراقبة .
- هـ - حين لا يستكمل تحقق الاستقرار الطبيعي والعقلي للمجتمع .
- و - حين لا يتحقق التوازن بين التقدم التكنولوجي ، وقدرة التلقى العقلية للمجتمع الذي عليه ان يتقبل التكنولوجيا الحديثة .
- ز - حين يجر نمو وسائط التواصل الجماهيرية بسهولة الى تقبل حضارة أجنبية متناقضة مع الثقافة الاسلامية .

(3) مفاهيم الوقاية :

ان مشكل الجنوح لدى الشباب والاقبال على الجريمة لدى الكبار يبدو في تضخم وازدياد سواء من ناحية الكم أم من ناحية الكيف . وهو يهم مباشرة مستقبل الجيل الصاعد والمصالح الوطنية ، ولهذا السبب يجب ان يحل بتظافر الجهود على المستويين الوطني والعالمي . وما لم يجد هذا المشكل حلا ، فان الانحطاط الخلقى سيمتد حاملا معه الفوضى في حياة الشباب ، ومعرضا للخطر الامن والسلام العموميين والحياة الوطنية والدينية .

والقواعد الشكلية لأي وقاية هي :

أ - القانون الاسلامي والشريعة .

ب - دستور البلاد .

ج - التشريع البرلماني .

والأسس المساعدة على حصر المشكل هي :

أ - ان يوضع في الحسبان بأن هذا المشكل لا يتجلى كما لو كان ظاهرة معزولة ، ولكنه وثيق الصلة بغيره من المشاكل في علاقة تأثيرية متبادلة .

ب - كون الجنوح لدى الاحداث لا يوضع في نفس مستوى الاجرام لدى الراشدين .

ج - كون هذا الامر يتعلق أساسا بقضية موقف عقلي وروحي . واذا ما نظر اليه من هذه الزاوية ، فان للدين وللاسلام بوجه خاص دورا حاسما يؤديه في ايجاد الحل له .

ونظرا لامتداد وتعقد المشكل ، يتعين ان تتضمن العلاجات ما يلي :

أ - اجراءات وقائية ،

ب - اجراءات قمعية ،

ج - علاج خاص ، واعادة الاعتبار الى الجانح .

والاجراءات الوقائية تتضمن بصورة عامة :

أ - أعمالا بناءة لفائدة الاجيال الصاعدة ، وذلك بواسطة :

- التربية ابتداء من الربية فى فترة ما قبل الولادة للآباء ،

وبخاصة للمرأة المقبلة على مرحلة الامومة .

- التربية الخلفية بما يتماشى وتعاليم الاسلام ،

- التربية الدينية بالمفهوم الاوسع للكلمة ،

- تشجيع المهارة الروحية واليدوية ،

- التربية المدرسية الصفية ،

- تربية غير صفية ومستديمة ضمن المجتمع .

ب - تحسين البيئة او الوسط والشروط الاجتماعية ، وذلك لخلق

جماعة اسلامية تكون فيها الاوضاع والظروف ملائمة لنمو سليم ،

ولتطور الشباب ، ويتمثل ذلك فى :

- تحسين الظروف العائلية ،

- تحسين التكوين المدرسى ،

- تحسين المجتمع .

ج - ان توضع تحت تصرف الشباب الوسائل الحيوية اللازمة

لتكون دعامة لتربيتهم الذاتية ولجهودهم ، وذلك حتى يعملوا بأنفسهم

على خلق محيط وشروط اجتماعية اكثر ملاءمة .

ويجب ان تتخذ تدابير وقائية خاصة لضمان الامن العام بين

الشباب ، وتتضمن هذه التدابير ما يلي :

- مراقبة الشباب ضمن محيطهم فى مواقعهم وسبلوكاتهم

وأعمالهم .

– القيام بعمل دائم لقيادة وارشاد الآباء وابنائهم وذلك حتى يستطيع الاوائل ارشاد وتربية الاواخر بحيث يحملونهم على السلوك سلوكا سويا وبصورة طبيعية .

– تربية خاصة لأولئك الذين يبدو عليهم ملامح الجنوح .

وتطبق التدابير القمعية على الشباب الذين جر جنوحهم الى النيل من الفوانين وتجاوزها ، والطريقة الاجرائية لهذه التدابير هي التالية:

1 – حملات مطاردة واعتقالات .

2 – تحقيقات بوليسية واستنطاقات .

3 – طرد الاحداث واعادتهم الى اهليهم ، أو اعتقالهم المؤقت .

4 – تقديم الجانح الى المحاكمة .

ويلجأ الى العلاج الخاص والى اعادة الاعتبار بعد سلسلة من الاجراءات القمعية اذا ما تبين انه ما يزال بالامكان تحسين سلوك الشخص المعنى أو اعادة تربيته . ولا يجرى هذا العلاج الخاص على الفتى المعنى فحسب ، بل وينبغي ان يشمل كذلك الاولياء ، وكل شخص يتولى كفالتة ورعايته . ويتضمن العلاج الخاص ما يلي :

1 (اعادة التربية في مؤسسات متخصصة بتربية الشباب الجانحين،

2 (اعادة ادماج الشباب في المجتمع ،

3 (ادماجهم من جديد في مدرسة من المدارس او في أى نشاط

مهني آخر ،

4 (مراقبتهم .

(4) برمجة العمل :

ستظل الاعمال الوقائية والقمعية أو اعادة الاعتبار بالنسبة الى الجانحين من الاحداث دون أثر يذكر ما لم تكن مشفوعة ببرامج ملموسة في التخطيط والقيادة تقوم على حسابات دقيقة . وينبغي ان تعتمد هذه البرمجة على الاعتبارات الآتية :

أ - تهيئة حياة منظمة للشباب تساعد على النماء والتطور الطبيعي لأجيالنا الصاعدة - وعند ذلك ، يكون ، بإمكاننا ان نأمل في تكوين جيل راشد افراده من المجاهدين الحقيقيين الاكفاء مما يفيد ، في نفس الوقت ، اعادة البناء ، والدفاع ، وسلامة وأمن الامة .

ب - اقرار الامن والنظام العام ، استقرار مظاهر الحياة الاجتماعية، بعث مجتمع مكفول فيه الامن والرخاء والطمأنينة الوطنية ، الاسهام اللائق في السلام العالمى الذى يقوم على تعاليم الاسلام فيما يتصل بنمط حياة يتماشى والشريعة ، ويتفق وما يصف به القرآن الكريم البلد الطيب المثالى .

(5) أهداف البرنامج :

أ - على المدى القصير : خلق ظروف حياة منظمة للشباب تساعد على تحقيق الاستقرار فى مجالات السياسة ، والاقتصاد ، والدفاع ، والامن الوطنى ، ضمن نطاق نضال المسلمين فى سبيل مجد وعظمة الاسلام .

ب - على المدى المتوسط : التمهيد لخلق وضع وظروف ملائمة لتحويل مسؤوليات ومهام الاجيال السابقة الى الاجيال اللاحقة .

ج - على المدى البعيد :

خلق جيل من الشباب قادر على مواصلة الكفاح لتحقيق ما بهدف اليه الاسلام من خلق مجتمع الامن والسلام .

وهذا البرنامج هو أساسا برنامج توجيه لم يبلغ بعد درجة مخطط نهائى . ذلك لأن معلومات ، ومعطيات، وتفاصيل مادية اخرى ، تشكل قاعدة العمل ما تزال غير كاملة . وأرجو ان يساهم هذا الملتقى فى جمع معلومات ومعطيات بطريق شفاهى او كتابى . وقد يبرر هذا الامر كذلك ، عقد ملتقى جديد فى العام القادم لمناقشة وتنسيق تعاون المسلمين على المستوى العالمى فى هذا المجال . ويهم هذا البرنامج المواد التقليدية والسلطات ، ولكنه يهتم كذلك الجهود الدولية المشتركة .

(6) تفاصيل البرنامج

1 - فى مجال الوقاية :

أ - على المدى القصير : ان الهدف الاساسى من الاعمال الوقائية على المدى القصير هو القضاء على ظاهرة الجنوح ، والحصول على مزيد من التفهم والعناية من جانب الآباء ، والعلمين ، والمجتمع ، تحسين فعالية التراتيب والوسائل المعدة لتوقى الجنوح ، المحافظة على الظروف الحسنة والوضعية الملائمة لاستقرار سياسى ، واقتصادى ، وضمن هذه الغاية ، يمكن برمجة النشاطات التالية :

I (تقوية واستخدام الصحافة الاسلامية من أجل تنظيم حملات حقيقية : حملات تمهيدية ، حملات توزيع وتبليغ ، حملات عامة ، وحملات تأمل وتفكير بعد العملية .

(2 أعمال توجيه وارشاد .

(3 التربية خلال الفترة السابقة للولادة ، وذلك بواسطة توجيه وارشادات نوعية ،

(4 تحسين الاحوال المعيشية للأسر ، وذلك لخلق وضع عائلى ملائم، لا يجد فيه الجنوح مكانا ، تقديم مساعدة اجتماعية واقتصادية للأسر الفقيرة ، تحذير وتقديم اقتراحات للأسر الغنية التى لا يجد فيها الآباء ما يكفيهم من الوقت للعناية بتربية ابنائهم . . الخ .

(5 تحسين التربية الحلقية للاطفال بالمدرسة ، وذلك :

- زيادة حصص التعليم الدنى .

- بمراقبة طريق الذهاب والاياب بين المنزل والمدرسة .

- بتجديد الحياة المدرسية ، وخاصة ما يتعلق منها بالدراسة

الدينية .

(6 تحسين التربية خارج المدرسة عن طريق :

- استعمال مراكز الشباب والمخيمات ،

- تطوير وتحسين التنظيم الكشفى ،

- الجمع بين النشاطات الكشفية وغير الكشفية ضمن التدريب

العسكرى ،

- تأطير تربية تكوين مدربي الشباب ،

- شغل أوقات الفراغ بكل ألوان الانشطة المفيدة ،
- انجاز حصص اذاعية وتلفزية خاصة بالشباب ، واستخدام
الادب المخصص للشباب ،
- ايجاد أشغال وأعمال مأجورة للشباب .
- (7) تشديد الحراسة والرقابة على :
- تداول الافلام ، والادب ، والصور ، واليوميات ، والاغاني ،
والحصص الاذاعية والتلفزية التي من شأنها هدم أخلاق
الشباب ،
- الملاهي الفاحشة ، وخاصة بالنسبة الى الشباب ،
- كل ما يتصل بالاعمال والمواقف السلبية الصادرة عن الشباب .
- الشباب الزائغ المنحرف الذي يعود التسكع في الشوارع ليلا .
- ب - **على المدى المتوسط** : ينمثل الهدف الاساسى من المساعى
الوقائية على المدى المتوسط فى تقوية ما ورد ذكره ضمن برنامج العمل
ذى المدى القصير ، وذلك لدعم الاستقرار المتحصل عليه فى ميدان
الايدولوجية ، والسياسة ، والاقتصاد ، والمجتمع ، والامن ،
والثقافة ، والدين . ولهذه الغاية ، يتعين القيام بالانشطة التالية :
- (1) حملات تقوية وتوسيع ،
- (2) تشديد القيادة التوجيهية والاعمال الارشادية ،
- (3) صيانة الوسائل القائمة ، ووضع وسائل جديدة للقيادة
والتوجيه داخل وخارج المدرسة .
- ج - **على المدى الطويل** : ان الغرض الرئيسى من برنامج يطبق على
المدى البعيد فى مجال الوقاية هو تقوية وتوسيع النشاطات الواجب
القيام بها على المدى المتوسط ، وبالتالي الحصول على استقرار
الايدولوجية ، والسياسة ، والاقتصاد ، والمجتمع ، والثقافة ،
والامن ، وكذا الدين . بحيث يسمح هذا الوقت القصير بتكوين جيل
من الشباب تتوفر له القدرة على الاسهام بالنضال الاسلامى فى سبيل
العدل والرخاء ، ولهذا الغرض يوصى بالنشاطات التالية :
- (1) تجديد نظام التربية القائم على أسس من الاسلام ، والشعائ
فى العالم أجمع ،

2 (انشاء مؤسسات ووسائل تهدف الى تنمية وترقية الاجيال الصاعدة ،

3 (تحقيق أسرة ومجتمع مزدهرين روحيا وماديا ، بالغين المثل الاعلى فى العدل والانتشار فى العالم أجمع .

4 (بعث ثقافة اسلامية ، وقيم اسلامية أخرى فى الميدان العلمى ، والعادات مثلا ، والمحافظة عليها .

2 - فى مجال القمع :

أ - **على المدى القصير** : الهدف الرئيسى من أعمال القمع على المدى القصير هو وضع قوانين أمره محددة لقواعد العمل ، من أجل الحفاظ على الظروف الحسنة ، وعلى الوضعية الملائمة ، وهذا يتطلب التدابير التالية :

I (اتخاذ اجراءات عاجلة ضد كل أنواع الجنوح والنشاط السلبى لدى الشباب ، تلك الانواع التى من شأنها تعكير صفو الاستقرار والامن والسياسة والاقتصاد ، وتعرض حياة الامة العامة للخطر ، خطر حياة النفس ، وعصابات الشباب .

2 (الانتهاء من كل المحاكمات الجارية بشأن الجنوح ،

3 (تكوين أشخاص يعهد اليهم رسميا بفرض احترام القانون فى اطار قمع الجنوح .

ب - **على المدى المتوسط** : الهدف الرئيسى من أعمال القمع فى المدى المتوسط هو الحصول على استقرار الوضع ، وفى الوقت ذاته ، الامعان فى اصدار القوانين المناسبة وهذا يستلزم التدابير التالية :

I (تحسين واستكمال ما صدر من الاوامر بشأن حماية الشباب من الجنوح ،

2 (انشاء دور للتربية يمكن ان تطبق فيها تدابير قمع الجنوح ،

3 (انشاء محاكم خاصة فى المدن الكبرى لمعالجة حالات الجنوح ،

4 (التكوين الخاص لمتلى الشرطة الرسميين ، والمحامين ، أو القضاة ، بما يكفل لهم التخصص فى معالجة شؤون الشباب .

ج - على المدى الطويل : والهدف الاساسى منه هنا ، هو تعزيز الاستقرار المتحصل عليه فى التدابير المتخذة على المدى المتوسط ، وهذا يستوجب الاجراءات الآتية .

١ (سن قوانين : تجديد القوانين التى لم تعد تتلاءم ومتطلبات العصر الحديث ،

٢ (تحسين ومد جهاز الفمع ، كتحويل مبان خاصة مثلا الى سجون لاحتجاز الشباب الجانح ، ومحاكم متخصصة فى شؤون الاحداث ، وتكوين الفائمين على كل ذلك .

3 - اعادة التربية ، والعلاج ، واعادة الاعتبار :

أ - على المدى القصير : الهدف الاساسى من هذه التدابير هو وضع الجانح المعادة تربيته فى احوال وشروط سيكولوجية حسنة بما فيه الكفاية ليتسنى له الاندماج مرة أخرى فى المجتمع ، فى الدولة ، فى الجماعة الوطنية . وهذا يتطلب القيام بالاعمال التالية :

١ (ان يطلب من الخبراء فى شؤون الصحة العقلية متابعة عملية اعادة التكيف والتلاؤم للجانح سابقا .

٢ (ان يحسن ونستخدم ، الى اقصى حد ، مؤسسات التربية القائمة خاصة لاجل اعادة تلاؤم الجانحين السابقين .

٣ (ان نطلب المساعدة ، ونعمل على تنظيم فترات تدريبية لتكوين منخصصين فى العلاج العقلى ، ومساعدتين اجتماعيين ، لاعادة نلاؤم وتربية الجانحين .

ب - على المدى المتوسط :

١ (مضاعفة عدد الخبراء والمتخصصين فى العلاج العقلى ، والمساعدتين الاجتماعيين ، وغيرهم

٢ (سن قانون يعنى بمعالجة النسيب الجانح ورعايته خارج المؤسسات ،

٣ (بناء ومضاعفة عدد المراكز الخاصة باعادة الاعتبار ، وتجهيزها بالمعدات وبالموظفين ، وجعلها بحيث تستجيب لظروف كل مدينة كبرى .

ج - على المدى الطويل :

- 1 (تحسين ومد المراكز المختصة تبعا للحاجات القائمة ،
 - 2) زيادة عدد الخبراء والموظفين الاكفاء ضمن هذه المراكز المختصة ،
 - 3 (العناية بالوسائل وبالموظفين وبنشاطات اعادة الاعتبار ،
- وذلك :

- بزيادة عدد مؤسسات وميادين العمل المخصصة للشباب ،
 - برفع المشاركة الخصوصية فى الانشطة الاجتماعية من أجل
- تكوين جيل ديناميكى موفور الصحة .
- (7) دور الجماعة الاسلامية والمسلمة :

ان الاسلام هو دين الله الحق ، المنزل على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، الدين الذى آتاه الله وحده ، وفى الاسلام من القيم الروحية والحلقية ما يجعله يستجيب لكل المتطلبات ذات الصلة بما سبق ذكره . فعلى المسلمين أنفسهم ان يعملوا بتعاليم الاسلام ، مع استكمالها بأحسن طريقة ممكنة ، وذلك باعمال الفكر فى أوامر الله المحيط علما بكل شىء ، وان شاء الله ، سيكون الله فى عوننا ما بادرنا الى نصره دينه تعالى .

أَجْرَةُ الأَعْلَامِ
أكبر جامعة شعبية

علاقات الجامع الأزهر بالجزائر

بمناسبة عيد الألفي

للأستاذ المهدي البوعبدلي

عضو المجلس الإسلامي الأعلى ومخاتة الجزائر

فتحت مصر كما هو معلوم سنة 20 هـ على يد عمرو بن العاص (رض) وكان أول عمل قام به بعد الفتح تأسيسه للمدينة المعروفة بالفسطاط ، العاصمة الإسلامية ، وفيها أسس مسجده المعروف بجامع عمرو ، تم بالجامع العتيق وذلك سنة 21 هـ 641 م .

وفي سنة 123 هـ 750 م أسست قرب مدينة الفسطاط مدينة العسكر ، أسسها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قائد حنين الخلافة العباسية ، الذي تعقب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وألقي عليه القبض ثم قتل ، وبعد ذلك أسس مدينة العسكر ، التي هي عبارة عن معسكره ، ولهذا وضع لها لفظ العسكر ، وفيها بنى مسجده المعروف بها ثم أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة

156 هـ 870 م لتكون عاصمة أو قاعدة مملكته الجديدة، وبنى مسجده الشهير بمسجد ابن طولون .

هذه هي المدن الثلاث أو الارياض الثلاثة التي وجدها جوهر الصقلي ، قائد المعز لدين الله الفاطمي عندما فتح مصر سنة 358 هـ على رأس جيشه العرمرم الذي كان معظمه من قبائل كتامة الجزائرية .

وبمجرد انتهاء الفتح أسس جوهر المدينة التي عرفت باسم القاهرة المعزية الخالدة ، أي في سنة الفتح نفسها ثم وضع أساس مسجده الذي عرف بالجامع الازهر سنة 359 هـ وانهاه سنة 360 أو 361 هـ (970 م) وبعد اتمامه كتب جوهر بدائرة قبته ما يلي « مما أمر ببنائه عبد الله ووليه ابو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب ، وذلك في سنة ستين وتلاتمائة » فمن هذا يتبين ان الازهر هو أقدم جامعة عالمية ، لا جامعة بولونية الإيطالية التي قيل انها أقدم جامعة عالمية ، وذلك انها تأسست سنة 1119 م ، أي بعد الازهر بمائة وتسع وأربعين (149 سنة) ثم نجد السوربون بباريس تأسست بعد جامعة بولونيا في القرن الثاني عشر ، وجامعة اكسفورد بانكلترا تأسست سنة 1224 م .

ولا يمنع وصف الازهر من أنه أقدم جامعة عالمية من وجود جامعي الزيتونة والقرويين قبله : فجامع الزيتونة بتونس يرجع تاريخ تأسيسه الى سنة 80 هـ (699 م) اذ اختطه لاول الفتح الاسلامي القائد الاموي الطائر الصيت حسان بن النعمان الغساني ، ثم أعاد بناءه القائد الاموي عبيد الله بن الحبحاب في سنة 116 هـ (734 م) وهذا التاريخ الاخير هو ما يقتصر عليه كتب من المؤرخين الذين ينسبون تأسيس الزيتونة الى عبيد الله بن الحبحاب ، والحقيقة ما ذكرناه ، وانما كان الجامع عند تأسيسه سنة 80 بسيطا جدا وهذا لا يمنع من أنه جدد في موقعه الاول ، والبساطة كانت تمتاز بها جميع مساجد الاسلام في عهد نشأتها .

كما أن القرويين بفاس أسس سنة 245 هـ (859 م) وانما اختص الازهر بوصف القدم لانه يمتاز عنهما بمواصلته لمهمته العلمية من

دون انقطاع الى يومنا هذا وان وجدنا في تاريخه الطويل ، فترات ، تخللها ركود وضعف وتعطيل ، ومع كل ذلك فانه فرض نفسه وحافظ على صبغته العنصرية الدينية ، الى أن صار سكان مصر وعربهم من المسلمين يرونه رمزا ، وجزءا لا يتجزأ من تاريخ مجدهم الديني والدينيوي ، وكل من حاول من الملوك والسلاطين ان يخفف من شأنه ، أو ينهي مهمته الثقافية ، حيث كانوا يرونها امدادا للدعوة الشيعية ، بعد تقلص ظلها ، ابتداء من عهد الايوبيين ، فكل من أراد ذلك ارتطم بالرأى العام ، الذي كان يفرق بين الملوك الشيعيين والازهر ، وهذا هو السبب في اكتساب الازهر الحصانة التي جنبته كل مكروه ، وصارع بها الاجيال وأدى مهمته كاملة .

لما فتح جوهر الصقلي مصر ، أدى أول صلاة جمعة بالجامع العتيق ، أي جامع عمرو بن العاص في العسقاط ، وذلك في شعبان 358 هـ قبل الشروع في بناء الجامع الازهر وفي هذه الصلاة خطب لأول مرة للخليفة المعز لدين الله الفاطمي بدلا من الخليفة العباسي ، وقد أمر جوهر بنقش جدار المسجد العتيق المذكور وصبغه باللون الاخضر الذي هو شعار العلويين ، وزيد في الخطبة « اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين اذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا اللهم صل على الائمة الراشدين ، آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهتدين » .

كما أم جامع ابن طولون ، وزيد في أذانه : (حتى على خير العمل) وهي عبارات شيعية ثم أم جامع العسكر ، واقتصرت هذه المساجد الثلاثة : الجامع العتيق ، وجامع العسكر ، وجامع ابن طولون على تعليم اللغة العربية وأصول الدين ، وخصص الجامع الازهر لصلاة الجمعة الرسمية ، وذلك ابتداء من أول صلاة صلاها فيه جوهر في 7 رمضان 381 هـ ولما فارق المعز لدين الله مملكة افريقيا ، وخلف عليها عامه بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 361 هـ ووصل مصر سنة 362 هـ واتخذها عاصمة المملكة بدلا من المهدية ، افتتحت الدراسة بالازهر في صفر عام 365 هـ (975 م) وكان أول من القى الدرس الاول القاضي ابو الحسن علي بن النعمان وكان موضوع الدرس « مختصر الاقتصار » في الفقه الشيعي تأليف والده القاضي الذائع

الصيت النعمان بن محمد فقيه الشيعة الشهير ، الذى صحب الملك المعز لدين الله عند مجيئه الى مصر ، وقد توفى سنة 363 هـ وصلى على جنازته الملك المعز . ولفقيه الشيعة القاضى النعمان القيروانى هذا شهرة عظيمة فى الاوساط الشيعية الى يومنا هذا ، وقد أحيا الشيعيون تراثه ، وطبعوا عدة كتب من تأليفه منها « دعائم الاسلام » فقد نشر بالقاهرة منذ سنين قليلة ، وما زال عمدة طائفة البهرة فى الهند وبعد وفاة الملك المعز لدين الله وتولية ولده الخليفة العزيز أبى الحاكم تطور الازهر واستحال الى معهد علمى له أهمية ، حيث ان الخليفة المذكور عين فيه دفعة واحدة ، خمسة وثلاثين مدرسا شيعيا لتدريس الفقه على مذهب الدولة ، وبقية الفنون كالعقائد والادب ثم ابتنى لهم مساكن مجاورة للجامع وأجرى عليهم المرتبات ، وصار يمنحهم مختلف الاعانات والهدايا كما شملت رعايته جميع الطلبة المتحلقين بالازهر فانه التزم بجميع ما تستلزمه ضرورياتهم من مآكل ، وملبس ، ومسكن .

بعد ما حول الخليفة العزيز أبى الحاكم بن المعز لدين الله مسجد الازهر الى معهد دينى ، شرع فى بناء مسجده الشهير بمسجد الحاكم ، وذلك سنة 379 هـ 989 م تحت اشراف وزيره الشهير الذى كان الرأس المفكر للدولة أبو الفرج يعقوب ابن كلس اليهودى الاصل ، الا انه أسلم وحسن اسلامه ، وبرهن على صدقه واخلاصه ، وكان من أنبغ علماء عصره ومفكره وقد صلى فى المسجد الجديد - مسجد الحاكم - الخليفة العزيز قبل الانتهاء من بنائه صلى فيه الجمعة وذلك فى 14 رمضان سنة 381 هـ وقد تم بناء هذا المسجد سنة 403 هـ 1012 م وحبس عليه الاحباس ، وصارت تقام فيه صلاة الجمعة بعد ان كانت مقصورة على الازهر ، ومن ذلك العهد سمي بجامع الخطبة ، كما صارت الجمعة تصلى بجامع عمرو بن العاص وجامع احمد بن طولون على التوالي، وقد بقيت هذه المساجد وبعض آثارها الى يومنا هذا واهتم بدراسة آثارها المعمارية كغير من الكتاب، مسلمين وأجانب ، هذه نبذة من تاريخ الازهر فى عهد مؤسسه الفاطميين .

الازهر فى عهد الايوبيين

لما قضى صلاح الدين الايوبى على الفاطميين سنة 567 هـ 1171 م ونولى الملك أراد ان يجرى الازهر من صبغته الرسمية ، التى اشتهر

بها طوال عهد الفاطميين من أنه مركز ابتناق واشتغال للمعاصم
 الشيعية ، وتدعيمها بالحجج والبراهين ، الا ان الرأي العام لم يكن
 متهيئا لقبول هذه الصدمة ، رغم انه كان متذمرا ببقايا الخلفاء
 الفاطميين خصوصا بعد أن ثار عليهم ولاية افريقيا بنو زيرى وتبرأوا
 من مذهبهم الشيعي وظهروا ما خفى على الناس من نصر فاتهم
 وعقائدهم بعد ان انتصروا للفقهاء السنين الذين تزعموا المعارضة فى
 افريقيا والاندلس ، مما هو مذكور بمزبد من البيان والتفصيل فى
 الكتب التى خصصها اصحابها لتاريخ هذا الصراع السرى والعلنى
 وأهمها كتاب « رباض النفوس » لابي بكر عبد الله بن ابي عبد الله
 المالكى الذى اعتنى بتقدميه ونحفيته د . حسين مؤنس وتعرض فى
 تقديمه لجميع اطوار هذا الصراع الذى كانت بدايته مغادرة أو التفكير
 فى مغادرة الخلفاء الفاطميين لافريقيا بعد ثورة ابي زيد مخلد بس
 كيداد الخارجى الاباضى المشهور « بصاحب الحمار » ، ونهايته بالقاهرة
 على يد صلاح الدين الايوبى ، استعمل صلاح الدين طرقا ملتوية
 للوصول الى هدفه ، فأصدر أولا فتوى من قاضى القضاة الشافعى
 بالقاهرة عبد الملك بن درباس لنقل الجمعة الرسمية من الازهر الى
 الجامع الحاكمى - الذى وان كان مركزا شيعيا ممتازا الا انه أقل أهمية
 من الازهر - الذى بناه الخليفة العزيز أبو الحاكم ووضع أساسه سنة
 379 هـ فافتاه قاضى القضاة المذكور وعلل فتواه : (بأن الجامع
 الحاكمى أوسع رحابا واكثر جدة من الازهر) وبعد ان صارت الجمعة
 تصلى بالجامع الحاكمى وكان نعليل الانتقال مقبولا ، ولم ير جدلا ،
 أصدر قاضى القضاة فتوى أخرى افتى فيها « بعدم جواز اقامة خطبتين
 للجمعة فى مسجدين بقعان فى بلد واحد » فنوصل صلاح الدين الى
 هدفه ، واستبدل الازهر بالجامع الحاكمى ، ولكن سمعة الازهر
 وشهرته ، جعلت معظم العلماء الوافدين على مصر فى طريقهم الى الحج
 يقصدونه ويعقدون فيه حلقات دروسهم ، ولم يرضوا برحابه بديلا ،
 ومن اشتهر من العلماء الوافدين على مصر فى تلك الظروف امام
 القراءات الشهير أبو القاسم التساطبى الرعيسى (538 - 590 هـ) الذى
 كتب لتأليفه فى القراءات « حرز الامانى » أو « النشاطية » أو « اللامية »
 الخلود الى يومنا هذا فى العالم الاسلامى كله عند المشغولين بالقراءات

خصوصاً في برامج الجامعات كالأزهر والزيتونة والقرويين ، عقد الامام النساطبي حلقات دروسه بالأزهر وفي رحابه ، رغم انه دعى الى التدريس بعدة مدارس ، وضاق رحاب الأزهر بحلقات دروس علماء البلاد وخارجها رغم بجريده من صلاة الجمعة الرسمية . شاهد صلاح الدين الايوبي ان الضجة التي اقامنها فتوى فاضى القضاة في تحويل صلاة الجمعة من الأزهر الى الجامع الحاكمى لم تؤت ثمرتها المنتظرة ، ولم ينس السكان الأزهر ، بل بقى مع الفاصل الزمنى يؤدي رسالته الثقافية ، وكان محط رجال العلماء الذين ملأوا رحابه من مختلف البلاد الاسلامية خصوصاً علماء الاندلس والمغرب ، فعندئذ التجأ صلاح الدين الى محاربة آثار الشيعة فى الأزهر بالسلاح العلمى الدينى ، ففكر فى انشاء المدارس ، واخار لها نخبة من العلماء السنيين ، فانشأ المدرسة الناصرية الى جانب جامع عمرو بالفسطاط لتدريس الفقه الشافعى ، ثم اسس مدرسة اخرى لتدريس الفقه المالكى ، وهى التى اشتهرت بالمدرسة « الممحية » تم كانت مدارس اخرى كالكاملية والصلاحية وقبة الشافعى وجوامع الحاكم ، وابن طولون وعمرو بن العاص ، فكانت كلها معاهد ، تم صادفت هذه الفترة استرجاع الاسبان لعدة مراكز علمية بالاندلس ، كطليطلة وغيرها ، ثم اضطرابات بغداد فكانت هجرة كثير من علماء الاندلس الى بلاد المغرب ثم الى القاهرة وكان معظم المهاجرين الى المغرب لما يذهبون الى الحج ويمرون على القاهرة ينزلون بالأزهر وفيه يلقون حلقات دروسهم ، ويتصلون بالعلماء الأزهريين والواردين على الأزهر ، فيتبادلون معهم الاجازات والتأليف .

الأزهر فى العصر المملوكى

لما تولى الملك الظاهر بيبرس رأى ان الفرصة سنحت لارجاع الأزهر الى مكانته ، فكلف نائبه الامير عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة - كما كانوا يعبرون عنه اذ ذاك - للقيام بالمأمورية ، فبدأ الامير عز الدين بجمع ما تبدد من أوقافه ، وانتزعها من أيدي غاصبيها، ثم جدد الجامع الذى لقى الاهمال التام فى العهد الايوبي ، وبلط أرضيته ، وانشأ مقصورة فخمة رائعة ومنيرة ، تم شرع فى ترتيب دروس فقهية فيه ، وعين لها فقهاء آجلة من مختلف المذاهب ، كما عين

الى جانبهم اساتذة مشهورين محدثين ومفسرين ومقرئين ثم استصدر بدوره فتاوى من علماء البلاد بجواز صلاة الجمعة فيه ، فأفتاه جلهم وامتنع قاضى قضاة الشافعية اذ ذاك ، وهو ناج الدين بن بنت الاعز ، بل افنى بمنع هذه الصلاة ، وكان أغلبية سكان مصر اذ ذاك شافعيين فكتر الجدل حول هذه المسألة ، فلم يسع نائب السلطان عزالدين الا الاستمساك بفتوى العاضى الحنفى الذى افنى بجواز الصلاة ، وأقام الصلاة فى الازهر ، وكان ذلك فى يوم الجمعة 18 ربيع الاول سنة 665 هـ وأقيمت هذه الصلاة فى يوم منسهود شارك فيه التسعب باقامة الافراح المختلفة ، واقام نائب السلطنة مأدبة فاخرة لجميع من شاركوا فى تدشين صلاة هذه الجمعة وواصل الازهر مهمته ، واسترجع الصلاة الرسمية بعد ان جرد منها حوالى مائة سنة كاملة ، الى ان نكب بالزلزال الذى أصاب جانبا من البلاد الشرقية سنة 702 هـ 1302 م وقضى على كثير من معالم القاهرة التى كان من ضمنها الازهر ، ثم جدد بناؤه على نفقة سيف الدين سلار الصالحى المنصورى مملوك علاء الدين على بن منصور قالون المشهور بآثاره فى مصر ومنها مدرسة ومسجد ما زال قائمين .

الازهر فى العهد العثمانى

نجده يتلخص فيما قالت « سنية قراة » فى كتابها « تاريخ الازهر » قالت : « ولئن كان العصر العثمانى فى تاريخ مصر قد أراد للجامع الازهر شيئا لم يردده الله الذى قدر للازهر العتيد ، مزيدا من الرفعة والعلو والمضاعفة فى التبعات الدينية والعلمية ، فان نظام الحكم الذى أقره السلطان سليم فى البدء ، واتبعه خلفاؤه من بعده كفل للجامع العتيد وحلقات الدراسة فيه مزيدا من الحياة والبعث والرفعة » .

وحقيقة انه أمكن للازهر فى العهد العثمانى الذى حاول السلطان سليم ان بطمس معالم القاهرة حيث نسب اليه هدم كثير من المساجد الاترية ، ونقل ما استتمت عليه من نحف وزخارف الى عاصمته (الاستانة) كما نسب اليه نقل ونهب نفائس المخطوطات بل نقل جل علماء البلاد الى الاستانة ، ولكن الازهر لم يبق مكتوف الايدى امام

هذه التحديات والتحديات ، فان احد علمائه ، حمل لواء المعارضة ، ووقف في وجه هذا الطغيان ، وله قصص مشهورة لا يسع المقام لذكرها ، وانما نرضية له ولزملائه تقرب الوالى التركى اليهم باحداث وظيفة شرفية ، وهى وظيفة « شيخ الاسلام » التى كانت لا تمنح الا لأعظم شخصية دينية بالاستانة ، عاصمة الخلافة العثمانية ، وقد أعطيت هذه المشيخة للشيخ السنباطى الازهرى الذى كان أول من وقف ضد تصرفات الوالى التركى ، ولكن السنباطى وزملاءه ، كانوا مقتنعين ، بأنهم يشخصون الازهر ، الذى كان الممثل الوحيد - من دون منازع - للرأى العام الاسلامى ، بقى لقب « شيخ الاسلام » يمنح لعلماء الازهر فى العهد التركى امثال الائمة : المناوى الشيشينى ، والعلقى ، والصفدى ، والزرقانى ، والشربابلى ، والجبرتى الاكبر ، والبحرى وغيرهم .

احداث مشيخة الازهر

ثم بعد مشيخة الاسلام التى كانت شرفية ، أحدثت مشيخة الازهر ، التى اعترفت لصاحبها بالتصرف التام والاشراف على جميع شؤون الازهر المادية والادبية وبقيت هذه الوظيفة السامية يتوارثها كبار العلماء الى يومنا هذا . أحدثت هذه الوظيفة فى العهد العثمانى ابتداء من أوائل القرن الحادى عشر ، وكان أول من عين فى هذا المنصب الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحرشى المالكى المشهور فى العالم الاسلامى بتأليفه خصوصا شروحه على مختصر خليل . توفى الحرشى عام 1101 هـ - 1690 م . وقد توارث مشيخة الازهر علماء أجلة أمثال ابراهيم البرماوى الشافعى واحمد النفراوى وعبد الباقى القلبنى ، وابراهيم الفيومى ، ثم الشيخ سالم الحفنى الذى كان الشيخ الثامن للازهر وكان عضوا فى مجلس الحكم وكانت له مواقف سجلها له التاريخ ، منها أنه عارض والى البلاد لما أمر باخراج حملة حربية الى احد اقاليم الصعيد ولم يسع الوالى اذ ذاك على بك الكبير الا الرضوخ لرأى الشيخ وتنفيذ أمره (والشيخ الحفنى هذا هو استاذ الشيخ محمد ابن عبد الرحمن الجرجرى القشطلولى ناشر الطريقة الرحمانية فى الجزائر) .

طلبة الأزهر

اشتهر الأزهر في تاريخه خصوصا في أواخر العهد العثماني ، انه كان يأوى طلبة العالم الاسلامي ، خصوصا بعد سقوط بغداد في حروب المغول ، وخصصت لسكنى هؤلاء الطلاب ، أروقة الأزهر وكان عددها يصل الى 25 رواقا ، وكل رواق له شيخ يراقبه وينصرف في شؤونه ، وكان طلاب الأروقة يعبر عنهم بالطلبة المجاورين ، ولقب مجاور هذا قديم في تاريخ الأزهر ، اذ اطلق في أواخر القرن الرابع في عهد الخليفة العزيز الفاطمي على الاساتذة الذين كانوا نواة للأزهر وبنيت لهم مساكن بجواره ، فصار يطلق عليهم المجاورون كان هؤلاء الطلبة من عدة اجناس ومن مختلف البلاد الاسلامية ، زيادة على المصريين ، وكانت لهم جراية من الاحباس تختلف مع الأزمنة قوة وضعفا .

الأزهر والتطور

وقد رأينا تعميما للفائدة نقل مقال قيم في الموضوع نشرته « مجلة العربي » الكويتية تحت عنوان : « الأزهر في عيده الالفى يفتح أبوابه للفتيات » وهذا العدد مؤرخ في ذى القعدة 1392 هـ قال في التطور : « في تاريخ الأزهر الكثير من محاولات الإصلاح والتطوير وذلك للقضاء على التخلف الذي لحقه نتيجة الفتح العثماني لمصر من عام 923 هـ الى 1213 هـ (1517 م - 1798 م) والذي أدى الى هجرة الكثير من علماء الأزهر وطلبته الى أقاصى الصعيد ، فرارا من عسف الحكام وجورهم ، وقامت نتيجة لذلك حركة علمية أدبية دينية ، في مدن قفط وقوص وغيرها من مدن الصعيد ، وفي القرن التاسع عشر بدأت في مصر حركة تجديد وتطوير ، ودخلت نظم التعليم الغربية في مدارسها . . . ولكن الأزهر ظل على جموده بعيدا عن هذه التطورات ، وكان أول من طالب بتطوير الأزهر رفاة الطهطاوى (1216 هـ 1290 هـ) تعلم في الأزهر واستكمل تعليمه في فرنسا حينما كان اماما للبعثة الموفدة من مصر في عهد محمد علي ، وكان له أثر كبير في النهضة العلمية والفكرية ، وهو مؤسس مدرسة الالسن ومنشئ جريدة الوقائع - قد نادى بادخال العلوم الحديثة الى الأزهر ، ودلل على ان العلوم الحكيمة

العلمية التي يقال انها اجنبية هي علوم اسلامية ولا نزال كتبها محفوظة في الخزانة كالذخيرة ، وذكر في كتابه « مناهج الالباب » ان شيخ الجامع الازهر احمد الدمهورى الذى نولى المشيخة فى الفترة ما بين 1182 - 1190 هـ قد ذكر انه درس العلوم العلمية وقال « أخذت عن استاذنا الشيخ على الزعتري خاتمة العارفين بعلم الحساب ، واستخراج المجهولات ، وما نوقف عليها كالفرائض والمبقات - وسيلة ابن الهائم ومعاونته فى الحساب ، والمقنع لابن الهائم ، ومنطومة الياسينية فى الجبر والمقابلة ، ودقائق الحقائق فى حساب الدرج والدقائق للسبب الماردبنى فى علم حساب الازواج ، ثم يستطرد : (وأخذت عن سيدى أحمد القرافى الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفيه فى أسباب الامراض وعلاماتها وبعضها من قانون ابن سينا وبعضها من كامل الصناعة ، وبعضها من منظومة ابن سينا الكبرى وكلها فى الطب) .

ويعد الشيخ الدمهورى بعد ذلك الكثير من الكتب فى الفلك وعلم المساحة والهندسة وعلم الموالب والممالك التطبيقية الى الحيوانات والنباتات والمعادن وان دل هذا على شىء فانما يدل على أن للازهر فى الماضى نصيبا كبيرا فى تدريس العلوم المختلفة ومن بينها الطب والفلك جنباً الى جنب مع العلوم الدينية .

وقد صدر أول قانون بتطوير الازهر عام 1287 استصدره الشيخ محمد العباس المهدي شيخ الازهر أيام الخديوى اسماعيل واقتصر هذا القانون على أن يكون الحصول على شهادة العالمية بامتحان امام لجنة من العلماء ، وان تحدد العلوم التى يمتحن فيها الطلبة بأحد عشر فنا هي : الفقه ، الاصول ، التوحيد ، الحديث ، التفسير النحو ، الصرف ، المعانى ، البيان البديع والمنطق .

وبعد هذا القانون بدأ الشيخ محمد عبده حركته الكبرى لاصلاح الازهر ونجح عبده بالرغم من معارضة شيوخ الازهر له ، واستطاع عبده ان يفتح الخديوى عباس باصدار قانون الاصلاح فى عام 1312 هـ 1895 م ، ودخلت مواد الحساب والهندسة والجبر والجغرافية والتاريخ والخط الى الازهر ، وقسمت مدة الدراسة الى 12 سنة واصبح الطالب

الذى يتم دراسته مواد معينة فى 8 سنوات وينجح فيها يمنح شهادة الاهلية ، ومن يستمر فى الدراسة بعد ذلك أربع سنوات ثم يجتاز الامتحان بنجاح يمنح شهادة العالمية، وجاء بعد ذلك من المصلحين الشيخ الاحمدى الظواهرى الذى نادى بتقسيم الدراسة فى الازهر الى ثلاث مراحل : مرحلة ابتدائية ، ومرحلة متوسطة ، ومرحلة عالية ، وهذا هو التقسيم الذى افترحه محمد مصطفى المراغى الذى عين شيخا بعد ذلك أى فى عام 1347 هـ 1928 م وعين بعده الظواهرى الذى عمل على اسنصدار قانون الاصلاح فى عام 1349 هـ 1930 م وهو القانون الذى عدد كيان الازهر منذ ذلك الحين وقسمه الى كليات ثلاث :

« كلية الشريعة ، كلية أصول الدين وكلية اللغة العربية » ا هـ .

وتأييدا لما ذكرناه فى هذه الدراسة نختم موضوع القسم الاول من هذا البحث بما كتبه فى الثلاثينات من القرن الجارى العلامة الشهير محمد كرد على وزبر المعارف السابق لسوريا فى عصره ، وبما قاله ابن خلدون فى عصره أيضا ، قال محمد كرد على فى مقال نشره فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق تحت عنوان : « مصادر الثقافة العربية وتأثيرها فى الحضارة الحديثة » قال : « وكانت مصر فى الدول العربية بأرباب الرحلات من المحدثين والفقهاء والادباء والعلماء أكبر اتصالا فكربا بالاقطار الاخرى ، من معظم الامصار ، لتوسطها بين البلدان العربية ، لكونها فى طريقهم الى الحج .

ولما حرب المغول بغداد فى القرن السابع رحل العلماء منها الى مصر ، وفى رحلات المرتحلين من مصر واليهما ، ضرب من ضروب ببادل العلم والافكار ، وكانت الجوامع تأوى هذه الطبقات من المستغلين قبل ان تنشأ المدارس فى القرن السادس ولو وصل اليها ما دونه ارباب الصنائع والفنون ، كما انتهى اليها ما دونه علماء الشريعة والادب والتاريخ ، لعرفنا جمهورا نجهله من الناس ، وكم من علم اندفن فى صدر ، ومن فن ما قدره الناس قدره فزهد الناس فيه ، وهذه المصانع التى أبقت الايام على خطوطها ورسومها ، فى الفسطاق ، والقطائع ، وما فى جوارهما من القاهرة المعزية ، من المدارس والجوامع والرباطات

والمستشفيات ، شاهدة على الدهر ، بما أبدعت تلك العقول والانامل
التي حملت شيئا كثيرا من العلم والعمل « ٠٠ الخ ٠٠

وقال ابن خلدون لما زار مصر لأول مرة فى طريقه الى الحج « ٠٠٠
فرايت حاضرة الدنيا وبستان العلم ومحشر الامم ومدرج الدر من
البشر واپوان الاسلام ، وكرسى الملك تلوح القصور والواوين فى
جوه ، وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بأفاهه ، وتضىء البدور
والكواكب من علمائه » ثم ذكر ما سمعه فى وصف مصر قبل وصوله
اليها من استاذيه الجزائريين : أولهما محمد المقرئ الجسد الذى قال
فيها « من لم ير مصر لم ير عز الاسلام » وثانيهما ابو العباس احمد
ابن ادريس البجائى (صاحب المعهد الشهير باسمه الى يومنا هذا
قرب العزازقة) قال ابن خلدون « وسألت شيخنا ابا العباس احمد
ابن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق اهله من
السحاب يشير الى كثرة أممه » وكان ابن خلدون ممن علم بالازهر
ومدارس القاهرة ، بخلاف من ذكر بانه لم يعلم فى الازهر وانما علم
فى مدارس القاهرة فقط ، قال بعد ما وصف مصر : « ان أهل البلاد
طلبوا منى الافادة مع قلة البضاعة فجلست للتدريس بالجامع الازهر
منها » (ديوان العبر) .

وحكم ابن خلدون على مصر له قيمته ووزنه اذ قبل ان يصل اليها
سبق له ان عاش فى كثير من عواصم العالم كتونس وبجاية وتلمسان
وفاس وغرناطة وفى كل منها تولى وظائف سامية .

نقتصر على هذا الموجز من تاريخ الازهر وتطور النقافة فيه عبر
العصور ، ولم يمكننا تتبع مواقف رجاله - طلبة واساتذة - فى قيادة
الثورات ضد الظلم والطغيان من مختلف الحكام الجائرين ، وكذلك
مواقفهم فى صد غارات الصليبيين ، خصوصا حملة سان لويس
Saint Louis ملك فرنسا على دمياط فى أوائل القرن السابع
الهجرى ، كما ظهرت مواقفهم البطولية حلبة بعد غزو نابليون فى
أواخر القرن الثامن عشر المسيحى .

أما الحكام المسلمون فانهم كيفما كانت اجناسهم ومذاهبهم
العقائدية ، فان كل دولة حكمت مصر ، الا وانها ابقت أترا من آثار

غيرتها على العلوم والصنائع ، وعنيت بنشر العلم والدين ، فانتشأوا المساجد ، والمدارس والاضرحة ، وأوقفوا عليها الاوقاف المتعددة ، وأجازوا المؤلفين والباحثين ، وعندما ظهرت المطبعة نشروا الكتب العلمية التي غزت العالم الاسلامي كله ، وما زالت آثار الجميع أو جلها تثبت ما ذكرناه ، وهي محل عناية المؤرخين والأنثريين من مسلمين وأجانب ومن هؤلاء نأليف مع صغر حجمه كبير الفائدة ، نشره منذ سنوات المستشرق الفرنسي قاصطون فيات : **Gaston FIAT** يحمل عنوان : « جوامع مصر » وقد صور فيه معظم المساجد والمدارس والاضرحة القائمة ، أو بقايا أو البقايا المندثرة منها ومواقعها مع تخطيط المدن الثلاث التي كانت قبل تأسيس القاهرة المعزية .

القسم الثاني من دراسة

علاقات الجامع الازهر بالجزائر بمناسبة عيده الالفى

كانت علائق الجزائر بمصر قديمة من عهد تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر بها ، اذ معظم الجيش الفاتح الذي رافق جوهر الصقلي كان من كتامة ، ورؤساء جيش كتامة وجنده هم الذين قادهم جوهر قبل غزوه مصر للقضاء على دول بنى رستم بتيارت ، ومغراوة بشلف وبني يفرن بوهران وايفكان ، والادارسة بنلمسان والمغرب ، كان يرافق الجيش الكتامي دعاة الشيعة ، المتخرجين من مراكز ايكجان تم المهديّة ، وليست هذه العلائق هي المقصودة من هذه الدراسة .

كما ان مصر كانت أعظم محطة يقيم فيها الحجاج المغاربة في طريقهم الى الحج ، ذهابا وايابا ، على اختلاف طبقاتهم، وكان العلماء منهم يقصدون، مدة اقامتهم بالقاهرة، الازهر الذي كان ملتقى العلماء ، المصريين ، والواردين على مصر من مختلف البلاد الاسلامية فيتصلون بهم ، ليتبادلوا معهم الاجازات والتأليف ، تم يفيدون ويستفيدون من حلقات الدروس التي يعقدونها بالازهر ، أو يحضرونها كما هو مبين بتفصيل في جميع الرحلات واجتماع العالم في طريق الحج ، ووقوفه بالازهر للافادة ، والاستفادة ، كان جانبها هاما يراعى في مقاصد الحج ، ولا يمكننا التعرض لهذا النوع من العلائق بتفصيل ، وانما نقتصر عن علائق بعض مشاهير العلماء ، الذين اتصلوا بالازهر .

سواء عابري سبيل ، أو مجاورين للتعلم ، وتركوا آثارا علمية لها أهمية ، كما نتحدث على التأليف الجزائرية التي حظيت فى الاوساط الازهرية بالشرح والتعليق أو اعتمدت كمصادر ، وادخل الكثير منها فى برامج الدراسات الازهرية ، وكتب لها الخلود الى زماننا هذا ، كما نتعرض للحديث عن بعض العلماء الجزائريين الذين هاجروا الى القاهرة ولقوا فيها التجلة والتقدير واهتمت الاوساط العلمية بهم وبآثارهم ، ومن هذا القسم كتاب « منامات الوهراني » الذى رغم مرور ما يزيد على الثمانية قرون لم يفقد جده ولا حيويته ، وقامت بطبعه وزارة الثقافة بالقاهرة سنة 1387 هـ - 1968 م . أى منذ خمس سنوات فقط ، واختبر له ابرع كاتب وباحث لتقديمه وتحقيقه ، وهو الدكتور عبد العزيز الالهوانى المتخصص فى دراسات الادب الاندلسى ، والوهراني هذا صاحب التأليف من أئمة الادب ، ولا زالت آثاره محل عناية الباحثين فى تاريخ الادب العربى كما سنشير الى ذلك فى آخر ترجمته . هو أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني الملقب ركن الدين توفى سنة 575 هـ .

وقد ترجمه ابن خلكان فى « وفيات الاعيان » وترجمه غيره وقد تعرض لتحليل كتابه « منامات الوهراني » (الالهوانى) فى تقديمه فقال : « وبعد فان هذه المجموعة من النصوص نمتاز فى تاريخ النثر الفنى فى الادب العربى ، بميزات ترفعها الى مقام عال ، ولا نكاد نجد فى النثر العربى القديم ، نصوصا فيها ما فى كتاب الوهراني من حيوية وذكاء ولمحات عبر عن شخصية الكاتب ، وتصور فى دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية فى عصر الانتقال من الدولة الفاطمية فى مصر الى الدولة الايوبية ، وقد اعترف القدماء بفضل الوهراني وبراعته وخفة روحه ورشاقة أسلوبه وخاصة فى المنام الكبير الذى أثنى عليه ابن خلكان نناء كبيرا ، وفى الحق ان منامات الوهراني ومقاماته وأسلوبه بضيف الى النثر العربى ثروة ، ويفتح للدارسين آفاقا ، ويقدم للقراء مادة شيقة ممتعة ، لا تقل عما اشتهر من عيون النثر العربى » .

قال ابن خلكان فى ترجمته للوهراني : « أحد الفضلاء الظرفاء قدم من بلاده الى الديار المصرية فى أيام السلطان صلاح الدين الايوبى -

وفنه الذى يمت الى صناعة الانشاء ، فلما دخل البلاد ورأى بها الفاضى
الفاضل وعماد الدين الاصبهانى الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه انه
ليس من طبقتهم ، ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الحد
وملك طريق الهزل « قال د . صلاح الدين المنجد فى رسالة
« الوهرانى ورقعته عن مساجد دمشق » (حقفها ونشرها المجمع
العلمى العربى بدمشق سنة 1384 هـ 1965 م قال بعد ان نقل ترجمة
الوهرانى من ابن خلكان : « وتابع ابن خلكان على ما قال كل من ترجم
بعده للوهرانى » وعقب عليه بقوله « وهذا الكلام يحتاج الى تصحيح »
ثم فنده وأقام الادلة على ان الوهرانى وصل الى مصر قبل بولية صلاح
الدين بمدة لم يكن فيها ذكر ولا ظهور لا للقاضى الفاضل ولا
للاصبهانى ، وبين ان طريقة الوهرانى لم يكن براعى فيها الرخرقة
اللفظية والتلاعب بالالفاظ والجمل ، بل كانت كما قال الالهوانى فى
تقديمه : « تصور فى دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية
والاجتماعية فى عصر الانتقال من الدولة الفاطمية فى مصر الى الدولة
الايوبية » .

وقد ذكر الدكتور صلاح الدين المنجد فى مقدمة «الوهرانى ورقعته
عن مساجد دمشق » بحلل فيها هذه الرسالة : « وخلصتها ان مساجد
دمشق والضياع التى من حولها اصابها فى زمن نور الدين - قبل
صلاح الدين الايوبى - الحراب والضياع فاحتضت هذه المساجد ،
ولجأت الى أميرها وسبدها جامع بنى أمية ٠٠٠ الى أن وصل الامر الى
الملك فعزل القاضى المهمل وأصلح ما يزيد على المائة مسجد ٠٠ الخ »
ولا يمكن التوسع فى الموضوع وانما ذكرناه للاسندلال على العلائق
النفاقية المتينة التى كانت بين مصر والجزائر فى الميدان الثقافى وقيام
مصر رغم مرور ثمانية قرون بهذا الواجب حيث أحببت أثرا بعد
ذخيرة من ذخائر الادب العربى الجرائرى ، لا زال - مع الاسف -
مجهولا فى بلده ، ونفس الكتاب الذى برز الى الوجود منذ خمس
سنوات ووزع وانشر فى مكتبات العالم الاسلامى ، لا زال مجهولا
ومفقودا فى مكتبات الجزائر اللهم الا اذا عرضت سح منه تعد على
الإصابع ٠٠

ان للوهرائى رسائل هامة متفرقة فى خزائن اوروبا وأمريكا ومنها كتابه « جليس كل ظريف » الذى يشتمل على رسالة « مساجد دمشق » وجده المنجد فى جامعة برنستن بالولايات المتحدة الامريكية وقد قال الدكتور المنجد فى تحقيقه لهذه الرسالة : « استطاع الوهرائى ان يجذب القلوب اليه ، فقد كان ظريفا خفيف الروح . وكان بارعا فى الهزل والسخرية ، فصب سخريته وتهكمه على كبار العلماء بدمشق وفقهائها واطبائها وكتابها كالتاج الكندى ، والمهذب ابن النقاش والقاضى الفاضل ، والقاضى ضياء الدين الشهرزورى ، والقاضى ابن أبى عصرون وغيرهم ، ولم يسلم من لسانه وقلمه علماء مصر ورجالها . . . فآلف رسائل هزلية مختلفة وابتدع فى المنامات الأدبية ، وقد شهر « منامه » الكبير « الذى سلك فيه مسلك أبى العلاء فى رسالة الغفران » (قال الصفدى وهو صاحب الجملة قال معلقا عليها « لكنه الطف مقصدا وأعذب موردا) . . فتخيل انه رأى فى المنام كأن القيامة قامت ومناديا ينادى : هلموا الى العرض على الله ، فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر ، فلقى هناك كتبرين ممن عاصره وعرفه ، أو مات قبل ، فسخر منهم جميعا وذكر ما حوسبوا عليه « اه كلام الجندى ثم نجد هذا الاتصال الوثيق بين القاهرة والجزائر ظهر فى القرن السابع على طريق أبى على ناصر الدين المشبذالى البجائى الذى أقام عشرين سنة بالقاهرة ، ولازم عز الدين بن عبد السلام وغيره ولما رجع الى مسقط رأسه ، احدث ثورة ثقافية فى المغرب العربى كانت نتيجتها : « ظهور منهج جديد وضع فيه الفقه المالكى من جديد على بساط النقد والتمحيص حيث دخل فى مقاييس الاختيار والترجيح مقياس جديد : هو مقباس الفتوى والعمل وهاجر دارسو الفقه طريقة المدونة وتهاذيبها بعد ظهور مختصر ابن الحاجب » .

هذا ملخص ما كتبه فى الموضوع المنعم مفتى الجمهورية التونسية الفاضل بن عاشور العضو البارز فى مجمع البحوث الاسلامية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دراسة قيمة نشرها قبل وفاته بقليل فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة 1389 هـ 1969 م ، وذكر بعد

« الملخص » : « وكان طريق اتصال مختصر ابن الحاجب الفرعى ببلاد المغرب العربى ان الشيخ ناصر الدين الزواوى (المشذالى) من فقهاء بجاية ارتحل الى المشرق فى أواخر القرن السابع فلقى تلاميذ ابن الحاجب بمصر وتخرج عليهم فجاء معه بمختصر ابن الحاجب ونشره فى تلاميذه ببجاية ومن هناك انتقل الى عامة أقطار المغرب العربى فعكف الفقهاء على دراسته وشرحه « الخ .

ومن هذه الاتصالات ما حكاه الملك ابو عنان المرينى فيما نقله المقبرى فى « أزهار الرياض » فى ترجمة الشاعر ابن خميس التلمسانى - قال ابو عنان ان شيخه الابله حكى لهم انه لما زار مصر علم ان امام تلمسان ورئيس علمائها ابا اسحاق ابراهيم التنسى الاصل لما ورد على مصر فى طريقه الى الحج احصى به علماءها الذين كان من جملتهم الامام تقي الدين بن دقيق العيد وفى أثناء مذاكرته مع الضيف سأله عن الشاعر ابن خميس وصار يننى عليه فتعجب التنسى واجابه : (من يكون هذا الذى حليتموه بهذه الحلى ولا اعرفه ببلاده ؟ فقال ابن دقيق العيد هو القائل :

عجبا لها أيدوق طعم وصالها

من ليس يأمل ان يمر ببالها

فأجابه التنسى « ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التى وصفتموه بها وانما هو عندنا شاعر فقط » الخ .

والشاهد عندنا هو ان الاتصال بين علماء الجزائر ومصر كان قويا فى الميدان الثقافى وان ابن خميس الذى كان خاملا فقيرا بتلمسان لا يعرفه مواطنوه كانت آثاره يتناقلها كبار علماء القاهرة الذين كانوا لا يجهلون شيئا عن العواصم العلمية بالجزائر ومن ذلك ما ذكره الرحالة العبدري فى « رحلته المغربية » انه لما اجتمع فى القاهرة بزين الدين ابى الحسين بن المنبر وسأله عن تلمسان واجابه العبدري - على عادته - بأنها خالية من العلم والعلماء فقال له ابن المنبر (أما بلاد يكون فيها مثل أبى اسحاق التنسى فما خلت من العلم) .

وقد جاور بالازهر علماء أجلة كمحمد بن مرزوق الجدى المشهور بالخطيب (المتوفى بالقاهرة سنة 781 هـ) وهو من مشائخ ابن خلدون

ولسان الدين بن الخطيب فقال ابن خلدون في ترجمته « لقي بالقاهرة أهل العلم وأمراء الدولة فنفتت بضائعه عندهم وأوصلوه للسلطان الأشرف فولاه الوظائف العلمية موفر المرتبة معروف الفضيلة مرشحا للقضاء ملازما للتدريس حتى هلك سنة إحدى وثمانين » ويحيى الثناوى المليانى الذى أخذ عنه المحبى وترجمه فى (خلاصة الأثر فى بيان علماء القرن الحادى عشر) ودفن بالقاهرة ، وقد خصص علماء التراجم الشرقية تراجم وافية للكثير من هؤلاء العلماء كالسنخاوى فى « الضوء اللامع فى بيان علماء القرن التاسع » ، والمحبى فى « خلاصة الأثر فى بيان علماء القرن الحادى عشر » وجمال الدين السيوطى والجبرتى وغيرهم .

كما ان بعض العلماء اشتهروا فى مصر والازهر من أصل جزائرى لم يعرفوا الا أنهم من « المغرب » أو من أصل مغربى وذلك كالمؤلف الشهير محمد الامير الكبير ، فان اصله من مازونة كما أخبر بذلك تلميذه المؤرخ أبو رأس لما اتصل به فى رحلته سنة 1204 هـ وذكر ذلك فى رحلته وأيده مواطنه القاضى الصادق ابن الحميسى المازونى قاضى مازونة ثم وهران فى العهد التركى - حوالى 1240 - لخبير يطول

كما يلحق بهذا القسم مفتى الجزائر الحنفى محمد بن محمود بن حسين المشهور بابن العنابى الذى نفته السلطات الفرنسية - الجنرال فوارول سنة 1830 - بعد القاء القبض عليه وسجنه فاختار الإقامة بالاسكندرية وولته الحكومة المصرية الافناء الحنفى وتصدر للتدريس وكان مختصا فى دراسة الحديث وما زالت مهارسه منتشرة ومتداولة فى الاوساط العلمية الشرقية كفهرست تلميذه ابراهيم السقا الشافعى الازهرى ، وفهرست تلميذه الآخر عبد القادر بن عبد القادر بن عبد المطلب الرافعى الحنفى كما اختار الإقامة بالاسكندرية مفتى الجزائر المالكى مصطفى بن الكبابطى الذى نفته السلطات الفرنسية بعد مفتى الحنفية بنحو العشرين سنة لاحتجاجه على اغتصاب احباس الجامع الاعظم المالكى ، ثم نجد هذه العلائق قوية فى عهد شيخ الاسلام مرتضى الزبيدى صاحب « تلخ العروس فى شرح القاموس » الذى كان يلعب بعالم الدنيا فى زمانه فقد أخذ عنه كثير من علماء الجزائر

وما زالت احازته تحتفظ بها بعض اسر تلامذته وكان معظمها مؤرخا في أواخر القرن الناني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ومن هؤلاء المؤرخ أبو راس الناصري (1165 - 1238 هـ) ومصطفى بن المختار جد الامير عبد القادر ومؤسس معهد القبطنة الذي ولد فيه الامر عبد القادر وقد ذكر الزبيدي في منظومته « الفية السلوك » الكبر منهم . كما خص قسما منها لمسائخه الذين اخذ عنهم ومنهم الجزائريون ولنقتصر على ما ذكره لواحد من مسائخه وهو محمد المور التلمساني المتوفى سنة 1173 هـ . قال عنه في « القبة السلوك » العالم الفاقد للاشباه .

الجهيد البارع في الفنون

عالم قطر المغرب الميمون

لقيته بمصر لما وردا

اجازتي ونلت منه المددا

وترحمه في تآخ العروس وسجل تاريخ وفاته 1173 هـ . كما كان للزبيدي اتصال وثيق بالباي محمد بن عمان فاتح وهران سنة 1206 هـ الذي كان يرسل اليه سنويا منحا يبرقها على طلبه الازهر ذكرها صاحب « الثغر الجماني في ابنسام الثغر الوهراني » كما ذكر رسالة الزبيدي الى الباي يشكره فيها على امداده المذكور ، أما التآليف الجزائرية التي حظيت باهتمام الازهرين وأدخلت في برامج التعليم بالازهر فهي مؤلفات عبد الرحم الاخضري البنطيوسي - زاب الجرائر - « كالجوهر المكنون » في البلاغة و « السلم » في المنطق فقد شرحهما وعلق عليهما الحواشي كثر من كبار علماء الازهر ومؤلفات السنوسي دفين تلمسان في التوحيد ، ومنظومة احمد بن عبد الله الرواوي الجزائري المشهور « بالجزائرية » في التوحيد والسلوك ، فقد شرحها عبد السلام اللقاني وكلها طبعت في مصر فأمكن انتشارها وادخلت كذلك في برامج تعليم الزيتونة والقرويين ومما يدخل في هذا الباب هو ان اشهر مؤلف في الفقه المالكي يدرس في الجامعات الاسلامية وفي بقية البلاد الاسلامية كالسودان هو شرح مختصر خليل للدردير فقد اعتمد شارحه تأليفا جزائريا وهو « حاشية شرح التتاني على مختصر خليل » للحافظ الفقيه مصطفى الرماصي (المتوفى حوالي سنة 1138 هـ) قرب « قلعة هواره » (غيلزان) فقد ذكر محمد بن علي

السنوسى فى فهرسته بل فى فهرسه : « انه اخذ عن محمد بن القندوز المستغانى المتوفى سنة 1222 هـ وان ابن القندوز هذا اخذ بالازهر عن الدردبر وهو اول من ادخل شرحه على مختصر حليل للجزائر واخبر تلميذه المذكور (السنوسى دفين ليبيا) ان الدردبر عندما كان يصدد تحرير شرحه كان بعنمد حاشية مصطفى الرماصى ويقول ان صاحبها من المحققين فهى نغينى عن غيرها » .

ونجد محمد عرفة الدسوقى احد كبار مشائخ الازهر فى حاشيته على شرح الدردبر هذا كثيرا ما ينقل عن الرماصى ويذكر هذه العبارة : « قال طفى » يقصد مصطفى الرماصى .

ولنختتم هذا القسم بذكر شخصيات جزائرية تخرجت من الازهر ولعبت ادوارا ونالت شهرة فى البلاد مثل الشيخ عبد الرحمن التعالبي دفين الجزائر العاصمة فانه ذكر فى فهرسته : (ودخلت مصر فلقيت بها الشيخ ابا عبد الله محمد البلالي فسمعت عليه البخارى وقرأت عليه كثيرا من اختصاره لاهياء علوم الدين ٠٠٠ الى ان قال ٠٠ ثم رجعت الى مصر - اى بعد اداء فريضة الحج - فحضرت مجلس ابي عبد الله البساطى شيخ المالكية بها واكثرت الحضور والقراءة على الشيخ ولى الدين احمد بن عبد الرحمن العراقى شيخ المحدثين فحضرت عليه علوما جمة ومعظمها علم الحديث » وقد نقل معه التعالبي اختصار احياء علوم الدين لشيخه البلالي ما زال يتناقله الناس بالجزائر كما نجد من هذه الشخصيات الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجرى القبطولى (1126 - 1208 هـ) تلميذ محمد بن سالم الحفنى الازهرى - المتوفى سنة 1181 - وقد كان من المقربين لاسناذه الحفنى وكثيرا ما كان يوفده استاذة الى السودان للوعظ والارساد وكانت طريقته التى اشهرت باسمه « الرحمانية » تمتاز بمحاربتها للبدع وكانت تنشر العلم وكانت الطبقات الاولى من اتباعها يمتازون بمواقفهم البطولية فى مقاومة جيش الاحتلال ثم كان فضل اندلاع نورة 1871 يرجع لرئيسها محمد أمزيان بن على الحداد صاحب التأليف الذى ينكر البدع والشعوذة وفى هذا الميدان نجد اكبر دليل يتشخص فى سير نجبة المهاجرين المهدي السكلاوى ورفقائه الى البلاد الشرفية واجماع علماء

المشرق على الاعتراف بفضلهم واستقامتهم ونجد من هذه الشخصيات محمد بن عبد القادر الشهير بابن آمنة خال الامير عبد القادر هو من متخرجي الازهر وكان اعظم دور قام به هو تحرير وتلاوته لوثيقة مبايعة الامير عبد القادر الاولى التي وقعت بجامع المبايعة بمعسكر في 3 رجب 1248 هـ - 1832/II/27 م .

وقبل ان نختم هذه الدراسة نذكر من بين الازهرين الذين قاموا بأدوار هامة في تاريخ البلاد الشيخ عثمان الراشدي بطل ثورة بني شقران وهو الذي دعا الى الثورة ضد فرنسا في أوائل الحرب العالمية الاولى وحكم عليه وعلى تلامذته وأقاربه بالاعدام ولم يفارق هذه الحياة حتى وقف موقفا مشرفا قيل عنه انه لما حوكم جاء للمحكمة عالم رسمى وذكره مؤنبا ألم تطلع على قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأبوا الأبر منكم .. » ثم سكت ، فصاح الازهرى التائر وقال له « منكم يا عدو الله » وقد عثرنا على سند كتبه بخطه في الفقه المالكي يتصل بالامام مالك قال في مفتتحه : « .. انى أخذت الفقه بالازهر الشريف عن الامامين الجليلين الشيخ علي جمعة والشيخ حسان بن عبد الرحيم وهما عن شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ محمد عيش وهو عن الامير الصغير عن والده الامير الكبير عن الشيخ علي الصعيدي » الخ كما لم يسع مجال هذا البحث لذكر زيارة الشيخ محمد عبده الى الجزائر واتصاله بعلمائها وما تركته من أثر فقد تعرض لجوانب منها الاخ الاستاذ عبد الرحمن الجليلي في عدد « مجلة الاصاله » الاخير - عدد 13 - في حديثه عن عالم الجزائر المرحوم عبد الحليم بن سماية وكذلك زيارة عبد العزيز جاويش صاحب المؤيد واستاذ اللغة العربية بجامعة « اكسفورد » الذي زار الجزائر سنة 1905 م ، وشارك في مؤتمر المستشرقين المنعقد بها وألقى دراسته القيمة « الاسلام دين الفطرة » فقد نشرت الرسالة وطبعت عدة طبعات .

القَوَامِصُ
وَبِهَا

واقع التشريع اليوم فى العالم العربى ومدى انحرافه عن روح الشريعة الاسلاميه ونصوصها وعن تقاليدنا وعرفنا الخلقى

الدكتور على عبد الواحد وافى

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتى وسادتى ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان الاسلام نظام كامل متكامل .

ومعنى انه كامل انه لم يغادر أية ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية الا نظمها ووضع قوانينها وبين حدودها ، فهو دين ودولة، عقيدة وشريعة ، عبادات ومعاملات . نظم علاقة الفرد بالخالق ونظم علاقته بالخلق . وبين ما يجب على الانسان نحو ربه ، ونحو أسرته وافرادها ، ونحو مجتمعه ، نحو الانسانية جمعاء ، كما بين حقوقه نحو غيره من الافراد والسلطات والهيئات والجماعات . وضع قوانين دقيقة واضحة لما ينبغى ان تكون عليه شؤون السياسة ونظم الحكم ،

شؤون الاقتصاد ونظم الانتاج والتداول والتوزيع والاستهلاك ، ونظم القضاء أو شؤون المسؤولية ، والجزاء ، ونظم التربية واعداد النشء، للحياة ونظم الاسرة وشؤون الزواج والطلاق والقرابة والنفقة والميراث ، ونظم الاخلاق والمثل العليا في التفكير والسلوك . بل لقد وضع أحكاما لأدق التفاصيل في حياة الانسان ، فمن ذلك مثلا ما قرره فيما ينبغي ان يكون عليه الزي والزينة واللباس . فحرم على الرجل مثلا أن يلبس الحرير وأن يتحلى بحلى الذهب وأن يتخذ مظهرا خاصا بالنساء حتى تكمل رجولته ، ويكون جنديا قويا صالحا للذود عن وطنه وأهله وعقيدته ، ويبعد كل البعد عن الانوثة ومظاهرها ، وحدد للانثى الاوضاع التي لا ينبغي ان تتجاوزها في تزيينها ، والمواطن التي يجوز ان تبدى فيها زينتها ، والمواطن التي يحرم عليها ان تبديها والاعضاء التي ينبغي سترها ، والاعضاء المعفو عن سترها للضرورة . قاصدا بذلك ان يصون المرأة ، ويحفظ لها كرامتها وعفافها ، وينأى بها عن مواطن التبرج والتبذل ، والفتنة والاغراء وباتارة الغرائز الوضعية ويقى المجتمع واخلاقه من الانهيار ويحيط الاعراض والانساب بسياج قوى من الحماية . وبالجملة لم يغادر الاسلام كما قلت أية ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية المادية والمعنوية ، الروحية والجسمية . . . لم يغادر ناحية من هذه النواحي الا نظمها وبين حدودها ، ووضع لها قوانين واضحة في أحكامها ، بسيطة فيما ترمى اليه من اغراض .

الفرد المسلم والمجتمع المسلم يجدان في دينهما جميع ما يحتاجان اليه وما يحقق لهما سعادة الدنيا والآخرة .

هذا هو ما قصده اذ تقرر ان الاسلام نظام كامل .

وهو مع ذلك نظام متكامل، بمعنى ان احكامه متوازنة يكمل بعضها بعضا ، ويرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، ولا يتحقق ما ترمى اليه من اغراض الا بالسير على جميع فروعها ، فأحكامه اشبه شئ باجهزة الجسم الحي . فلما ان الجسم الحي لا يستقيم أمره الا اذا عملت اجهزته كلها ، فكذلك احكام الاسلام لا تتحقق اغراضها الا

إذا طبقت بحذافيرها ، ولا يستقيم أمر الفرد ولا أمر المجتمع الا اذا
أخذ بها جميعها .

فالفرد لا يكون مسلما كامل الاسلام ، ولا يستقيم أمره على
الوضع الذى يريده له الاسلام ، الا اذا طبق قواعد الاسلام فى
جميع فروع حياته ، والمجتمع كذلك لا يكون مجتمعا مسلما كامل
الاسلام ولا يستقيم أمره على الوضع الذى يريده له الاسلام الا اذا
سار فى انظمتها وتشريعاتها كلها على المبادئ التى قررها الاسلام .
واما اذا طبق الفرد فى حياته بعض نواحي القواعد الاسلامية
وترك النواحي الاخرى، فانه يكون ناقص الاسلام، مضطرب الاوضاع
مختل التوازن ، شأنه شأن من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض
وما جزاء من يفعل ذلك ، كما يقول القرآن الكريم : « الا خزي فى
الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب » .

وكذلك المجتمع اذا سار فى بعض فروع حياته على قوانين
اسلامية ، واهمل القوانين الاسلامية فى الفروع الاخرى أو استبدل
بها قوانين غير اسلامية ، فانه يكون مجتمعا ناقص الاسلام . مختل
التوازن ، مضطرب الاوضاع ، اشبه شئـ بجسم تعمل بعض أجهزته
وتتعطل اجهزته الاخرى أو لا تسير فى تناسق مع الاجهزة العاملة .
ولنترك شؤون الافراد لانها خارجة عن موضوع محاضرتنا ولان
انحراف الافراد يتيسر علاجه وتقويمه ما دامت نظم المجتمع وقوانينه
سليمة مستقيمة ، تسير على سنن الاسلام ، وتجزى المحسن باحسانه
وتأخذ المخطيء بخطأته والمسيء باساءته وفقا للاوضاع التى يقررها
هذا الدين الحنيف .

ولنقصر كلامنا على المجتمعات ، وعلى المجتمعات العربية بوجه
خاص ، لانها موضوع محاضرتنا ، ولننظر الى أى مدى تسير هذه
المجتمعات على سنن الاسلام ، وتطبق القوانين الاسلامية فى تشريعاتها
اذا استثنينا عددا قليلا من المجتمعات العربية التى يقال انها
تسير فى جميع نظمها وفق الشريعة الاسلامية ، فاننا نرى المجتمعات
العربية الاخرى لا تطبق هذه الشريعة الا فى ناحية ضيقة من نواحي

الحياة وهي الناحية التي يسمونها الاحوال الشخصية ، وهي المتعلقة بشؤون الزواج والطلاق والنفقة والحضانة والقرابة والميراث . . . وما الى ذلك وحتى في هذه النواحي نفسها نرى ان بعض الدول العربية لم يسر على النظام الاسلامي بحذافيره ، بل عطله في بعض فروع الاحوال الشخصية أو استبدل به نظاما آخر ، ونرى كذلك انه قد ظهر في كثير من هذه البلاد تيارات قوية ينادى اصحابها بتعديل نظم الاسلام في هذه الشؤون وتقريبها مما تسير عليه امم الغرب المسيحي .

وأما فيما يتعلق بالشؤون المدنية والجنائية فاننا لا نسير على قواعد الاسلام ، وانما نسير على قوانين استوردناها من الغرب أو فرضها علينا المستعمرون في مراحل ضعفنا وتحكمهم في شؤوننا ولا نزال جامدين عليها ، ولا نزال تحكم حياتنا وتسيطر عليها وتقضي بها محاكمنا ويسير عليها قضاؤنا .

وبذلك اصبحنا نجمع بين نظامين تشريعيين لا تلاؤم بينهما ولا انسجام ، نظام اسلامي في قليل من فروع حياتنا، ونظام غير اسلامي في معظم هذه الفروع ، واصبحت مجتمعاتنا تبعا لذلك مجتمعات ناقصة الاسلام مضطربة الاوضاع مختلفة التوازن ، لا يتحقق لها في حياتها شيء من الاغراض النبيلة ولا شيء من مظاهر الاستقرار التي يريدها لها الاسلام ، لان هذه الاغراض وهذه المظاهر لا يمكن تحقيقها كما قلنا الا بالسير على جميع تعاليم هذا الدين وتطبيق جميع احكامه .

هذا إلى ان القوانين التي استوردناها من الغرب لا تتنافر مع احكام ديننا الاسلامي فحسب ، بل انها لتتنافر كذلك مع طباعنا وتقاليدنا وعرفنا الخلقى ، ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة ونظرتنا لما ينبغي ان تستقر عليه العدالة وتكون عليه العلاقات بين الناس وغنى عن البيان ان قوانين هذا شأنها لا تستقيم لنا حياة اجتماعية ولا يتحقق لنا استقرار حضارى مع وجودها .

ولنضرب لكم مثالا يتبين لكم منه مبلغ تنافر هذه القوانين المستوردة مع طباعنا وتقاليدينا وعرفنا الخلقى ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة وعدم صلاحيتها بتاتا لمجتمعاتنا العربية .

هذا المثال هو ما تقرره هذه القوانين المستوردة في جرائم الزنا ومعتك الاعراض .

تقرر هذه القوانين في الصورة المطبقة في مصر وفي كثير من البلاد العربية الاخرى ان الزانية لا توقع عليها أية عقوبة اذا كانت غير متزوجة ، أو كانت متزوجة ولم يرفع زوجها الدعوى عليها ، أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما أو رفعها وسمعت منه ولكنه أوقف الاجراءات أو أوقف تنفيذ الحكم برضاها بمعاشرتها كما كانت ، وان الزانى لا توقع عليه عقوبة اذا زنى بامرأة بلغت الثامنة عشر برضاها وكانت غير متزوجة ، أو كانت متزوجة ولم يرفع زوجها الدعوى عليها ، وهذا اذا كان الزانى غير متزوج . وكذلك لا توقع عقوبة على الزانى المتزوج فى الحالات السابقة نفسها اذا ارتكبت جريمة فى غير منزل الزوجية ، أو ارتكبها فى منزل الزوجية ولم ترفع زوجته الدعوى عليه ، وانه لا توقع عقوبة على هاتك العرض اذا كان من هتك عرضه ذكرا كان أو انثى قد بلغ الثامنة عشرة ووقعت الجريمة برضاها ويقصد بهتك العرض ما يقع بين الذكر والذكر من اعمال الشذوذ الجنسى وما دون الواقعة من الاعمال الجنسية التى تقع بين الذكر والانثى .

ونلاحظ ان هذه الحالات التى يعفى فيها الزانى والزانية وهاتك العرض من العقوبة بحسب هذه القوانين تشمل فى الواقع معظم الحالات التى تحدث فيها هذه الجرائم . لانه من النادر ان تحدث هذه الجرائم بغير رضا الطرفين ، كما انه من النادر كذلك ان يرتكب زوج جريمة الزنا فى المنزل الذى يقيم فيه مع زوجته فهذه القوانين قد أعفت اذن من العقوبة معظم جرائم الزنا والشذوذ الجنسى وهتك الاعراض .

وهذه المواد مقتبسة مع تغييرات يسيرة من قانون العقوبات الفرنسى ، وعن هذا القانون نفسه استمدت معظم القوانين الاوروبية

والامريكية موادها الخاصة بهذه الجرائم أو جاءت متفقة مع موادها
في كثير من الوجوه .

وتتوقف مناقشتنا لهذه القوانين المطبقة في العالم العربي
والقوانين التي استحدثت منها على مقدمة موجزة نبين فيها الاصول
التي تستمد منها القوانين موادها الخاصة بهذا النوع من الجرائم .
من المبادئ المسلم بها عند علماء الاجتماع أن القوانين تستمد
موادها الخاصة بهذا النوع من الجرائم من تقاليد الشعب وعرفه
الخلقي ، ومقاييسه للفضيلة والرذيلة ، ومبلغ نفوره من الفعل ،
فيكون القانون سليما في نظر اهله على الاقل ، ما دام يعبر تعبيرا
صادقا عن هذه الامور . ويكون غير سليم ما دام يسلك في تشريعه
اتجاها يتعارض مع هذه الاوضاع . فلننظر الى مدى تتفق قوانين
الغرب في هذا الصدد مع تقاليد اهله وعرفهم الخلقى ، والى مدى
تتفق هذه القوانين التي استوردناها مع تقاليدنا نحن ومع عرفنا
الخلقي .

أما فيما يتعلق بشعوب الغرب فان هذه القوانين تعبر تعبيرا
صادقا عن تقاليد أهله ، وعرفهم الخلقى ، ومقاييسهم للفضيلة
والرذيلة ، ونظرهم الى هذه الامور . فالقوم هناك يعدون هذه الامور
من الهنات الهيئات ، ولا يلقون لها بالا ، ولا تثير كثيرا نفورهم ولا
اشمئزازهم ، ولا تهجم كثيرا مسائل الجنس ولا شؤون العرض وما
يتصل به ، ويبدو هذا في كثير من مظاهر حياتهم وشؤونهم العائلية .
ففي كثير من بلاد أوروبا وأمريكا ينذر ان تجد فتاة بالغة ليس لها
رفيق يعاشرها ويبادلها الحب ومقتضياته بدون ان يرتبط الاثنان
بالزواج ، وبدون ان يعترض اهل الفتاة ولا غيرهم على ذلك ، وقد
تمضى سنوات بدون ان يكون لهذه العلاقة أى شكل قانوني ، بل
قد لا يكون لها أبدا هذا الشكل ، وقد تنتقل الفتاة من رفيق الى
رفيق . وكثيرا ما تتزوج بواحد من غير من رافقتهم ، أو تظل على
هذا الحال بدون زواج . وكثيرا ما يهوى أهل الفتاة انفسهم لفتاتهم
ورفيقها وسائل الراحة في منزلهم . وفي النوادي والمراقص والمقاهي
والبارات والكباريات ، أو صناديق الليل كما يسمونها هناك ، وفي

الحدائق العامة والغابات وفي ساحات معاهد التعليم والاقسام الداخلية في المدارس والجامعات تمارس جهرة شؤون الحب والجنس بين اناث ورجال ، وفتيات وفتيان ، لا تربطهم رابطة شرعية ، بدون ان يعترض أحد على ذلك ، وبدون ان تثير هذه الامور انتباه أحد فضلا عن اشمئزازه . وليس هذا مقصورا على غير المتزوجين وغير المتزوجات ، بل ان المرأة المتزوجة هناك قد يكون لها خدن أو اخدان، ويكون لزوجها كذلك خلية أو خليلات ويغض كلاهما العين على ذلك ويتقارضان التسامح ليشبع كل منهما نزوته وروايات فلوير وأندريه جيد وسارتر وغيرهم تنوء بمثل هذه المناظرة التي تعبر اصديق تعبير عن أوضاع المجتمع الاوروبي على العموم والمجتمع الفرنسي بوجه خاص . وفي السويد قد يترك الزوج زوجته في صورة صريحة لضيفه ويرى ان هذا من مظاهر الكرم ، ولا تسرى الزوجة باسا في ذلك ، وخاصة اذا وقع الضيف لديها موقع الاعجاب . بل قد يعاشر الرجل منهم امرأة منزوجة معاشرة الأزواج ويقيم معها اقامة دائمة في منزله مع بقائها في عصمة زوجها ومع علم زوجها بذلك ورضائه به ، كما حدث لليدى سمبسون مع ادوارد الثامن ملك انجلترا الاسبق قبل أن يطلقها زوجها وتتزوج منه بل قد يقيم العشيق مع عشيقته ومع زوجها في منزل واحد ويعيش الثلاثة على هذا الوضع على اتم وفاق ، ويطلقون على هذا الوضع في فرنسا اسم « المقياس الثلاثي Le ménage à trois وهذا النظام ليس حديثا عندهم ، بل انه متأصل لديهم منذ عصور قديمة فقد كان كاتب فرنسا الكبير انا تول فرانس يقيم بصفة دائمة مع عشيقته Mme Arman de Caillauct ومع زوجها Mr Arman de Caillauct في منزل واحد ، وقد سئل مرة عن مدى علاقته بخليلته وزوجها فقال : « اننا نحن الثلاثة نعيش على اتم وفاق » .

هذه أيها السادة هي حضارتهم ، وهذه هي مدنيتهم ، وهذا هو عرفهم الخلقى ، وهذا مبلغ غيرة رجالهم على نساءهم ، وهذه هي نظرتهم الى شؤون العرض والى جرائم الزنا وهتك الاعراض .

فاذا جاءت قوانينهم فقررت ان هذه الجرائم لا عقوبة فيها ما دامت ترتكب برضا الطرفين ، وان زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد ارتكب برضاها ورضا الزوج أو ما دام الزوج قد علم به فسكت عنه اذا جاءت قوانينهم فقررت هذه الامور وما اليها مما سبق ان اشرت اليه ، فانها بذلك تعبر عن تقاليدهم ، وعرفهم الخلقى ومقاييسهم للفضيلة والرذيلة ، ونظرهم الى هذه الامور ، فهي اذن قوانين تستمد احكامها من نظام اخلاقهم وواقعهم العملي ، وتقتبس موادها من نظرهم للاشياء وتقديرهم للافعال ، ومناهجهم فى الحياة .

واما نحن معشر العرب فاننا لم نصل بعد الى هذه الدرجة من الحضارة الزائفة ، ونسأل الله تعالى الا نصل اليها ، أو بعبارة اصح لم ننحدر بعد الى هذا الدرك من البهيمية . فلا تزال مسائل العرض عندنا من أهم الامور التى تشغلنا ولا تزال شئون العرض وما يتصل به من أهم الامور التى نحافظ عليها ، ونذود عنها ، ولا يزال الناس عندنا يتقاتلون ويقتلون ويقتلون فى سبيل المحافظة على العرض والذود عنه ولا يزال ننظر الى الزنا على انه من اكبر الفواحش واعظم الآثام . ولا يستسيخ فهمنا ان تواطؤ المجرمين واشتراكهما برضاها فى الجرم يعفيهما من العقوبة ، فالتواطؤ فى جريمة الزنا لا يختلف فى نظرنا عن التواطؤ فى جريمة القتل أو فى جريمة السرقة ولا يرتضى عرفنا الخلقى ان تعفى الزوجة الزانية من العقوبة لان جرمها قد حدث برضا الزوج ، لا يستسيخ عرفنا الخلقى هذا ويرتضيه . بل ان عرفنا الخلقى ليقضى فى مثل هذه الحالة الا تقتصر العقوبة على الزوجة ومن زنى بها بل يضم اليها هذا الزوج الديوث وتوقع عليه عقوبة شديدة لانحطاطه وتجرده من الشرف والغيرة وتفريطه فى اعز شئ او تمن عليه .

فاذا جاءت قوانيننا مع هذا وقررت ان الزنا وهتك العرض اللذين يقعان برضا الطرفين لا عقوبة فيهما أو قررت ان زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد وقع برضا الزوج أو علم به الزوج فسكت عنه اذا جاءت قوانيننا فقررت هذه الامور وما اليها مما سبق ان اشرت اليه ، فانها بذلك لا تنحرف عن ديننا الاسلامى فحسب بل تنحرف

كذلك عن تقاليدنا وعرفنا الخلقى ومقاييسنا للفضيلة والرزيلة ونظرنا الى هذه الامور . وغنى عن البيان ان قوانين تننافى مع دين الشعب وتقاليدنا وعرفه الخلقى تكون عنصرا غريبا فى نظامه . ولا تستقيم له حياة اجتماعية ولا يتحقق له استقرار حضارى مع وجودها .

وفضلا عن تعارض هذه القوانين المستوردة مع ديننا ومع تقاليدنا ونخوتنا وعرفنا الخلقى ، فانها قوانين معقدة كل التعقيد وبها نغرات كثيرة تتيح الفرص للتفضيل ، والباس الباطل توب الحق ، واطالة الاجراءات وتدخل الوكلاء والمحامين ، وافلات المجرم من الجزاء وضياع الحقوق على اصحابها ، لانها فى الاصل مقتبسة من القوانين اليونانية والرومانية ، والقوانين اليونانية والرومانية تنعكس عليها عقلية واضعيتها الذين عرفوا بالجدل والسفسطة ووسائل الحيل والتمويه فهى بذلك تتعارض أيضا مع طبيعتنا العربية التى تحرص على الوصول الى الحق من أيسر الطرق وأقصرها وأبعدها عن الالتواء.

سيداتى وسادتى ،

هذا هو واقع التشريع اليوم فى العالم العربى . وهذا هو مدى انحرافه عن روح الشريعة الاسلامية ونصوصها، وعن تقاليدنا وعرفنا الخلقى . وهذا هو مبلغ تعقيده وتعارضه مع طبيعتنا العربية فى التقاضى .

ولا سبيل الى اصلاح هذه الاوضاع الا بأن تتضافر جهود أولياء الامور وجهود العلماء وجهود الشعوب فى بلادنا العربية فى العمل على التحرر من هذه القوانين المستوردة الفاسدة ، وعلى وضع تشريع شامل لجميع شؤون حياتنا مقتبس من شريعتنا الاسلامية السمحة ، فبهذا وحده نعود الى الأوضاع السليمة التى كان يسير عليها المسلمون فى عهد الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدين وعصر بنى أمية وبنى العباس ، بل فى مرحلة كبيرة من مراحل الخلافة العثمانية ، وبهذا وحده يستقيم تشريعنا وقضاؤنا ويزول ما فيها من انحراف وتناقض ويتحقق ما يريده لنا الاسلام من عزة ومنعة . بل بهذا وحده يصدق علينا أننا شعوب اسلامية ، فاننا ما دمنا نحكم

بغير ما أنزل الله لا يصدق علينا أننا مسلمون ، فقد قال الله تعالى
في حكم كتابه : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» .
أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وأسأله لي ولكم ولسائر
المسلمين الهداية والتوفيق انه سميع مجيب .
والسلام عليكم ورحمة الله .

العودة الإسلامية والثغرات التي حدثت في بنائها

الدكتور عبد المنعم خلاف مستشار جامعة الدول العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة أعضاء الملتقى الكريم :

أود في مفتح حديثي اليكم ان تسمحوا لي بان أؤدي صلاة شكر
لله تبارك وتعالى على ان ارانى من قرب وجه الجزائر ذا الطلعة الفخمة
الضخمة الجميلة المسلمة الحرة الباسلة التي ضربت في التضحية
والفداء مثلا أعلى للامم المناضلة فى القرن العشرين فى سبيل حريتها
واستقلالها واستمساكها بالانتساب الى دينها وقوميتها ووطنها
الاسلامى الكبير .

وطالما شغل الحديث عن الجزائر بالى ولسانى وقلمى منذ أدركت
ما يراد بها من سلخ روحها وولاتها عن الاسلام والعروبة ، ومن اقتطاع
أرضها من جسم الوطن الاسلامى الكبير ، ومنذ ان سمعت وقرأت
انباء جيروت الاستعماريين ووحشيتهم وسحقهم لكل جزائرى يدعو
الى حرية بلده واستمساكها بعروبيتها واسلامها .

ومن قديم كان للجزائر خاصة ، والشمال الافريقي عامة ، مقام ممتاز وحالة رائعة في قلب كل مسلم قارىء لتاريخ انتشار الزحف بالاسلام شمالا حتى وصل من الاندلس الى قلب فرنسا وجنوبها حتى وصل الى اواسط افريقيا ومجاهلها بنور القرآن وبركاته وقيادته الافريقية الى رحاب الله وصراطه المستقيم .

ولولا الانشقاق السريع الذى حدث بين المسلمين وانشغالهم بأنفسهم عن أداء رسالتهم فى نشر الاسلام ، ولو لا ميلهم فيما بعد عصر الفتوح الى الدعة والراحة والمتاع الدنيوى لكانت أوروبا كلها وافريقيا كلها ، فضلا عن آسيا مهد الاسلام ، قد تركت وثنيايتها وخرافاتا واديانها الباطلة ، واسلمت قيادها لله ورسوله . وما كانت وحدتها الاولى التى اقامها ومكنها مولى نفوسنا وسيد عقولنا وقلوبنا محمد صلى الله عليه وسلم قد زلزلت وتخلخل بناؤها وكثرت نغراتها .

وبعد صلاة الشكر لله تعالى والتحية للجزائريين الابطال ، أود ان أجعل قوة استمساكهم بالاسلام واعتزازهم بالانتماء الى الجامعة الاسلامية ورفضهم محاولة سلخهم عن المسلمين والعرب مدخلا الى الموضوع الذى اخترت ان اتحدث فيه وهو (الوحدة الاسلامية والثغرات التى حدثت فى بنائها ٠٠٠) .

وفى البدء اسجل اننى لا اريد ان انساق مع رأى الذين يرجعون اسباب تفكك وحدة المسلمين الى مؤامرات اعداء الاسلام . . لاننى اعتقد ان ذلك التفكك يرجع الى تقصير المسلمين انفسهم فى تنفيذ وصايا القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بالحنذر الشديد من مكاييد الاعداء لهم ولدينهم ووطنهم ، وباعداد ما يستطيعون من قوة ايجابية وسلبية ، وبسد الذرائع الى الخلاف والشقاق والتنازع فيما بينهم . كما يرجع الى ذهولهم عن حتمية الصراع الطبيعى الدائم بين الاجناس والاقوام والمذاهب والنحل . . وكان جديرا بهم ان يستمروا على اليقظة والحنذر والاستعداد الدائم للاعداء بكل ما يستطيعون من قوة كما يأمرهم القرآن (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . .) (خذوا

حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) (ود الذين كفروا لو
تفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) (لا
تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت
البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر) (ولتسمعن ممن
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن
تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (لا تتخذوا عدوى وعدوكم
أولياء تلقون اليهم بالمودة ٠٠) .

وكان حبيب المسلمين في ان يدركوا مسؤوليتهم عن صيانة
الاسلام وصيانة انفسهم ومواريتهم الحضارية ان يتعمقوا فهم كلمة
الاسلام الاولى وهي (التقوى) التي هي أبلغ تحديد وتلخيص لطبيعة
المسلم الحقيقي . وهي الحذر الشديد في ممارسة شؤون الحياة ،
واتخاذ أسباب الوقاية من كل سوء يوقع النفس في كيد الشيطان
من داخلها ، أو يوقعها ويوقع المجتمع في مكاييد اعدائها وأعدائه ٠٠

ومنذ أن جهل المسلمون معاني كلمة (التقوى) كما أرادها الله
فوق الحذر منه تعالى ومخافة مقامه كما يقول : « ويحذركم الله نفسه »
« وايبي فارهبون » « فايبي فاتقون » كذلك ارادها وقاية للنفس
والناس من اسباب غضبه ، واصابهم الذهول والغفلة عن الكيد
الدائم من أعدائهم لهم وللاسلام ، وهم في انحذار مطرد الى مهاوى
التفكك والتفرق والشتات ٠٠ حتى وصلت بهم الحال ان يغفلوا عن
العواقب الحتمية لزوال (الوحدة الاسلامية) وسقوط رمزها الاكبر
وهو (الخلافة) دون ان يحاولوا استرجاعها واعادتها للآن .

والحق ان من يذهل عن نفسه وواجبه وكيد أعدائه جدير ان يدخل
عليه الضياع والهلاك من كل باب أو ثغرة . وصدق القائل :
لا يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
وصدق الآخر :

ومن رعى غنما في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد
وفي سبيل استحضار جميع قوى النفس لمقاومة الاعداء والحذر
من خطر مكايدهم الدائمة ، اصطنع بعض الساسة والفلاسفة الالمان

وهم (بسمارك) و (نيتشه) شعارا لامتهما يبران به يقظتها الدائمة ويحسدان به قواها ويستخرجان به أقوى ما فى طبيعتها من طاقات وتحفزات ، وذلك الشعار هو « خير سياسة لالمانيا ان تكون على علاقة سيئة بجيرانها » • و « لكى تجنى من الوجود أحسن ما فيه عش دائما فى خطر » •

ولو اطلع بسمارك ونيتشه على التوجيه المعنوى من الاسلام للنفس المسلمة فى هذا المجال كما سبق الحديث عنه ، ما نزعنا بفلسفتها لتجميع أمتها واثارة حذرهما وطاقاتها وقواها لمقاومة أعدائها هذا المنزع المسرف المتطرف •

وكان يكون من الادراك الرشيد المتسق مع ارشادات الاسلام ان يعى المسلمون وعيا دائما أنهم موضع حسد وحقد وطمع من أعداء الاسلام ، وان يعملوا على ان يقوا انفسهم وموارثهم الحضارية التى آفأها الله عليهم من هذه الاحقاد والاطماع ، وان يدركوا ان طبيعة أعدائهم تدفعهم دائما الى ان يتآمروا على الاسلام حتى يقضوا عليه •• كما يقول القرآن (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم ..) (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) •

ولكن المسلمين بعد عهد الدولة الاسلامية الراشدة قد غفلوا عن ادراك هذه البديهيات التى أرشدهم الله اليها وحذرهم من مخالفتها ضمانا لدوام وحدتهم وقوتهم واعتصامهم جميعا بحبل الله •

ومن هنا أردت ان ابين فى كلمتى الى هذا الملتقى الكريم طبيعة الاسلام وايحاءاته والزاماته بالتوحيد لله الخالق وبالوحدة بين المسلمين وتحذيراته من كل ما يحدث فى بناء تلك الوحدة من ثغرات يتطرق منها الضعف والفساد والتفكك ومكايد الاعداء •

فأقول وبالله التوفيق :

I - الاسلام دين طابعه التوحيد والوحدة ، لان ركنه الاساسى هو الايمان بالله الاحد ، وبوحدة الناس والخلق جميعا فى ظلال خالقيته تعالى ورحمته وعدله ، وبوحدة المؤمنين والمسلمين فى ظلال القرآن ورسالات الله وشرائعه على مدى العصور •

فاما توحيد الله عز شأنه فحديثه يعرفه كل قارىء لكتاب الله
الناطق وهو القرآن الكريم ، وكتابه الصامت وهو هذا الكون الهائل
الكبير ذو الآيات والكلمات الالهية العملية التى لا تنفذ ! وذو اليد
الواحدة فى الصنعة والتقدير والوزن (وهو الله فى السموات وفى
الارض) (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم
العليم) (الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن
من تفاوت) (وخلق كل شىء فقدره تقديرا) (وان من شىء الا عندنا
خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) (انا كل شىء خلقناه بقدر) (قل
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا) •

وأما وحدة الناس والخلق عامة فى ظل رحمة الله وعدله وخالقيته
وسلطانه وقدرته فيعرفه كل قارىء لقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا
ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء) وقوله (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقوله
(ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) •
وأما وحدة المؤمنين من جميع الاديان الالهية فيعرفه كل قارىء
لقوله سبحانه : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
انى بما تعملون عليم • وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)
وقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك •
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) •

وأما الوحدة بين المسلمين فحديثها يعرفه كل من عرف تأكيد
القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وحرصهما على اعتصام
المسلمين جميعا بحبل الله ، وهو القرآن ومنع التنازع فيما بينهم ،
وتشديدهما على عدم مفارقة الجماعة والشذوذ عنها ، وعلى حمايتها
وصيانتها من كل أسباب التمزق والفرقة والشتات ومن الثغرات
التى ينفذ منها الوهن والضعف وكيد الاعداء •

وقد أسهبت نصوص القرآن والحديث في وجوب التزام هذه الوحدة في كل شأن من شؤون الجماعة ، بحيث لا يكون هناك خلاف ولا مرا. حتى ولو كان على تفسير القرآن الكريم .

وحسبنا ان نورد هنا هذا الحديث العجيب الذي رواه صحيح الامام مسلم بسنده عز مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال : « اقرؤوا القرآن ما اختلفتم عليه . فاذا اختلفتم فقوموا عنه » . وهكذا يسد الاسلام مسالك الخلاف بين المسلمين حتى ولو كان على فهم القرآن .

وهذا حديث خطير الشأن ، جليل القدر في بيان حرص مولانا الرسول على صيانة وحدة المسلمين والنأي بهم عن أسباب الخلاف مهما كانت . . وفي ادراكه عليه الصلاة والسلام مداخل الشيطان بالفرقة والتنازع الى نفوس الناس ولو عن طريق الدين .

ولو ان المسلمين التزموا هذا الحديث وعضوا عليه بالنواجذ ما أوصلهم الجدل والمراء حتى على صغائر الامور الى تفرقهم فيما بعد عصر النبوة والخلافة الراشدة شيئا واحزابا ، وصل الحال الى ان يضرب بعضها رقاب البعض الآخر ويكفر بعضها بعضا ، ويقطع الارحام التي أمر الله بها ان توصل .

والحق ان هذا الحديث يجعل الوحدة الاسلامية وصيانتها من كل ما يحدث فيها آية ثغرة فوق كل اعتبار آخر . . ولو كان هذا الاعتبار هو البحث عن الصواب في مفاهيم الدين .

ولقد شدد الاسلام النكير والنهي عن التنازع بين المسلمين في حالتى السلم والحرب وشدد التحذير من عواقبه في مثل قوله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين) وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقوله (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وقوله (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) .

ومن هنا يكون أول واجبات مفكرى الاسلام الآن لاسنعادة بناء الوحدة الاسلامية ان يرأبوا ما بين فرقهم وشيعهم من صدوع ، وان يسدوا الثغرات التى ينسلل منها الافتراق والوهن وكيد الاعداء وفساد ذات البين ، وان يكون شعارهم الذى يرفعونه فوق شؤون حياتهم كلها : « اجتماع واتحاد على شر . أهون ضررا على الجماعة من افتراق على خير » !! وان يجعلوا الفهم الاسلامى للوحدة ، وحرص القرآن والحديث على توطيدها وتخصيها فى قلوب المسلمين مفتاح العمل والسعى لاقامة (الوحدة الاسلامية) بكل أجهزتها ، وان يضعوا ذلك أمام الناسة وجماهير المسلمين وبخاصة شبابهم المثقف .

2 - واذا كان العالم المسيحى على قوة دوله وشعوبه قد أخضت طوائفه وكنائسه تتقارب وتتجمع مع شدة ما كان بينها من اختلاف وشقاق وتنازع عنيف وحروب دامية ، سعيا منها الى التنسيق او التوحيد وتبادل الرأى فيما يواجهها جميعا الآن من مشكلات ومهام وقضايا ، كما حدث فى دورات المؤتمر المسكونى ، وتبادل الزيارات بين الباباوات ورؤساء الكنائس وكبار موجهى الحياة المسيحية

واذا كان العالم اليهودى كذلك ، قد وحد رأيه واجتمعت كلمته وخطته من قديم على ابراز كيانه وفرض سلطانه على فلسطين وما حولها ، بل على العالم كله . . لافساد حياته وتدمير آماله فى حياة السلام والمساواة والعدالة المثلثة فى (الامم المتحدة) .

واذا كان العالم الالحادى يتجمع كذلك ويخطط لتشر الالحاد والقضاء على الايمان بالله الخالق واهدار المؤمنين به . . فما بال أمم العالم الاسلامى . وهى أولى الناس بالوحدة ووضع شعاراتها التى طبع الله نفوسها عليها كما سبق القول ، لا تسعى الى وحدتها السعى الحثيث المدرك لخطورة الظروف العصيبة والمؤامرات الظاهرة والخفية على حياتها ، ومستقبل ديارها وموارث دينها وحضارتها المعنوية والمادية ، مع انها فى اشد الحاجة الى التجمع والتعاون على مواجهة التحديات ودفع المؤامرات وتعريف غيرها من الامم بنفسها

ودينها ؟ !
صحیح ان وحدة الشعور بين جماهير العالم الاسلامى ما تزال حية ، وان ارادة تلك الجماهير حاضرة لكل ما تطلبه الظروف منها

من تأييد وتضحيات اذا احسنت قياداتها توجيهها ، وان الشعوب
الاسلامية برغم سقوط (الجامعة الاسلامية) والخلافة وزوالها ،
ما تزال مشبوبة الحنين ملهوفة التطلع الى اقامة تلك الجامعة التي
يدركون انه لا وجود لوحدتهم الا بقيامها ، تمهيدا لاقامة رمزها
وهو الخلافة التي يتحتم ان تسبقها وتحيط بها (هيئة عليا) من قمم
العالم الاسلامي في الدين والفكر والحكمة والسياسة والقيادة . .
ليناط بها التفكير والتخطيط والعمل العصري الذكي لقيام مقدمات
الجامعة الاسلامية من جديد ولمواجهة التحديات ودفع الاخطار
والمؤامرات التي تحاول الاجهاز على الاسلام وطمس معالمه وآثاره . .
كما يناط بها تقديم الاسلام من جديد الى اهله والى الناس كافة
تقدرياً عصرياً مبيناً ما فيه من امتياز وتفرد ، وسبق الى اصول كل
فكر وعمل نافع صالح ، ومن قدرة على مواجهة (مشكلات الفكر
والاعتقاد) و (مشكلات العيش) في هذا العصر وفي كل عصر .
وفقدان هذه الهيئة او الجماعة العليا هو السبب الرئيسي لأوسع
ثغرة في بناء الوحدة الاسلامية ان كان لهذا البناء وجود فعال
مؤثر بدونها . فيجب ان تسد هذه الثغرة بسرعة تمهيدا لاجساد
(الجامعة الاسلامية) ورمزها وهو الخلافة التي تتطلع اليها وتحسن
اليها جماهير المسلمين لتجد فيها تجسيم افكارها ومثلها العليا
ولترفع بها آمالها وتلبى نداءاتها وهتافات الفطرية الى الوحدة ،
ولتشبع حاجتها الى اكتشاف ذاتها والى التعبير عن نفسها والى حماية
مواريثها الدينية والحضارية ، ولتعرض الاسلام بسلوكها وتفكيرها
في معارض المذاهب والآراء والاديان عرضاً مشرفاً . .

3 - ويدفعني التفكير في هذه الثغرة الى التساؤل التالي السني
مبعثه الحيرة والتعجب من بطل المسلمين المعاصرين ، ومن سلبيتهم
وضعف (رد الفعل) لتلك الاخطار في نفوسهم وعزائمهم . .

لماذا تبطل الدول الاسلامية هذا البطل القاتل في اعادة الاسلام
الى مكانه الصحيح من توجيه حياتها والسيطرة الكاملة عليها بكل
السرعة الممكنة بعد ان زالت عنها وصاية الاستعمار المعسادي
للاسلام؟! أليست تلك الامم مقتنعة بتفرد الاسلام وامتيازها ، وانه

لو لم يكن ديننا موحى به من الله الخالق لكان المذهب العقلي الوحيد الذى لا مفر للتفكير السليم من ان يسلكه حل مشكلات الفكر والاعتقاد ومشكلات العيش ، ولقدرته الكاملة على مواجهة الحياة الانسانية وحاجاتها بالحل والاقناع والاشباع ؟؟

فلماذا تضييع الوقت وتبديد العمر فى هذا الاهمال الحالى بعد الاقتناع بحتمية عودة المسلمين للاسلام لانقاذ انفسهم من الانحدار على منزلق الزوال الذى يعيشون فوق مهاويه وهم فى ذهول عن مصيرهم المحتوم ان لم يتداركوا انفسهم بالاعتصام بعري الاسلام الاسلام الوثقى التى لا انفصام لها .

أجل ، لماذا نبطئ نحن المسلمين هذا البطء المهلك فى تفض عقولنا وحياتنا من كل ما رسب فيها او علق بها من آثار الاحتلال العسكرى والنقافى المعادى للاسلام ، والتشكيك الاستعمارى فى ديننا وقيمه الحضارية وقدرته على تحقيق جميع مطالب الحياة العصرية بالفكر والروح والجسم ؟؟ ألسنا مقتنعين بعد بأصالة ذاتنا وعراقة ثقافتنا وحضارتنا التى مرت بسبعة ادوار تاريخية على الاقل ، بينما الحضارة الغربية الراهنة هى الحضارة الثانية فقط فى تاريخ الشعوب الغربية منذ فجر التاريخ المعروف للآن ؟ ! وقد التقط الغرب بذور حضارته الحالية وغرائسها من مشاتل الحضارة الاسلامية فى مكة والمدينة ودمشق وبغداد ونيسابور والقدس والقاهرة واستانبول والقروان وقرطبة وغرناطة .

ثم لماذا لا يسير قادة الامم الاسلامية على مواقع قدم مولى نفوسنا وسيد عقولنا محمد رسول الله خاتم النبيين وسيد أبطال الدنيا فى سيره لجمع كلمة امتهم الاسلامية الاولى ، واقامة كيانها وتحصينه من كل آفات الهدم وتغرات الفساد والضعف وبنائه بناء متكامل بالدين والحضارة والعلم والقوة ؟ هل وجدوا بديلا من محمد فى قادة الدنيا وانبيائها وابطالها يستطيع ان يبنى حياتهم بناء أقوى أساسا وأعلى سمكا وأوسع استيعابا لكل حاجات النفس البشرية وأنجح حلولا لمشكلاتها وعقد حياتها ؟

ألا انه يتحتم على تلك الامم الاسلامية التي استقلت ان تسرع الى
الأسوة والقدوة بقيادة مولانا محمد فى كل خطواته لجمع كلمة الامة
الاسلامية الاولى ، ان كانت تريد لحياتها ودينها وديارها انقاذا من
المصير الذى يضمه لها أعداؤها الكثيرون .

كما ينبغى لها - ان كانت تريد اللحاق بمواكب أمم الحضارة
والثقافة المعاصرة - ان تسابق الزمن فتخطو خطوتين فى وقت
واحد : خطوة من الماضى المتخلف الى الحاضر المتقدم . . . وخطوة من
هذا الحاضر الى المستقبل مع خطوات أمم السبق الحضارى الراهن ،
حتى لا يتكرر تخلفها بتضخم الفرق بينها وبين غيرها من الأمم
المتقدمة .

وانه لمن اكبر آفات الامم الاسلامية المعاصرة ومن أوسع الثغرات
فى بنائها النفسى أنه ليس لدى اكثرها احساس بحركة الزمن وسرعة
سيره بالناس ، وبخطورة السبق لدى أعداء الاسلام الى كل أسباب
القوة المادية ليكبلوا بها المسلمين ويسبقوهم الى مقاليد السيطرة
عليهم .

ومن آفاتها كذلك أنها لا تفكر فى أعدائها كما يفكر أعداؤها فيها ،
ولا تحاول ان تعرف ما يدور فى تفكير هؤلاء الاعداء بالنسبة لها .
وهذا مما أشار اليه القرآن الكريم فى قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم
ولا يحبونكم . وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا
خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ . .) (لا تتخذوا بطانة من
دونكم لا يآلونكم خبالا . ودوا ما عنتم . .) .

4 - ومن هنا كان من أزم الواجبات على قادة العالم الاسلامى ان
يسرعوا الى ايجاد (هيئات القمم العليا) التى سبق القول عنها ،
من أعلى رجال الفكر الدينى والحضارى والسياسة والقيادة والاخلاق
الاسلامية ، ليفكروا ويخططوا ويوجهوا المسلمين جميعا ويشعروهم
بوحدهم وبخطورة ما يريد أعداؤهم ، فلا يقنع أى شعب منهم بان
ينهض وحده تاركا اشقائه من الشعوب الاسلامية الاخرى متخلفين
قابعين لاصقين بالتراب . . . كأنه ليس مسؤولا عنهم . . . أو كان
نهضته هو وحده تغنيه عن نهضة اشقائه المسلمين فى كل مكان .

وانها تعفيه أمام الله من تبعة انزلاق غيره من الشعوب الاسلامية
على منحدر الضياع والزوال بالجهل والتخلف والتحلل من قيم
الاسلام .

أجل لابد ان تكون (هياة القم الاسلامية العليا) من أعلى
مستويات القيادة والريادة وفقه الاسلام وممارسة عبقرياته الفكرية
والخلقية والعملية في خوض صراعات العصر ومذاهبه ، بحيث يمثلون
في مجموعهم ظلالة من خلافة مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام
في سعة معرفته بالله تبارك ونعالى ورحابة أفقه وعلمه وسماحة
روحه وعظمة خلقه وتعدد جوانب شخصيته الفائقة المتكاملة ، وقدرته
على بناء الاشخاص والدول . .

ولعل تلك الجماعة العليا ان تهتدى الى اختيار شخص يتجمع فيه
أكبر قدر من ظلال تلك الصفات والحلال المذكورة ليكون رمزا لخلافة
مولانا رسول الله على رعاية شؤون المسلمين في كل مكان وتمثيل
وحدتهم وتقديم النموذج المتطلع المستهدى بنور الرسول . .

وقد تكون هذه الجماعة على غرار أمراء (الفاتيكان) « كرادلته »
في تجمعهم وتنظيمهم واسلوب تمكينهم من اختيار البابا رئيس
الكنيسة الكاثوليكية .

أو تكون على غرار جماعة (الحاخامين) الدهاقين التي تحيط
بالجالس الرمزي الحفي على كرسى داود . . وتدبر شؤون اليهود في
كل مكان بل وشؤون التحكم في العالم وتسييره وفق مصالح اليهود
وحدهم .

ومع الاسف نرى ان هيئات المسلمين الدينية (كلازهر) و(القرويين)
و(الزيتونة) و(النجف) يقتصر عملها وتفكيرها على المناهج الدراسية
والوعظية لطلاب العلم والثقافة الدينية وليس من مهمتهم ان يشتركوا
في وضع سياسة أمتهم أو المسلمين عامة ، لانهم لم يؤهلوا لذلك .
وقد نشأ هذا الوضع العجيب من فصل الدين عن الدولة وعزل
التعليم الدينى - بعد الاحتلال الاجنبى للبلاد الاسلامية - عن التعليم
العام . وصار طلاب علوم الدين يتنفسون ويعيشون في جو غير جو
طلاب علوم الحياة وممارسى شؤونها وتدبير سياستها .

ولعل فيما نحا اليه الازهر أخيرا من اقامة جامعة متكاملة الدراسات لشؤون الدين والحياة ما يقضى على هذه الانفصالية غير المعقولة بين رجل الدين ورجل الحياة . لان الاسلام لم يعرف هذه التفرقة فى عهد مولانا رسول الله وخلفائه الراشدين اذ كان الرسول واصحابه أعظم نماذج الحياة المتكاملة بالجسم والروح واحسان العمل والتجارة والسياسة والعسكرية والحكم والادارة والقضاء . . . الى آخر شؤون الحياة الاجتماعية المتشابكة . . . وقد قامت بهم دولة الاسلام الاولى التى لم تر الدنيا لها منيلا فى تكامل شخصيات رجالها وحسن خلافتهم لله العليم الخبير بكل شىء .

5 - وانى اعتقد انه بعد موجة التقارب المسيحى الجديد بين الطوائف والمذاهب المسيحية للتعاون والتخطيط المشترك فيما بينها على تحقيق مطالب عقائدها ومصالح شعوبها ومواجهة غيرها بالعمل الطبيعى المنتظر من كل متدين يعتقد ان من التزامه الدينى ان ينصر دينه ويعمل على نشره ويحاول حمايته . . . كما يشير الى ذلك القرآن فى أمر مولانا الرسول بأن يقول لقومه فى معرض التحدى بدينه والتقى فى عقبى انتصاره (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) . وذلك أقصى ما يتصور من مبادئ الدعوة الى اطلاق حرية العمل أمام الجميع لنصرة عقائدهم . . بدون حجب أو تضيق على المخالفين فى الدعوة الى معتقداتهم بالاساليب المشروعة .

وبعد مد الموجة اليهودية التى يخطط الصهيونيون لاغراق العالمين العربى والاسلامى بها ، ويحضرون لظهور ملكها الكاهن الاعظم الذى يحكم العالم كله ، ويدمرون مراكز القوى المسيحية والاسلامية المضادة لهم .

وبعد مد الموجة المادية الالحادية التى تنكر الايمان بالله الخالق وتحبس نظر الناس وتفكيرهم على مسائل العيش المادى وحدها ، وترفض التفسير الدينى للكون والحياة وتعتنق التفسير المادى للتاريخ وحركاته ، وتحمل الانسان على أن يقنع من حياته على هذه الارض

بأن ينال كفايته من حاجات الجسد وحدها كأي حيوان بدون تطلع الى حل مشكلات الفكر والاعتقاد فيما يحكم الكون الكبير من الكمال العقلي والخلقي الذي ينبت في كل جزء من اجزائه ، ويبجلى فيما يسيره من علم ونظام وحكمة وقدرة ورحمة ونعمة وجمال وايمان واصرار ونبات وعزة وقهر وقداسة وكبرياء .

أقول : أعتقد انه بعد مد هذه الموجات الثلاث وتخطيط قادة كل منها وعزمهم على غزو الحياة الانسانية بمفاهيمها (وأيديولوجياتها) الخاصة . . لن يعدل من غلو الموجة الاولى وهي المسيحية ، ولن يقاوم عنف الموجة الثانية ودمويتها وعنصريتها وعدوانيتها وتوسعها ورجعيتها ورفضها لسير التاريخ بالانسانية منذ أن طرد اليهود من فلسطين ، وهي الموجة الصهيونية ، ولن يوازن الموجة الثالثة وهي الموجة الاحادية ، لن يواجه هذه الموجات الثلاث الا تصدى الاسلام لها جميعا بريانيتها الموحدة ، وماديتها العلمية القرآنية ، وروحيتها وعقلانيتها وعدالته الاجتماعية ، وسماحته الانسانية ، وقدرته الفائقة على حل مشكلات الفكر والاعتقاد ومشكلات العيش .

ولن يمكن المسلمين من هذا التصدي لهذه التحديات الا قيام (الجامعة أو الوحدة الاسلامية) لتنهض بعزائم التصحيح والتنقيح والتقويم لانحرافات العقائد المغلوطة والمدخولة، ويعزلهم الكفاح للموجة الدموية العنصرية الصهيونية العاملة على تخريب كل شيء اذا لم تحتكر هي وحدها السيطرة على كل شيء بأسلوب تفكيرها في اسطورتها عن شمشون الجبار وهدمه المعبد على رأسه وعلى رؤوس أعدائه صائحا « على وعلى أعدائي يا رب . . » .

6 - ويحتاج المسلمون في استرداد ايمانهم بضرورة قيام تلك الجامعة الاسلامية الى صحو عميق واذراك بصير لمكانتهم ومكانة الاسلام بين الشعوب والمذاهب ، والى تحصين انفسهم من كل دس وكيد وتآمر على تفريقهم وتشتيت شملهم ، والى اعداد حثيث لقواهم الايجابية والسلبية بالعمل الذكي وبالخذر والاحتراس الدقيق من أي أمر يفضي بهم الى التفرق والتشتت وحدث ثغرات ينفذ منها الوهن والضعف الى كيانهم .

كما يحتاجون الى سد ثغرة على قدر كبير من الخطورة ، وهى شعور شبابهم بعقد التقص والانحطاط عن غيرهم من شباب أمم الحضارة الغربية الحالية . . ولا يكون سد هذه الثغرة الا بتوقيف الشباب وارشادهم الى العراقة والاصالة الحضارية التى لشعوبهم اكثر مما لغيرها من الشعوب الاخرى . والا باقناعهم بامتياز الاسلام كدين وفكر وحضارة ، وسبيل عدالة وانسانية عليا لا مثيل له ، وبتوجيه تفكيرهم ومقاييسه وذلك بجمعهم على الفهم العلمى للقرآن ووعى مضامينه وعدم الخروج عن منطقته العربى المبين الى الشطح أو التهويم أو الدروشة أو التأويل البعيد ، أو غير ذلك مما يبعده عن صحو العقل العربى الذى نزل اليه القرآن ، ولم يكن يهتدى ويسترشد ويحكم الا بمنطق الفطرة المستمد من السنن الالهية الثابتة التى تحكم ظواهر الطبيعة المادية .

والى هذه المعانى يشير قوله تعالى (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) وقوله (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) وقوله (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)

وان اكبر ثغرة فى بناء الوحدة العقلية والنفسية للمسلمين المعاصرين هى خلو عقولهم من منطق القرآن بعلميته الواضحة وماديته الربانية الصارمة ، وخلو قلوبهم من روحية القرآن الذى يهدى للتي هى أقسوم .

وان الذين يعيشون حياتهم العقلية والقلبية بالقرآن يعيشون فى قمم الذكاء والعلم والشرف والنبيل والكمال العقلى والخلقى ، لانهم يتلقون القرآن كما كان يتلقاه مولانا الرسول من لدن حكيم خبير . ويعيشون به دائما فى حضرة الله الخالق الذى عنده مفاتيح الغيب ولا يغرب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض .

والقرآن هو الذى أقام بناء وحدة الامة الاسلامية وحصنه وأحكمه ولم يترك فيه ثغرة يتسلل منها أى فساد أو عامل هدم أو ضعف . . ولذلك خرجوا للعالم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا فى مواجهة معارك الاسلام ومعارك الحرب ، وقد اجتاحتهم بقرآنيتهم أمم الحضارة والنقافة والديانة التى كانت تعاصرهم وكانت سيدة الارض فى ذلك

الحين ، فلم يسعها الا ان تسلم لهم قيادها عن طواعية واختيار
وتدخل في دين الله وتترك لهم حكمها بالقرآن . . فلم تلبث ان
جمعت حضارته الروحية والعقلية الى حضارتها المادية ، فرأت الدنيا
أروع نموذج متعادل متوازن من الحياة الروحية المادية لم تر له نظيرا
من قبل ، ولن ترى له نظيرا من بعد الا في ظلال القرآن .

ولذلك يتحتم على الدعاة والمربين والموجهين ان يعيدوا المسلمين ،
وخاصة الشباب منهم . الى القرآن وفقهه ليخرجوا به مما يرونه في
ديارهم وفي العالم كله من ظلام الآفاق المظلمة ، وليصنعوا به
ما صنعه أجدادهم لانفسهم وللدنيا بشعورهم بالامتياز الخلقى
والرشد العقلي الفائق على الفرس والروم والاغريق والهنود
والمصريين وغيرهم من أمم الحضارة والثقافة والديانة التي كانت
تعاصرهم ، والتي ما لبثت ان اسلمت لهم مقاليدها .

ولقد كان اجتياح المسلمين بالقرآن لباطيل أمم الارض جميعها ،
واكتساحه في ثمانين عاما فقط لغناء حياتها الدينية والفكرية
والحضارية كبرى المعجزات في التاريخ . ويصح ان نجعلها قمة
معجزات القرآن العملية ، اذ انه أخضع بها أعناق تلك الامم الجبارة
الكبرى بالاعتناع بما فيه من سماحة وعدالة واخاء ومساواة بين
البشر جميعا .

وان معجزة اجتياح العرب لاقطار الارض بالقرآن هي الاطار
العملي التطبيقي الذي احاط بالاعجاز النظري بذات القرآن ونصوصه
وصباغته الالهية الفذة المرضية لجميع العصور .

أجل لا بد في تربية الشباب المسلمين من السبق الى نفوسهم ،
وهي في دور التفتح ، بالفكر القرآني والعلم القرآني والخلق القرآني
حتى تنشأ على منطقته وتحكم بموازينه على ما تتعلمه وتتلقاه فيما
بعد من الآراء والذاهب الغربية عنها وحينئذ سيجد هؤلاء
الشبان المسلمون المثقفون ما وجدته أسلافهم من العلماء والفلاسفة
والمفكرين من شمول الاسلام وسعته واسبقيته الى كل حق وعدل
وتقدم وامتياز وشرف . فلا يهدده أى فكر آخر بالالحاد أو الكفر

والانكار أو المروق بعد أن سبق الى نفسه القرآن الحكيم بسعته وشموله
واستيعابه وعقلانيته .

7 - ومن القبيح جدا ألا تقف الدول الاسلامية الموقف الجدى
فى هذا العصر لانقاذ نفسها وانقاذ العالم قبل فوات الأوان . . ان
مستقبل العالم وغده المأمول عند المسلمين لو أقاموا القرآن وأقاموا
حياتهم عليه .

وانى لاتساءل دائما : هل كان يكون فى الارض قطر واحد ليس
فيه للاسلام دولة لو ان المسلمين عاشوا بالاسلام القرآنى عيشة كاملة
بالروح والجسد والخلق والعمل ، واستمروا على ما كان أسلافهم
الصالحون قد بدأوا به بدءا عبقريا يحمل رسالة القرآن بقوة وإدراك
لما فيه من امتياز ؟ وتفرد وتطبيق كامل لشرائعه ومبادئه ؟ . . أكانت
مقائيد السيادة والحضارة والثقافة والديانة تضيع منهم كما ضاعت
وانتقلت الى غيرهم من شياطين الانس الذين يدمرون حياة الايمان
والسلام والعدالة ويسعون فى الارض فسادا تفرقا وتشتيتا وفصما
لعرى الانسانية ، ويوقدون نيران العداوة والبغضاء والحروب بينها ؟
ان المسلمين بعد عصر الدولة الاسلامية الراشدة هم المسؤولون
أمام الله والتاريخ عن ضياع أنفسهم وضياع فرص الهدى بالاسلام
على الشعوب الاخرى . . وهم المسؤولون عن بقاء الوثنيات فى انحاء
الارض للآن ، وعن التفرقة العنصرية ، وعن المظالم الاقتصادية وعن
ألوان الطغيان والفساد اللذين شوها وجه الحياة كما أرادها الله وكما
عهد بها اليهم صحيحة سليمة على يد مولانا خاتم النبیین وشريعته
التي جعلتهم أمة وسطا فى مقام الهيمنة والشهادة على الناس . .

هم المسؤولون عن طمس معالم عدل الله ورحمته اللذين أرادهما
للناس جميعا بكفالة الحد الأدنى من الرزق والمعيشة الانسانية
الكريمة . . فاذا الطغاة والجشعون يطمسون تلك المعالم ويحتجزون
لانفسهم ما جعله الله مشاعا للناس . .

هم المسؤولون عن حبوط ثورة القرآن على مفاهيم الناس فى
اسباب الغنى والفقر وعدم ايصال عدل الله ورحمته الى كل مولود
داخل للحياة بدعوة من الله الخالق الكافل الرزق والأمن لكل نفس .

ولو انهم عرفوا اسبقيتهم الى كفالة حقوق السائل والمحروم والكادح ، والى حمايتهم ودفاعهم عن هذه الحقوق ولو بشن الحرب المقدسة باسم الله على طغاة المال والجشعين ، كما فعل الخليفة الاول ابو بكر فى حربه لما نعى الزكاة ، فكانت أول حرب مسلحة فى التاريخ من أجل حق الفقير والمحروم . لو انهم عرفوا اسبقيتهم تلك لاعتزوا بها وقدموها برهاناً للمعاصرين من دعاة التقدم والعدالة وانصاف الطبقات الكادحة والمحرومة على انهم ذوو أصالة واسبقية الى كل عدل وتكافل وبر بين الناس ، وبرهاناً كذلك على ان الانخراط فى صف الدعوة الى انصاف الطبقات الكادحة والمحرومة لا يحتاج الى انكار وجود الله وشن الحملة على الايمان به كما يفعل دعاة المادية الالحادية المعاصرون ، لان الله تعالى هو الذى دعا الى اعلان الحرب باسمه على الطغاة الجشعين المحتكرين لنعمه المخلين بالاضاع الطبيعية فى توزيع مال الله تعالى على عباده ، وهو الذى علم المؤمنين به أن يثوروا باسم القرآن على كل ألوان الطغيان والاستبداد والفساد والاحتكار ولو كلفتهم الثورة حياتهم أو الهجرة من أوطانهم . فلم يكن الايمان بالله مخدراً عن المطالبة بكل حق فرضته ضرورات الحياة وشريعة الله لكل نفس ، بل على العكس كان الايمان بالله الخالق مثيراً غاية الاثارة لكل نفس أن تدافع عن حقها ، والا حوسبت حساباً عسيراً أمام ربها على قبولها الاستضعاف .

واقروا قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض . . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) .
ومن القبيح كذلك بالمسلمين المعاصرين الذين وقعوا فرائس للاستعمار أنهم لا يحاسبون انفسهم على مسؤولياتها عما ينزل بهم من كوارث ونكبات سببها الاهمال والتفريط . . بل يلقون باللام ويصبون جام غضبهم ولعنهم على أعداء الاسلام حينما يجدونهم يعملون لدينهم ويكيدون ويتآمرون على المسلمين .

وكان هؤلاء المسلمين المعاصرين يتصورون أعداءهم فارغى القلوب من الايمان بأديانهم ومذاهبهم ، وواهنى العزائم فى العمل لنصرة

انفسهم ، وضعيفى النكاية لمخالفهم ٠٠ مع ان القرآن الكريم يقرر
ويكشف أمام المسلمين عن طبيعة المتدينين بأى دين باطل ، وشدة
غيرتهم عليه وحبهم له ودفاعهم عنه ، فيقول (ومن الناس من يتخذ
من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ٠٠) ويقول (واذا ذكر
الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ٠٠ واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون) . (ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ٠٠ كذلك زينا لكل أمة
عملهم ٠٠)

وحقا لقد صارت مشاعر المسلمين المتأخرين مشاعر أمة غير طبيعية
٠٠ وكأنها لا تعرف الصراع الدائم بين الاجناس والاقوام ٠ ولا
قوانين دفع الله الناس بعضهم ببعض حتى لا تفسد الارض ٠٠
ان أوامر الله تعالى وتنبيهه باتخاذ القوة الايجابية فى قوله تعالى
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ٠٠) وباتخاذ القوة السلبية فى
قوله (خلوا حذركم ٠٠) وقوله (ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ٠٠ أوامر صريحة
واجبة التنفيذ والاداء كأوامره تعالى فى قوله (وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة) سواء بسواء ٠٠ فلماذا لا يتذكر المسلمون الاوامر بالاعداد
والاستعداد والحذر كما يتذكرون الاوامر بالصلاة والزكاة والصوم
والحج ؟

وانا لا أدعو الى اضمار العداوة والبغضاء فى قلوبنا للمخالفين ،
ولا لتدبير المكاييد والمؤامرات ضدهم من غير مبادأة منهم لنا بذلك ،
لان الاسلام ينهانا عنه ، ولكننى أقول : انه لا يليق بنا ان نكون
ذاهلين بلهاء كالحملان الغافلة عن الذئاب المتربصة بها ٠٠٠ لا يليق
بنا ان نكون سلبيين مستسلمين لارادة اعدائنا بنا من التفكك
والانحلال كما فعلنا منذ انهيار بناء الوحدة والقضاء على الخلافة
وتفريغ نفوسنا من اشعاعات وجودها ، ليتمكنوا من القضاء على
الاسلام والاستيلاء على المسلمين واطوانهم وابتلاعها جزءا جزءا ٠
وكان اخشى ما يخشاه المخلصون على المسلمين المعاصرين ان تسبق
الى نفوسهم ، بذهولهم وسلبيتهم واستسلامهم للاحداث التى يشق

أعدوهم مجراها وطرق اطباقتها عليهم بخبت ومكر ودهاء ، ارادة الزوال وخمول الانحلال وبلادة الشعور بالانتم العام الذي في اعناقهم جميعا لتقصيرهم وتجمد سعيهم الى عودة جامعتهم الاسلامية ورمزها المجسم وهو الخلافة .. فلا يشعروا بحاجتهم الى الحياة عزيزة كريمة مؤثرة كما كانت لهم في السابق ، ولا بحاجة الحياة اليهم شهداء على الناس وخير أمة أخرجت لهم ، كما جعلهم الله تعالى ووصفهم القرآن الكريم .. ولكن لله الحمد والمثمة .. فقد جنبهم ارادة الزوال ومقدمات الانحلال وخمول الاستسلام لاعدائهم . ووجد من عزائم أكثر شعوبهم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ما حقق استقلالها وأقام دولها حرة ذات سيادة على ارضها ، تدبر شؤونها حسب رأيها ومصالحها .. وخاصة ما يتصل بشؤون عقيدتها وشريعته واطراد تاريخها على خط سيره الاسلامي ..

ومن هنا يتحتم عليها ان تسرع الخطوات الى تدارك ما فات بسبب التفريط في صيانة بناء دينها ووحدتها الاسلامية واقامة رمزها .

وما من شك في ان الذي عصم الجزائريين من الاستسلام لارادة اعدائهم وانفذهم من تدير الفناء فيهم والانسلاخ من رابطتهم الملية والقومية .. هو استمسكهم بالاسلام واعتزازهم بالانتماء اليه واستجابتهم لما صبه في قلوبهم من معاني العزة والحرية والكرامة والعبودية لله وحده ..

والفضل الاكبر في ذلك كله - كما علمنا ممن سعدنا وتشرفنا بلقائهم في مصر من اخواننا واساتذتنا الجزائريين المجاهدين وعلى رأسهم الامام العلامة العظيم ، الكاتب الاديب الكبير الشيخ محمد البشير الابرهيمي تقمده الله برحمته - يرجع الى ما ظل يعمر صدور الامهات الجزائريات اللاتي حرصن على الاحتفاظ بعزائم الاسلام ولغة القرآن في صدورهن وبيوتهن ، وينقلنها الى صدور أولادهن وألسنتهم ، ويؤججن جنوة الدفاع عنها كلما هبت عليها ريح خبيثة تحاول اخمادها . وذلك تلبية منهن لدعوة بطل من ابطال

الجزائر العلماء الدعاة المرين المجاهدين .. ألا وهو الشيخ الامام
عبد الحميد بن باديس روح الله روحه برحمته ورضوانه ..
وبذلك كله صنع الجزائريون أعظم بطولات الشعوب الاسلامية
في القرن العشرين ، وهو استردادهم الجزائر للوطن الاسلامي بعد
محاولة اغتصابه نحو من مائة واربعين سنة ! وهو انتصارهم على
جيش المستعمرين المستكلبين الذي كان عدده يزيد على ستمائة ألف
جندي مسلحين بأحدث اسلحة العصر المخصصة لحلف الاطلنطي ..
فالى أولئك الامهات المنجيات للابطال .. والى ابنائهن الذين مضوا
الى ربهم مستشهدين والى المكافحين الاحياء البواسل .. والى البطل
الجزائري الاول الامير عبد القادر .. والى الشيخ المصلح عبد الحميد
ابن باديس واخوانه .. والى غيرهم من الجنود المجهولين والمعلومين
الذين صنعوا اسباب النصر واستنزلوه من الله باخلاصهم للاسلام
وطنه والاستبسال في الدفاع عن حصن عظيم فخم ضخم من
أعظم قلاع ..

الى هؤلاء جميعا تحية المسلمين والاحرار من كل مكان في العالم
يضمخها عبق القرآن العظيم وعطر نفس مولى نفوسنا وسيد عقولنا
محمد .. وقد خلص لهما وحدهما ولله الحمد جو الجزائر الحسرة
المستقلة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

جراحة التجبير (تقويم الأعضاء) العربية

الدكتور حسين كامل حساب
عضو الجمعية الملكية للجراحة - بانغلينرا
ورئيس جراحة التجبير في جامعة الاسكندرية

كان موضوع الطب العربي موضع اهتمام وانتباه كثيرين من الكتاب الشرقيين والغربيين كمثل Brown (1921) و Myerhof (1931 - 1943) وحسين (1951) « وجميعهم يؤكدون ان كثيرا من المستشفيات المنظمة وهى عبارة عن مدارس طبية قد سبق وأنشئت فى القرنين التاسع والعاشر للميلاد فى العالم الاسلامى ، وقام بالاشراف على ادارتها اخصائيون من اطباء وجراحين واطباء عيون ومجبرين ، وكانوا يلقون على طلابهم وتلامذتهم المتخرجين المحاضرات ثم يقدمون لهم الامتحانات، وبعدها يمنحونهم الشهادات، وكذلك اتخذت الترتيبات لاعطاء دروس تطبيقية ، وترجمت الكتب والمصادر اليونانية والرومانية المشهورة فتجرى دراستها بصورة تامة ثم تطبق مع اعطائها أو الاضافة اليها بعض النواحي المعينة ولا سيما ما يتعلق بها من الناحية الطبية المسلكية Clinical وبعبارة أخرى فقد كانت جراحة التجبير وقتئذ علما للاختصاص معروفًا ويتمركز على دراسة وتطبيق علمى . ولما كان هذا يقتضى معرفة كبيرة ذات درجة عالية من علمى التشريح والجراحة فكان لابد لمن يختص بذلك من النجاح فى امتحان خاص فى هذين الفرعين وذلك قبل منحه شهادة فى التخصص بالتجبير .

ومما يستدل على ان العرب كان لديهم معرفة أصيلة بتشريح الهيكل العظمى للانسان هو قيام العالم العربى « عبد اللطيف البغدادى » بزيارة لمقبرة قديمة بالقاهرة حيث اجرى فحصا على فك

الانسان واستدل منه انه لا يوجد في اسنانه وبالقسم الاوسط منه
« درزا » كما ذكر جالينوس بالنسبة للحيوانات ويوجد ، بالاضافة
الى ذلك ، في كتاب ألف ليلة وليلة رقم 450 وصف لجسم الانسان
من احدى الفتيات الرقيقات وهذا ما يدل ان مثل هذه المعلومات معروفة
لدى الناس (أنظر الفقرة العربية رقم 13) وليس هناك غرابة اذن
اذا ما وضع ابن سينا في قانونه « وصفا رائعا لهيكل الانسان يشتمل
على معلومات صغيرة دقيقة كمثل « زاوية عنق عظم الفخذ في وظيفة
مفصل الفخذ » . أما بالنسبة للانسجة الرقيقة فلم يجروا عليها أى
عملية تشريحية وهذا أمر اسف له (أبو القاسم الزهراوى) وهو
من قرطبة وذلك عندما كتب فى مقدمة لكتابه المشهور فى الجراحة
وكتبه فى القرن الحادى عشر وقام العرب أيضا وبعبارة تامة بدراسة
ما كتبه جراحو الاسكندرية العظماء فى القرن الثالث قبل الميلاد مثل
Herophilus الذى قام بوصف اجزاء الاعصاب الحاسة والمتعلقة
بالحركة، وكذلك اكتشف تشريحيا الفرق بين الشرايين والاوردة و
Hegetor سنة 100 قبل الميلاد ، وهو الذى شرح شرحا وافيا عن
علاقة مفصل الفخذ وكتب وصفا (للرباط المستدير) فى الفخذ
وكذلك جالينوس (201 - 131) قبل الميلاد الذى اعطى وصفا
للعضلات وقال ان الحركة الارادية تنبعث من الدماغ عن طريق
الاعصاب التى تتصل بالعضلات .

ترجم العرب ودرسوا بدراسة تامة ما كتبه هؤلاء العلماء اليونانيون
والرومانيون والحقيقة تقال ان ما بقى من كتب جالينوس هو المترجم
للعربية فقط .

وهناك أيضا ، بعض ما قدمه العرب انفسهم وله أهمية، وهو على
سبيل المثل، وصف الدورة الدموية الصغيرة (لابن النفيس) وجهاز
الاعوية الشعيرية لعلى بن العباس المجوسى (Brown 1921) ونجد
فى كتب ابقراط وجالينوس وبولص الاجينى وغيرهم معلومات بالنسبة
للمواضيع الجراحية والكلينيكية (المستوصفية) واخذها العرب عنهم
مباشرة، ولكن يوجد هناك مواضيع هامة قدمها العرب انفسهم فى فروع

طبية وجراحية، كما أن من جهة أخرى يوجد أعمال علمية هامة منسوبة لليونانيين وهي ليست أصيلة عندهم بل اخذوا منها الكثير عن المصريين القدماء الذين مارسوا على وجه التأكيد تقريبا تشريح جسم الانسان ولا بد أنهم اثروا في مدرسة الاسكندرية ، في القرن الثالث قبل الميلاد. لاننا نجد في اوراق البردى الطبية التي كتبت منذ عدة آلاف سنة قبل الميلاد مواد طبية تشبه كثيرا ما هو موجود في (مجموعة ابقراط) مما يدل على ان هنالك علاقة ولكنها مجهولة ولهذا أصبح معلوما لدى الجميع بان ما لدينا في الوقت الحاضر من المعلومات الطبية قد ظهرت في وادي النيل (حسين 1949 and 1951) .

وكتب العرب مجلدات في الطب ولكن معظمها قد اندثر. وقام ابن سينا (980 – 1030) وهو أحد عظماء العلماء في العالم الاسلامي جمع ما كتبه اليونانيون في الطب بالاضافة الى ما قدمه العرب في هذا الموضوع في كتابه الضخيم واسمه (القانون في الطب) . وسنأتي في الفصول القادمة على مراجعة ماله علاقة بالعظام والمفاصل في (قانونه) في هذه الدراسة ويتبين منها ان كثيرا من الامور الاساسية يجري استعمالها في الوقت الحاضر . وسنشير أيضا الى أكبر جراح عربي (أبي القاسم الزهراوي) الذي عاش في قرطبة في القرن الحادي عشر، وكتب كتابه الشهير (التصريف) ووضع فيه كثيرا من صور الادوات مع وصف دقيق للفن الجراحي .

الاصابات المفتوحة

فسي

الاطراف

كانت تجرى معالجة الجروح على أنواعها طبقا لمبادئ الجراحة الصحيحة العامة مع معرفة تامة بما ينطوي تحت ذلك من التهابات جراحية رغم جهل علم الجراثيم ، ومنها التهابات الجروح والتهاب النسيج الخلوي في الفخذ وما يسمى بالحجرة والغانفرين (الغازية) التي وصفت بانها عبارة عن تحجر في الانسجة اللينة دون مساس بالجلد وهذا ما يخالف النوع الآخر من (الغانفرين) الذي تموت فيه

الاطراف بمجموعها وكانت تجرى المعالجة بهذا الخصوص باستئصال
قسم كبير من النسيج المصاب حتى يصل الى مكان يجرى السم فيه
بصورة صحية وعندئذ يتم كيه ويوقف النزيف بالضماد .

وكان يجرى وصف فتح الجروح Penetrating Wounds في مفصل
الركبة بطريقة صحيحة على انها خطيرة وكثيرا ما تؤدي للوفاة واما قطع
الاعصاب والعراقيب فكان يعار أهمية كبيرة . وربما كان ابن سينا
أول من فكر في (درز) العصب (Bick 1948)

وكان مالدى المؤلفين العرب من المعلومات عن الكسر المركب وما
يلحقه من صعوبات جراحية مجال واسع حقا فكانوا يتركون الجرح
مفتوحا دون ان يترك فيه أفواه Pockets ثم يغطى بقماش من (الشاش)
المنقوع بالكحول وغيرها من الاستعمالات التى يطلق عليها الآن اسم
المعقمات Antiseptics وكان ينصح بعدم اجراء رد الكسر Reduction
المبكر قبل دمل الجلد Callus Formation بالنسبة للخلع واذا كان هنالك
تعفن فى الجرح فترجأ عملية الجبر خوفا من وقوع مضاعفات تكون ذات
خطورة أكثر مما لو حصل تشويه نتيجة الالتحام الناقص Malunion
وكانت تبدو لهم أخطار المضاعفات التعفنية بشكل واضح تماما .
فكانوا يزيلون العضلات الظاهرية ذات الاتصال بالخلع والا تكون قد
تكلست وجمدت واذا حصل ذلك التحجر (وهو ما يسمى بغانغرين
الغاز) فانه تجرى معالجته حسب ما ذكر من الطرق وضمن أصول
صحيحة . أما بالنسبة للالتهابات فى النخاع العظمى Osteomyelitis
ومضاعفاتها فكانت معروفة لديهم اذ ان خروج القيح باستمرار يدل
على وجود ما يجب فصله من العظام Sequestrum وهذا لا يجوز ازالته
حتى يصبح منفصلا ومنحلا .

الخلع Dislocations

ويجب ان يلاحظ فى بحث تشخيص الخلع فى المفاصل مبدءان
هامان عامان (1) مقابلة الجانب السليم فى المريض مع ذلك المفصل
حتى تسهل رؤية العلامات الطبيعية الصحيحة (2) اجراء فحص على
سهولة حركة المفصل فى كل الجوانب المعتادة وعمل فحص لمسدى
الحركة الكامل فى كل اتجاه .

أما ما يتعلق بالمعالجة ، فقد كانت تستعمل الوسائل الصحيحة في
رد العظام Reduction - وكان الكاتب يشدد على عدم الحركة بعد رد
العظم حتى يسمح ذلك بشفاء الانسجة اللينة الممزقة وهذا المبدأ
الآخر أساسى حتى ان الاطباء الحديثين احيانا يسهون عن ان يعيروه
الاهتمام المطلوب .

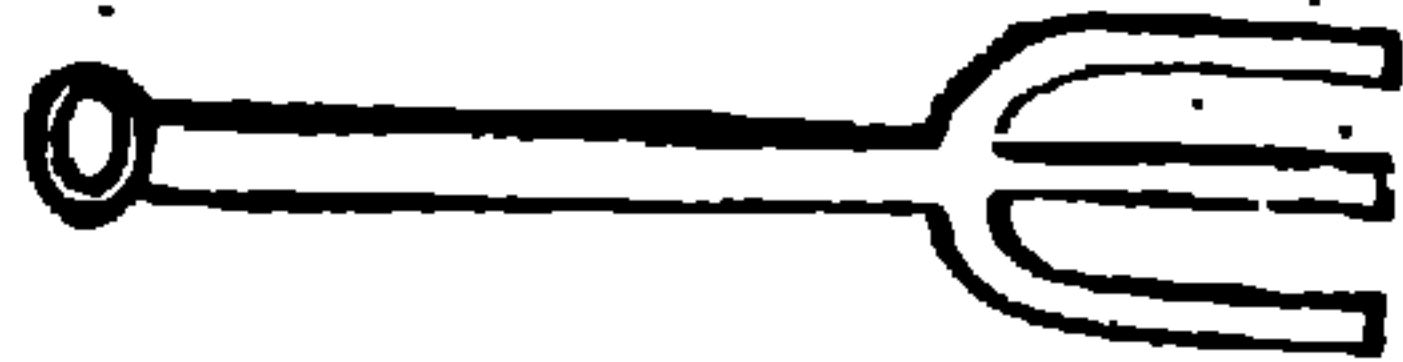
ان الخلع المتكررة Recurred Dislocations كانوا يصفونها
ويعالجونها بالكي (انظر الشكل 1) .

الموصل الخامس والعشرون في كى الابطى

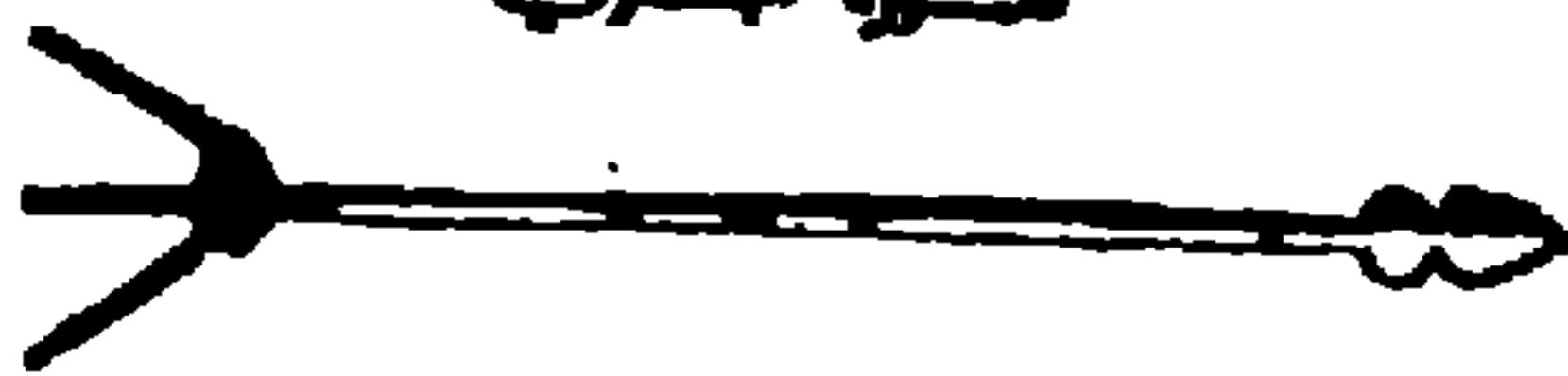
لما اطلع راس العظم بسبب رطوبات مرلقة او لم يثبت في حين رده
بعد اجزائه حتى يعبر له ذلك عادة مرد ثم يقطع عند اذن حركة كما
شاهدنا مراراً فلينبأ ان مرد ذلك اولاً ثم تستلقي العظم على ظهره
او على الجانب الصحيح ثم توضع اليد التي في حامل الابطى الى فوق
باصبعك من يدك اليسرى ان كان الموصل اطلع الى داخل لم يتم
لكونه ملت السويدي التي هذه صورتها



ثم تكوي بها الجلد حتى تلتصقا الى الجانب الاخر فبان شكل الكي اربع
كبيبات وقد تكوي بمشرفة ذات السيفيد الثلاث فهكون شكل
الكي جهيد مت كبيبات فهكون السيفيد ركة للويد وهذه صور
للصورة ذات السيفيد الثلاث



صورة اليسرى



وقد تراه على هذا الصدد واحدة فهكون الكبيبات لعلمها لم يمد
على الكي المشرفة للدليل مع الملح لم تدم العسل الدماء ولا تحرك
العظم رسالاً حتى تكوي ،

وعلى سبيل المثال انظر الفقرات العربية 1 2 3 4 ويظهر واضحا من هذه الفقرات بان الوصف السريري Clinical كان على الاكثر شاقا فقد لاحظوا الخلع فى الكتف بما يتعلق بتجويفة المنكب Glenoid وازدياد حجم رأس العظم مع ملاحظة ما يتبع ذلك من طراوة فى الغطاء الغلافى Capsule وهى علامات تدل على وجود حركة طليقة فى ذلك المفصل ، اما فيما يتعلق بخلع المنكب فقد ذكر أن انحناء المكان الخارجى السليم يزول ويظهر مكانه نتوء واضح فى غور الذراع وهو ناتج عن خلع الرأس ويصبح الذراع معلقا بعيدا عن ناحية الصدر وتصبح الحركات محدودة .

وأول طريقة وضعت لرد هذا الخلع تشبه طريقة Kocher المشهورة وبدلا من رفع الرأس لهذا العظم بدوران خارجى وتقريبه من الذراع فانهم كانوا يشيرون باستعمال الضغط المباشر لذلك الرأس حتى يندفع الى حفرة المنكب اما الطريقة الثانية وتسمى بطريقة ابقراط فهى لا تزال تستعمل فى الوقت الحاضر وهى مكتوبة فى جميع الكتب المدرسية التى تبحث عن جراحة التجبير Orthopaedic . وقد ابدى Watson Jones 1955 حديثا بما يتعلق بمعالجة الخلع المتكرر للمنكب بواسطة الكى .

واما عن وصف الشلل Paraplegia الناتج عن اصابات الفقرات فقد عرف مكان واصل عصب النفس Phrenic وبنتيجة ذلك تحدث الوفاة العاجلة اذا حصل اتلاف عامود النخاع فى اعلى المستوى الموجود واذا حصلت اصابات لذلك العمود الفقرى Cord فى مستوى منخفض فانها تكون أيضا خطيرة لانه يحبس البول والغائط . وذكر أبو القاسم الزهراوى فى وصفه لهذه الحالة نفسها اضافة لما ذكر سابقا بوجود طراوة وعدم حس فى الاطراف . ولا يهم هنا ما ذكره عن ان الخلع التام هو فى الحقيقة خلع كسرى Fracture Dislocation وصنف المؤلفون العرب بما كان لديهم من معرفة جيدة بتشريح مفصل الفخذ الخلع فى هذا المفصل الى أربعة اقسام وهى تطابق التقسيم الحديث وهى : - الخلقى Pubic والسدادى Obturator

والإليبي Gluteal والوركي Sciatic وكانوا يحققون من مكان النتوء الناتج عن الرأس المخلوع في كل من هذه الحالات فاذا حصل قصر يكون في القسم الخلفي والظهري أو حصل امتداد فيكون الخلع في القسم المتوسط Medial أو القدامى Anterior **ولاحظوا** موضع الركبة بالنسبة لهذا الخلع أى ان يتبع الاصناف المذكورة بالنسبة للحركة فقد يكون الخلع الى داخل أو الى خارج أو الى قدام أو الى خلف وكانت تفضل الطرق اليونانية فى السحب Traction كما هي موضحة بالرسم فيما يلي فى هذه الرسالة وهي طريقة ابقراط Scamnum بواسطة (انظر الفقرة العربية رقم 5) المخل أو غيره واذا لم يكن جهاز خاص فيكتفى بلوح خشبي عريض وفيه وتد مثبت عاموديا فى وسطه كما هي الحالة مستعملة الآن فى التجبير الحديث وطاولته • فيضطجع المريض على اللوحة والتد مثبت بين فرق الاليتين (العجان Perineum) ثم يستعمل الجنب لكلا الجانبين ، الجانب المخلوع والجانب السليم حتى تثبيت الحوض Pelvis والا يكون المرض قد انجر الى جانب واحد ويجرى كذلك السحب المخالف Counter-Traction اما بواسطة الآلات أو بواسطة مساعدين يقومون بذلك فى الجهة المقابلة فاذا حصل السحب من جهة وقابله السحب من جهة أخرى فان الرجل تصبح مائلة لجانب أو لآخر بطريقة تجعل القسم الفخذي يرتفع الى موضعا فى حق الفخذ Acetabulum •

الكسور (FRACTURES)

وبحث ابن سينا فى قسم عام عنوانه :

– تعريف واقسام وعلامات الكسر –

مع ذكر تغيير مواضع الشظايا وما يتبع ذلك من ورم Traumatic-Oedema وما قد يحدث من مضاعفات ناتجة عن اصابة الجزء المتصل بالشظايا المكسورة ، وذكر الكسور التى تتصل بالمفصل المجاور بصورة خاصة لما يتوقف على ذلك من تصلب المفصل •

وبحثت حالات تصليح الكسور فى مفصل مفرد ويجدر ذكر

النقاط التالية التى تسترعى الانتباه :

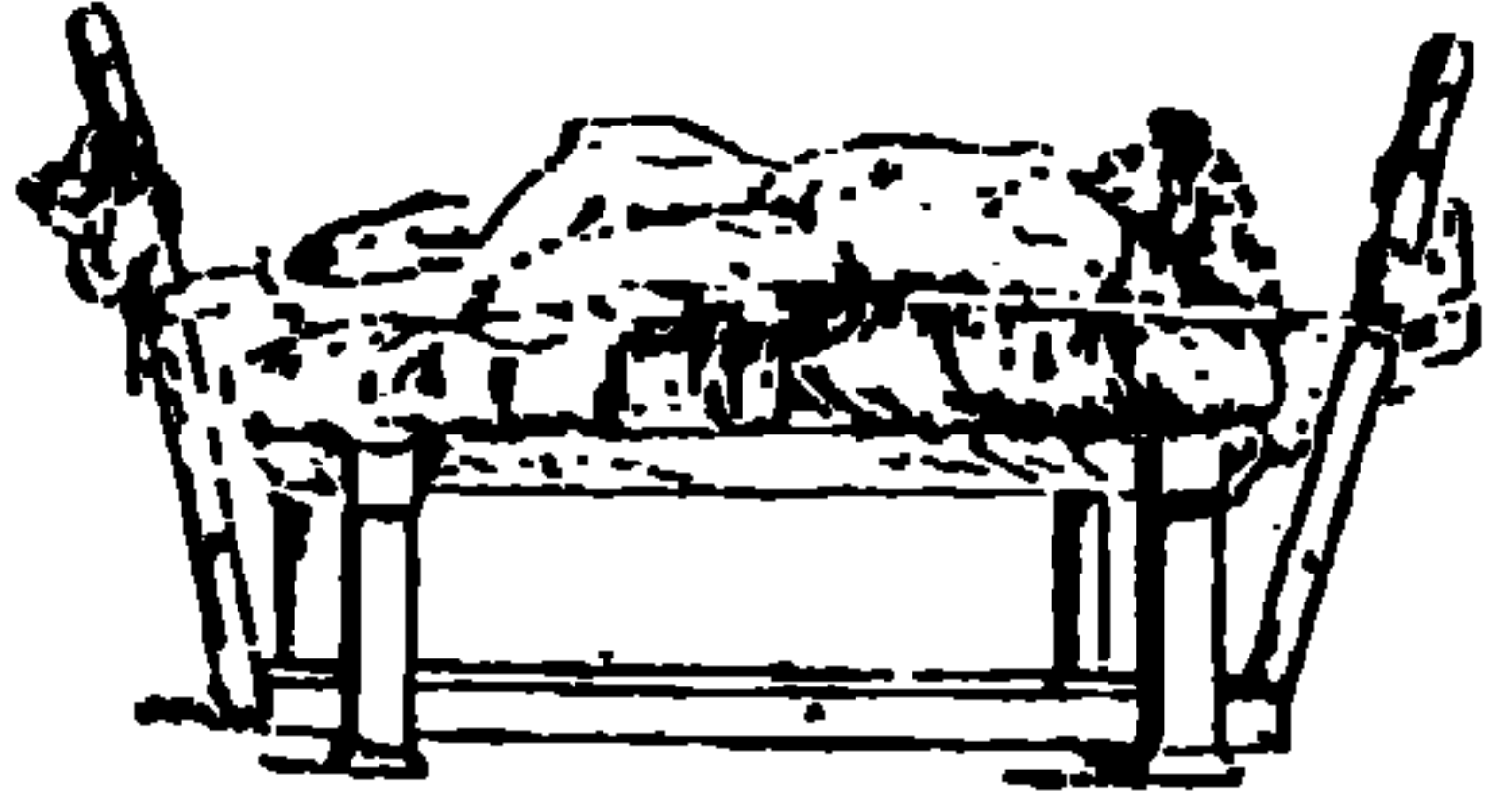
1) الورم وقد وصف بأنه أولاً غضروفي وقد تحقق منها العلماء حديثاً .

2) عدم تحريك الشظايا امر جوهري لجمعها وينتج عدم الجبر والالتحام من سوء الحركة التي تنتج من تغيير الضمادات أو ما يحدث من كثرة التدخل بالكسر باى حالة كانت او ان يسمح للمريض بالحركة قبل الاوان .

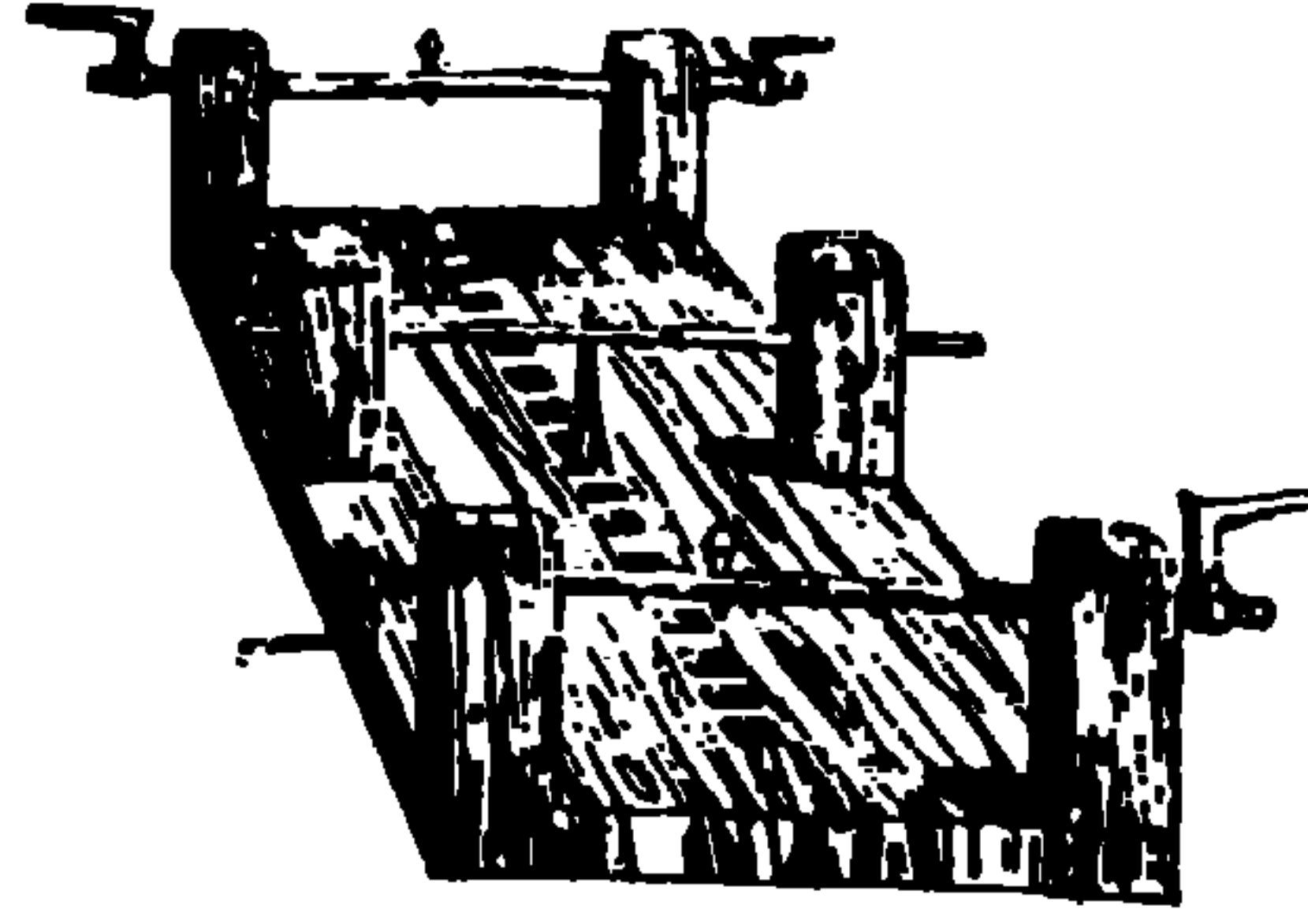
3) وينتج عدم جمع العظام من سوء التصليح لامكنة العظام أو سوء وضع المقومات Splinting بعد التصليح وقد يعالج هذا الوضع باعادة الكسر اما فى مكان الكسر او قريبا منه ، فاذا لم يتيسر ذلك فينصح باجراء عملية مفتوحة على تلك العظمة وهو ما يدخل فى موضوع الالتهاب العظمى (انظر الفقرة العربية 6) .

4) وقد وضعت المدد التقريبية لجمع العظام المختلفة واذا تاخر جمع العظام فتعالج بالحك الشديد لتلك القطع مع بعضها البعض حتى تعود لها تقاوتها التي كانت موجودة عليها قبل اعادة العملية وذلك على المبدأ نفسه بعدم الحركة (انظر الفقرة العربية 7) وظلت هذه الطريقة مستعملة حتى عهد قريب جدا فى بعض مراكز الجراحة التجبيرية الشهيرة فى وقتنا هذا .

وقد نصحوا باستعمال طريقة معينة من اجل فحص المريض فحسا سريريا Clinical ، وهي تشمل على فحص نبضه Palpation على ان يكون الفحص لطيفا (انظر الفقرة العربية 8) . ويتم رد العظام فى حالة معالجة الكسور بواسطة السحب Traction وبسحب معاكس Counter-Traction مع تلمس مباشر للقطع المتكسر بنية اعادتهم الى وضعهم السليم (انظر الفقرة العربية رقم 9) وقد وصلت للعرب اجهزة للسحب متفرقة من اليونانيين ومنها السحب بواسطة العتلات Levers التي تستعمل مفردة أو مزدوجة (انظر الشكل 2) .



(شكل 2)



(شكل 3)

وجهاز ابقراط Scamnum الذى يحتوى على بكرات تسحب بالدواليب (الشكل رقم 3). وعلق على ذلك Griffiths and Brockbank 1949 بما يلى بالنسبة لاستعمال هذه الاجهزة فقالوا: (ان اهتمام اليونانيين والقرون الوسطى وعصر النهضة فى ايجاد وسائل للسحب بشكل أقوى من السابق يظهر الجهل السائد فى عصرنا لاهمية المعالجة اليدوية المباشرة) وهذا الكلام لا ينطبق على العرب لان ابن سينا وان هو وضع فى قانونه شرحا دقيقا لهذه الاجهزة ولطرق استعمالها لكنه حذر من وجود خطر فى السحب الشديد ونصح باستعمال المعالجة اليدوية المباشرة (انظر الفقرة العربية 10) .

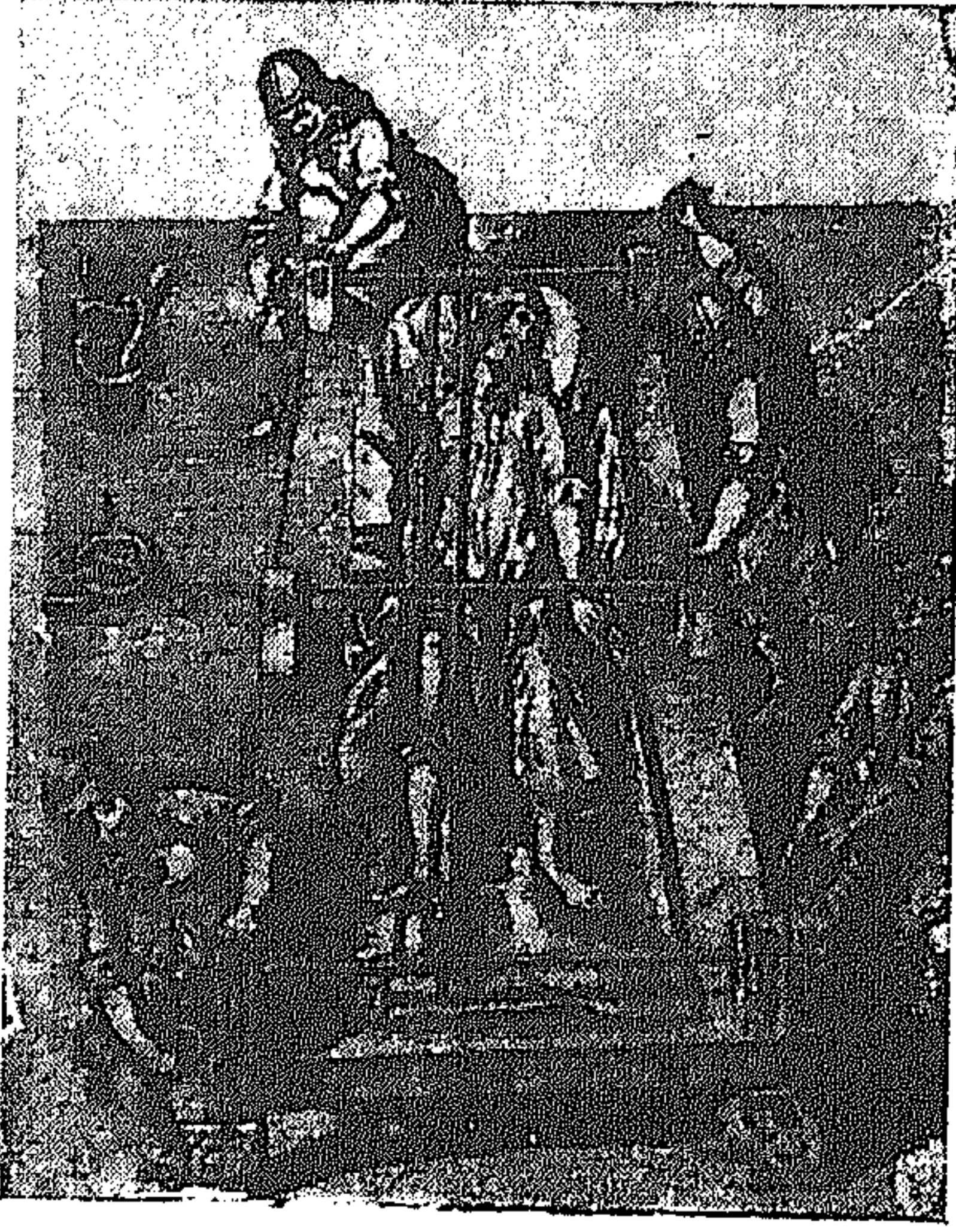
اما بالنسبة لعدم الحركة Immobilisation فانهم استعملوا العصائب وقطعا من الخشب Splints واعوادا خاصة بالكسر مع مزيج من المواد الجيلاتينية Gelatinous والصلصالية والنشوية لتقوية العصائب التى تستعمل دون غيرها فى الايام الاولى ثم يربا استعمال قطع الخشب لليوم الثالث على رأى ابقراط غير ان العرب كانوا أكثر حيلة فان ابن سينا نصح باستعمال هذه القطع بعد اليوم الخامس وذلك بغية زوال الورم وتجنب المضاعفات الخطيرة مثل الفانغرين Gangrene وذكر ابقراط بضرورة وضع الطرف Limb المصاب فى وضعه الطبيعى وشاع استعمال طريقة رفع هذا العضو أيضا .

اما بالنسبة لهذه القطع الخشبية فقد افرز فصل خاص لوضع الشروط المتعددة لعمل اعواد صالحة ، فيجب ان تكون صلبة ولكن يمكن لويها وان تكون ناعمة الملمس وخفيفة واذا استعملت فيجب وضعها بين مفصلين بدون ان تتجاوز فى وضعها المفصلين المذكورين

وهذا يخالف التعامل الحديث لان هذا يقول بعدم تحريك المفصل الواقع فوق الكسر والمفصل الواقع تحته ، اما بالنسبة لفترة الحركة فانها تتحرك حتى يتم الالتحام الثابت واذا زادت هذه الفترة فهي أفضل من حل الرباط المبكر وترك الحركة حرة . (انظر الفقرة العربية رقم 10) .

الكسور المنفردة

وجرى بحث اصابات العظام المنفردة فكانت معالجة كسور الالف والفك والعظام الطويلة لا تختلف كثيرا عن التطبيق الحديث واذا حصل كسر في الاضلاع فتكون علامة اصابة الرئة من احداث النزيف Haemoptysis . وقد كتب شرح يصف العمليات على الاضلاع وذلك باستعمال اداة خاصة صنعها بولس اجينا Paul of Aegina وهي توضع بين الضلعين والحجاب كي تحفظه . اما بالنسبة لصعوبة التغلب على ما يحدث من قصر في حالة كسر الفخذ فانهم اعترفوا بها واعتبروا العرج في هذه الحالات لا يمكن تجنبه ، مع العلم عناية خاصة كانت تحاول لاعادة حالة العظمة لاستقامتها الطبيعية مع قليل من الاحدوداب Convexity نحو الخارج وقليل من التقوس نحو الداخل Concavity أما معالجة عظمة الركبة Patella فهو أمر معقول جدا فتدفع القطع باليد ثم يجرى دفعها بواسطة ربطك الطرف بعد امتداده تماما . وبقي هذا الاجراء البسيط الواضح مرعيا في المعالجة حتى ظهر وتقدم فن العماليات الحديثة من القرن التاسع عشر واعتبر كسر الكعب كخلع وكان يعالج على هذا الاساس برد العظام وعدم تحريكها وكان يمنع المشي عليه لمدة أربعين يوما . أما كسر عظمة القدم فيدخل في مجال التشخيص السمي الرديء Prognosis وأما كسر العمود الفقري Spine فهو يتم تصليحه بوضع المريض ووجهه الى أسفل بجانب حائط وتوضع قطعة خشبية عريضة تستعمل لتصليح ذلك العطل وتشد ببكرة للحائط (انظر الشكل 5) وبعد هذا التصحيح



(شكل 4)



(شكل 5)

تستعمل قطعة خشب أو معدن فوق مكان الاحدوداب وتثبت برباط جيداً بحيث تبقى على حالة تصحيح . ومن هذا يظهر أن ما ورد في مبدأ تثبيت العمود الفقري كان معروفاً ومستعملاً .

أمراض العظام والمفاصل :

ان في وصف التهاب العظام Osteomyelitis فهم كامل لمداراته ولاصول معالجته فشرحت أوضاع الاورام والشقوق في الانسجة اللينة الموجودة حول العظام وما فيها من القيح كما وصفت أحوال الجيوب Sinuses ووجود شظايا العظام المكسورة في الانسجة Sequestra وعندما يدخل المجس Probe في الجزء الذي انتفخ بالقيح فانه ينفذ بسهولة ويصل الى العظم المجرد فاذا وصل ذلك الى سطح العظم الاجرد وظهر الفرق في ذلك الجس بين العظم وغشائه فيستدل عندئذ على ان هناك تعفناً وقد وضع وصف للعظام المتكسرة الموجودة في الانسجة وقد وجد من الافضل عدم ازالتها بعجل ويترك لها وقت كاف حتى تنفك من مكانها وعندئذ يسهل استخراجها بدون جهد . فاذا لم ترفع بكليتها فانه سيظل هناك قيح يخرج فوصف أبو القاسم حالة مريض بطريقة لطيفة الذي كان يشعر بحمى وكان له في رجله جيوب وورم منذ مدة طويلة وكانت تخرج قيحا واضطر أن

يجرى العملية عليه في فترات عديدة لسوء حالة المريض العامة وفي كل مرة كان يزيل قطعة صغيرة من القطع الباقية في رجله وكانت بمقياس 20 سنتيمترا طولاً وبرىء المريض تماما ويبدو من وصفه أنه كان واضحا أصيلا وأنه كان على درجة عالية من المحاكمة لأنه عمل لحالة المريض العامة حسابا مناسباً (الفقرة 12) .

التشوهات في العمود الفقري :

وجرى وصف هذه التشوهات وان كانت ناتجة عن كسور أو خلع أو الى مرض وقد وضعت في صنف يختلف عن الانحناءات في العمود الفقري الموجود في اشخاص بصورة طبيعية وكلها ناتجة عن عادات خاطئة . وهذا يدل على فهم تام بنظرية التشوهات الثابتة Static للعمود الفقري كذلك فالتشوهات الناتجة عن العمر المتقدم Senile Kiphosis وصفت وجسرت محاولات لتصليحها أو تقويمها كما جرى في شرح حالات ما يحدث بعد الجروح Post-Traumatic وقد عرفوا عدم الجدوى من هذه المحاولات أي ان الحالة بقيت كما كانت قبل ألف سنة .

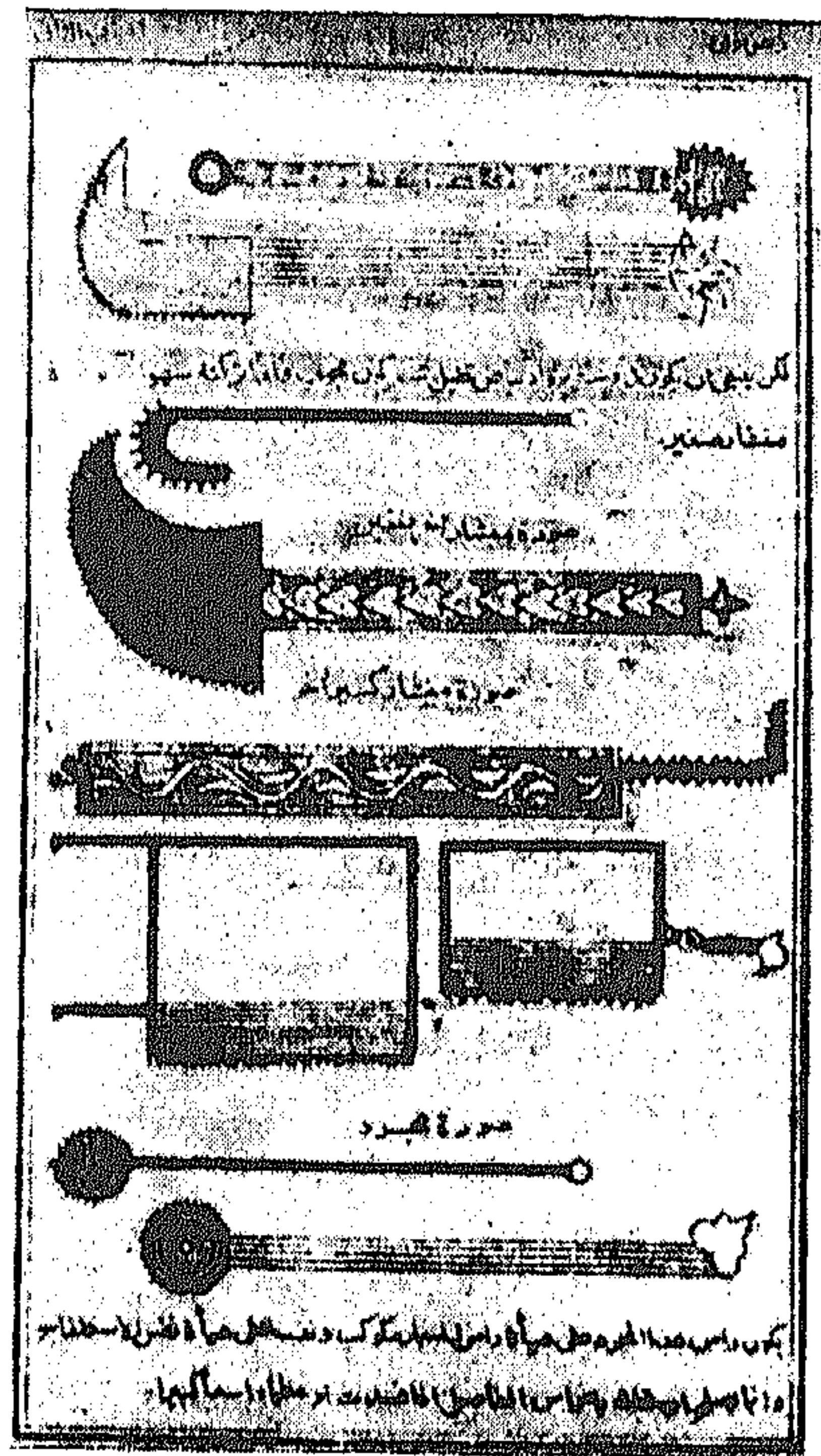
أما بالنسبة للسلس Tuberculosis بصورة عامة فكان ابن سينا أول من كتب ان مرض التهاب الرئة معد 1945 Guthrie فقد اعطى وصفا سريريا ممتازا لمرض التهاب الرئة Pleurisy وبأن معالجة هذه الاصابة لاتجدي طالما ظلت الرئات تتحرك دائما للتنفس ومن هذا جرى عمل تخديرحديث طبي وظلت العلاقة بين مرض الفقرات والسلس الرئوي تنتظر طويلا حتى قام Delpech وعلماء الطب في القرن التاسع عشر وقد تم شرح الخلع منذ الولادة Congenital في الورك كحالة من الاحوال المستبعدة Traumatic لانها تتعلق باعمال صعبة . وكذلك الشلل في القسم العلوي من الاطراف منذ الولادة اعتبر جزءا مما يحدث من خلع الكتف وكذلك التشويه الناتج عن نقص في التغذية للجزء الدالي Deltoid في المنكب اعتبر داخلا في مواضيع خلع الكتف .

وقد جرى وصف حالات العظام المتصلة والتهاباتها بالتفصيل
Arthritides ولكن لم تكن حالاتها المختلفة واضحة وجرى التشديد
على اتباع « الرجيم » Regimen والعناية بالطعام المناسب وكذلك
العناية بالامعاء واعتبر المناخ الجيد كذئ أثر بالغ وخاصة فى أمراض
الروماتزم المزمن .

وكانت العمليات على العظام معروفة ومنها جراحة العظام
Osteotomy وإزالة العظام Sequestrectomy والبتر ونقل الأدوات
الى العرب الجراحون الرومانيون واليونانيون ما يتعلق بمعلومات كاملة عن
مجموعة الأدوات العظمية Armamentarium منها منقار العظام والمنشار
ورافعات العظام وكماشات الاسد Milne 1956 وقد وضع أبو
القاسم الزهراوى فى كتابه كثيرا من رسوم هذه الأدوات المستعملة
فى عمليات العظام وكان يستعملها العرب وتجد أشكالها موجودة هنا
فى الشكل (6 - 7 - 8 - 9) .



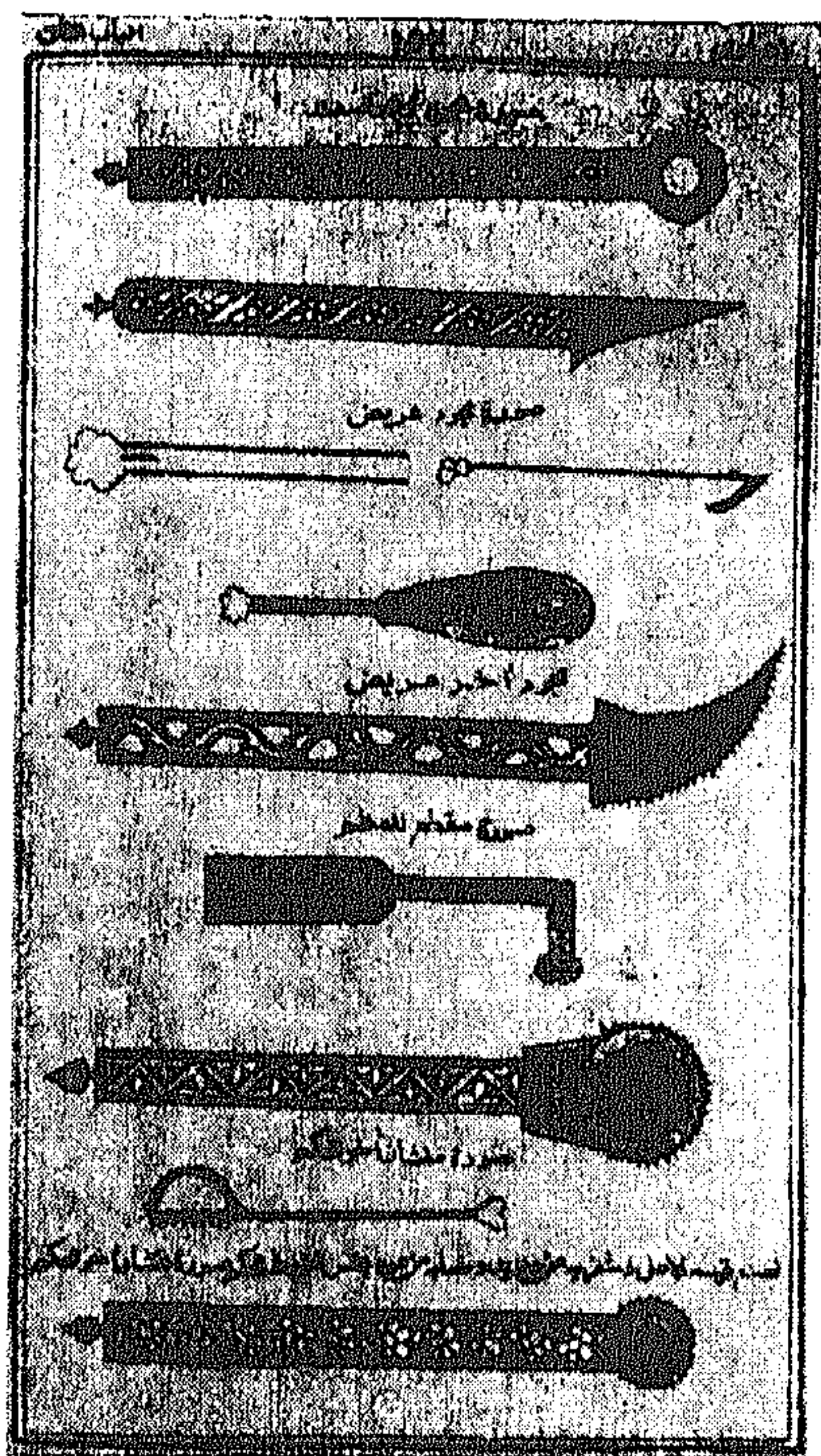
(شكل ٦)



(شكل ٥)



(شكل ٩)



(شكل ٨)

الفقرات المشار إليها في النص

الفقرة - 1 - : (ابن سينا)

كلام كل في الخلع

تعريف : الخلع هو خروج العظم عن موضعه .

العلامات : انخفاض وغور غير معهود عند المفصل وذلك بالقياس والمقارنة بين الناحية العلية واختها الصحيحة في نفس المريض ذاته لا من غيره واذا رأيت المفصل لا يتحرك فاحكم بان الخلع تام كما أنه اذا تحرك حركته الى جميع جهاته وبلغ الى جميع مبالغه فليس به علة متعلقة بالزوال .

فصل في العلاج : الجبر يكون بالمد الى خلاف الناحية التي زال عنها حتى تتم محاذات العظم ثم يرد الى الموضع الذي خرج منه فيرتد وكثيرا ما يدل على ذلك صوت يسمع ثم يربط واذا صار العضو ينخلع في كل حركة وكلما رد انخلع فلا بد من كي .

الفقرة - 2 - (ابن سينا)

فصل في خلع المنكب : ينخلع الكتف بسهولة لان ثقلته غير عميقة ورباطاته غير وثيقة وقد جعلت كذلك لتسهيل الحركات . . .

العلامات : أن يرى تجويفا عند رأس المنكب وترى لرأس العضد المنخلع تتواء كرويا في جهته تحت الابط وترى العضد ليس جيد الالتصاق بالجانب جودة التصاق اليد الصحيحة وان حاول أن يرفع يده ويمس أذنه لم يتهيأ له وتعذرت عليه الحركات الاخرى .

العلاج : في الحالات السهلة في لينى الابدان يمد ذراع بيد ويضغط باليد الاخرى عند الرأس المنخلعة لارجاعها مكانها .

في الابدان القوية يدخل المجر رجله في جانب العليل ويمكن عقبه من قرب رأس العضد والعليل مستلق ويجذب اليد بيده على الاستقامة كأنه يريد قلعها من الكتف ويميل بيده يسرا الى داخل فيدخل . . .

فاذا رد الخلع توضع كرة لينة تحت الابطط ويربط مع المنكب بعصائب عريضة وينفذ العصب على التصليب الى المنكب الآخر ثم يربط العضد الى أسفل ويربط المرفق وطرف اليد الى فوق من ناحية العنق .

• فان لج في الانخلاع كلما أعيد فلا بد من الكى .

الفقرة - 3 - (ابن سينا)

الفقار اذا انخلع الخلع التام قتل لا محالة لانه يضغط النخاع ضغطا قويا فان كانت الفقرة الاولى من العنق وما يليها عدم الحيوان النفس ومات في الحال لان عصب النفس ينضغط فلا يفعل فعله وان كان من فقر الصلب وانخلع الى البطن لم يمنع النفس ولكن يحبس الغائط والبول فقط وان أمهل اذا فلا بد من آفه تدخل النخاع والعصب تحت مكان الخلع فتجعل الفضول يخرج من غير ارادة كما تضعف الرجل ويضعف عضل المثانة والمقعدة .

الفقرة - 4 - (ابن سينا)

فصل في خلع الورك : قد يكون الخلع الى داخل أو الى خارج ولكن أكثر انخلاعة الى خارج ويقبل انخلاعه الى داخل وقد ينخلع أيضا الى قدام أو الى خلف .

العلامات : في الخلع الى داخل ترى الرجل المخلوعة أطول من الاخرى والركبة أنتأ ولا يقدر أن يثني رجله عند الاربية وترى الاربية منتفخة وارمة لان رأس الورك قد اندس فيها . في الخلع الى خارج ترى الرجل قصرت وظهر في الاربية عمق وعرض فيما يحاذيها من خلف نتوء وانتفاخ وتكون الركبة كأنها منقعة الى داخل .

العلاج : تمد الرجل وترد بعد التحريك يمنا ويسرة والعليل مستلق على خشبة عظيمة في وسطها خشبة قائمة طولها قدم وغلظها قدر هراوة فاس بحيث تدور والعليل مستلق على ظهره فيما بين الاعفاج ورأس الفخذ كى تمنع الجسد من أن يتبع الذين يمدونه من ناحية الرجلين . . .

الفقرة - 5 - (ابن سينا)

« والاسباب التي لاجلها لا ينجبر العظم كثرة التنظيل أو كثرة حل الرباطات وربطها أو الاستعجال في الحركة » .

الفقرة - 6 - (ابن سينا)

ربما كان الكسر قد انجبر لاعلى ولجيه فيحتاج أن يعاد كسره وان لم يمكن ذلك . عند الكسر غيره من الموضع وان لم يمكن فيشرح اللحم » .

الفقرة - 7 - (ابن سينا)

« واذا عرض للكسر أن لا ينجبر جبرا يعتد به فيفعل به شيء يشبه الحسك في القروح التي لا تبرأ وهو أن تدلك باليدين حتى تنتحي اللزوجة الحسيصة الضعيفة التي كأنها ليست بشيء ويندفع اليه دم جيد جديد وينعقد عليه دشبذ قوى » .

الفقرة - 8 - (ابن سينا)

فصل في وصايا المجرى . . يجب على المجرى أن يمر بيده على موضع الكسر بالرفق واللفظ ولا يجب ان يغتر بالاستواء المحسوس بالبصر قبل تمام العافية فان الورم يخفى كثيرا من السمع والاعوجاج .

الفقرة - 9 - (ابن سينا)

« الجبر قاعدته مد العضو بمقدار ما ينبغى والنقصان منه يمنع جودة الالتئام والنظم » .

الفقرة - 10 - (ابن سينا)

« وكثيرا ما يعرض من الشد الشديد وابطاء الحل وقلة تعهد ذلك أن يموت العضو ويعفن ويحتاج الى قطعه

« ولا ينبغى أن يبلغ بشد الرباطات والجبائر مبلغا يمنع وصول الغذاء والدم فذلك مما يمنع الانجبار » .

الفقرة - 11 - (ابن سينا)

« ولا تستعجلن في رفع الجبائر وطرحها وان آنتست التصاقا فربما عرض من ذلك أن يكون الدشبذ لم يستحكم بعد فيعوج العضو ، ولان تبقى الجبائر مع الاستغناء اخرى من أن تضعها عنه قبل الاستغناء فلا تستعجل وأخر » .

الفقرة - 12 - (الزهراوي)

وأنا أخبرك بزكام كان قد عرض لرجل في ساقه لنجعله مثالا وعونا على علاجك . . . كان هذا الرجل حدث السن ، من أبناء نحو الثلاثين سنة ، قد عرض له وجع في ساقه ، عن سبب تحرك عليه من داخل البدن حتى اتصلت المواد الى الساق ، وتورم وربما عظيما ، ولم يكن له سبب من خارج ، فتمادى به الزمان مع خطأ الاطباء حتى انتفخ الورم وجرت منه مواد كثيرة واسىء في علاجه ، حتى تزكم الساق ، وصارت فيه أفواه كثيرة ، كلها تمد القيح ، يورطوبات البدن تميل اليه ، فعالجه جماعة من الاطباء نحواً من عامين ، ولم يكن فيهم حاذق بصناعة اليد حتى قصدت فرأيت ساقه ، والمواد تسيل من تلك الافواه سيلانا عظيما والرجل قد نحل جسمه واصفر لونه ، وادخلت المسبار في احد تلك الافواه فافضى المسبار الى العظام ، ثم فتشت الافواه كلها فوجدتها يفضى بعضها الى بعض من جميع جهات الساق فبادرت وشققت على احد تلك الافواه حتى كشفت بعض العظم فوجدته فاسدا قد تأكل واسود ، وتعفن ، وتنقب حتى نفذ الى المنخ ، فنشرت ما انكشف لي وتمكن من العظم الفاسد وأنا أظن أن ليس في العظم غير ذلك الفساد واني قد استأصلته ، ثم جعلت اجبر الجرح بالادوية الملحمة مدة اطول فلم يلتحم ، ثم عدت فكشفت عن العظم ثانية ، فوق الكشف الاول ، فوجدت الفساد متصلا بالعظم فنشرت ما ظهر لي أيضا من ذلك الفساد ، ثم رمت اجباره فلم ينجبر ولا التحم ثم كشفت عليه أيضا فلم أزل اقطع العظم جزءا جزءا وأروم جبره فلا ينجبر حتى قطعت من العظام نحواً من شبر وأخرجته بمخه ، ثم جبرته بالادوية فالتحم سريعا وبرأ . وانما وجب هذا التكرار في

عمله وشقه لحالة ضعف العليل ، وقلة احتماله وخوفه عليه من الموت ،
لانه كان يحدث له فى كل الاوقات من افراط الاستفراغ غشى ردىء
فبرأ براء تاما ، وثبت فى موضع العظم لحم صلب وصلحت حاله فى
جسمه ، وتراجعت قوته ، وتصرف فى احواله ، ولم تعرض فى المشى
آفة البتة .

الفقرة - 13 -

ليالى العرب

قصة الجارية « تودد » فى الليلة الموفية للخمسين بعد الاربعمئة
من ليالى ألف ليلة وليلة . « قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن
الجارية لما قال لها الطبيب اخبرينى عن هيكل العظام ، قالت هو يؤلف
من مائتين وأربعين عظما وينقسم الى ثلاثة أقسام ، رأس وجذع
وأطراف ، أما الرأس فتنقسم الى جمجمة ووجه فالجمجمة مركبة من
ثمانية عظام ويضاف اليها عظيمات السمع الاربعة ، والوجه ينقسم
الى فك علوى وفك سفلى فالعلوى يشمل على احدى عشر عظما والسفلى
عظم واحد ويضاف اليه الاسنان وهى اثنان وثلاثون سنا وكذا
العظم اللامى ، وأما الجذع فينقسم الى سلسلة فقارية وصدر وحوض
فالسلسلة مركبة من أربعة وعشرين عظما تسمى الفقار والصدر
مركب من الفص والاضلاع التى هى أربع وعشرون ضلعا فى كل
جانب اثنتا عشرة ، والحوض مركب من العظمين الحرقيين والعجز
والعصص ، وأما الاطراف فتنقسم الى طرفين علويين وطرفين سفليين
فالعلويان ينقسم كل منهما أولا الى منكب مركب من الكتف والترقوة
وثانيا الى عضد وهو عظم واحد وثالثا الى ساعد مركب من عظمين
هما الكعبرة والزند ورابعا الى كف ينقسم الى رسغ ومشط وأصابع
فالرسغ مركب من ثمانية عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل
على أربعة عظام والمشط يشتمل على خمسة عظام والأصابع عدتها
خمس كل منها مركب من ثلاثة عظام تسمى السلاميات الا الابهام
فانها مركبة من اثنين فقط والطرفان السفليان ينقسم كل منهما
أولا الى فخذ وهو عظم واحد وثانيا الى ساق مركب من ثلاثة عظام

القصبية والشظية والرضفة وثالثا الى قدم ينقسم كالکف الى رسغ ومشط وأصابع فالرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفيين الاول فيه عظامان والثاني فيه خمسة والمشط مركب من خمسة عظام والاصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاث سلاميات الا الابهام فمن سلاميين فقط . قال : أحسنت . . . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح » .

مراجع

أبو القاسم الزهراوى :

أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى الاندلسى (توفى سنة خمسمائة هجرية : « التصريف لمن عجز عن التأليف طبع تحت ادارة المكنى بأبى الحسنات قطب الدين أحمد سنة 1336 هـ (1890 م) فى المطبع النامى الكائن ببلدة لكنؤ - محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة (طب 1035) » .

ليالى العرب :

ألف ليلة وليلة الربع الثانى ص 513 و 514 - طبعة وليم حى مكناطن سكرتير الدولة الانجليزية فى الممالك الهندية سنة 1839 .
نقلا عن نسخة كتبت بالديار المصرية (محفوظ بمكتبة جامعة الاسكندرية تحت رقم 15211) .

ابن سينا :

أبو على الحسين بن سينا (980 - 1030 م) القانون فى الطب طبع فى مصر نقلا عن نسخة اصلية مخطوطة (محفوظ بمكتبة كلية الصيدلة بجامعة الاسكندرية) .

حسين م . ك (1951) :

الدكتور محمد كامل حسين (1951) متنوعات : تاريخ الطب عند العرب ص 163 - 190 بردى ادوين سميث ص 191 - 220 .
القاهرة مطبعة مصر .

سَطَّ الملتقى من خلال الصحافة

لاعطاء فكرة شاملة لدارس كتاب :

« الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى » عن صدق هذا الملتقى فى العالم وخاصة فى البلاد الاسلامية ، أدرجتنا هذا الباب : «الملتقى من خلال الصحافة» نستعرض فيه مقتطفات مما نشر عن الملتقى فى بعض ما اتصلنا به من جرائد ومجلات .

ولم نذكر فى هذا العرض الجرائد والمجلات التى اقتصرت على نشر المحاضرات والتوصيات.

المؤتمر الإسلامي

مجلة « الجيش » : (جويلية 1973)

– لسان المحافظة السياسية للجيش الوطني الشعبي –

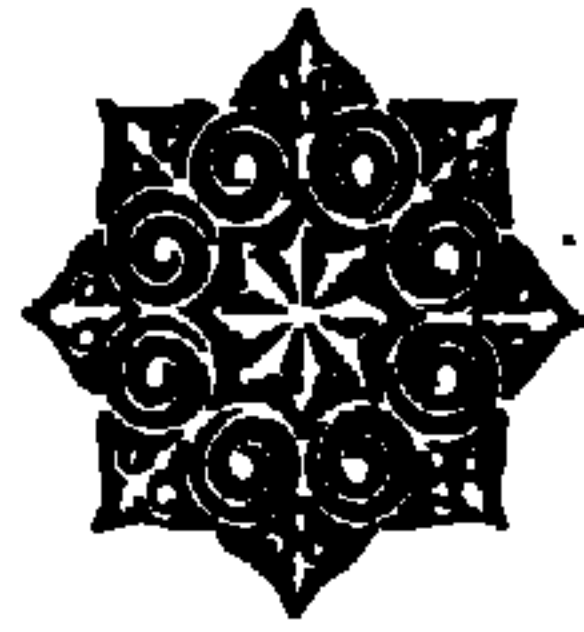
كتبت في تعليق لها عن الملتقى ما يلي :

دايت وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية على توجيه دعوة كل سنة الى رجال الفكر الاسلامى لعقد ملتقى فوق ارض الجزائر التى تعتر باسلامها ويعروبتها ، والتي استطاعت طيلة 132 سنة ان تحتفظ بهما رغم ما جنده المستعمر من الوسائل الجهنمية للنيل منها . . . وذلك لان ايمان الجزائر باسلامها وعروبتها كانا اصيلين . . .

وليس من السهل ان يلتقى رجال الفكر الاسلامى على ارض الجزائر لو لم تتوفر فيها الشروط لهذه الملتقيات . . . لانه من اليسير جدا ان تجمع الناس حول امر ما تؤمن به ايمانا عقائديا لا مجال للشك او التردد فيه . . . كما انه من الصعب جدا ان تجمع الناس حول ما لا تؤمن به ، وان صادف ووقع مرة فلن يكون اخرى . . . لذا نجد على مر الزمن الناجحين فى اعمالهم هم المؤمنون بما يدعون اليه . . .

وعقد مؤتمر اسلامى كل سنة كهذا منذ سبع سنوات على ارض
الجزائر له دلالة العميقة ، ومغزاه البعيد فى نفوس رجال الفكر
الاسلامى الذين يهتم امر المسلمين على المدى القريب والبعيد ..
ونعتقد انه لو لم يكن للوزارة المعنية غير هذا لكفاهما عملا ، اذ
استطاعت ان تجمع بين رجال الفكر الاسلامى وتهيء جو التقارب
والتعارف بينهم على اختلاف اجناسهم وبعد ديارهم .. وجعلهم
يتطرقون الى قضايا طالما كانت ابوابها موصدة فى وجه مفكرى
الاسلام ..

وكانت فرصة ثمينة للمتقنين الذين تتبعوا باهتمام اشغال الملتقى
السابع طيلة ايامه .. ولا اخالنا انه ما من احد فى غنى عن هذه
الملتقيات ..



قضايا وآراء... في المهلث السابع

تشرت مجلة « الجاهد »

(اللسان المركزى لجبهة التحرير الوطنى)

فى عددها 676 بتاريخ :

29 جمادى الثانية 1393 الموافق لـ 29 يوليو 1973

الآراء : اتضح لدينا من خلال اتصالننا بالعديد من الاساتذة والطلبة اثناء الاستراحة ، وخلف الكواليس ، ان هناك تفاوت ملحوظا فى الآراء ، يبلغ حد التناقض احيانا !

يقول الدكتور عبد القهار منكر عميد كلية الحقوق بالجامعة الاسلامية باندونيسيا : مما يسجل بالشكر للجزائر ، انها قررت المسافات بين المسلمين ، ثم يستدرك مبتسما : ولكن يبدو ان فلوسكم كثيرة ! فانتم تتحملون عبئا كان يجب ان تشارك فى حمله كل الدول الاسلامية !

اما الدكتور محمود قاسم العميد السابق لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة فيقول بان المناقشات تشعر بكبير الامل فى امكان العثور

على الحلول الايجابية لكثير من المشكلات المتصلة بالواقع الاجتماعى للمسلمين . وأخذ الدكتور قاسم على بعض المعقبين تطويلهم العمل واعتمادهم. الخطابة عوضا عن الاسلوب العلمى الهادى . وعلق الطالب الافريقى عبد الله أنجاي (جامبيا) على الملتقى بقوله : ان للملتقى هدفا ساميا هو التعريف بالفكر الاسلامى وهذا جهد تشكر الجزائر عليه ، وأتمنى أن تحنو الدول الاسلامية حنوها فيه ، وكنت أتمنى أن يفسح مجال أوسع لاسئلة الطلبة .

أما الشاعر الجزائري المعروف الاستاذ ممدى زكريا ، فقد انتقد الملتقى بقوله : أرى أن العروض الفقهية هي المهيمنة ، وأن هذه العروض تكرر لبعضها ! كما ألس أن هناك معركة خفية بين فقهاء السنة والشيعة !

ونوهت السيدة حبيبة البورقادي بهذا الملتقى فقالت : أننى معجبة بتنظيم الملتقى ، وخاصة الشعارات التى رفعها وعلى رأسها الشعار الرئيسى الذى يتصدر القاعة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) !

ونذهب الاستاذ عبد العزيز الحبابى الى انه مجرد اجتماع للشيوخ ! وأن المسائل المطروحة مما تجاوزه الزمن : وتسائل : هل الربا - مثلا - مشكل حقيقى حتى يستحق كل هذا الكلام ؟ !

هذا . . . وفى الايام الاخيرة اتصلنا بلغيف من ابنائنا الطلبة الذين عاشوا أياما مفيدة بقدر ما هي مضيئة ! وقد أجمعوا على أنهم جاءوا الى الملتقى بمعلومات ناقصة ومشوشة عن الاسلام وانهم سيعودون منه يفهم واضح شامل ، وايمان عميق راسخ !

وقبل أن نصل بمقالنا الى نهاية المطاف ، يجدر بنا ان نشير الى ان الايام الاخيرة تميزت بتكوين لجان خمس ، تعمل على صياغة القرارات والتوصيات فى مختلف المسائل المطروحة على بساط البحث . وما يسجل لادارة الملتقى بالتقدير أنها اشركت الطلبة فى هذه اللجان .

- عاطف يونس -

جولات ومحاضرات لبعض المشاركين في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

ونشرت جريدة « الشعب » اليومية التي تتبعت
نشاط الملتقى يوماً بيوم ، في عددها المؤرخ
في 26 جمادى الثانية 1393 الموافق لـ 26 يوليو
1973 ما يلي :

اثر اختتام الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي الذي
انعقد بمدينة تيزي وزو نظمت وزارة التعليم الاصلى والشؤون
الدينية جولات لعدد من الاساتذة المشاركين في الملتقى يقومون خلالها
بالتعرف على مناطق البلاد والوقوف على الاثار التاريخية والمنجزات
الحديثة في مختلف الميادين الثقافية والصناعية .

وسيلقى هؤلاء الاساتذة محاضرات ويعقدون ندوات في المدن
التي سيتوجهون اليها حسب الجدول التالي . .

الاستاذ مصطفى الزرقاء استاذ بكلية الشريعة في جامعة
الاردن ، يزور كلا من بجاية ، جيجل ، قسنطينة ، عنابة ، سوق
اهراس ، قالمة ، تبسة ، باتنة ، سطيف .

الاستاذ عثمان الكعك مؤرخ تونسي ، يزور كلا من القليعة ،
المدية ، شرشال ، الاصنام .

الدكتور محمود قاسم عميد كلية دار العلوم جامعة القاهرة
والدكتور توفيق الشاوي أستاذ بكلية الشريعة والحقوق بالملكة
الاستاذ محمد عبد الله عنان مؤرخ مصرى ، والاستاذ عمر عبد
الله من زنجيبار « تانزانيا » والاستاذة زينب الغزالى الجبيلى كاتبة
مصرية ، والاستاذ عز الدين العرادى ليبيا ، والاستاذ فى كل من
وهران وتلمسان .

الادبية المصرية زينب الغزالى فى غرب البلاد

تقوم الادبية المصرية السيدة « زينب الغزالى الجبيلى » بجولة
عبر الغرب الجزائرى ، ومن المعروف انها جاءت الى الجزائر
للمشاركة فى الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى الذى
انعقد مؤخرا بتيزى وزو تحت اشراف وزير التعليم الاصلى والشؤون
الدينية الاخ مولود قاسم .

وعلى هامش اعمال هذا الملتقى تقوم الادبية المصرية بجولة تزور
خلالها تلمسان حيث تلقى محاضرات الاولى بعنوان « واجب الامومة
فى الاسلام » بدار الحديث فى الساعة الخامسة مساء وتخصص
الثانية بالمركز الثقافى البلدى تحت عنوان « عقيدتنا نظام شامل
للحياة » .

ومن المقرر ان تصود السيدة زينب الغزالى الجبيلى اليوم الى
مدينة وهران حيث تلقى محاضرتين فى نفس المواضيع الاولى بالمركز
الثقافى الاسلامى بحي النطاح بمقر المفتشية فى الساعة الرابعة
بعد الظهر ، اما الثانية فستنظم بالنادى الثقافى لمدينة وهران نهج
ابن محرز الهرانى « نهج لورميل سابقا » .

د. عنان يحاضر اليوم فى تلمسان حول الاسلام فى الاندلس

اما الدكتور محمد عبد الله عنان المؤرخ المصرى فقد القى امس
محاضرة فى قاعة « دار الندوة » بتلمسان عالج فيها مرحلة مسن
تاريخ الاسلام فى الاندلس .

ويدون شك فان هذه التظاهرات الثقافية التى تجرى تحت اشراف
المفتشية الجهوية للتعليم الاصلى والشؤون الدينية ستجد اهتماما
كبيرا من طرف الجمهور .

وستلقى في نفس الاسبوع محاضرة ثانية حول « قيم الاسلام »
تنشطها الكاتبة المصرية زينب الغزالي الجبيلي التي حضرت هي
الآخري الملقى السابع حول الفكر الاسلامي بتيزي وزو .

الاستاذ عثمان الكعاك يحاضر بالمدينة

ومن جهته القى مساء امس الاول الاستاذ عثمان الكعاك المؤرخ
التونسي الشهير محاضرة قيمة بمسجد النور بالمدينة حضرها ممثلو
السلطات المحلية من بينهم رئيس الدائرة ورئيس المجلس الشعبي
البلدي وممثل الحزب والمفتشين الجهويين لوزارة التعليم الاصلى
والشؤون الدينية في كل من ولاية المدية والاصنام وتيارت وأعضاء
السلك الديني بالمدينة وجمع كبير من المواطنين والشباب .

وقد تطرق المحاضر في ندوته الى دور الحضارة الاسلامية في
بعث العلوم وتطويرها في مختلف مجالاتها ، واشعاع هذه الحضارة
على الغرب والدول الاوربية مشيرا الى ان العامل الاساسي في
اثراء هذه الحضارة يرجع اساسا الى الدين الاسلامي واللغة العربية
التي ساهمت بقسط وافر في بعث هذه الحضارة التي ما زالت دول
الغرب تقتبس منها .

ونشير الى ان زيارة الاستاذ الكعاك تدخل ضمن جولة سيقوم بها
عبر الوسط الجزائري وخاصة منها الاصنام وشرشال والقليلة وتنس
حيث سيلقى عدة محاضرات وندوات ثقافية بطلب من وزارة التعليم
الاصلى والشؤون الدينية .

حول قضايا هامة على هامش الملتقى

« المجاهد » عد 677

6 رجب 1393 الموافق لـ 5 أوت 1973

أجرى مبعوث « المجاهد » استجواباً مع السيد مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية نوره فيما يلي :

لقد ترددت طويلاً قبل أن اتقدم الى الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، بطلب هذه المقابلة ٠٠ فقد كنت لاحظت عن كثب مبلغ الجهد المتصل ، الذى يبذله داخل الملتقى وخارجه ٠٠ كما كنت المس بوضوح ذلك الارهاق الذى حرص الاخ الوزير على اخفائه والسيطرة عليه !

كان الرجل دائماً فى مقدمة الداخلين الى القاعة ، وفى الفوج الاخير من مغادريها !! ولم يكن انتهاء الجلسات فى ساعة متأخرة من الليل يعنى أن اشغاله قد انتهت ، وأن وقت راحته قد حان ! فقد كان اذا أفلت من تلفون الطوارئ يتوجه من فوره الى احدى الثانويات ، حيث يشرف بنفسه على المحاضرات الليلية التى كانت تلقى على الطلبة ، وتمتد الى ما بعد منتصف الليل أحياناً !!

وازاء هذه الحال .. شعرت بان الذوق يقتضي العدول عن
المقابلة ، غير ان هذا الشعور عجز في النهاية عن الصمود امام
الحاح المهنة واصرارها !

– المجاهد : اعلنتم امام الملقى عن مشروعين جديدين : الجامعة
الاسلامية ، وقانون الاسرة في الجزائر .. فهل لكم ان تعطونا
مزيدا من التفاصيل حول هذين المشروعين ؟

– الاخ الوزير : اعلن الرئيس عن انشاء الجامعة الاسلامية في
الخطاب الذي القاه بجامع عقبة بن نافع في القيروان ، اثناء زيارته
الرسمية لتونس .

والنواة الاولى لهذه الجامعة متقدمة في البناء ، وقد زار الاخ
الرئيس ورشة العمل بمناسبة انعقاد مجلس الوزراء مؤخرًا في
قسنطينة . وستكون هذه الجامعة كاملة الكليات ، شاملة لجميع
انحاء البلاد .. من سوق اهراس الى مغنية . كما انها ستكون على
غرار الجامعات الحديثة ، فلا تقتصر على الكليات
التقليدية بل تضم كافة الكليات النظرية والعملية . وعلى
سبيل المثال ، فان دارس الطب سيتلقاه بالعريضة اولا ، ثم
ياخذ نفس المادة التي يأخذها زميله في سائر كليات الطب . وفضلا
عن ذلك ، فانه سيدرس تاريخ الطب في الحضارة الاسلامية ، ويتزود
باخلاقيات الطبيب من وجهة نظر اسلامية .

وياختصار فان مهمة هذه الجامعة هي تكوين الطبيب او المهندس
او الصيدلي .. تكوينا مهنيا وروحيا وتربويا .

اما بالنسبة لقانون الاسرة ، فقد عرض مشروعه على اللجنة
الوطنية الاستشارية ، ومثل وزارة التعليم الاصلى في المرحلة الاخيرة
من المشروع نحو عشرة اشخاص . وقد تبادلنا وجهات النظر مع
وزارة العدل في بعض النقاط ، فاقترحنا بضعة تعديلات او اضافات .

وبديهى ان الغاية من هذا المشروع هي التوفيق بين القانون المدني
المعمول به قديما ، وبين مصادر الشريعة الاسلامية ، ومكونات
شخصية امتنا ، ومقتضيات مجتمعنا الحالي .

– المجاهد : ما هي في رأيكم الوسائل الكفيلة بانقاذ النشء من
خطر التبشير في الداخل ، وخطر النويان في الخارج ؟

– الوزير : اولا التربية في الاسرة ، وحرص الاسرة بالدرجة

الاولى ، وعدم التفريط في واجباتها .. ثانيا : المدرسة . ثالثا :
الاجهزة المختصة بالدولة .

ومن جثتنا ، فقد نبهنا مرارا رجال الدين المسيحي في الجزائر
وخارجها ، ممن زارونا أو استدعيناهم ، وحذرناهم من الاستمرار في
تشويش أذهان أبنائنا والنيل من تماسك اسرتنا ووحدة امتنا .

وما يقال عن شبابنا في الداخل ، يقال عنهم في الخارج ، من
حيث ضرورة استمرار الرعاية من طرف الدولة والمنظمات الفرعية
في اجهزتها .

وبخصوص أبناء جالياتنا في أوروبا ، فاننا نعتقد أن المؤسسة
الثقافية التربوية التي اعلن الرئيس بومدين عن تأسيسها بمناسبة
الاجتماع الخاص بالهجرة ، الذي انعقد بالجزائر منذ بضعة اشهر ،
الى جانب مفتشية وزارة التعليم الاصلى التي صادق مجلس الثورة
والحكومة على اقامتها في أوروبا .. نعتقد بأن هاتين المؤسستين
ستلعبان دورا كبيرا بالتعاون والتنسيق مع سفاراتنا وقنصلياتنا
والودادية .

ونرجو أن تقابل جهودنا في هذا الصدد بحسن التفهم من قبل
سلطات الاقطار الاوروبية التي يتواجد لنا فيها جاليات .. ليكون
شباب الهجرة مؤقتا جسرا بشريا - اذا جاز التعبير - ريثما يعودون
الى بلادهم نهائيا .

- المجاهد : قلتم بأن بعض الذين يسلمون من الاجانب يهدفون
الى تخريب الاسلام من الداخل .. فكيف توضحون ذلك ؟

- الاخ الوزير : هنا يكفي ان اذكركم مثلا واحدا مستمدا من
تجارب الماضي .. وهو أن « ليون روش » الذي كان وزيرا مفوضا
في وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية ، في القرن الماضي ، قدم
الى الجزائر ليسلم وينضم الى الامير عبد القادر ويكون كاتبه
الخاص ! وبعد أن اطلع على جميع اسراره ، وعرف العشائر
والمواقع في جميع انحاء البلاد ، فر منه وانضم الى الجيش الفرنسي
وأصبح أمين سر للجنرال بيجو . وقد قام بمهام في عدة بلدان عربية
اسلامية ليؤلبها على الجزائر ، كما نجح في تأليب بعض العشائر
في جنوب البلاد على الامير عبد القادر ، مما ساعد على دفعه الى
اليأس وتسليم نفسه بعد سبعة عشر عاما من الكفاح المرير .

ثم ان « ليون روش » بعد عودته الى فرنسا الف كتابا في ثلاثة اجزاء تحت عنوان : « 30 سنة في الاسلام » وهو حافل بالسخرية منا والاستهزاء بنا وبخفلتنا وسذاجتنا !

ان عددا كبيرا ممن يسلمون اليوم ، انما يسلمون لحاجة في نفس يعقوب ! ويصدق على هؤلاء حديث شريف حول الذهاب الى الحج « لامرأة ينكحها أو تجارة يصيبها » !

وبالفعل .. فان منهم من يتزوجون بجزائريات (بعد الامر الواقع) ! ومنهم من يتسللون في الاوساط لاعتبارات أخرى لا محل لذكرها هنا ! ونحن نعرف ان الشيء ذاته قد حدث في كثير من البلدان العربية .

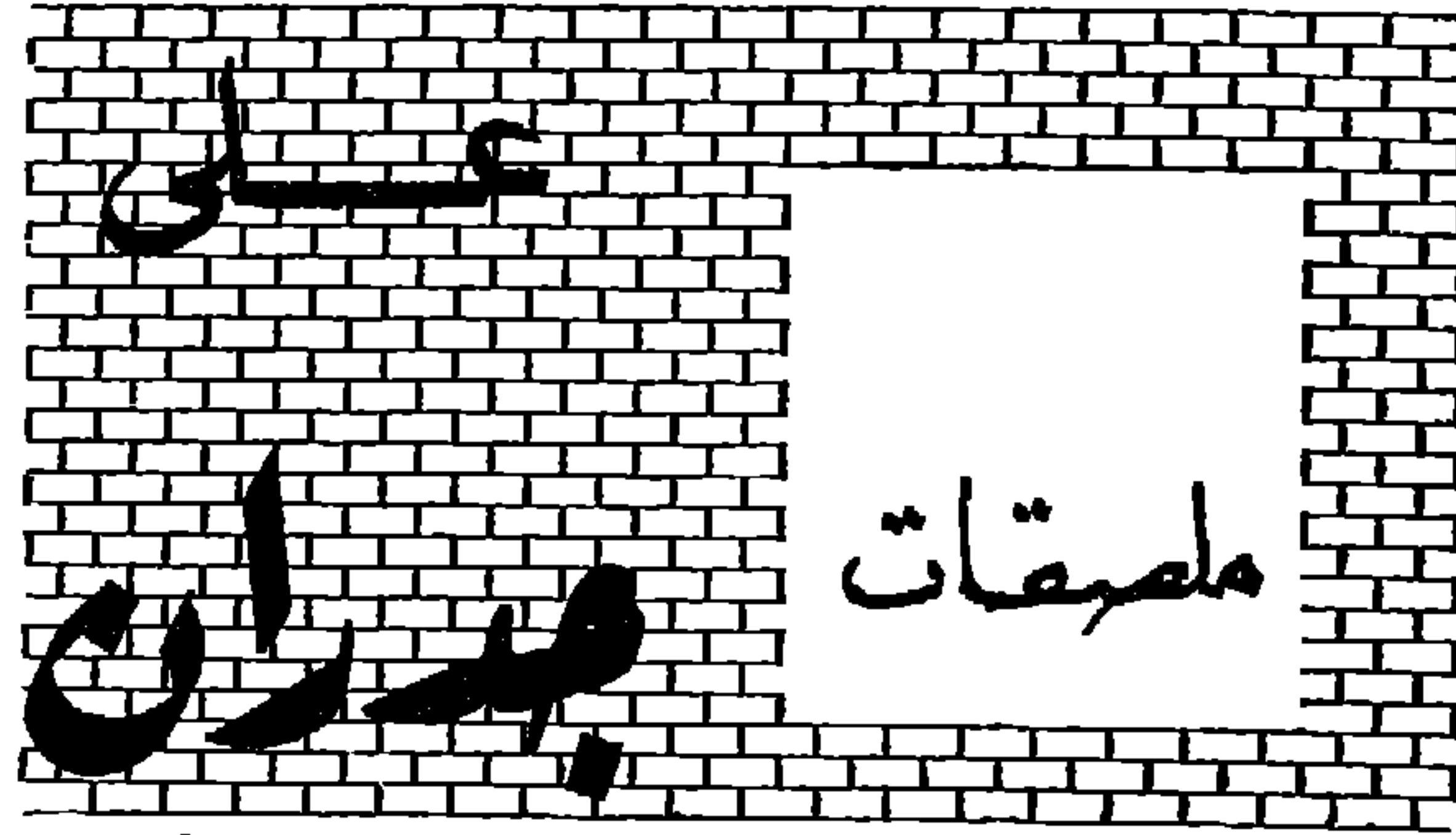
– المجاهد : كيف تفسرون غياب بعض الجهات عن هذا الملتقى ؟

– الوزير : هناك بلد عربي واحد تغيب ، وفي اعتقادنا ان ذلك عائد الى فهمه الخاطيء للتقدم والتقدمية !

– المجاهد : على ضوء الملتقى الحالي وما سبقه من ملتقيات الفكر الاسلامي .. هل ترون ان حجم الفائدة يشجع على استمرار الجزائر في احتضانها كل سنة ؟

– السيد الوزير : من وحي تجربة الملتقيات الاربعة الاخيرة في كل من قسنطينة ، وهران ، الجزائر ، تيزي وزو .. لا نستطيع الا ان نوكد على ضرورة استمرار هذه الملتقيات رغم ما تأخذه منا من جهد طيلة نصف سنة على الاقل ! اذ ان النتيجة تبرر هذا التعب .

وما عليكم الا ان تنظروا الى اقبال المترشحين الذين لا نستطيع – غالبا – ان نقبل منهم الا اقل من النصف ، نظرا لضيق قاعات الاجتماعات ، فحتى قاعة قصر الامم لم تكفينا في السنة الماضية ! وقد رايتم بنفسكم جو الملتقى هنا ، من حيث حرص هؤلاء الطلبة على الاستفادة ، وكذلك اهتمام الاساتذة من سائر انحاء العالم الاسلامي بالمشاركة في هذا الملتقى الذي يجد امتداده في أجهزة الاعلام ، فتصل فائده الى جالياتنا في أوروبا ، والى اقاصى افريقيا .. اضيف الى ذلك الكتاب الذي يصدر اثر كل ملتقى ، ويشتمل على جوانب من حياة الامة والذي تتنوع مواضيعه ، فتتناول كل سنة بضعة جوانب من حياة الامة الجزائرية ، وحياة الامة الاسلامية على العموم .



الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

كما نشرت مجلة « المجاهد » الأسبوعية في عددها 677

المؤرخ في 6 رجب 1393 الموافق لـ 5 أوت 1973

التعليق التالي :

كنت فيما كتبته عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ،
أبان انعقاده ، حريصا على ان أقدم لقارئنا الاعزاء خلاصة دقيقة
وأمانة لأهم ما قدم فيه من عروض وتعقيبات ٠٠ وبتعبير صحفى
محض ، فقد حرصت على تغطية الملتقى دون تدخل !

وهكذا ، فقد خلا الموضوعان السابقان الا مما لم ار بدا ! وما
ذلك الا لاننى رأيت من غير الحكمة أن اصف الجنين قبل الاكتمال ،
وان أسميه قبل الوضع !

كما اننى من جهة ثانية - خشيت أن يفسر تدخلى قبل الاوان باننى
أتيت الملتقى بموقف جاهز ٠٠ وكل من يعرف للحرف قدسيته ،
وللمهنة اصولها واعتباراتها ، لا يمكن أن يقر منطق المواقف
الجاهزة !

وارضاء للحق أبدا بالقول : ان الجهود التى بذلتها وزارة التعليم
الاصلى ، والسلطات المحلية لمدينة تيزى وزو تفوق كل التقديرات
المسبقة !

فهذا العدد الهائل من المشاركين أساتذة ، وطلبة ، وصحفيين ..
لم تكن استضافته امرا هينا علي هذه المدينة الصغيرة ، المحدودة
الامكانيات . ومع ذلك فقد كانت الضيافة حاتمية بالفعل ولقد بدا
سكان المدينة كما لو كانوا جميعا مجندين لانجاح الملتقى ، وتوفير
كل اسباب الراحة للملتقين .

اما بالنسبة للادارة ، فلا اعدو الحقيقة اذا قلت بان فروعها
العديدة كانت طيلة انعقاد الملتقى خلايا نحل تعمل ليل نهار ، ودون
كلل او ارتخاء والحقيقة ان كافة جنود الادارة بذلوا جهودا مضنية ،
واخص بالذكر الاستاذ عبد المجيد شريف ، اما الاخ الوزير فحدث
عنه ولا حرج !

ومن ابرز الجوانب التنظيمية التي حظيت باعجاب الكثيرين ..
تلك اللافتات والشعارات الرائعة ، الذكية الاختيار ، التي ازدانت بها
تيزي وزو اجواء ، وجدراننا ، وواجهات ، اصف اليها تلك الجو
الاسلامي النقي الذي تميزت به المدينة على امتداد اسبوعين .. اذ
خلت المنطقة تماما من المسكرات ، وكل أدوات الفساد ومظاهره !

ومن الايجابيات العديدة التي امتاز بها تنظيم هذا الملتقى ، تلك
العناية الملحوظة التي خص بها ابناءؤنا الطلبة فقد فسح المجال
امامهم للاشتراك في المناقشات واللجان ، وتركت لهم حرية اختيار
الاستاذ الذي يحاضرهم في اماكن اقامتهم بعد الجلسات .

اما الرحلات السياحية ، فهي - بحق - من انكى ما تضمنه
برنامج الملتقى اذ انها اتاحت للاساتذة والطلبة فرصة التعرف على
بعض المعالم التاريخية ، والمناطق السياحية الخلابة كما ان لقاء هذا
الجمع من المسلمين بالمواطنين على قمم الجبال ، وتناولهم الغداء
عند العائلات ، من شأنه ان يذيب القواصل والمسافات ، ويمتن
الاواصر بين الاشقاء ومن شأنه ايضا - وهو الاعم - ان يعكر صفو
المبشرين ، ويشعرهم بانهم ليسوا بعيدين عن الاعين ، وان الميدان
لم يعد خاليا لحمدان !! وكم كان رائعا لو استغلت هذه الرحلات
لاهداف اكثر عملية واعمق اثرا !

التطوع والإسلام

زار سماحة الامام موسى الصدر اثر انتهائه من اشغال الملتقى ،
ورشات التطوع وقيل مغادرته للجزائر نشر سماحة الامام الكلمة
التالية للشباب الجزائري المتطوع في مختلف ميادين البناء والتعمير .

ايتها الشبيبة المتطوعة :

لقد وقفت امام حركتكم التطوعية خلال رحلتى الى الجزائر البطلة
بانتمباه واحترام ، فشعرت ان هذه الحركة تزرع فى القلوب بنور الامل
الكبير .

لم اقصد بهذه الكلمة تشجيعكم ، فقد لاحظت مقابلتكم مع الرئيس
القائد بومدين ، فشاهدت الاندفاع ، ولمست الحماس .

ولكنى احببت فى كلمة وداعية ان احدثكم عن انطباعاتى عن
عملكم ، وان ارسم لكم ابعاده وامتداداته ، املا منى بان اكون قد
ساهمت فيه متطوعا مساهمة متواضعة .

ايها الشباب المتطوع

ان عملكم التطوعى هذا يتجاوز فى ابعاده بناء القرية ومساعدة الفلاح وحتى تطوير الزراعة فى البلاد بشكل ثورى .

بل انه فى الوقت بداية صنع انسان وخلق مواطن ، وصناعة امة ان المحنة الكبرى فى حياة الانسان ، منذ ان كان ، انه كان يعيش لنفسه ، يحس بمصالحه الخاصة ، يتحرك لكى يبنى ذاته ، ويشبع انايياته ، وبالتعبير القرانى : « اتخذ الهه هواه » فعبد نفسه .

وجاء الانبياء وجاء المصلحون وقادة الامم يحاولون بشتى الوسائل ان يوسعوا دائرته احساسه وتحركه ، ويشعروه بالام الآخرين وآمالهم ، ذلك لكى يسعى لبناء مجتمعه الذى ينمو باستمرار فيسعد ويسعد .

ان الدين هو هذا السلوك ، اى التحول من عبادة الذات الى عبادة الله ، وفضل عباداته خدمة خلقه والاسلام فى كافة تعامله ، فى ثقافته وعقائده ، فى واجباته واخلاقه ، يرسم تفاصيل هذا التحول العميق .

القرآن الكريم يؤكد ان اساس التقوى ، بعد الايمان بالله وبعد ترسيخ هذا الايمان بالصلوة ، هو اشراك الآخرين فيما وهبه الله للانسان من مال ، او جاه ، او طاقة او علم وخبرة (I) وهذا كله يتلخص فى كلمة التطوع .

ان رسولنا العظيم يعتبر هذا التطوع فى حديث له هو الطريق الى الجنة (2) كما انه ينفى الايمان عن الذين يتنكرون لآلام الآخرين ولا يتحركون لخدمتهم (3) .

(I) قرآن كريم : سورة البقرة آية 2 .

(2) حديث شريف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه : « هل ادلكم على طريق الجنة ؟ قالوا : نعم . قال : « انفقوا مما انفق الله عليكم » .

(3) حديث شريف : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره جائعا ، القرآن الكريم - سورة - الماعون - « رأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » .

ايها الشباب المتطوع :

ان عملكم التطوعي هذا له بعدان ، فهو يبعده الخارجى يعمر الارض ، ويبنى القرية ، ويرفع مستوى الحياة لدى المزارع ، ويقوى الوطن والامة .

وفى بعده الداخلى والنفسى بينى ويعمر انسانا جديدا ، كبيرا فى تحسسه وتفكيره ، واسعا فى اهتماماته ومسؤولياته ، فتقدمون بذلك من انفسكم اناسا ومواطنين لرفع مستوى وطنكم وامتكم .

انكم باتجاهكم نحو القرية ونحو توسعة الذات تتحركون بعكس اتجاه العالم اليوم ، فانه بشرقه وغربه يتحرك نحو المدينة ونحو تضيق الذات يعمق الانانيات ، ويرسخ المنافع الذاتية .
انكم تحولون انفسكم الى امة واحدة ، والعالم يحول الامة الى فئات وافراد ، ويضع لكل منها ولكل منهم اطارا صلبا .

انكم تتحدون العصر ، وكم فى تاريخ الجزائر من تحديات ومعجزات !

ايها الشباب المتطوع :

هذه رؤيتنا لعلمكم ، بل ان هذه رؤية الاسلام ، ورؤية التاريخ لكم ، فسيروا على بركة الله ، وقدسوا عملكم .

ان عملكم التطوعي ايها الاعزاء بداية لاشرف انواع الثورات الذى يرفض التقلص والانانية ، ويتنكر لعبادة الذات ، مستقبل مفتوح يعبد فيه الله رب العالمين ، ويخدم فيه الانسان كل انسان .

ان عملكم التطوعي ايها الاعزاء بداية لأرشف انواع الثورات المعاصرة ، وأكثرها شمولا وانسانية ، انها ثورة على النفس وعلى الغير ، ثورة على كل انحراف وتخلف ، انها الجهاد . فالى الجهاد فى أرض الجهاد ، يا ابناء المجاهدين .

في رحاب الملتقى السابع ..

نشرت مجلة « دعوة الحق » الصادرة عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بالملكة المغربية في عددها الثاني من السنة 16 - المؤرخ في رمضان 1393 - اكتوبر 1973 - افتتاحية لرئيس تحريرها الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله تحت عنوان :

« في رحاب الملتقى السابع »

تقطف منه ما يلي :

في مدينة « تيزي وزو » من القطر الجزائري الشقيق التي تأنقت فيها يد الطبيعة ، وتألقت بها قدرة الله ، وازدانت جنباتها بالحدائق الغلب ، وتفيات الدوح الباسق ، والشجر الوريث ، فطفحت بالبركة والخير ، وقاضت بالامل والنعيم ، وربضت على عيون وكنوز ومقام كريم ، ما يملأ الخيال بالتأمل الحالم ، والذهن بالتفكير الرفيع ، والشعور بالطرب المنعش ، والوجدان بالفرح الباسط ...

وفي احضان جبال جرجرة الشامقة ، وقممها السامقة التي تناغى السحاب وتحمل قممها اسم للا خديجة ام البطلة المناضلة فاطمة « نسومر » التي ايقظت بنضالها وتضحياتها وبسالتها وعى الامة الجزائرية في القبائل الكبرى ، واوقدت نار الثورة ، وقادت كتائب الجهاد ، وكافحت الجيش المعتدى الذي كان يقوده سبع جنرالات على رأسهم الحاكم العمام الفرنسي في الجزائر المارشال راندون الذي عمل ، في مكر وخبث ، على اذلال الامة الجزائرية الصابرة ،

فوق نهضتها ، وفرق كلمتها ، وبدد ثروتها ، فجرعته مر العذاب ،
وعلقم الاوصاب فى ثورة عارمة زلزلت اقدامه ، وهزت اركانه ، واتت
بنيانه من القواعد ، واخذته ، فى قوة وضراوة واستماتة ، اخذة
رايية ٠٠ !

وفى رعاية الحكومة الجزائرية المسلمة ، وحفاوة علمائها
الملتزمين الاوفياء الذين فكروا فى تحضير مؤتمر اسلامى جامع
يرمى الى تحقيق غاية واحدة يهتدى اليها من ضل ، ويتوافق عليها
من تأخر ، وعناية شبابها المثوب الذين فاضت فى نفوسهم الحياة
وزخرت فى صدورهم القوة ، وانتعشت بهم الامال فاسترجعوا المجد
الذاهب ، واستردوا الحق المغصوب ، واجلوا عن وجه بلادهم الوسيم
القسيم غيرة القرون ، ونلة الاحداث ، وعنجهية الدخيل فاضفوا
على الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى روحا وثابا ، وابعادا
جديدة حيث نزلوا الى ميدان الملتقى جنودا متطوعين وعمالا
متواضعين يهيئون الجو الملائم المنعش لنجاح الملتقى ، ويؤكدون
حضورهم بانهم يشقون طريقهم القاصد لانقاذ بلادهم العظيم الراقى
من احتلال فكرى قاهر ، شديد الخطر ، قبيح الاثر خلفه اجنبى واغل
طغى بيده ، وبغى بلسانه وكفر بالقيم الانسانية ، والمثل العليا ٠٠٠

فى هذه الاجواء العبيقة ، والظروف المواتية احتضنت مدينة
« تيزى وزو » فى الصيف الماضى الملتقى السابع للتعرف على الفكر
الاسلامى بمشاركة وفود جاءت من شتى الجهات ومختلف انحاء
العالم الاسلامى تضم نخبة من الباحثين والمفكرين فى القضايا
الاسلامية المتنوعة .

وانعقاد هذا الملتقى الاسلامى فى القطر الجزائرى الشقيق وفى
كل سنة له دلالة وابعاد ٠٠٠ فالجزائر الاسلامية ظلت طيلة ثلاثة
عشر قرنا متمسكة بمبادئ الاسلام ومثله العليا ، وقيمه الخالدة
تحميا وتنود عنها ، وتعمل لها ، وتدعو اليها فى ظروف عسيرة
قاتمة الافق ، حالكة السواد ، كما شاركت بصفة خاصة فى بناء
الحضارة الاسلامية فى هذه المنطقة من العالم الاسلامى فكانت الدرع
الواقى التى تحطمت على صفاته كل موجات الغزو التبشيري
التخريبي الذى قام به ابالسنة الانس ، وسماسة القلوب ، وشياطين
الضماير .

وفكرة الملتقى الاسلامى ، كما هو معلوم ، عبارة عن لقاء يضم

عدة وفود من البلدان العربية والاسلامية تضم نخبة ممتازة من العلماء والمفكرين والاساتذة والشخصيات الاسلامية والاجنبية تقوم بادوار هامة في انحاء الوطن الاسلامي ، وتعكف على معالجة جوانب من حياة الامة الاسلامية ، والكشف عن مآثر الفكر الاسلامي المبدع الخلاق ، ودوره البارز في اثناء الحضارة الانسانية ، واخراج بني البشر من ظلمات الجهل والفساد الى رحاب العلم وحياة العدل والامن والاستقرار ...

وفي هذا الملتقى ، الذي يتميز بالجدية والارتفاع الى مستوى المسؤوليات ، يجرى الحوار الهادف حول مجموعة من المسائل التي تهم الشعوب الاسلامية في مجالات مختلفة وقضايا متنوعة .

وقد انعقدت اجتماعات ومجالس بين علماء مسلمين في مناسبات عدة ، وفي عواصم مختلفة من عالمنا الاسلامي الاوسع الرحيب ، ولكن لأول مرة في العصر الحديث تحركت في الجماعة الاسلامية حوار السمو ، ونوازع الكمال ، وانبعثت رواقد الاماني ، فاجتمع في القطر الجزائري ، وفي « تيزي وزو » مدينة ابن معطي صاحب الالفية ، رجال من سائر المذاهب الاسلامية في صعيد واحد ، وفي ايمان صادق ، ويقين واثق ونية خالصة لتجديد ما درس من مفهوم الاسلام ، وتوضيح ما التبس فيه ، ونفى ما غشيه من اضمال النحل واباطيل القرون وترهات علماء السوء ، وتبادل وجهات الراي حول المصير الواحد والقراية الواشجة ، واللغة الواحدة والوطن المشاع حتى يعيدوا للاسلام جديته وللامة الاسلامية منزلتها من صدر الحياة ومكانتها من قيادة الناس ...

فقد تلاقى في مدينة « تيزي وزو » السادة المالكية والزيدية والشيعة والاباضية والحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية ، وعلماء الدين من كل مكان ، انسلخوا من جمود المذهبية ، وتحلوا من عقد التسامي والاستعلاء ، ونفروا من كل فرقة ليتفقهوا في الدين وليبنروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون .

وفي هذا الملتقى الاسلامي الرائع الضخم الذي حضره ما يربو على الفى طالب نسلوا اليه من كل جهات العالم الاسلامي ، سادت الفكرة الاسلامية التي يحس المسلم معها ان اخوانه سواسية ، متفقون في الشعور ، متحدون في الوجة ، متعاطفون في المكروه ، متناصرون في الشدة ، فلا يتناهبون بالمذهب ، ولا يتنافرون في

الوجهة ولا يتعادون في الخلاف ٠٠ فيقولون هذا سني ، وهذا شيعي وهذا درزي ، وهذا اسماعيلي ٠٠٠ وأنه ليس لمسلم فضل على مسلم الا بالتقوى ، وان الوحدة الاسلامية هي التي حررت اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، وعقيدة التوحيد هي نواة الاصلاح ونقطة التحول التي تملك غرس الوئام في النفوس وقرار السلام في العالم ، فلا تبقى معنى للنعرات المذهبية التي طالما غرسها الاستعمار ، وعمق جذورها في الارض وبتها في نفوس المذبذبين تحقيقا لمطامعه واغراضه وشهواته فكانت في تاريخنا الحافل بالاحداث والعبء علة العلل في انتشار الامر ، وانحلال العقدة ، وانقسام الرأي وانشقاق العصا وتعدد الدول التي تتقاطع في الدين وتتجافى في الدنيا وتتطاحن على الاغراض والشهوات .

ويكفي أن نشير الى جدول أعمال الملتقى الذي عكفنا على دراسة موضوعاته الهامة أيام المؤتمر طرفى النهار وزلفا من الليل لنذكر الاهداف والغايات التي ترمى الى تحقيق فكرة الجماعة الاسلامية المنشودة التي هي الغاية المحتومة التي تتوافق عندها أمم الاسلام في يوم آت لا ريب فيه ، لانها تتضمن نظاما الهيا أجدر النظم بكرامة الانسان يقوم أساسه على الاخاء في الروح ، والمساواة في الحق والتعاون على الخير لتكون كلمة الله هي العليا ، وعقيدته هي الوثقى ، ودينه هو الصحيح ، ودولته هي القائمة ، وحزبه هو الغالب . . .

وبعد استعراض نقاط الملتقى استمرت المجلة الشقيقة :
تلك هي المواضيع التي أدرجت للدراسة في جدول أعمال الملتقى ، ووقفت في اختيارها وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية في الحكومة الجزائرية الشقيقة ، وهي في ذات الوقت مواضيع جدي هامة في الظروف الحاضرة لانها تمس حياة الاسلام ، وأوضاع المسلمين ، وواقع تشريعهم في حاضر العالم الاسلامي ، وتتناول ، أيضا ، أخطار العزلة القاتلة ، والاندماج الذي يتعرض له أبناء الجاليات الاسلامية في الهجرة ، وواجب الدول الاسلامية نحوهم ، وتستحث العلماء ودعاة التجديد الى أن يصدعوا بالحق ، ويبينوا للناس ما نزل اليهم ، ويكشفوا حقائق الاسلام ، كما انزلها الله سبحانه وتعالى ، بالتوجيه المرشد ، والتنبيه الموقظ ، لمن اعمتهم الضلالة ودفعتهم شهوة الاباحية ، وجهلهم التام ، وعلمهم الناقص ورأيهم الفطير الى أن يشترروا الضلالة بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويؤثروا ان يكونوا كالذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تاكل الانعام . . .

ولاية تيزي وزو بالجرائد تخضع الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

نشرت جريدة « المسلم » المغربية

المؤرخة في 29 جمادى 2 - 1393 هـ الموافق لـ 29 يوليو - 1973 م
انطباعات احد الطلبة الذين حضروا اشغال الملتقى في المقال التالي :
عاد الى المغرب ، الوفد الطلابي الذي حضر الملتقى السابع للتعرف
على الفكر الاسلامي الذي دابت الجزائر على تنظيمه منذ سنوات .
وقد وصلتنا من احد المشاركين الكلمة التالية حول الملتقى :

1 - لماذا ولاية تيزي وزو بالذات ؟

تشمل هذه الولاية معظم القبائل الكبرى ، او ما يسمى ببلاد زواوة
تمييزا لها عن القبائل الصغرى ، و قبائل الحدرية .
اما اهلها فينتمون الى العنصر البربري الذي اتخذ الاسلام ديننا ،
والعربية لسانا قوميا ، والبربرية لغة تخاطب و قنهم .
وان فرنسا لم تستطع ان تهيمن على بلاد القبائل ، لما عرف به
رجالها من صمود وشجاعة نادرة ، وعزيمة فولانية لا تقهر ، وان
ما قاله الجنرال مانوطو اكبر دليل على شهامة رجالها - كالثائر
الشهير الشريف بوبغلة ، والزعيمة المجاهدة للافاطمة نسومر - قال
مانوطو ما نصه : « ان الامة الجزائرية التي يوجد فيها مثل هذا
النوع من المقاتلين لا ينبغي ان نعتق ونشبهها بالهنود » ولم تشتهر

القبائل ببسالة رجالها فحسب بل بعلمائها ومفكرها وعلى رئاستهم
الشيخ المهدي الكسلاوي اليراقني .

واختيرت الولاية بالذات لأنها كانت مسوطن الرجال البيض ،
والقساوسة الذين كانوا يدعون الناس للتصير ، وشيدت بها أهم
الكنائس في المنطقة ، إلا أنها أصبحت في عهد الاستقلال مهد التشريع
الإسلامي وتحولت الكنائس إلى مساجد كبرى يذكر فيها اسم الله ،
وتعلو فيها كلمته الخالدة : الله أكبر الله أكبر .

اهداف الملتقى وإبعاده

في خضم هائل من الامواج الفكرية والايديولوجية الغربية التي
تغزو عالمنا الإسلامي اليوم سعيا وراء النيل منه - وخاصة الشباب -
نجد أن ديننا الحنيف ، وعقيدتنا السمحاء تقف أمام هذه الامواج
عقيدة خالدة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء لا تزعزع الهزات
العنيفة ، ولا الافكار الدخيلة ، ولا الايديولوجيات الموقوتة ، وتحت
شعار « ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

أبت الجزائر ايماننا منها بالله ايماننا يصل هذه الامة به صلة قوية
وثيقة قيدها بأسباب المكث على الارض والتمكين فيها لحراسة مبادئه
ونشر دينه بين الحرية والامن والعزة والسلام ، والوقوف في شمم
وأباء وقوة وصمود أمام كل معتد أثيم يريد أن ينال من هذه المبادئ ،
أو يقهر القائمين بها ، والناشرين لها . فكانت دعوة الجزائر إلى هذا
الملتقى الإسلامي أكبر من الاحداث وأقوى وأسمى والسمو والعلو
جعلها تستدعي جهابذة الفقه والقانون في العالم الإسلامي .
كالدكتور وصفي أبي مغلي (فلسطين) والدكتور عبد القهار مذكر
عميد كلية الحقوق ، جامعة جاكارتا ، والدكتور محمد الغزالي ،
واخته زينب الغزالي والاستاذ عثمان الكماك ، - مؤرخ تونس -
والاستاذ علال الفاسي ، والدكتور المهدي بن عيود ، والاستاذ
ابريس الكتاني ، ومن لف لفهم من علماء التشريع الإسلامي ، وفقهاء
المذاهب الفكرية في العالم العربي .

الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامى

نشرت جريدة « العلم » المغربية سلسلة من المقالات بقلم
السيدة حبيبة البورقادية تعرضت فيها الى كل ما دار فى الملتقى .

ونورد فى ما يلي المقال الافتتاحى الذى نشر فى العدد
المؤرخ فى 14 رجب 1393 هـ الموافق لـ 13 اوت 1973 م

من جبال « تيزى وزو » الشماء معقل البطولة والجهاد ، وموطن
القبائل الكبرى الأبيسة التى قاومت الاستعمار ببسالة طيلة مائة
وعشرين سنة ، فلم يستقر له قرار بهذه المعازل . معازل المجاهدين
الذين قاوموا الاستعمار دفاعا عن كلمة الله ، وتمسكا بشريعة
الاسلام السمحاء .

غابات من الارز الظليل ، وادغال كثيفة يتدفق بينها ماء الشلالات
الزلال . وكل موطن قدم يحكى قصصا من البطولة والكفاح تتزعمها

للا فاطمة نسومر وللا خديجة الى البطل عميروش رحمهم الله ، عهود
دظلمة ، وارض مضمخة بالدماء ، تعود بك الذكريات اليها • ذكريات
الاستعمار السوداء ، الاستعمار الفرنسي البغيض ، وعهود مشرقة
تبشر بمستقبل زاهر للجزائر الحديثة ، جزائر البناء والتشييد جزائر
البحث عن الذاتية ، والايمان بالوجود والشخصية ، قد تعترضها
مشاكل غير ان مرحلة الانتقال تقتضى ذلك ، فطريق البناء ليس مليئا
بالورود الغضة الناعمة بل تتخللها اشواك وطفيليات ليست على
عزيمة الامة الجزائرية بمنية ولا مستحيلة الاقتلاع •

نعم حظيت للمرة الثانية بحضور ملتقى التعرف على الفكر
الاسلامى بدعوة كريمة من البطل المجاهد وزير التعليم الاصلى
والشؤون الدينية فاحببت ان انقل لقراء جريدة «العلم» اهم ما راج
فى الملتقى المذكور الذى اعتبره مظهرة فكرية وعلمية تلفت انظار
الكثيرين منا ممن كيفتهم مدرسة التغريب تكييفا فتح هوة سحيقة
بين ابناء الوطن الواحد ، بل الاسرة الواحدة ، وجعل الكثير منهم
فى امس الحاجة الى الاطلاع على ثقافتهم الاصيلية ، وتدارسها ،
وخدمتها ، وربطها بعجلة العلوم العصرية ، واخضاع تلك العلوم
لروح الشريعة الاسلامية ونظمها السامية لتنعم البشرية السائرة
فى هذا السبيل بتوازن يحد من طغيان المادة وجموحها التى استعبدت
بنى البشر واستغلت التقدم العلمى لتدمير الانسان واذلاله •

حقا لقد استطاع الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى بما
حضره من خيرة علماء العالم الاسلامى الاجلاء ان يتدارس
الموضوعات المقترحة من طرف وزارة التعليم الاصلى والشؤون
الدينية ، فاثار هؤلاء العلماء فى دراساتهم المستفيضة كثيرا من
الجوانب التى تهتم المسلمين عامة وتمس قضاياهم فى الصميم •

حضر الملتقى من علماء المسلمين ما يزيد على المائتين من بينهم
خيرة علماء الجزائر • والشيخ ابو زهرة على رأس وفد كثير العدد
من مصر الشقيقة والشيخ مصطفى الزرقاء من الاردن والامام موسى
الصدر رئيس المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى ، من لبنان ، والدكتور
جعفر شهيدى استاذ بكلية الآداب بجامعة طهران والدكتور معروف
الدوالبي من الحجاز وغيرهم من اجلة علمائنا الاقذان الذين اعتذر
عن ذكر اسمائهم جميعا وهم هداتنا فى جاهلية القرن العشرين •

وقد كان من بين العلماء المدعوين الرئيس الاستاذ علال الفاسى الذى لم يحضر للأسف لأسباب صحية غير أنه بعث ببحثه القيم الذى كان موضوعه « نشاط التبشير ودوره الاستعماري التخريبي بالامس واليوم وما يجب القيام به ازاء هذا الخطر » . ولس المؤتمرين على مختلف المستويات - علماء وطلبة - الفراغ الهائل الذى خلفته شخصية الاستاذ علال الفاسى ، رغم الجهد المشكور ، بل الاطلاع الواسع الذى تجلى فى محاضراته والتي وزعت على نطاق واسع صبيحة اليوم المقرر لالقائها ، اتم الله عاقبته وأمد فى عمره حتى يتحقق للامة الاسلامية على يده وعلى يد خيرة المسلمين ما تصبو اليه. كما حضره من الطلبة والطالبات واغلبهم من جامعات الجزائر ما يعد بألف ومائتين وفيهم المغربي والتونسي والمالي والسينغالي والسوري واللبناني والتركي والباكستاني وبعض الممثلين للمنظمات الطلابية. وليتصور القراء الكرام الرصيد الهائل من البحوث الذى يمكن ان تكون نواة لكل دارس وباحث بل عالم يهتم بشؤون المسلمين وقضاياهم العامة .

رصيد ضخم يمكن لمسلمى العالم ان يستفيدوا منه استفادة كبيرة ان تدارسوه على مستوى الشعوب كل فى قطره .

- احدى عشرة محاضرة فى موضوع « روح الشريعة الاسلامية وواقع المسلمين اليوم » .

- محاضرة للدكتور عبد العزيز كامل « نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الدينية ووزير الاوقاف بمصر ومدير جامعة الكويت » حول الوحدة الاسلامية ومقترحات لارسائها .

- واخرى حول المؤامرات التى تتعرض لها هذه الوحدة .
- ست محاضرات عن التبشير والمبشرين فى العالم الاسلامى .
- محاضرة عن الاقليات الاسلامية وما يهدد معظمها من خطر الفناء .

- محاضرة حول الجاليات الاسلامية واخطار عزلتها واندفاعها فى المجتمعات غير الاسلامية .

- محاضرتان حول الاعلام ودوره فى تقويم او تعقيم الاجيال .
كل هذا فضلا عن التعقيبات التى تبرز اهمية المحاضرات نقدا وتمحيصا وتحبيذا بكل تجرد وموضوعية .

مجلس الامة الاسلامي والاعادة السبعة لدستوره

نشرت جريدة « الجمهورية » بتاريخ 3 اغسطس 1973
مقالا هو صدى لما درسه الملتقون حول النقطة الثانية للملتقى وما
دار حولها من تعقيبات ومناقشات (انظر ذلك في باب النقطة الثانية)
نورده في ما يلي :

لم يذهب نداؤنا صدى ، وبين لنا الحق ان كلمة الحق لا تضيق ..
وبعد عشرة اشهر بالضبط من ندائنا على صفحات « الجمهورية »
بعنوان « وحدوا المنظمات الاسلامية في تشكيل عالمي واحد » بدأ
مؤتمر الجزائر الاسلامي يضع هذا النداء على طريق الدعوة التنفيذية
.. فقد قرر هذا المؤتمر بالاجماع العمل على انشاء « مجلس الامة
الاسلامي » .. وكان لهذا القرار الذي يمكن ان يرقع الى مستوى
القرارات التاريخية قصة اعلنت عنها جريدة « الجمهورية » منذ
عشرة اشهر .

ففي التاسع من سبتمبر سنة 1972 افتتح في القاهرة المؤتمر
السابع لمجلس البحوث الاسلامية . وفي اليوم السابق عليه نشرت
« الجمهورية » بعنوان كبير يكاد يكون بعرض صفحة « الجمعة » مقالا
طالبت فيه بأن يتركز اهتمام هذا المؤتمر على اقامة تشكيل عالمي
يضم شتات الهيئات الاسلامية المنتشرة في جميع انحاء العالم

ورغم أن مؤتمر البحوث الإسلامية الذي انعقد يومئذ كان له جدول أعمال حددته لجانه من قبل ، ورغم أن مقال « الجمهورية » لم ينشر إلا قبل انعقاد المؤتمر بساعات فقد وجدت هذه الفكرة طريقها إلى الترحيب بها من جانب مؤتمر البحوث دون أن يكون هناك متسع لبحثها وتفتيتها .

وجاءت المناسبة التالية لعرض هذه الفكرة على مؤتمر الجزائر الإسلامي الذي افتتح ، رسمياً ، في العاشر من شهر يوليو سنة 1973 . وكان هذا المؤتمر أكثر قابلية لبحث الأفكار الجديدة لأنه انعقد أصلاً لا لينظر في شؤون المذاهب الإسلامية التي يختص بنظرها مؤتمر البحوث الإسلامية - بل لينظر في كل أحوال المسلمين الاجتماعية والعمرانية فضلاً عن شؤونهم الروحية .

من القاهرة إلى الجزائر

أخذت الفكرة في مؤتمر الجزائر الإسلامي طريقها الطبيعي . . . تحدث فيها الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف المصري ، ثم تحدث وزير الأوقاف الجزائري ، ثم عرض لنفس الفكرة الأستاذ الشيخ بيبسار السكرتير العام لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة . . . وكان هناك علماء ومفكرون ووزراء ومقننون من دول إسلامية كثيرة توفروا على مناقشة هذه الفكرة .

ثم وقف الدكتور محمود دياب عضو الوفد المصري في المؤتمر فألقى في هذا الموضوع بحثاً خاصاً يقنن فيه هذه الفكرة على أساس إنشاء « جامعة الشعوب الإسلامية » . وعلى هذا الأساس دار البحث : وتمت الموافقة . . . ثم أبديت ملاحظات متعددة على اسم التشكيل : هل يكون « المجلس الإسلامي العالمي » أم يكون « جامعة الشعوب الإسلامية » .

وهنا تعددت الآراء ، وأبديت على كسل تسمية ملاحظات أهمها الحرص على أن يكون اسم التشكيل اسماً على مسمى والا يأخذ التشكيل طابعاً حكومياً بحثاً ولا طابعاً « أهلياً » بحثاً . . . وعند هذه النقطة اقترح الوزير الجزائري أن يكون الاسم الذي يطلق على التشكيل المقترح هو « مجلس الأمة الإسلامية » فوافق المؤتمر بالإجماع ، لأن هذا الاسم يحقق معنى « جامعة الشعوب الإسلامية » دون التورط في مسميات « المجالس العليا » . . . وكان هذا القرار

نصرا مبدئيا للفكرة التي نادى بها « الجمهورية » منذ عشرة أشهر .

الاعمدة السبعة

ان بلورة الفكرة الى « مجلس امة » يمثل الشعوب الاسلامية تعنى ان هذا التشكيل سياتخذ طابع التمثيل الاجتماعى لكل المسلمين فى المشرقين والمغربيين ، وان يكون لهذا المجلس بهذه الصفة ان يدرس احوال المسلمين فى جميع انحاء العالم دراسة مسئولية نيابية .
ثم بقى شىء ، هو كيف تكون لقرارات هذا المجلس ، بعد تشكيله ، قوة التنفيذ .

هذه « الكيفية » ينبغى ان تكون منذ الان موضع دراسة اللجنة التحضيرية التى احسب ان المؤتمر قد فوضها فى هذا البحث . . . وفى رأى ان من واجب هذه اللجنة ، عند بدء عملها ، ان تضع دراستها امام الجماهير الاسلامية فى جميع انحاء العالم لتقول فيها كل جماعة من الجماعات الاسلامية رأيا .

ولكى يتم التنسيق بين هذه الآراء فمن حق اللجنة التحضيرية فى رأى ان تعقد اجتماعا عالميا عاجلا يحضره ممثل على الاقل عن كل منظمة اسلامية يحمل معه وجهة نظر الجماهير الاسلامية التى تعمل كل منظمة فى نطاقها . . . ولتكن من اولئك الممثلين هيئة تأسيسية للمجلس المقترح تضع مشروع دستوره ثم تدعو المجلس نفسه الى انعقاده الاول بتطبيق هذا الدستور .

وليس شك ان دستور مجلس الامة الاسلامى المقترح يحتاج الى عناية خاصة فى دراسة جميع الملبسات السياسية والاجتماعية التى تكتنف المجتمعات الاسلامية المختلفة فى جميع انحاء العالم بكل ظروفها المحلية والعالمية معا . . . لكننا نستطيع ان نضع منذ اللحظة الاولى الخطوط الاولى العريضة لهذا الدستور فيما يلي :

– الوحدة الاسلامية وحدة روحية تراعى فيها الروابط الاجتماعية والعرانية بين المسلمين .

– الوحدة الاسلامية لا تتعارض مع اى مفهوم اقليمى او لوى آخر ولا تتعرض له الا فى حدود اقامة العدل للمسلمين بينهم وبين بعض وبينهم وبين الاخرين .

- التجمع الاسلامى تجمع سلامى يناهض استخدام القوة ، لكنه يضع كل امكانياته لصالح المسلمين فى حالة العدوان عليهم .
- التجمع الاسلامى تجمع حضارى يهدف الى مساهمة المسلمين فى رفع شان الانسان وتحريره من الخوف والرذيلة والاستعباد .
- مجلس الامة الاسلامى يرحب بكل الجهود الانسانية التى تتعلق بانصاف المسلمين وتحقيق الاخاء الانسانى بينهم وبين الناس جميعا على اساس العدل والفضيلة والمساواة .
- مجلس الامة الاسلامى يناهض كل تيار يقف فى وجه النماء المعنوى او المادى للمسلمين ولأن يتعايشون معهم .
- للمسلم على المسلم فى جميع انحاء العالم حق الرعاية والمساندة والتأخى فى كل الظروف الممكنة .
- على هذه الاعمدة السبعة يمكن لنا ان نبني دستور مجلس الامة الاسلامى . وان نتخذ من هذا الدستور طريقا الى يقظة جديدة تحفظ للمسلمين تراثهم وكرامتهم وتؤهلهم للفوز فى سباق الحضارة بمفهومها الاسلامى العريق الذى لا يتنافى مع اى تجديد سليم .

كلمة الهلال

مجلة الهلال :

اصدرت مجلة الهلال فى شهر اكتوبر 1973 عددا خاصا عن « الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى » نشرت فيه رسالة الرئيس محمد انور السادات الى الملتقى ، وكلمة افتتاح الملتقى للسيد مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالجزائر ، ومجموعة من محاضرات الملتقى ، وصدرت الكل بكلمة افتتاحية تحت عنوان :

كلمة الهلال

لرئيس تحريرها الشاعر المعروف الاستاذ صالح جوبت

ومما جاء فى هذه الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

« فى مطلع هذا الشهر المبارك الذى نزل فيه القرآن هدى للناس ، نضع بين يدي القارئ هذا العدد عن دولة الاسلام ، وفيه لمحات وضيئة من بحوث ملتقى الفكر الاسلامى ، الذى عقد بالجزائر هذا العام ، وشهده علماء المسلمين من مشارق الارض ومغاربها ، الذين احتشدوا ليرسموا صورة مشرقة لدولة الاسلام المأمولة ... »

هذا وان « مجلة الهلال » قد نشرت فى عدد سابق لها نص محاضرة الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الدينية ووزير الاوقاف بجمهورية مصر العربية .

24 يوما في الجزائر

مجلة المنصور :

العدد 2549 - المؤرخ في 18 رجب 1393

الموافق لـ 17 أغسطس 1973

جاء فيها مقال للاستاذ صبرى أبو المجد تحت عنوان

24 يوما في الجزائر

تحدث فيه عن :

- « الاستعدادات الجارية في الجزائر لعقد مؤتمر دول عدم

الانحياز »

- تطوع عدة آلاف من طلبة الجزائر للعمل في الريف الى جانب

الفلاحين »

- الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي »

ومن الموضوع الاخير نقتطف ما يلي :

كان يوما تاريخيا رائعا ذلك الذي اعلنت فيه بالاجماع في مدينة

تيزي وزو توصيات الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي ، الذي

استمر اربعة عشر يوما كاملة ، حيث وقف خمسة من المشاركين في

الملتقى بوصفهم رؤساء للجان الملتقى ، الخمسة يعلنون ما استقر عليه

رأيهم من قرارات وتوصيات »

وبعد انتهاء جلسات الملتقى ، كان لنا أكثر من لقاء مع الاخ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى الجزائر ، والقوة الضاربة فيما يتعلق بالملتقى الاسلامى فى دوراته الاربع الاخيرة ، ونستمع الى الاخ مولود قاسم عن امانيه واحلامه فى الملتقى الثامن للفكر الاسلامى ، الذى سيعقد فى العام القادم فى ولاية سطيف (ببجاية) فى الناصرية بالذات عاصمة الناصر الحمادى ، مدينة النور قبل باريس بأربعة قرون ، المدينة التى جابت اساطيلها البحار ، وبهرت الانسانية بعلومها وفنونها ، ولألتها ، واضاءت اوربا والعالم بجامعاتها ، وشموعها ، ويقول الاخ مولود : اننا لم نستقر بعد على موعد الملتقى هل يكون فى الحريف أم فى الربيع ؟

ويتطرق الحديث مع الاخ مولود عن أهداف التعليم الاصلى فى الجزائر ، واستمع الى الاخ الوزير وهو يحدد الاهداف التى تسعى لتحقيقها معاهد التعليم الاصلى على النحو التالى :

تكوين جيل صاعد من الشبان والشابات يتوفر فيهم التكوين العلمى بأوسع معانيه مع التربية الاسلامية المتينة وتركيز اللغة العربية ، حسب الطرق العلمية ونشرها على اوسع نطاق بالسرعة الكافية ، لدعمها وفق مقتضيات العصر ، واتقاذ ابنائنا الذين حرما من التعليم العام ، أو فاتتهم السن القانونية للدخول فى المدارس ، أو كانوا دون السن المطلوبة للدخول فى المدارس المهنية ، وتكوين اطارات دينية متينة قادرة على تحمل رسالتها بصدق ، ويقين ، وعاملة على ازالة ما يعلق بالتعاليم الاسلامية من شوائب المغرضين وافتراءات الدساسين .

واعرف من السيد الوزير أن مؤسسات عديدة للتعليم الاصلى قد انشئت على نطاق واسع فى جميع انحاء الجزائر أشرفت ، وتشرف على تخريج الوف من الطلبة - فى كل مستويات التعليم الابتدائى والثانوى ، والجامعى - يكونون حماة طبيعيين للشخصية الجزائرية الاصلية ، وامتدادا للتفكير الاسلامى السليم المتفتح .

ومع المقال نشرت الصورة التالية .



فى بنى ينى على قمة جبل يرتفع 5 آلاف قدم عن سطح البحر ، أخذت هذه الصورة للقاضى عبد الله الشماحى مع هذه الحسنة ، وهى طالبة فرنسية فى جامعة باريس ، كان للقاضى الشماحى كل يوم اكثر من قصيدة غزل فى الجزائر ، قصيدة هجائية واحدة صاغها القاضى عند ما غادر الجزائر وأحد موظفى الامن فى مطار الجزائر على ان ياخذ منه سيفه حرصا على الامن بالطائرة !

أكبر لقاء إسلامي في أرض المليون شهيد

كما نشرت مجلة « المصور » مقالا للسيد صبرى أبو المجد
تحت عنوان :

« أكبر لقاء إسلامي في أرض المليون شهيد »

نقتطف منه ما يلي :

هذه هي المرة الثانية ، التي أزور فيها الجزائر وكانت المرة الأولى
في أواخر عام 1967 ، عندما كنت أزور البلدان العربية ، للتمهيد
لعقد المؤتمر الثانى للصحفيين العرب بالقاهرة ، ولم تستغرق الزيارة
سوى ثلاثة أيام لم أخرج فيها من الفندق ، إلا لزيارة وزير الاعلام
أو غيره من المسؤولين عن الاعلام ، ولم أر شيئاً من الجزائر إلا
بعض شوارع من حى القصبة ذى الشهرة التاريخية ، والنضالية ،
لذلك فأننى اعتبر زيارتى الأولى للجزائر مجرد مشروع زيارة ،
لا أكثر ولا أقل !

أما هذه الزيارة فكانت بدعوة من الاخ مولود قاسم وزير التعليم
الأصلى والشؤون الدينية ، وقد تأهبت ، لهذه الزيارة منذ وقت
طويل ، فعدت الى أوراقى القديمة ، عن حرب التحرير ، التى واكبتها
منذ الفاتح من نوفمبر 1954 .

وأقر أن السعادة ملأت كل جوانحي وأنا أتأهب لزيارة الجزائر ،
التي بدت لي - اجمالا - أشبه بصديق ، قديم لم أزره منذ سنوات
عديدة . ولست أبالغ اذا ما قلت أن سعادتى بزيارة الجزائر لم تكن
تقل عن سعادتى بالعودة الى مصر بعد غيبة طويلة .

ومنذ اللحظات الاولى لوصولى الى مطار الجزائر لمست تغييرات
جوهرية فى كثير من الامور ، اللغة العربية التي كانت مختفية فى
مطار الجزائر لا يتحدث بها الا قلة من الناس ، قد أصبحت اللغة
الغالبية ، لغة التعامل ، حتى أوراق النخول ، والخروج واقرارات
الجمارك ، وغيرها وغيرها ، التي كانت فيما مضى باللغة الفرنسية
فقط ، أصبحت العربية تحتل المكان الاول .

ومطار الجزائر ، الذي كان فيما مضى مقصورا على ابناء الجزائر
والفرنسيين فقط ، أصبحت ترى فيه كل الجنسيات العربية والدولية ،
لقد عاد الى مطار الجزائر ، وجهه العربي السليم وعاد الى الجزائري
فخره باللغة العربية بعد ان كان الحديث باللغة العربية - ايام
الاستعمار - جريمة ، أو أشبه ما يكون بالجريمة ! !

وفى شوارع مدينة الجزائر - العاصمة ، البطلية - تلمس ايضا
التغير فى كل شىء ، المباني الجديدة ، وخاصة فى الضواحي ،
اضعاف اضعاف المباني القديمة ، التي تشمل الى جانب المساكن ،
العديد من المصانع ، والمعامل ، والمدارس ، والمستشفيات والفنادق
التي حملت فى ابرز مكان اسماءها العريقة كعنوان لما حققه الاستقلال
من تقدم .

واستطيع ان اقول وبدون مجاملة ان حركة البناء فى الجزائر ،
التي شملت كل نواحي الحياة ، من الامور التي يجب ان يبتهج لها
كل عربي ، لقد اثبت الجزائريون بحق انهم ممتازون ، فى البناء ،
كما كانوا ممتازين فى القتال .

وقبل ان انتقل بسرعة من الجزائر العاصمة الى « تيزى وزو »
الولاية ، والعاصمة ، استمعت ، واستمعت بحديث تاريخى عن ولاية
تيزى وزو التي لعبت دورا هائلا فى حروب التحرير ، التي اشعلها
الشعب الجزائرى ضد الاستعمار الفرنسى منذ عام 1830 حتى تحقيق
الاستقلال . وتيزى معناها « الثنية » ووزو عبارة عن اسم لنبات
شوكى صغير ، له نوار اصفر يكثر بالمنطقة ويسمى القندول أي ان
اسم المدينة باللغة العربية « ثنية القندول » .

ولاية تيزي وزو ، لها تاريخ قديم يعود الى ما قبل مولد المسيح عليه السلام . وكانت الولاية ، مقرا ، لكثير من الحكومات ، التي سيطرت من تيزي وزو ، على المناطق المجاورة ، كدولة آل المقراني ، ودولة آل ابن القاضي ، وكان أبناء الولاية ، دائمي الثورة على أي احتلال أجنبي . ويشير المؤرخون الى كثير من ثورات أبناء القبائل ضد الاحتلال الروماني ، والاحتلال العثماني والاحتلال الفرنسي .

والجدير بالذكر ، أن ولاية تيزي وزو ، قاومت الاحتلال الفرنسي ، مقاومة عنيفة للغاية واستعصى أمر احتلالها على قواته .

وقد بذل الحاكم الفرنسي العام - على الجزائر - المارشال راندون منذ عام 1851 حتى 1858 جهودا مضنية للاستيلاء على منطقة القبائل وكان من زعماء القبائل ، الذين قاوموا الاحتلال الفرنسي الثائر الشهير الشريف محمد بن عبد الله مولى الساعة الشهير بـ « بوبغلة » الذي خاض معارك عنيفة فقد فيها المستعمرون الفرنسيون الوف الجنود . وقد ظهر في تلك الفترة « جماعة المسيلين » أي الذين قدموا ارواحهم في سبيل الجهاد ، وكانوا يحاربون وهم مربوطون معا بالحبال حتى لا يتراجع احدهم ، والمعروف أن القتال في هذا الوقت ، وفي هذه البقاع كان بالسلاح الابيض ، وكان من وراء فرق « المسيلين » النساء ، يشجعن الرجال ، ويحرضنهم على الاستبسال والاستشهاد ، ويقمن بالاسعافات الاولية ، ومد الرجال بالمؤن والنخائر ، وقد كتب كثير من قادة الجيش الفرنسي ، الكثير عن فرق المسيلين وقال احدهم في مذكراته وتقاريره الرسمية ان شعبا يوجد فيه هذا النوع من المقاتلين ينبغي أن يحسب له الف حساب .

وقد فوجيء الجيش الفرنسي وعلى رأسه الحاكم العام المارشال راندون بظهور ، « لالا فاطمة نسومر » التي كانت تحرض « المسيلين » والسكان على المقاومة ، ولالا فاطمة من عائلة شريفة كان أبوها وهو شيخ زاوية قد علمها القرآن وزوجها - بعد أن كبرت بأحد اقاربها ، ولم يكتب لحياتهما الزوجية التوفيق ، فطلبت الطلاق ، غير أن زوجها رفض واعتبرها ناشزا ، وقد شاركت الشريف بوبغلة في قيادة المقاومة الشعبية ، فلما استشهد الشريف بوبغلة في إحدى المعارك البسيطة في ضواحي « تازمالت » وانفردت لالا فاطمة بقيادة المقاومة واستطاعت ان تهزم - في أكثر من موقعة - الجيش الفرنسي الذي كان يقوده سبعة جنرالات على رأسهم الحاكم الفرنسي في الجزائر ،

المارشال راندون وجرعتهم - كما يقول الاخ مولود قاسم - مر العذاب واعطتهم على رأس جيشها من المسلمين صورة حية عن الفساد والجهاد ، « لقد كانت لالا فاطمة امرأة من اعظم الرجال » ، واستخدم الجيش الفرنسي سياسة « الارض المحروقة » بحيث لم يدع الجيش الفرنسي اشجارا ، او منازل او خياما ، او غير ذلك الا واحرقها بعنف ، وفضاعة ، ووقعت لالا - وكلمة « لالا » ، تعنى الشريفة - فاطمة اسيرة فى يد الكابتن فورسم الذى قدمها للمارشال راندون فامر بوضعها فى زاوية بنى سليمان هى وافراد اسرتها تحت الاقامة الجبرية وظلت فى الاسر ، الى ان ادركها الاجل فماتت فى 1863 وبموتها انتهت الى حين المقاومة فى جبال جرجرة التى استعصت على الجيش الفرنسى وظلت وحدها - تقاوم اكثر من 33 سنة .

ثم عادت المقاومة من جديد فى صور جديدة اتخذت شكل ثورة عارمة فى عام 1871 التى اشترك فيها مائتا الف من ابناء القبائل وكان عددهم بما فيهم الاطفال والنساء والكهول لا يتجاوز 80،000 وكان الجيش الفرنسى الذى اعد للقضاء على هذه الثورة يزيد على 82،000 مدججا بالسلاح .

وقد خاض الجيش الفرنسى من أجل القضاء على تلك الثورة 340 معركة حامية الوطيس قدم فيها الالوف من جنوده .

ويطول بنا المقام لو حاولنا الاقاضة فى التاريخ النضالى لولاية تيزى وزو وما جاورها فهو امر يحتاج الى مجلدات .

وصلنا الى تيزى وزو التى زينت كعروس حلوة ، جميلة ، ساحرة للاحتفال بعقد الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى . وقد شارك ابناء تيزى وزو فى الملتقى فاضفوا عليه ابعادا جديدة ، بفضل علمهم وادبهم ، وفكرة الملتقى الاسلامى كما اوضحها الاخ مولود قاسم ، عبارة عن لقاء ، يضم عدة وفود من البلدان العربية والاسلامية تضم نخبة ممتازة من العلماء ، والمفكرين والناخبين ، والاساتذة ، والشخصيات الاسلامية الذين يلعبون ادوارا هامة فى انحاء الوطن الاسلامى ، وفى هذا الملتقى يجرى الحوار ، الهادف حول مجموعة من القضايا ، والمسائل التى تم الشعوب الاسلامية فى مجالات مختلفة .

وقد جرى التركيز مثلا فى الملتقى السادس ، الذى عقد فى العام الماضى فى الجزائر العاصمة على التاريخ ، بصفة خاصة من حيث

اعادة كتابته أو من حيث طريقة الكتابة في الماضي سواء من الاستعماريين أو غير الموضوعيين وهم الأكثر من بين المؤرخين أو من كثير من المؤرخين المسلمين ، الذين تأثروا بهم بالاضافة الى موضوع يقظة العالم الاسلامي ، الفعال فيها امام تحديات العصر ، ومختلف انواع الغزو ، والاستلاب ، .

وتميز هذا الملتقى بعدة أمور في مقدمتها - مثلا - وجود أكثر من ألف شاب من طلبة السننتين النهائيةين ، من التعليم الثانوي ومن طلبة الجامعات الجزائرية شبابا وشابات للاشتراك في الملتقى واستجابة لرغبة الطلبة وهم المعنيون بالدرجة الاولى بهذه الملتقيات تقرر أن يكون عدد المحاضرات في الملتقى السابع ، قليلا جدا بالنسبة للملتقيات الماضية لافساح المجال امام المناقشات الحرة ، التي تقدر الزناد ، ويتتبعها الطلبة باهتمام ، اكبر ، ويستفيدون منها أكثر .

وقد وصف الاخ مولود قاسم ، هذا الملتقى - بعد انتهائه - بأنه حدث اسلامي عظيم : لقد انعقدت اجتماعات ومجالس بين علماء مسلمين في مناسبات عدة وفي عواصم مختلفة من عالمنا الاسلامي الاوسع ، ولكن لأول مرة ربما في العصر الحديث يجتمع رجال من سائر المذاهب الاسلامية في صعيد واحد ، لتبادل وجهات النظر حول المصير الواحد .

لقد تلاقى في تيزي وزو السادة المالكية والزيدية ، والشيعية والاباضية والحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية ولم يخلف احد الميعاد . بل جاء كل منهم بحسن النية ووافر الزاد .

ولقد تباحت الجميع ، في ربوع تيزي وزو الشريعة الواحدة واتفقوا على ضرورة ارجاع الامة الى الطريق المستقيم ، الواضح المعالم ، على هدى النقل والعقل وحصنوا البنيان بالاركان . وجعلوا الشعب يحمي الديار ويقبها من العمار والدمار ، وقد تميز الملتقى بالجدية ، والارتفاع الى مستوى المسؤولية وتميزت الطالبات اللاتي شاركن في الملتقى بحسن السلوك والانضباط ، والحرص على الاستفادة والمساهمة الواعية في مناقشات الملتقى وفي اعطائه صفته الاسلامية . كما تميز الطلاب بالتنضج والاهتمام المتجلى في الاسئلة ، ولم ينس الاخ مولود ان يوجه للطلبة ملاحظة قال فيها بصراحتة المعهودة : ولئن استعملنا مع بعضكم الشدة احيانا الا انني انصح منظمي الملتقيات المقبلة بان يكونوا معكم أكثر ضبطا وصرامة في

صالحكم ولخير الامة • كما تميز هذا الملتقى بالاهتمام بالشعر فالقى شاعرنا الكبير صالح جودت قصيدتين جديدتين رائعتين قوبل كل بيت من ابياتهما بالاستحسان والتصفيق كما القى شاعر الثورة الجزائرية الاستاذ مفدى زكريا كثيرا من قصائده التي جاءت ضمن اليانته الجزائرية •

وقد قام أعضاء الملتقى في يوم الجمعة بإداء صلاة الجمعة في مسجد الشيخ أرزقي الشرفاوي ، والمسجد تحفة فنية رائعة ساهم أبناء تيزي وزو في تكاليفه والشيخ أرزقي الشرفاوي من قرية الشرفاء الواقعة شرقي مدينة العزازقة بثلاثة أميال وقد حفظ القرآن - في صغره - والم بمبادئ الدين واللغة وقد واصل دراسته بالأزهر الشريف الى أن حصل على الشهادة العالمية وقد اجبرته ظروف القاهرة على الإقامة بمصر حيث قام بالتدريس في الأزهر الى أن تمكن من العودة الى أرض الوطن سنة 1932 حيث انضم الى الحركة الإصلاحية وساهم فيها بتعليمه ، وقلمه وبكل جهوده الى أن توفي في عام 1944 حيث دفن في قرية الشرفاء مسقط رأسه •

وقد ساهم الشيخ أرزقي الشرفاوي بنشاطه الثقافي والإصلاحي في الحركة الإصلاحية وقد حاول الاستعمار أكثر من مرة عرقلة نشاطه بواسطة اذنتابه الذين يمثلون البدع ، والخرافات فلم يثنه ذلك عن مواصلة نشاطه الإصلاحي الذي كان من ثمراته أن تخرجت على يديه افواج عديدة من الشباب الذي حمل مشعل النهضة الوطنية فيما بعد ، كما حرر عقولا كثيرة كان يغلفها ظلام البدع ، والخرافات التي كان يحمل لواءها جماعة من الذين يتاجرون باسم الدين ويتعاونون مع العدو ، في تضليل الشعب والذين كانوا يفرعون من مقالاته التي كان ينشرها انذاك في الصحف والمجلات الإصلاحية ومن التقاليد الجميلة ، التي استبناها أبناء تيزي وزو أنهم استضافوا ، أكثر من مرة أعضاء الملتقى فكانت كل أسرة تستضيف على الغداء في منزلها بعض أعضاء الملتقى من قبيل التكريم والتعارف •

وقد قام أعضاء الملتقى خلال يوم عطلة برحلة سياحية دراسية الى الجبال فزاروا مناطق وبلادا عديدة من بينها تامازيرت والاربعاء بنى ايراثن ، والشريفين ، وعين الحمام ، وآيت هيثم وكوكو والشرفاء وتناول الجميع الغداء - بعد صلاة الجمعة - في

مسجد الشرفاء فى ضيافة ابناء قرية الشرفاء وكانت العودة عن طريق ، عزازقة ، واعكورن .

والحق لم أجد مناطق جبلية ، اغنى واجمل من هذه المناطق ، التى زرناها وفى يوم عطلة آخر زرنا أيضا مناطق جبلية وساحلية عديدة جعلت بعض أعضاء الملتقى الذين لا يقولون الشعر ، كالأستاذ الزرقاء تنطلق قرائحهم ، بكثير من عيون الشعر ، وتميزت هذه الرحلة بوجود مرشد هو الأستاذ حموين الذى كان يشرح المواقع ، التاريخية، التى قامت فى تلك المناطق ، وخاصة الأماكن التى شهدت المعارك ، التى خاضها الشعب الجزائرى بقيادة بويغلة ولالا فاطمة ! ومن القرى التى زرناها فى تلك الرحلة وادى عيسى ، وثاخوجت وبوعدنان وبنى ينى ، وتيقجدا والبويرة ، والاخضرية وبنى عمران وبرج منايل ونراع بن خدة و... و...

والحديث عن الملتقى - وخاصة العقل المفكر ، الذى نظمه خير تنظيم الاخ مولود قاسم ، يحتاج ، الى فرصة أخرى فالى لقاء قريب .



14 يوما في البلوى على هضبة الشوك

ومن المقالات الطريفة التي كتبها الاستاذ صالح جودت
مقال في مجلة « حواء » عدد 1150 بتاريخ 14 أغسطس 1973
تحت عنوان

14 يوما في البلوى على هضبة الشوك

جاء فيه ما يلي :

كنت أتصور - عندما ودعت القارئ العزيز وقلت له اني ذاهب
الى الجزائر - اننى سأعود منها لاقص عليه عشرات ومئات من
الحكايات عن الادب والشعر والفن فى الشقيقة المجاهدة العزيزة .
ولكن .. هانذا اعود - بعد ثلاثة اسابيع - وأنا لا اكاد اجد بين
يدي حكاية واحدة !

ذلك اننى لا استطيع ان ازعم اننى رأيت الجزائر .. تماما كما
لو جاء أمريكى من بلاده ، وهبطت به الطائرة فى محافظة الشرقية
- مثلا - وظل هناك ثلاثة اسابيع لا يرى فيها أكثر من مدينة الزقازيق .

لا يرى الهرم ، ولا أبا الهول ولا الهلتون والشيراتون ، ولا المسارح
ولا دور السينما ولا الكابارييهات .. ولا حتى الجامع الأزهر وسيدنا
الحسين .

هل يستطيع مثل هذا الامريكى بعد عودته الى بلاده ، أن يزعم انه رأى مصر ؟

هذا ما حدث لنا هناك .. فقد أخذونا من المطار الى منطقة القبائل رأسا ، على مسيرة : مائة كيلو متر من العاصمة الجزائرية وهى منطقة محافظة ، شديدة التزمت ، صارمة التقاليد ، قلما يسمح فيها انسان لشفتيه بضحكة أو ابتسامة .

ولهذا كانت هذه المنطقة اشد المناطق صلابة فى الثورة ، وقسوة على المستعمرين الطغاة ، الذين دكوا بيوتها دكا ، وتركوها قاعا صافصفا خاوية ، الى ان بناها الجزائريون من جديد بعد انتهاء معركة التحرير .

نزلنا فى مدينة « تيزى وزو » .. عاصمة ولاية القبائل .. لنشارك فى الملتقى الاسلامى الذى عقد هناك .

وهذه التسمية بربرية .. فكلمة « تيزى » معناها « مضببة » و « وزو » معناها « الحسك » .

أى ان اسم المدينة بالعربية هو « مضببة الحسك » والحسك هو الشوك .. ذلك لان هناك نوعا من الشوك ينبت فى جبال هذه المنطقة بكثرة ، وينتج نوعا من الكحل تتكحل به النساء .

والفندق الذى نزلنا به ، اسمه ، « فندق البلوى » .

أى اننا كنا فى بلوى ، على مضببة الشوك ..

فماذا تنتظر منى ايها القارئ من الحكايات !

وهذه « البلوى » لا تعنى معناها بالعربية ، وانما هى على اسم رجل له قبر فى قمة عالية من قمم الجبال المجاورة للمدينة .

وقد اختلف فى امره الرواة الذين سألناهم عن حكايته ، فقال لنا بعضهم ان اسمه الحقيقى هو « بولوا » أى « أبو اللواء » .. وانه كان مجاهدا .. وقيل انه كان من اولياء الله الصالحين .

.. وقال لنا البعض الآخر ان الكلمة محرفة .. وان اصلها « لو قالوا » .. وهو اسم مبشر فرنسى سكن هذه المنطقة حينما ، وكان يحسن الى الناس ويعالج مرضاهم ويتقرب اليهم بكل وسيلة ، مما حملهم على تقدير صنيعه بعد وفاته .. والله اعلم .

المهم .. اننا اقمنا طوال ايام الملتقى فى البلوى ، على مضببة الشوك ..

ولكننا احتفلنا بالوبى ، وسمعنا ثمانى وعشرين محاضرة فى مختلف الشؤون الاسلامية ، يضاف اليها ان عشرة من المعقبين كانوا يعقبون على كل محاضرة ، اى اننا استمعنا الى اكثر من ثلاثمائة حديث فى الدين ، فى اربعة عشر يوما ٠٠ من الثامنة صباحا الى التاسعة مساء ٠٠ كل يوم ٠٠ بلا اجازة جمعة ولا احد ا

احتفلنا كل هذا ٠٠ فى سبيل الرسالة الجليلة التى ينهض بها هذا الملتقى كل عام - وهذا عامه السابع - والتى حملت الجزائر امانتها وحدها ، واستضافت من اجلها علماء الاسلام وفلاسفته ومفكره وشعراءه وادباءه من كل فج عميق من مشارق الارض ومغاربها .

واجمل ما فى هذا الملتقى ، ان حكومة الجزائر تدعو اليه كل مرة نحو الف من شبابها الطلاب - من الجنسين - ليتفقهوا فى امور دينهم ، وليوجهوا الاسئلة الى المؤتمرين فى كل ما يخفى عليهم من شؤون العقيدة .

كانت احصائية الملتقى كما يلى :

44 من الجزائر و 21 من مصر و 10 من المغرب و 5 من لبنان و 4 من السعودية و 3 من تونس واثنتان من كل من الكويت وسوريا واليمن الجنوبية واندونيسيا والاردن والسنغال ، وواحد من كل من ايران وتوجو وعمان واليمن الشمالية وتانرانيا والهند وباكستان وبيوغوسلافيا واستراليا .

وكان نصيب مصر من المحاضرات ستا ، من مجموع المحاضرات الثمانى والعشرين .

وقد مثل الجنس الآخر ، اربع من الجزائر ، واثنتان من المغرب ، وواحدة من مصر .

أوحدة مائة مليون .. أم وحدة ألف مليون ؟

الاستاذ صالح جودت الشاعر المصرى المعروف

كتب عدة مقالات تحمل آراءه وانطباعاته ومشاعره حسب ما
شاهده فى الجزائر والايام التى عاشها فى تيزى وزو بين الملتقىين .
ونشرها فى مجلات مختلفة مثل : « الهلال الشهرية » و « المصور
الاسبوعية » و « حواء النسائية » و « الكواكب الفنية » .
نقتطف من مقال الاستاذ صالح جودت الذى نشر فى « المصور »
تحت عنوان :

على هامش ملتقى الجزائر :

اوحدة مائة مليون أم وحدة ألف مليون ؟

ما يلي :

من قدرنا - وسبحان صانع القدر - ان الله قد اختار لمصر ان
تكون - جغرافيا - امة وسطا بين المشرق والمغرب العربيين ، وكان
الله قد اختار لها هذا الوضع لتلعب دورها التاريخى فى تأسيس
الوحدة العربية .

ومن قدرنا ايضا ، ان الله قد جعل مصر امة وسطا فى سويداء
القلب الجغرافى للعالم الاسلامى ، وكان الله قد اختار لها هذا
الوضع هو الآخر ، لتلعب دورا تاريخيا آخر فى تأسيس الدولة
الاسلامية التى ارسى نواتها محمد عليه الصلاة والسلام ، وبشر
بدعوتها فى العصر الحديث ، الوالدان الخالدان عبد الرحمن
الكواكبي وجمال الدين الافغانى ، طيب الله ثراهما .

نكرت كل هذا ، والطائرة تقلع بي الى الجزائر ، لاشارك فى
الملتقى الاسلامى الكبير الذى يعقد هناك مرة كل سنة - منذ سبع

سنوات - والذي عقد هذه المرة في مدينة « تيزي وزو » عاصمة ولاية القبائل .

وتساءلت : هل يمكن ان يكون هناك اى تناقض بين الدعوتين : الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، بحيث يستحيل الايمان بهما معا ، ام انه من اليسور ان تكون كل منهما قوة مساندة للآخرى ، متعاونة معها على البر والتقوى ، مناهضة الاثم والعدوان ! وهناك زحت أستعرض المؤتمرين في هذا الملئقى .

عمائم بيض سنية من مصر ، على رأسها شيوخنا الاجلاء محمد خاطر ، مفتى الديار ، ومحمد أبو زهرة ، أستاذ الشريعة ، وأحمد الشرباصى ، ومحمد الغزالي .

وعمائم بيض ، سنية أيضا ، من المشرق والمغرب .

وعمائم سود ، شيعية ، على رأسها الامام موسى الصدر ، رئيس المجلس الشيعى الاعلى بلبنان .

وعمائم ملونة زيدية على رأسها القاضى عبد الله الشماهى اليمنى

ولفائف بيض ، اباضية ، على رأسها الشيخ بيوض الجزائرى .

وشيوخ مطربشون من مذاهب مختلفة ، انكر منهم الاستاذ عجاج

نويهض ، الدرزى .

وازياء متضاربة ، من اندونيسيا وايران وماليزيا والسنگال وجزر

القمر . . الخ

وفلاسفة متفقهون فى شؤون الاسلام او تاريخ الاسلام ، وفى

طلبعتهم الدكاترة والاساتذة عبد العزيز كامل ومحمود قاسم ويحيى

هويدى وعثمان أمين ومصطفى محمود وعمر فروخ وجميل بيهم

وعبد الله عنان ومحمد يمانى وعبد المنعم خلاف وأحمد الحوفى

ومصطفى الزرقا ومحمد على رفعت ومحمد عزيز الحبابى وعسبد

القهار مذكر وغيرهم .

تاملت كل هذه الوجوه المؤمنة . . لاملئى القاعدة العريضة التى

تمثلها ، والهدف الكبير الذى جاءت من أجله .

ان هذه الوجوه تمثل ألف مليون مسلم . . بعضهم يحتشد فى

تجمعات كبيرة ، كمصر وباكستان واندونيسيا

وايران . البعض الآخر يعيش فى مشتبكات يمكن لها ان تلتقى لتصبح

مجموعة كبيرة ، كمجموعة المغرب العربى . - تونس والجزائر

والمغرب - وغيرها . . الى جانب بعض ثالث من الاقليات الاسلامية ،

الموجودة في دول غير اسلامية ، كالهند والفيليبين ، والجاليات
الاسلامية التي تعيش في أوروبا وأمريكا ، وهم عدة ملايين .

وعلى الرغم من أن هناك خلاقات مذهبية صغيرة بين هذه الملايين
الكثيرة - ألف مليون - فإن هناك عبارة واحدة معدودة الكلمات ،
تشد قلوبها جميعا ، وتفعل فيها فعل السحر الى حد الاستشهاد ، هي
قولة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله .

ألف مليون . . بينما لا تمثل الدعوة العربية أكثر من مائة مليون !
لن أصف للقارئ العزيز ما دار في الملتقى على مدار أيامه
الأربعة عشر ، فقد تركت هذا الحديث الصحفي للزميل صبرى أبو
المجد ، الذي كان هناك .

ولكنني التقط من هذا الملتقى قضية الرأي . .

لقد القيت هناك محاضرات كثيرة ، ودارت مناقشات كبيرة حول
ألف مسألة ومسألة من مسائل التشريع والتبشير والتحرير وغيرها .

ولكن القضية الكبرى . . القضية الجادة المثمرة الأولى التي
طرحت على بساط البحث في هذا الملتقى ، والتي كانت - في تقديري -
هي كل الملتقى ، هي القضية التي انبثقت من البحث العلمي المنهجي
السامق ، الذي قدمه الدكتور عبد العزيز كامل - نائب رئيس الوزراء
وزير الأوقاف - وطرح فيه مشروعا متكاملا لنواة الاسلامية كما
يجب أن تكون . .

وأحب - قبل أن أختتم حديثي عن هذا البحث ، أن أوجه عناية
القارئ الى أكثر من مشكلة يحلها تطبيق مثل هذا المشروع :

- انه كفيل بالقضاء على النعرة المذهبية . ولنتكلم بصراحة . .

ولنعترف بأنها موجودة بالفعل في أكثر من بلد عربي ، وفي أكثر
من بلد اسلامي غير بلد عربي أيضا ، وقد شبت لهذه النعرة أكثر
من شرارة اثناء الملتقى ، مما لا أحب أن أشير اليه اخمادا لجنوته .

واحقاقا للحق ، أقول ان الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى
والشؤون الدينية الجزائري ، الذي رأس الملتقى وكان قوة ديناميكية
كبيرة فيه ، كان له فضل حاسم في اخماد هذه الفتنة .

أقول - وهذه مشكلة لا نحسها في مصر ، لاننا جميعا مسلمون
سنيون - ان المسلمين في بعض البلاد العربية ، كلبنان مثلا ، لا
يفتأون يتناذبون بالمذاهب . . ويقولون هذا سني ، وهذا شيعي ، وهذا
علوي ، وهذا درزي ، وهذا اسماعيلي ، وهذا زيدي . . الخ -

ولكن ٠٠ حينما تسود الفكرة الاسلامية ، ويحس المسلم ان المسلمين سواسية كاسنان المشط ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وانه ليس لمسلم فضل على مسلم ، ولا لابيض فضل على احمر او اسود او اصفر ، الا بالتقوى ، وان الوحدة الاسلامية هي التي حررت اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، فانه لن يعرف يومئذ معنى الثعرات الذهبية ، التي طالما غرسها الاستعمار وعمق جذورها في الارض تحقيقا لاطماعه .

– واخيرا ٠٠ ولنتكلم بصراحة دائما ٠٠ تبقى مسألة الطوائف غير الاسلامية عندنا وعند غيرنا ، كلبنان اولا ، ثم سوريا والعراق . ماذا يمكن ان يضير مثل هذه الطوائف من قيام مثل هذه الفكرة ، ما دامت قائمة على مبدأ المساواة ، وكافلة حقوق الانسان ، وما دامت الدعوة العربية – بكل مذاهبها وطوائفها – تحيا مكرمة معززة نابضة في حضن الوحدة الاسلامية ؟

ان المسلم يستطيع ان يعيش مطمئنا كل الاطمئنان في فرنسا وايطاليا وانجلترا ، وهي دول مسيحية ، في ظل قوانينها التي لا تفرق بين مسلم ومسيحي .

فماذا يضير المسيحي اذن لو انه عاش في ظل الوحدة الاسلامية . ما دام القانون يسوى بينه وبين المسلم في جميع الحقوق وجميع الواجبات ؟

مشروع ٠٠ قد يبدو لاول وهلة انه من المثاليات ، كجمهورية افلاطون .

ولكن جمهورية افلاطون كانت اول نواة للاشتراكية ، وان كانت اشتراكية خيالية .

وجمهورية اقبال ٠٠ هل كانت في اول امرها اكثر من فكرة هي رأس شاعر ، بشر بها بين الناس ، فجعلوا يؤمنون بها رويدا رويدا ٠٠ الى ان خرجت الى النور بعد وفاته بعدة سنوات ، وكانت – كما اراد لها ان تسمى – دولة باكستان ؟

ان جميع الاعمال الكبرى في التاريخ قد ولدت من المثاليات والاحلام .

الجزائر

الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

نشرت جريدة « الثورة » اليمنية سلسلة من المقالات عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى بقلم القاضى عبد الله المجاهد الشماحى ، فى اعدادها 1715 - 1734 - 1735 - 1736 - 1737 - 1738 أوت سبتمبر 1973 ، جاء فيها :

انعقد فى الجزائر بمدينة (تيزى وزو) مركز احد الوية الجمهورية الجزائرية ، انعقد الملتقى السابع وامتدت الجلسات من 10 - 25 جمادى الثانية سنة 1393هـ ، الموافق 10 - 25 يوليو سنة 1973 م .

القيت فى هذه الجلسات اكثر من ثلاثين محاضرة حول التشريع الاسلامى وروحه وواقعه فى العالم الاسلامى اليوم ومصادر ووسائل استعادة سلطانه وتطبيق عدالته الاجتماعية الملتقى فيها المسلم وغير المسلم ، وايجاد الوسائل الكفيلة باحلاله محل القوانين المستوردة التى غزت العالم الاسلامى على موجات المطامع السياسية والنزعات الاستبدادية وعلى تيارات النظريات الهدامة من تبشير يهودى ونصرانى والحادى الى غير ذلك من المواضيع التى سنشرحها فى الحلقات الآتية حول هذا الملتقى السابع الذى ضم اكثر من مائة عالم من أقطار العالم الاسلامى من :

اندونيسيا ، واستراليا ، وأوروبا ، وايران ، وبومباى ، وتركيا ، وتونس ، والجزائر ، والسعودية ، وسوريا ، والسودان ، والسنگال ، والطوغو ، وفلسطين ، والكويت ، ولبنان ، والمغرب ، وموريتانيا ، ومالى ، والهند ، واليمن ، ويوغسلافيا ، ويوغنדה وغيرها .

وقبل الكلام عن هذا الملتقى التاريخي وما جاء فيه من محاضرات وحوار وتقاش ووقفات أدبية وشعرية وما أصدره من اقتراحات وتوصيات فاني أرغب ان أرسل من هنا من اليمن الالية تحية اليمن جباله وأبطاله ، شبابه وعلمائه الى أرض الايمان والبطولات الجزائر ، واسدى شكرى وتقديرى لوزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية على اقامتها مثل هذا الملتقى وما بذلته هذه الوزارة ووزيرها الصالح المتفتح معالى الاستاذ (مولود قاسم) من جهود واهتمام وكرم تمكن معها ارباب الفكر الاسلامى المجتمعون فى الملتقى من اطلاق طاقاتهم وسلكاتهم فى هذا الملتقى الذى بقاعته الرحبة تعانق اعلام البيان والفكر الاسلامى يحيى بعضهم بعضا لا فرق بين ابيض ولا أسود ولا عربى ولا غيره ، تعانق الاعلام فى ساحة القاعة المكتوب فى غرة واجهتها (شعار الاسلام ، ان الدين عند الله الاسلام ، الاسلام دين ودولة ، عبادة وعمل ، مصحف ومدفع ، مسجد ومصنع ، جهاد وعدالة (ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

يتقبلهم شباب الجزائر المؤمن القوى يرحب فى حرارة وتقدير باولئك الاعلام ، والى ما لديهم من علم وتجارب وتوجيه يتطلع فى تفهم وتعق ، ثم يقف اولئك الاعلام فى الصفوف الاولية كأنهم نجوم بهم يهتدى السارون ، ويقف من ورائهم وحول القاعة الشباب المتوقد ايمانا كأنهم الهالات حول الاقمار وهذا اللقاء بين الشيوخ الاعلام وبين الشباب المؤمن المقدم هو الاساس للدعوة ورسوخها ومبعث الامل فى نجاح المسيرة ان شاء الله .

ومن الاعتراف بالحقيقة أنى صدرت من هذا الملتقى بامل جديد ما كان يصحبنى عند الورود ، فلقد شعرت فى أول جلسة من هذا الملتقى بان العالم الاسلامى وفى مقدمته شبابه بدأ يصغى الى توجيه قاداته المفكرين وبدأ يشاركهم الشعور بالواقع الاسلامى المرير ويشاركهم بالاحساس بالاطار الحقيقية المهتدة ، ويتلمس العلاج ، وهذا الاحساس والشعور المقرونان بالبحث عن الدواء الناجع فى جدية وتصميم هو مبعث الامل الجديد قال ابن الرومى :

ان فحص الطبيب عن داء ذى الداء قبيل الدواء اس الدواء

فالإسلامية تعيش اليوم فترة هامة وخطيرة تتميز بوعي ثقافي قد نسميه بمرحلة الصحو الإسلامي ، وهي مرحلة مبشرة ومنيرة ، مبشرة بان الأمة الإسلامية بدأت تنفض غبار التخلف والجمود الفكري ، وتتجه نحو النهضة الحضارية وهدفها ان يستعيد الإسلام قيادة العالم اما كون مرحلة الصحو منيرة فان المسيرة اذا انحرفت فانها ستدور في حلقة مفرغة من التيه لا يزيد الأمة الإسلامية الا ضعفا وعن حقيقة الإسلام وروحه بعدا ومروقا خلا ان هذا الملتقى يبعث على الأمل في النجاح مما جعلني اكثر تفاؤلا .

ولم اخف تفاؤلي حينما القيت كلمتي في الجلسة الافتتاحية ، التي تناول النقاش بها هل يثبت أول الشهر القمري بواسطة التقويم والمرصد لثلا يبقى اختلاف في يوم عرفة وأول الصوم والقطر والاعياد لما في وحدة مواقيت الشعائر من مظهر للوحدة الإسلامية وتدعيم لها وقد انتهى النقاش لما سنذكره في الحلقات الآتية .

وفي الجلسة الثانية وقف الشعر ليأخذ مكانه وفي هذه الوقفة عبرت عن احاسيسي في هذه القصيدة :

هنا يا قومي ، بالجزائر مظهر

(انظر باب « من وحي الملتقى » فصل الشعر)

ثم جاء في العدد 1734 وما بعده التقرير التالي :

على اثر عودة مستشار العدل القاضي العلامة عبد الله المجاهد الشماحي من الجزائر وافانا بكلمة تمهيدية عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي الذي عقد هذا العام بمدينة « تيزي وزو » نشرناها بالعدد 1715 الاثنين 8 رجب 1393 هـ ووعد بان سياتبع الحديث عن الملتقى وعن الجزائر ولكنه تعرضت له اعمال حالت دون متابعة احاديثه وها هو اليوم قد عاد لواملة احاديثه وشرح انطباعاته عن الجزائر .

والملتقى الذي يراها القراء في قراره المقدم الى معالي وزير العدل القاضي العلامة علي السمان وعن وزير العدل تلقينا قراره وهذا القرار يتناول موضوعين اولهما صورة حية للجزائر والملتقى السابع وثانيهما نص قرارات وتوصيات الملتقى السابع وهي على جانب من الأهمية .

فالى القراء تقدم هذه التحفة عن التفكير الاسلامى الصحيح الذى
شهدته الجزائر واحتظنت اعلامه .

وهذا نص القرار :

معالى وزير العدل الولد القاضى العلامة على بن على السمان حياكم
الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد -
يسرنى ان اقدم الى معاليكم صورة مصغرة حافلة عن الملتقى السابع
للتعرف على الفكر الاسلامى الذى اقامته الحكومة الجزائرية وشعبها
بمدينة « تيزى وزو » .

وقبل ذلك اسجل اولا شكرى للشعب الجزائرى وحكومته ووزارة
التعليم الاصلى والشؤون الدينية ووزيرها السيد (مولود قاسم) على
كرم الضيافة التى غمرت بجودها وحفاوتها كل وفود الاقطار الاسلامية
واسجل ثانيا تقديرى لما يبذله الشعب الجزائرى الابى المؤمن القوى
من عناية ومال فى سبيل انهاض الامة الاسلامية من عثرتها واحياء
التراث الاسلامى واعلاء كلمة الله ومحاولة شق الطريق لتطبيق
الشريعة الاسلامية والاخذ بتعاليمها ونظمها عن طريق البرهان
والاقتناع ، جهود وجهاد لمسنا اثرهما فى جيل الجزائر الصاعد
وشباب الجزائر الطامح . ولا غرابة فالشعب الجزائرى شعب اصيل
الحضارة قوى الايمان والاباء ، وقد ذاق مرارة الاستعمار الاستيطانى
وشرب كأس تلك المرارة حتى الشمال فلم يهن ولا استسلم بل صمد
صمود الشعب اليمنى فى وجه الغزاة ، صمد الشعب الجزائرى حين
لا سند له فى نضاله الطويل الا فتوة فتياهه وبطولة وايمان ابنائه
الذين عمر الله قلوبهم بالايمان وروح الاسلام .

ان المستعمر سلب من الجزائر كل شىء حتى اللغة العربية لغة
القرآن ولكنه لم يتمكن من سلب بطولات ابناء الجزائر ولا فى اطفاء
شعلة الروح الاسلامية المتوقدة فى نفوس اولئك الابناء الجزائريين
الذين بتلك البطولة وبتلك الروح السماوية قدموا قوافل الشهداء
ومشوا على الجماجم والدم المهدورة فانتصروا بعد ما ضحوا وصبروا
وصابروا وكان الله على نصرهم لتقدير ، فدحروا المستعمر وطهروا
ارضهم من مخلفاته واصبحت الجزائر حرة مستقلة كل ابنائها مسلمون

سنيون يأخذون بمذهب الامام العظيم « مالك » بن انس الاصبحي اليمنى عالم المدينة وفيهم جماعة (سنيون اباضيون) ولا توجد في الجزائر طوائف ولا اقلية غير مسلمة ، ولذا فما ان حققت الجزائر استقلالها الا وقادتها وابناؤها ومفكروها كلهم مقتنعون عن برهان انهم بروح الاسلام انتصروا .

ومن هنا راي علماءهم وقاداتهم ان تحتفظ الجزائر بهذه الروح السماوية وان على الجزائر ان تكون في مقدمة الساعين الى احياء الشريعة الاسلامية ونشر تعاليم الاسلام وتوحيد الامة الاسلامية عن طريق الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وعن دراسة وتفكير شرعت الجزائر تضع الخطط لهذه الغاية السامية ومن تلك الخطط اقامة « الملتقى للتعرف على الفكر الاسلامي » والى هذا الملتقى دعت الجزائر جميع الاقطار الاسلامية ومنذ سبعة اعوام وهذا الملتقى يقام في ارض الجزائر كل عام مرة وفيه يلتقى اعلام الاسلام من كل بلد اسلامي وجماعة مسلمة ، وقد يحضره علماء مستشرقون وغير مسلمين ، وفي العام الماضي اقيم الملتقى السادس في العاصمة الجزائر تحت اشراف معالي وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية السيد مولود قاسم ووزارته ، ولم يسبق لليمن ان حضرت في المؤتمرات الستة السابقة لعوامل وظروف معروفة اما في هذا العام والملتقى السابع فان اليمن ارسلت الى الملتقى وفدها .

وفي ثامن يوليو كان وصولي الى مطار العاصمة الجزائر وكان في استقبالنا المسؤولين من وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية مع سفير اليمن بالجزائر الولد العقيد عبد الله بركات واعضاء السفارة وفي المطار قدمت لنا الحكومة الجزائرية سيارة خاصة وعليها يصحبنا المرافق الخاص ذهبنا شرقا في طريق تخترق السهول والريبي المكسوة بالمزارع المظللة بالاشجار المتنوعة المرصعة بالقرى والمدن وفي هذه الطريق وتحت افياء الدوحات الباسقة واصلنا السير الى ان اقتحمنا حدود ولاية « تيزي وزو » فاذا بنا نمر تحت اقواس الترحيب المنصوبة وقد كتب عليها الى جانب كلمات الترحيب بالوفود كلمات الاشادة بالاسلام وشريعة الاسلام وما زلنا نشق الطريق بين هذه المناظر وهتاف الترحيب الى مدينة « تيزي وزو » التي اختيرت مقرا للملتقى السابع .

تيزى وزو والملتقى السابع

تيزى وزو ، جملة بربرية مركبة من كلمتين يراد بها ربوة الزهر .
وهى مدينة جميلة قديمة تبعد عن العاصمة الجزائر 100 كيلو وهى
مركز ولاية تيزى وزو ، يحد الولاية من الشرق والجنوب الشرقى
ولاية سطيف - وغربا ولاية عاصمة الجزائر وبعض ولايات (لمدينة
التيطرى) وجنوبا ولاية لمدينة التيطرى وشمالا البحر الابيض المتوسط
وولاية تيزى وزو من اهم ولايات الجزائر عسكريا واقتصاديا فلها
جبالها الشامخة المكسوة بالغابات الغنية بالمياه والمزارع العامرة
بالقرى والمدن كما ان سهولها على جانب عظيم من الحصب وال عمران ،
ومواطنوها من البربر من قبائل زواوة فصيلة من قبيلة « كتامة »
وكلهم مالكيون شديدي التمسك بالاسلام وذوو نجدة واء وغيره وكرم
ووسامة ويكادون يجمعون ان اسلافهم جاءوا الى الجزائر من اليمن فى
عصور ما قبل التاريخ وكم كان ابتهاجهم بنا ونحن نتجول فى جبالهم
وبين قراهم، وان انتسابهم الى اليمن يقرره معالى الدكتور محمد معروف
الدوالبي احد اعضاء الوفد السعودى ويقويه تقارب العادات كما
سنبينه فى فرصة أخرى ، وقد اختيرت مدينة تيزى وزو مقرا للملتقى
السابع لاهمية مركزها المشار اليه المتناسب مع أهمية المواضيع التى
درست فى هذا الملتقى فكلها مواضيع اسلامية صرفة . ولذا فانه لم
يدع الى هذا الملتقى اى عالم غير مسلم .

الملتقى السابع من 10 - 25 رجب 1393 هـ الموافق 10 - 25 يوليو
1973 م حضره اكثر من مائة عالم يمثلون معظم الاقطار الاسلامية
والاقلية المسلمة من اندنيسيا واستراليا واوروبا وايران وباكستان
وبومباى وتركيا وتونس والجزائر وزنجبار والسعودية وسوريا
والسودان والسنغال وسلطنة عمان والطوغو وفلسطين والكويت
ولبنان وليبيا والمغرب ومصر وموريتانيا ومالى والهند واليمن
ويوغسلافيا ويوغنده وغيرها وحضره من الشباب اكثر من اربعة آلاف
والقيت فيه اكثر من ثلاثين محاضرة رئيسية والى جانبها وقف الشعر
والادب والنقاش والحوار وقفة العمالقة وشارك الشباب فى تلك
الوقفات .

وفى هذا الملتقى الفكرى العلمى الادبى كان للشعر صولة وجولة
ادلى فيها اليمن بدلوه ومن عمالقة الشعر فى هذا الملتقى الاستاذ
الاديب الاخ صالح جودت المصرى رئيس تحرير مجلة الهلال والاستاذ
الكاتب الشاعر مفدى زكريا شاعر الثورة الجزائرية وقد راهنتهما
اليمن فى حلبة الشعر كما احتل اليمن مركزه فى الحوار والتعقيب
والمحاضرات الشفوية ولعلنا سنكتب عن ذلك وقد انتهى الملتقى
باصدار التوصيات المرفقة مع هذا .

وقد جاءت تلك التوصيات نتيجة ما ألقى من محاضرات ومن حوار
ودراسة وتفكير واقعى .

وبعد املائها القيت كلمات الوفود وقد ختمت كلمتى الختامية بهذه
القطعة الشعرية :

انا هاهنا فى معشرى وبموطنى فلست هنا ضيفا ولست بمظن
جزائر صنعاء للجميع مواطن لكل ابي طاهر النفس مؤمن
وهذا نداء الله وهو شعارنا ونادى به ارياننا وبومدين
شعار لشبان الجزائر من به

اعادوا بطولات ابن معد (1) و (مقرن)

حكاها لابطال الجزائر فعلهم وفى عمل الانسان اقوى مبین
شباب لهم روح الشريعة قائد فأنعم بهم من تابع لقنن
وهم ورثوا هذى الخلال من الاولى تحدوا فرنسا بعد روما ولنن
تحداهم الطغیان قرنا وثلثه فلم يلف منهم غير طعن مبطن
فردوه مدحورا على رغم بوجر«2» حى الغاب باس الليث من طرق مقرن
وأنا وانتم نلتقى فى محامد يمجدها الاسلام اصدق معلن
محامد غذاها القرآن بروحه فاوجد منا كل قرم ومحسن
بها قادة الاسلام غنوا شبانا يردون مجد الشرق فى كل موطن
فحيا الحيا ارض الجزائر انها لنقطه بيكار لبنان ومتقن
جبالهم الشماء منهم صمودها صمود ابي مقدم متدين

(1) عمرو بن معد يكرب الزبيدى بطل القادسية والنعمان من مقرن .

(2) قائد فرنسى .

وداعا بنيتها اننا عنكم غدا سنرحل والافكار فيكم بامن
لها فاحفظوا ثم اهضموها فانها هدية آباء لأكرم مجتسن
وفي خلال انعقاد المؤتمر وبعد الانعقاد قامت الوفود يصحبهم
الشباب ووزير التعليم وموظفو وزارة التعليم برحلتين سياحيتين
دراسيتين اولاهما يوم الجمعة 20 جمادى الثانية الى جبال جرجرا من
ولاية (تيزى) وفيها مرينا بعدة اودية وربي ومدن وقرى حال صعودنا
هذه الجبال الشامخة سموخا يقرب من جبال السراه باليمن وقد
تمنطقت تلك الجبال بالسحب وتجلبيت قطيفة خضراء من المزارع
والاشجار ومن مدنها وقراها التي مررنا بها « ادنى » و « تاميرك »
و « عزوزة » و « الاربعاء » و « نايت ايراثن » و « اشريفن » و « عين
الحمام » و « آيت هيثم » و « كوكو » و « الشرفة » وفي الشرفة صلينا
الجمعة وتناولنا طعام الظهيرة لدى عائلات الشرفة ، وعلى عاداتهم
الشبيهة بعاداتنا اليمنية مطعما ونوعا وكيفية وادوات ، وكل مواطني
هذه الجبال بل وولاية تيزى هم من البربر ، وهم فى اقتسناع انهم
كغيرهم من الاخوان البربر ينحدرون من اصل يمنى . « 2 » الرحلة
الثانية يوم الثلاثاء 24 جمادى الاخيرة الى جبال القبائل من تيرتى وهي
تشبه جبال جرجرا وسكانها من البربر ومن المناطق التي مرينا بها
عدة اودية وانهر وغابات ومدن منها وادى عيس ، ومدينة « شاخرخت »
و « ثاسافث » و « بوعدنان » و « اغيل ياماس » و « بنى ينى » وفي
بنى ينى تناولنا وجبة الغداء مع العائلات فى كيفية عربية مطابقة لما
شاهدناه فى مدينة الشرفة ، ثم عدنا الى تيزى ، عن طريق جبلية ثم
سهلية مارين بعدة مدن وقرى وغابات ومياه متدفقة ومزارع نظرة
ومن تلك المدن والقرى « ثيقجدا » و « البويرة » و « الاخضرية »
و « بنى عمران » و « يسر » و « برج منائل » و « تادميت » و « ذراع
ابن خله » .

وفي خلال مرورنا بالسهل كان البحر الابيض عن الشمال والجبال
عن الجنوب وبينهما السهل كصدر من زبرجد بين ذراعين ذراع الشمال
من مياه وامواج وذراع الجنوب من جبال متجلبية قطيفة خضرى متمنطقة
بالسحب منظر بحق خلاب . أرض خضراء منضدة بالقرى والقصور

وسماء زرقاء تحجبها كثير من السحب المتمنطقة للجبال الشامخة
برسوخها وقممها وحلتها السندسية وبحر لحي تنطبع على صفحته
خضرة الارض وحيويتها وزرقة السماء وبروق سحبها ، وقد اجتذبتنا
هذه المناظر الى وقفة على شاطئ البحر الابيض لم ننقل منها الا حين
وافى الليل فحلت نجوم السماء محلنا فقد اخلينا لها البحر وشاطئه
وعدنا الى تيزي وزو ، لنودعها ولها وللجزائر في مشاعرنا ووجداننا
اثر لا يمحي وانا لنترجو ان يحقق الله الآمال فيعيد الى الامة الاسلامية
وحدتها وعزتها وخلافتها وقيادتها للعالم على منهج الشريعة السماوية
وعدالتها الاجتماعية .

وسبحان الله وبحمده وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

ثم استرسلت الجريدة في سرد
التوصيات التي اسفر عنها الملتقى ،
والتي ذكرت في بابها « توصيات
الملتقى » من المجلد الرابع - فاكتفينا
بذلك عن نشرها مرة أخرى .

الهادي في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

نشرت المجلة الإسلامية الإيرانية « الهادي » في عددها الرابع - السنة الثانية - عرضا وافيا عن الملتقى بقلم السيد « هادي الخسروشاهي » نقتطف منه مايلي :

تلقينا دعوة كريمة من (وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى الجزائر) للاشتراك فى الملتقى العالمى السابع للتعرف على الفكر الإسلامى . وقد انعقد المؤتمر فى يوم 10 جمادى الثانية 1393 هـ الموافق 10 تموز 1973 ولمدة اثنى عشر يوما، وحضرته مندوبيا عن الحوزة العلمية فى قم المقدسة ، ومبعوثا من اسرة مجلة (الهادي) الغراء .

وقد انعقد المؤتمر هذا العام فى مدينة (تيزى وزو) التى تبعد بمقدار 120 كم عن الجزائر (العاصمة) وفى قاعة معهد التكنولوجيا العالمى ، وقد حضر جلسات المؤتمر المتتابة ما يقرب من 1500 شخص

يشكل ما يقرب من مائتى شخص منهم العلماء والمفكرون والشخصيات الاسلامية اللامعة والاساتذة المشهورون فى الاقطار الاسلامية المختلفة فى حين يشكل القسم الاكبر منهم الطلاب الجامعيون فى الجزائر والذين اختيروا للحضور بالقرعة . وبالطبع فان عقد هذا المؤتمر فى الجزائر سنويا يهدف بالاضافة الى العرض العام للافكار الاسلامية التى يحملها علماء اجلة ومفكرون لهم سابقة فى الدعوة ومناقشة هذه الافكار ، بالاضافة الى ذلك فانه يهدف لتعريف الشعب الجزائرى وخصوصا الجيل الشاب المثقف والطلاب الجامعيون بذلك وصولا الى الثقافة الاسلامية المركزة والاصيلة ، ويمكننا ان نتبين اهمية ذلك اذا لاحظنا ان الجزائر المسلمة كانت تترزح وخلال 130 سنة تحت نير الاستعمار الخارجى الذى حمل فيما حمل مهمة الاستعمار الفكرى ، والتبشير المسيحى ، ومع ان الجزائر كانت قد اكدت رغم كل الظروف على شخصيتها الاسلامية وقاومت كل حباثل الاستعمار وحاربت مخططاته ولكن ورغم كل ذلك كان الاستعمار قد ترك بعض الاثار غير المرغوب فيها من تشويش فكرى وايجاد جهل متعمد وغير ذلك ، وعندما استقلت الجزائر رافعة علمها بيد مخضبة بدم الجهاد واجهت بعض المشاكل الاجتماعية وبعض سوء الفهم للاسلام مما دفنح المسؤولين فى الجزائر لان يطرحوا تلك المشاكل فى مثل هذه المؤتمرات محاولين حلها على حسب الموازين الاسلامية .

وعقيدتى الشخصية فى المجتمع الجزائرى واكثريته الساحقة هى ان الاستعمار والتبشير المسيحى لم يستطع ان يؤثر بعمق فى الآداب والعادات الاسلامية والبرامج الحياتية ، ومع غض النظر عن الامور التى نلاحظها كظواهر غريبة فى كل العواصم الاسلامية او عطلة يوم الاحد محل يوم الجمعة ومن قبيل ذلك فان الجزائر حافظت وبكل رجولة على روحها الاسلامية .

واختتم الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى اعماله بعد ثلاثة عشر يوما اضيف اليها يومان للتجول والسياحة عبر جبال القبائل ومدنها وقراها وقد تناولت الدراسات والمناقشات والمحاضرات خمسة مواضيع رئيسية توزعت عليها خمس لجان متفرعة عن الملتقى (وقد اشتركت فى اللجنة الثالثة للتبشير) والخامسة (الاعلام) واعدت التوصيات النهائية بشأنها . وقرئت فى الجلسة الختامية يوم الاثنين بعد ختام كلمات الوفود وقد تحدثت آنذاك بحديث مختصر بصفتى ممثل الجامعة الاسلامية فى قم مهنتا باسم امام الجامعة

واسانفتها وطلابها بالجهود التي تبذلها جزائر الثورة في سبيل
احياء الشريعة الاسلامية وتطهير المجتمع من الافات ثم القى الاخ
مولود قاسم كلمة الختام وشكر فيها الاساتذة والعلماء الذين تحملوا
المتاعب في سبيل المشاركة في الملتقى ثم تعرض الى التوصيات فقال
« ان هذه التوصيات تتخذ للمرة الاولى فيما نعلم على مستوى العالم
الاسلامى واننا لندرجو من متابعة تنفيذها العلاج لكثير من امراض
مجتمعاتنا الاسلامية والانطلاق من جديد نحو تدارك ما فات
واسترجاع ما فقد وتحقيق المجتمع الفاضل الذى تسعى اليه الانسانية
كلها ويحثنا عليه الاسلام » .

ثم اكد انه رغم اجتماعات العلماء المسلمين في عواصم مختلفة
من عالمنا الاسلامى الواسع فانه لأول مرة ربما في العصر الحديث
يجتمع رجال من سائر المذاهب الاسلامية في صعيد واحد لتبادل
وجهات النظر حول المصير الواحد للامة الواحدة ثم اضاف « فهنيئاً
يا تيزى وزو بما اتيح لك ان يتلاقى فيك السادة المالكية والزيدية
والشيعية والحنفية والشافعية والحنابلة ، ولم يخلف لك احد الميعاد
بل جاء كل منهم بحسن النية ووافر الزاد وكنت لعلماء الاسلام
المجمع والمسجد الجامع ، لقد تباحثوا في ربوعك بشؤون الشريعة
الواحدة واتفقوا على ضرورة ارجاع الامة بها الى الطريق المستقيم
الواضح المعالم على هدى النقل والعقل وحصنوا البنيان بالاركان
وجعلوا السقف يحمى الديار ويقيها من العار والدمار وتركوا بهذا
الشرط باب الاجتهاد واسعا مفتوحا » ، وهكذا انتهت جلسات هذا
الملتقى الاسلامى العاشر بالفكر البناء والحرف الرسالى المقدس
فندرجو له ان يتحقق في كل عام فيقدم للامة نتاجه المعطاء الذى يتحول
الى سراج وضياء ينير للامة دربها اللاحب .

فبزة تاريخية عمه ولديها بزى وزو

للأستاذ المردي البوعبدلي
عضو المجلس الإسلامي الأعلى ومائة - الجزائر

هذه الولاية تشمل معظم القبائل الكبرى أى ما يسمى ببلاد
زواوة ، وهى على تقسيمها الحالى تحدها من الشرق والجنوب الشرقى
ولاية سطيف ، وغربا ولاية عاصمة الجزائر وبعض ولاية لمدينة
(التيطرى) وجنوبا ولاية لمدينة (التيطرى) ، وشمالا البحر الابيض
المتوسط .

جوانب من تاريخها الجغرافى

يرجع تاريخ تقسيمها الجغرافى الى عهد الرومان ، فالرومان الذين
حكموا بلاد افريقيا الشمالية بتمامها (المغرب العربى) من ثلاثينات
القرن الاول المسيحى الى تسعينات القرن الثالث منه قسموا البلاد الى
أربع دول :

الاولى : افريقيا وكانت تطلق على الجمهورية التونسية الحالية وعاصمتها اذ ذاك قرطاجنة .

الثانية : نوميديا وكانت مساحتها تمتد ما بين طبرقة ووادي بجاية وعاصمتها سيرتا (قسنطينة) .

الثالثة : موريطانيا القيصرية « السيزارية » من وادي بجاية الى وادي ملوية - حدود المغرب - وعاصمتها شرشال .

الرابعة : موريطانيا التنجيتانية (Mauritanie Tingitane) وهي المملكة المغربية الحالية وعاصمتها طنجة .

كانت هذه الناحية اى بلاد القبائل تابعة فى اول عهد الرومانى لنوميديا وكان حاكمها ماسنيسا يتمتع بالاستقلال الداخلى وبعد ثورة يوغرطة حول حكمها الى موريطانيا السيزارية (شرشال) بدلا من نوميديا وصارت تحت حكم روما المباشر بدلا من الاستقلال الداخلى . كانت بلاد القبائل قطعة من قبيلة كتامة الممتدة من دلس الى القالة وبعد تداول الدول الفاطمية تم بنى زيرى وانتقال عاصمة الحمادين من القلعة الى بجاية بقيت بلاد القبائل تابعة لحكم بجاية فى عهد الحمادين ثم فى عهد الموحدىن فالحفصيين وفى اواخر العهد الحفصى احتل الاسبان بجاية وذلك فى سنة 917 هـ الموافق لـ 1510 م ، فعندئذ تكونت فى بلاد القبائل دولتان او امارتان ، القبائل الصغرى وكان ينداول حكمها آل المقرانى وكانت قاعدتها قلعة بنى عباس ثم مجانة ، والامارة او الدولة الثانية دولة آل ابن القاضى وكانت تحكم بلاد القبائل الكبرى وقاعدة الحكم جبل كوكو ، كان مؤسس هذه الدولة الشيخ أحمد بن القاضى الزواوى قاضى بجاية فى عهد الحفصيين ولعب دورا خطيرا حيث كان المتسبب فى احتلال عروج وخبر الدين للجزائر وطرده الاسبان . والمؤرخون متفقون على هذا الا أنهم اختلفوا فى كيفية الاتصال فمنهم من قال بانه كاتب الخليفة العثمانى عندما رأى البلاد مهددة بالخطر الصليبي والحقيقة انه سهل على عروج لما كان بجيجل الدخول الى العاصمة - الجزائر - وكان معه سالم بن التومى الثعالبي أميرها اذ ذاك ولما احتل الاتراك الجزائر أساءوا به الظن وبرفيقه سالم بن التومى ، فقتل عروج سالم بيده ، وتحارب

مع احمد ابن القاضي الى ان قتل في بعض المعارك بتنية بنى عائشة .
ان ابن القاضي كانت بينه وبين جيرانه آل المقراني منافسة الجوار ،
ولما صهر الاتراك المقراني وكانوا يستعملون سياسة التفرقة ، أوقدوا
نار الفتنة ، واتهموه بموالاته الاسبان ، فكانت الحرب التي لقي فيها
حتفه ، وتوارث حكم الامارة بعده افراد اسرته الى أواخر العهد
التركي ، بخلاف ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن الامارة ذهبت مع
مؤسسها ، وهذا الحسين الورتلاني (1125 - 1193) ذكر في رحلته
انه لما وصل الى جامع الصهاريج بالقبائل الكبرى قال (ونزلنا عند
المعظم سيدي محمد بن القاضي الشريف سلطان زاوة وعاهدنا (I)
على الحج ومشى معنا ثم مات رحمة الله عليه بعد خروجنا من المدينة
المشرقة ودفن بباب الينبع في شهر محرم سنة 1180 ، » .

كان الحكم التركي ببلاد القبائل سوريا وكثيرا ما كان الاتراك
يكتفون بتعيين بعض القواد وفرض الضرائب الرمزية وفي الحقيقة
كانوا هم الذين يسترضون بعض القبائل بالعطايا ، ومن ذلك ما ذكره
المؤرخ مرسى Mercier في كتابه : « تاريخ افريقيا
الشمالية » Histoire de l'Afrique septentrionale

قال : « وفي صيف 1823 ثار قبائل بنى عباس واحتلوا
البيبان (المر الرئيسي بين الجزائر وقسنطينة) ومنعوا الجيش
التركي من المرور ، وذلك لسبب أن باي قسنطينة تعهد لهم بدفع
خمسمائة كبش سنويا ، وتأخر في تلك السنة عن مواعده ، فثاروا
على الاتراك ودامت هذه الثورة ما يقرب من سنتين هاجم اثنائها قبائل
بنى عباس بجاية وقتلوا واليها « لخير يطول » كان سكان هذه المنطقة
باتفاق معظم المؤرخين اباة الضيم يثورون المرة بعد المرة على الحكام
كيفما كانت اجناسهم ودياناتهم ونظام حكمهم ، اعترف لهم الفينيقيون
بالاستقلال الداخلي طيلة عهدهم (2) ، وتقربوا الى رؤسائهم بالمصاهرة

(I) ان الورتلاني لما عزم على الحج عقد رحلة الى القبائل الصغرى
والكبرى ليدعو الناس الى الحج حسب العادة المتبعة اذ ذاك .

(2) ذكر ذلك بتفصيل المؤرخ ستيفان غسيل Stephane Gsell
في تاريخه الذي خصصه للامارات البربرية بين عهدي قرطاجنة وروما

وكذلك الرومانيون في أوائل عهدهم ، الا انهم بعد ثورة يرغرطة
نكصوا على اعقابهم ، واستبدلوا الاستقلال بالحكم المباشر . ولهذه
الاسباب تاروا عليهم عندما اتيجت لهم الفرصة للانتقام .

لم يشر أى مؤرخ الى هذه الثورات التى وقعت ابتداء من سنة 253م
ودامت الى سنة 260 ، تم من سنة 260 الى سنة 277 م وتعرض لها
مؤرخو العهد الرومانى منهم كاط فى كتابه تاريخ الشمال الافريقى
(E. CAT., Professeur de l'École Supérieure d'Alger).

ج I ص 85 قال «ان البرابرة اغتتموا فرصة خلافات حكام روما
فثاروا عليها سنة 253 وكانت ثورة خطيرة ، وان لم يتحدث عنها
المؤرخون الا ان نعوش الحفريات التى عثر عليها فى عدة جهات
خصوصا فى حفريات سور الغزلان ومدينة «تارولت لامبيز» دلتنا
عليها ، فمن جملة التوار نجد سكان جبال بابور الذين كانوا يسمون
بابار (Babares) وسكان جبال القبائل الكبرى الذين
كانوا يسمون : (Quinquegentiens) كانوا حوثيان ثم ذكر
قبائل اخرى فقال « ان هؤلاء الثوار كان يقودهم أربعة رؤساء يسمون
ملوكا وكان النائرون من القبائل الكبرى والصغرى ففصدوا مدينة
سور الغزلان وبعد حصارها قاومهم (Q. Gargilius Martialis)

قائد البلدة فانهم الشوار وعلى رأسهم القائد البربرى فراكس
(Farax) ثم تابع قائد السور (Martialis) سيره

نحو جبال بابور ليلتقى مع زميله ماكرنوس دسيانوس
(Macrinus Decianus) رئيس نوميديا ، الا انه لم يصل اليه ،
فقتله الثوار فى معركة وكان هؤلاء الثوار راجعين من تخريب ميله «
البح نم تجددت هذه الثورة بعد سنوات اى سنة 290 ولم تنته طيلة
سبع سنوات الى ان جاء امبراطور روما نفسه لمحاربة القبائل الكبرى
وقد سجل هذا الانتصار بنصب تذكارى وجد فى حفريات كنيسة
بجاية بعد الاحتلال الفرنسى . ثم تعرض كاط الى التقسيم الادارى الذى
وقع اثر اخماد نار الثورة وختم حديثه فى الموضوع بقوله :
(الامبراطورية الرومانية كانت تحس انها مهددة فى كل جهة من البربر ،
وقد بذلت نهاية الجهود لانقاذها من الخراب العاجل) وهذا نص مقاله :

(L'Empire romain se sentait partout menacé par les Berbères et on faisait les derniers efforts pour le sauver d'une ruine imminente).

كان الرومانيون في عهدهم خططوا طرقا كتب لها الخلود ، فمن ذلك الطرق التي تشق القبائل الصغرى والقبائل الكبرى ثم قبائل الحدره .

كانت هذه المنطقة في أواخر العهد التركي وفي أوائل عهد الاحتلال الفرنسي تعرف بهذا التقسيم :

القبائل الكبرى – ولاية تيزي وزو الحالية
القبائل الصغرى – وادي بجاية

قبائل الحدره من جبال بابور حيث توجد ايكجان – مركز انطلاق الدعوة الفاطمية ودولتها – بنى عزيز قرب مدينة جميلة الاترية ، وتمتد الى الميلية وجيجل وبعض أهلها ينتمون كبقية القبيلتين الى العنصر البربري الكتامى الا أنهم تعربوا بخلاف القبائل الصغرى والكبرى فقد احتفظوا بلغتهم الاصلية .

فالطريق التي كانت تربط بين بجاية ودلس وتشق بلاد القبائل الكبرى اذ تمر على قصر كبوش فجامع الصهاريج فتورقة ثم دلس ، هي التي بقيت في العهد الاسلامي تمر عليها الفوافل ، وآخر من سجل المرور على بعض مدنها الرحالة الورتلاني حوالي 1180 هـ .

كما تحدث الرحالان الشهران البكري والادريسي على الطريق الساحلي ومدنها كما سنبينه .

ثم الطريق التي تشق القبائل الصغرى أي من بجاية الى سور الغزلان وتمر على تيكلات ، آقبو ، مشدالة ، سور الغزلان فانها بقيت مستعملة الى أن جددت في العهد الفرنسي والثالثة التي تشق قبائل الحدره وهي المعروفة الآن بالطريق الساحلية التي تربط بجاية بجيجل وتمر على زيامة المنصورية .

ذكر الادريسي الطريق الساحلية التي تربط عاصمة الجزائر ببجاية فقال : « من الجزائر الى تامدقوس شرقا 18 ميلا ومن تامدقوس الى مرسى الدجاج 20 ميلا ٠٠٠ ومدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر ، لها

حصن دائر ، وبشرها قليل ، وربما فر عنها أكثر أهلها في زمن الصيف خوفا من قصد الاساطيل اليها (كالتورمانيون ملوك صقلية كانوا يشنون الغارات على السواحل اذ ذاك) ولها مرسى مأمون ولها أرض ممتدة وزراعات متصلة ، واصابة أهلها في زرعهم واسعة ، وحنطتهم مباركة ، وسائر الفواكه ، واللحوم بها كثيرة ، وتباع بالثمن اليسير ، والتين يحمل منها شرائح طوبا ومنتورا الى سائر الاقطار ، وأقصى المدائن والامصار ، وهي بذلك مشهورة ، ومن مدينة مرسى الدجاج الى مدينة تدلس 24 ميلا وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار متنزهات وبها من رخص الفواكه والاسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله ، وبها الغنم والبقر موجود كثيرا ، وتباع جملتها بالاثمان اليسيرة ، ويخرج من أرضها الى كثير من الآفاق ومن تدلس الى مدينة بجابة في البر 70 ميلا وفي البحر 90 ميلا (I) .

وقد وصف قبله زميله ابو عبيد البكري (المتوفى سنة 487 هـ الموافقة لـ 1094 م) في كتابه « المسالك والممالك » بعض هذه النواحي التابعة لولاية تيزي وزو الحالية ، فذكر الطريق التي تربط بين أشير - عاصمة زيري بن مناد وولده بلكين - ومرسى الدجاج وتمر على حمزة (البويرة) فقال : « حمزة ، وتعرف بسوق حمزة ، وهي مدينة عليها سور وخذق ، وبها آبار عذبة ، وهي لصنهاجة وكان نزلها حمزة بن الحسين بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (منها) الى بنى جناد وهي مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل ، ومنها الى مرسى الدجاج » .

وقد قال البكري في أول تعريفه لمدينة حمزة ما يلي : « وهناك مدينة تسمى حمزة . نزلها وبنها حمزة بن الحسن . . . والحسن بن علي هو الذي دخل المغرب ، وكان له من البنين حمزة هذا . وتسير من حمزة الى بلياس وهي في جبل عظيم ومن بلياس الى مرسى الدجاج ومدبنة مرسى الدجاج قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح ، وقد ضرب سور من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، ومن هناك يدخل اليها ،

(I) من كتاب نزهة المشتاق للادريسي (548 هـ 1154 م) .

وأسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور ، له باب واحد ، ولها مرفأ غير مأمون لضيقه ، وقرب قعره ، وبها عيون طيبة يسكنها الاندلسيون ، وقبائل من كتامة (وهذا دليل على أن كتامة كانت تمتد من القالة الى دلس وتجاوز دلس الى مرسى الدجاج التي أظن انها رأس ماتيفو Cap Matifou وبشرقيها مدينة بني جناد وهي أصغر منها » .

وقال البكري في موضع آخر بعد أن ذكر مرسى الجزائر وسماها جزائر بنى مزغنى قال « مرسى الدجاج وهو صيفى ويليه مرسى مدينة بجاية ازلية أهلة عامرة بأهل الاندلس بشرقيها نهر كبير ، تدخه السفن محملة وهو مرسى مأمون ٠٠ ومرسى بجاية هو ساحل قلعة ابي الطويل (قلعة بنى حماد) وعلى هذا المرسى فى تلك الجبال قبائل كتامة وهي شيعة يكرمون من مال الى مذهبهم ويبرون من وافق اعتقادهم ثم يلى مرسى بجاية سببية وعلى مرسى سببية فى جبل كتامة عين الاوقات (وقد ذكر غرائب لهذه العين) ٠٠ ثم قال ٠٠ ومن هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل الى افريقيا وغيرها وبهذا الجبل حجر اللازورد الطيب » .

ثم نجد فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى الرحالة الحسين الورتلانى يذكر كثيرا من المدن والقرى التى مر عليها بعد ان غادر مسقط رأسه ، فمر على تمقرا ، ثم قلعة بنى عباس ، ثم بوجليل فأولاد سيدى بهلول ، فبنى منجلات ، وبنى بترون ، وبنى عيسى ، فدلس . وعند رجوعه من دلس مر على بنى فراوسن وذكر أنها بلاد ابن معطى النحوى صاحب الالفية الذى عناه ابن مالك فى الفيته حيث قال : (فائقة الفية ابن معطى) ثم جامع الصهاريج (وفى جامع الصهاريج ذكر الورتلانى انه نزل عند محمد بن القاضى سلطان زواوة) ثم مر على بنى بوشعيب ، وبنى يحيى ، وورجة ، ثم تمقرا ، فبنى ورتلان .

هذه فى الجملة الخطوط الرئيسية لتاريخ ولاية تيزى وزو عبر تاريخها الفينيقى والرومانى والاسلامى قبل الاحتلال الفرنسى .

تاريخ الولاية بعد الاحتلال الفرنسي

ان احتلال هذه المنطقة تأخر الى أن انتهت مقاومة الامير عبد القادر
أى فى 23 ديسمبر 1847 .

فعندما ألقى الامير السلاح ، كانت فرنسا تهيمن على بلاد الجزائر
بحدودها الحالية ، من المغرب الى تونس ، ما عدا بلاد القبائل : الكبرى
والصغرى وقبائل الحدرة ، أى ما بين سهول متيجة غربا ، ومرفأ القل
شرقا ، ومرتفعات مجانة وسطيف جنوبا .

كانت الحكومة الفرنسية مترددة فى الاذن لقادة جيشها على شن
هذه الحرب ، اذ كان جل جيشها بحروب شسبه جزيرة القرم
Grimée فى البحر الاسود فى آسيا ، ولم تأذن لهؤلاء القادة
الا بعد رجوع الجيش ، فدامت حرب القبائل من سنة 1849 الى 1857 ،
اختار الجيش الفرنسى بعد حصوله على موافقة الحكومة على الحرب ،
اسهل المناطق الثلاثة ، وهى منطقة قبائل الحدرة ، فهاجمها
الكولونيل سانطارنو Saint Arnaud وكانت

ميادين القتال ما بين ميلا وجيجل ورغم الجهود التى بذلت فقد باء
بالفشل النريع ، وانسحب الجيش الفرنسى ، وبقيت الحالة على ما
كانت عليه ، الى أن عين المارشال راندون Randon واليا
عاما بالجزائر من سنة 1851 الى سنة 1858 ، وفى تلك الاثناء ظهر فى
بلاد القبائل الثائر الشهير الشريف بوبغلة وقتل كثيرا من القواد
الذين عينتهم (I) فرنسا اختارت فرنسا المارشال راندون
Randon لانه قضى مدة قائدا عسكريا بالجزائر أى ابتداء من
سنة 1838 ثم انه تولى ادارة الشؤون السياسية بوزارة الحرب التى
كانت الجزائر تابعة لها ثم تولى وزارة الحرب سنة 1850 وقد هيا خطة
لفتح بلاد القبائل والقضاء على الثائر الشريف بوبغلة وبمجرد وصوله
الى الجزائر سلك طريق روما فابتدأ بتخطيط وتعبيد الطرق فأحيا

(I) كانت فرنسا اتصلت ببعض القبائل واقترتهم على تعيين
رؤسائهم فواد واغوات وامناء الا ان هذا التعيين كان صوريا ولقى
معارضة من جل القبائل المتمردة والمعارضة لتدخل الفرنسيين فى
شؤونهم .

الطريق الرئيسية الرابطة بين بجاية ودلس ، ثم طريق ما بين مدينة
سور الغزلان وسطيف فبجاية ، وعندئذ هاجم قبائل الحدرة ثم
القبائل الصغرى ، ففضى على المقاومة بهما ، وقد كان سبقه للهجوم
على القبائل الصغرى سلفه المارشال بيجو الذى هاجم سنة 1844 قبائل بنى
عباس فأحرق دورهم ، وفتح اشجارهم ، الا انه لقي مقاومة ألزمته
الانسحاب ، قضى راندون على المقاومة بالقبائل الصغرى ، وبقبائل
الحضرة ، وتتبع خطته الجهنمية فى القبائل الكبرى وكان الشريف
بوبغلة ظهر حوالى سنة 1850 بالقبائل الكبرى ثم هاجم بجاية سنة
1851 وبعد انتقاله الى وادى سيباو حاربه المارشال راندون والمارشال
Pelissis والجنرال بوسكى Bosquet فرجهاوا بنجفي
حينئذ ثم استشهد بوبغلة فى معركة بسيطة مع السكان
بضواحي تازمالت لخبر يطول وذلك سنة 1854 وفى هجومات الوالى
العام راندون على القبائل الكبرى ظهرت المقاومة العنيفة لأول مرة
فى تاريخ حرب الجزائر لم تسبق مشاهدتها للجيش الفرنسى ،
فبهرته ، ولما بحث عنها وجدها فرقة المسبلين ، وكتب عن نظامها كثير
من قادة الجيش ، وصرح واحد منهم فى مذكراته وتقاريره الرسمية
لرؤسائه ان شعبا يوجد فيه مثل هذا النوع من المقاتلين ينبغى ان
يقرا له ألف حساب ، وللذين كانوا يدعون الى اتخاذ الاسسنعمار
الانكليزى لبلاد الهند مثلا يقتدى به قال الجنرال هانوطو : « ان الامة
الجزائرية التى يوجد فيها مثل هذا النوع من المقاتلين لا ينبغى ان
نغتر ونشبهها بالهنود » كما بهرت الجيش الفرنسى وعلى رأسه الوالى
العام راندون ، المجاهدة للا فاطمة نسومر ، اذ هى التى كانت تحرض
المسبلين والسكان على المقاومة بحيث ان جل من كتب على مقاومة بلاد
القبائل الكبرى ذكروا ان المقاومة خفت من وطأتها بل انتهت ، عندما
وقعت للا فاطمة نسومر فى قبضة الفرنسيين أسيرة .

ففى هذه الحرب وبعد القاء القبض على الزعيمة للا فاطمة احدثت
مدينة تيزى وزو وبنى فيها حصن عسكري وذلك سنة 1856 كما
احدث حصن آخر بسوق الاربعاء لبنى يراثن سمي بحصن نابليون ثم
صار الحصن الوطنى (Fort National) بعد انتسابها

مقاومة بلاد القبائل الكبرى حوالى سنة 1857 فرضت فرنسا ضريبة مالية فادحة على السكان واخذت منهم رهائن الا انها اُبقت نظمهم الداخلية التى جرى العمل بها عندهم منذ قرون منها انتخاب المجالس البلدية والعمالية وتعيين الامناء وأمناء الامناء والعوائد فى كثير من الاحكام وما الى ذلك .

• الاحكام وما الى ذلك (I) .

التقسيم الادارى لولاية تيزى وزو

وقع هذا التقسيم بقرارين حكوميين الاول مؤرخ فى منتصف نوفمبر 1851 بالنسبة الى منطقة ذراع الميزان ، والثانى مؤرخ فى اوت 1854 بالنسبة الى منطقة دلس ، وهاتان المنطقتان هما اللتان كانتا شمالان معظم قبائل زاوة الذين تتكون منهم ولاية تيزى وزو الحالية وقد بقيت قبائل اخرى اضيفت اذ ذاك الى مناطق برج بوغريريج كبنى مليكش وغيرها .

منطقة ذراع الميزان

كانت تشمل مجموعة قبائل قشتولة : فريقات بنى اسماعيل ، بنى كوفى ، بنى منداس ، بنى بوغردان ، بنى بوغدو ، مشت راس ايغيل ايولا ، الشرقة الخ ثم قسمة جرجرة التى كان يطلق عليها فى العهد التركى (باشا غاليك جرجرة) وتشمل بنى صدقة التى كانت بدورها تشمل قبائل بنى بوشناشة ، اقدال ، اولاد على ، اويلول ، بنى رقان ، بنى شبالة ، بنى أحمد ، تاقمونت الجديد ، ثم مجموعة زاوة او اتحادية قرى زاوة (Confédération) وهى تشمل قبائل بنى ينى ، بنى وسيف ، بنى بوغكاش ، بنى بودرار ، بنى منقلات ، بنى عطاف ، بنى بو يوسف ، ايليتن الخ . ثم جنوب جرجرة الشرقى بنى قانى ، بنى أوعكور ومشذالة .

(I) ذكر هذا التقسيم الكولونيل Laoust فى مذكراته المسماة : « مذكرات ووثائق متعلقة بنورة القبائل الكبرى (1846 - 1857 »

(Notes et Documents concernant l'insurrection de 1856-1857 de la Grande-Kabylie).

• طبع جوردان بالجزائر 1902 .

منطقة دلس

وكانت تشمل ما كان يعرف في العهد التركي ببشغالليك وادى سيباو : عمراوة ، بنى خليفة ، بترونة ، معاققة ، بنى عيسى بنى دواله ، بنى واقمون فليسة البحر ، العزازقة ، بنى يتسورغ ، بنى فراوسن ، بنى يراثن ، بنى ثور ، تاورقة ، يسر ، بنى يجر ، وكانت مدينة تيزى وزو (I) - مركزا عسكريا - تابعة لمنطقة دلس ، هذه فى الجملة القبائل التى تتكون منها هذه الولاية وقد اشتهر الكثير منها فى مختلف مراحل العهود الاسلامية بمراكز علمية ما زالت منها بقايا الى يومنا هذا تحتفظ بقوانينها الداخلية التى اثارت اعجاب المنخصصين فى بحوث تطور التعليم فى العالم وذلك كمعهد اليلولى واحمد بن ادريس وغيرها ، ومن يجهل اليوم من رجالات العلم فى مختلف بلاد العالم الاسلامى اسماء لامعة كالمشذالى ، واليتورغى ، والمنجلاتى ، والغبرينى ، واليراتنى ، والفراوسنى ، واليليتنى وغيرهم فأسرة المشذالى انجبت كثيرا من كبار العلماء أبو القاسم المشذالى وولده أبو الفضل الذى انتقل الى دمشق وملا ذكره الدنيا ، وترجمه تلميذه السخاوى فى « الضوء اللامع فى بيان علماء القرن التاسع » ، كما ترجمه جلال الدين السيوطى ، وناصر الدين المشذالى الذى احدث ثورة ثقافية فى عهده ، تطور بسببها الفقه المالكى وماشى عصره ، ونفى عنه الجمود الذى كان يتهم به رجاله ، وقد خصه العالم الشيخ الفاضل ابن عاشور قبل وفاته بدراسة قيمة نشرها فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، والمنجلاتى الذى اخذ عنه ابن زاكور الفاسى وجاوره سنين وترجمه فى كتابه القيم : « نشر ازاهر البستان فيمن اجازنى بالجزائر وتيطوان » ، وقد جدد طبعه أخيرا بالقصر الملكى فى المغرب ، كما اشتهر كثير من أفراد اسرة المنجلاتى وأسرة الغبرينى ومنهم أبو العباس احمد الغبرينى صاحب « عنوان الدراية » الذى ترجم لكثير من علماء زواوة واشتهرت اسرة الغبرينى بكثير من

(I) وانما اختيرت قاعدة الدائرة ثم الولاية لموقعها الجغرافى ، الذى جعلها وسط القبائل خصوصا وان دلس التى كانت قاعدة منقطعة ومنعزلة .

أفرادها توارثوا العلم واستوطنوا تونس وعبد الرحمن الوغليسي (I) المؤلف الشهير وتلميذه عبد الكريم اليتورغي وقد اشتهرت بلاد القبائل بأنها حافظت على علم الفراءات الى العهد الاخير أى القرن الحادى عشر وكانت هذه القراءة مشهورة بقراءة زواوة ، وقد شد الرحال العالم المقرئ أبو العباس احمد برناز الحنفى التركى الاصل التونسى البلد شد الرحال الى بنى وعليس للاخذ والرواية عن احد كبار المقرئين من تلامذة الشيخ عبد الرحمن اليلولى وذكر فى فهرسته انه فى مدة اقامته بينى وعليس اجتمع عند شيخه بتشبح شيخه عبد الرحمن اليلولى ، فحقق تاريخ وجود عبد الرحمن اليلولى وحدده ، توفى احمد برناز هذا بتونس سنة 1138 هـ وترك عدة تأليف كما اشتهرت بالقبائل الكبرى زيادة عن القرى المذكورة قرية كانت من أعظم المراكز العلمية وهى قرومة بدائرة الاخضرية قيل انها من مؤسسات اللاجئيين الاندلسيين وقد انجبت كثيرا من العلماء كما حل بها أفراد من أسرة المقرئ التلمسانى توارثوا العلم فيها الى عهد الاحتلال الفرنسى ولم يفارق العلم هذه النواحي ، فقد هاجر بعد الاحتلال الفرنسى ثلة من علماء زواوة الى دمشق صحبة المجاهد الشيخ المهدي السكلاوى اليراتنى ، وقد كان من حسن الحظ ان حظوا بتراجم من معاصرهم الشيخ عبد الرزاق البيطار 1253 هـ - 1335 هـ فى تأليفه القيم (حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر) اقتطفنا منه بعض الفقرات لنستدل بها على ان كثيرا من الباحثين يجازفون فى أحكامهم على ذلك العهد ويبالغون فى وصمه بالانحطاط وضعف الثقافة الخ . قال البيطار فى ترجمة المهدي السكلاوى استاذ ابن الحداد بطل تورة 1871 قال « وقد اخذ عنه كبراء دمشق وعلمائها وحكامها وفضلائها واخذ عنه الوزير الكبير والمشير العظيم الخطير احمد عزت باشا والى دمشق اذ ذاك (هذه الخطوة لم ينلها الامير عبد القادر مع غزارة علمه وسمعته فى الجهاد الطويل) ، وكان رفيقه فى الهجرة تلميذه صالح السمعونى (1240 - 1285 هـ) وهو من بنى وعليس

(I) قد نقل فتاويه صاحب « الدرر المكنونة فى نوازل مازونة »

والونشريسى فى « المعيار »

قال فى ترجمته البيطار : « له منظومة فى الفقه المالكي وحشاها ، ثم شرح الرسالة فى علم الميقات قد جمع فيه ما نشرته يدالشتات ، وله تاريخ على طريق الرمز والابماء والاشارة ، وصل فيه لقدم محمد رشدى باشا ٠٠٠ وله فيه اسلوب عجيب وطريق نادر غريب ، وكان صالحا تقيا ، وفالحا تقيا ، رفيع المقام ، وافر الاحترام » الخ ٠٠ كما كان من جملة المهاجرين من بلادالقبائل محمد المبارك الدلسى حفيد المهدي السكلاوى وغيرهم ، وكان لصالح السمعونى ولد اشتهر فى المشرق والمغرب وهو الشيخ طاهر الجزائرى المولود سنة 1268 هـ وقد ترجمه كثير من العلماء كصديقه احمد تيمور باشا فى كتابه « اعلام المغرب » والمستشرق هنرى لاوست (I) Laoust وتلميذه العالم السلفى الشهير محب الدين الخطيب المنوفى أخيرا نقتطف منها بعض الفقرات لان الرجل أحق بالعناية وقد كان بارا لوطنه (الجزائر) فقد زارها قبل الحرب العالمية الاولى وزار معالمها وكان يتكلم الفبائلية الاصيلية ، قال محب الدين الخطيب فى مقال عنوانه : « شيخى » نقلته مجلة الشهاب بعددها المؤرخ فى جمادى الاولى 1356 الموافق ليوليو 1937 : « هو النى ربي عقلى ، وهو الذى حجب الى هذا الاتجاه الفكرى ، منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ، ولا اعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ فى ديار الشام الا وقد كانت له صلة بهذا المربي الاعظم ، واستفاد من عقله وسعة فضله ، اما مباشرة أو بواسطة الذين استفادوا منه ، وكل الذين جاهدوا هناك لاجل الحرية ، وفى سبيل المعارف ولاحياء علوم السلف ، ولاعادة مجد العروبة والاسلام ، انما كانوا من اخوانه وهو واسطة عقدهم ، ورأس مجالسهم ، أو من طبقة تلاميذه ، وهو مضرب الامثال عندهم فى كمال عقله وسعة اطلاعه التى لا حد لها » ٠٠ الى أن يقول ٠٠ : « وأهم كتب السلف النافعة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه ، وانا وكل من نشر لسنا الا قطرة

(I) نشر هنرى لاوست هذا بحثا قيبا فى مجلة « المجرب الجديد » المؤرخ فى ربيع 1354 - 1935 التى كانت تصدر بتطوان تحت عنوان « الحركة الاصلاحية السنوية المعروفة بالسلفية » تحدث فيه عن « المجلة السلفية » التى اصدرها طاهر الجزائرى سنة 1917

فى بحر الخير الذى كان يتدفق من صدر هذا العالم العامل الذى كانت الدنيا لا تساوى عنده جناح بعوضة وليس له فيها أمنية الا أن يرى عز الاسلام يعود كما كان فى أيام القوة والعدل والعلم وتقوى الله عز وجل ، انى لأرمى نفسى بالعقوق وانكار الجميل كلما فكرت فى ابطائى حتى الآن عن القيام بحقه على التاريخ ٠٠ وحياء الشيخ طاهر الجزائرى حياة دور من أدوار الاصلاح بل هى تاريخ الامة فى حقبة من حياتها ولا بد ان أقوم بهذا الواجب فى يوم من الايام الخ ٠

وقد أذاع أخيرا أحمد الجندى رئيس دائرة المجمع العلمى العربى بدمشق حديثا خصه للراحل الكريم بإذاعة لندن فى مارس 1969 قال فيه : (٠٠ اما عمله فى حياته فقد اتجه الى ناحية الاصلاح رغم علمه الغزير فعمل على نشر العلم والثقافة وتنبيه الجيل ٠٠ وبعد ان تحدث عن وظائفه فى التعليم قال ٠٠٠ كان هذا الرجل يحب العرب ويعطف على قضيتهم ويسعى الى تقدمهم وتعليمهم ، وأبرز ما كان عند الشيخ حافظته العجيبة فاذا قرأ شيئا حفظه ٠٠ وبعد ان استدل على ذلك بعدة أدلة قال ٠٠ لجا الشيخ الى ذاكرته فاتخذها وسيلة الى العيش عيش الكفاف يستعين بها على الحياة فكان يشتري المخطوطات باثمان بخسة ويبيعها فيربح بها دريهمات تساعد على الانفاق ، وكانت نفسه تأبى ان يمد يده الى أحد مهما تكن منزلته ، حتى لقد كان العظماء فى زمنه يرهبون ان يعرضوا عليه العون المادى فاذا فعلوا كان ذلك ايدانا بالفرقة التى لا لقاء بعدها وكان استاذا لجيله ، وهو الذى عمل على تأسيس المكتبة الظاهرية فجمع لها ٠٠ وللشيخ فى المكتبة الظاهرية مجموعة من الاوراق المكتوبة والتعليقات التى سطرها بخطه أثناء مطالعته الكثيرة الطويلة ، ولا ندرى متى يتاح الظهور لهذه الافكار المبثوثة ؟ ومن الذى يقدم على فض هذه الاوراق والاطلاع على ما فيها من نفائس (I) ٠

(I) أليس من العقوق ان تغفل الجزائر على مثل هذا الابن البار الذى ملأ ذكره الدنيا ، ثم أليس من حق الجزائر ان تجيب الكاتب الذى ذكر هذه المذكرات وتساءل « ولا ندرى متى يتاح الظهور لهذه الافكار المبثوثة ؟ » ٠

واننى أردت ان أذكر ناحيتين أو صفيين امانر بهما المرجم ويعلم كل باحث مستغل الفكر لا يغتر بالظواهر والمجاملة ان سب افلاس اعادة الدين ومتفصيه في البلاد الاسلاميه عامسة ، وفى بلادنا بالخصوص هو الطمع فى الاغنياء ومد الايدى للطالح والمصالح ووقوع الداعى فى فخ ممديه الجهال أو المغرضين الذين يتحكمون فى الداعية فيوجهونه كيفما شاءوا ، وينخدع لاحكامهم عليه حتى يفتن بنفسه ، فاننا رأينا انه كان يعتمد على نفسه وجل بلامذه وزراء ودوو شأن فى الحكومة ووصلت به نزاهته الى ان صار اقرب الناس اليه يخشون من مقاطعته ان عرضوا عليه الاعانة أو « الوعدة » والشيخ رحمه الله كان من علماء الحديث وان علماء الحديث شعارهم فى توصياتهم التى يختمون بها اجازاتهم هو قولهم « اتركوا اليأس مما فى ايدى الناس تعيشوا أعزة » (فأين هؤلاء ؟) وقد مثلها منرجمنا فى وقت طفت فيه المادة وقال لاوست عن نشاطه فى سوريا « حنق اللغات العربية والتركية والفارسية على السواء مع مشاركة فى مبادئ العلوم الغربية ، وأسس خزانة دمشق ، وقام فى سنة 1878 تحت اشراف مدحت باشا بتنظيم التعليم فى سوريا التى ما يزال ذكره فيها محفوظا فى روعته كما انه شن الغارات على الاستعمار التركى » ، ولنختم هذه الدراسة بالرجوع الى الحديث عن ولاية تيزىوزو فانها بعد ان احتلها الفرنسيون سنة 1857 ولاقوا فيها نوعا من الهدوء اندلعت ثورة 1871 فكان من نتائجها الغاء التصرف الداخلى للجماعات وفرض ضريبة على مجموع السكان قدرها 32 مليون فرنك ومصادرة نصف مليون هكتار (وزعت فيما بعد على المستعمرين) والذى يلفت النظر واهتم له الفرنسيون هو أن ثورة 1871 شارك فيها وحمل السلاح مائتا ألف قبائلى : رجال ونساء وصبيان من مجموع السكان الذين كان يبلغ عددهم ثمانمائة ألف (800 000) وهذه النسبة نادرة فى تاريخ مقاومة الشعوب والامم ، كما اعترف قادة الجيش الفرنسى ان عدد جيشهم الذى خاض غمار هذه الحرب لقمع الثورة بلغ عدده 82000 مقاتل ، مدجج بأحدث السلاح ، وخاضوا 340 معركة حامية الوطيس ، وقد اعترف وزير الحرب الجنرال Du Barail ان هذه الثورة

ان كانت لم تصل الى اخراج الفرنسيين من الجزائر نظرا لقوة الجيش النظامي اذ ذاك والسلاح ووفرة التموين ولكنها كلفته (وكانت تكلفه اكثر) عددا من الضحايا وخسائر في الاموال وهزائم شنيعة لولا استعمال الخديعة والمكر وتفارقة السكان ٠٠٠ الخ ٠٠ حظيت هذه الثورة بلفت نظر الكتاب الفرنسيين والاجانب وخصصوها بتأليف اهتموا فيها بدراسات العنصر البربري والطريقة الرحمانية ، وموقف ابن الحداد البطولي (رجل جاوز الثمانين سنة اعلن الحرب وشارك المحاربين وهو محمول على اكتافهم) وقد تعرض للعنصر البربري مؤرخونا من قديم ولندكر قبل الختام رأيين لكانين حللا العنصر البربري احدهما كاتب عربي مشهور وهو ابن خلدون وثانيهما كاتب بربري مشهور وهو أبو القاسم الزياني المغربي الذي علق على ابن خلدون ورد عليه بعض وجهات نظره ثم ما وصفهم به صاحب التغر الجماني وهو قريب عهد بالنسبة الى الكاتبين الاولين بل هو معاصر للزياني وكلامه ينطبق تماما على ما اجمع عليه مؤرخو العالم في مختلف العصور في وصف هذا العنصر قال صاحب التغر الجماني :

« وقد كان لهذه الامة من الانفة والمنعة والاباية ما كان يمنعهم من الانقياد الى الملوك والرضا باستدامة الدول ، والدخول تحت جناح الذل ، فكانوا لا يقرون للوكهم على قرار ، ولا يزالون ينسورون على حكاهم في سائر الاعصار والاقطار ، فلا يقوم لهم قائم الا وطالبه من خلفه ، ولا تتم قوة سلطان الا والثورة تبشره بضعفه ، حتى شعف الطالب والمطلوب » وقال قبل هذا بقليل : « ولم يزل لهذه الامم البربرية فضل مشهور ، وباع في المحامد من اول الدهور ، ولم ينفك منهم قائم يصادم بهم اعداءه ، ويجسم من قطرهم داعه » الخ (I) .

رأي ابن خلدون في البربر

قال ابن خلدون : (واما تخلقهم بالفضائل الانسانية ، وتنافسهم في الخلال الحميدة ، وما جلبوا عليه من الخلق الكريم ، ومراقبة الشرف والرفعة بين الامم ، ومراعاة المدح والثناء من الخلق ، من عز الجوار

(I) نقله الزياني في رحلته « الترجمانة الكبرى » ص 72

وحماية النزير ، والادمة ، والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر
على المكاره ، والنبات فى الشدائد ، وحسن الملكة ، والاغضاء عن
العيوب ، والتجافى عن الانتقام ورحمة المساكين ، وبر الكبير ، وتوقير
اهل الدين ، وحمل الكل وكسب المعتم وقوى الضيف ، والاعانة
على النوائب وعلو الهمة ، وابعاء الضيم ، ومشاققة الدول ، ومقارعة
الخطوب ، وغلاب الملك ، وبيع النفس من الله فى نصر دينه فلهم فى
ذلك آثار ينقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة يحفظ منها ما
يكون اسوة لتبعيه من الامم ، وحسبك ما اكتسبوه من حمييدها ،
واتصفوا به من شريفها ، أن قادتهم الى مراقى العز ، وأربت لهم على
ثنايا الملك حتى علت الايدى على ايديهم ، ومضت فى الخلف بالبسط
والفيض احكامهم ، وكان منهم مشاهير فى كل طبقة من طبقات الاسلام
بعد اسلامهم ، الخ ثم علق الزيانى على ما نقله من كلام ابن خلدون
يقوله : « قال كاتبه ابو القاسم بن احمد الزيانى ما وصف به ابن
خلدون هذا الجيل البربرى من الاوصاف الحميدة ، والمناقب السنية
العديدة ، معلومة للعرب الكرام ، فى الجاهلية والاسلام ولما سمعت
احوالهم ، وخالف فعلهم مقالهم ، حلى الله بها هذا الجنس البربرى
قبل ان يخون ويفترى ويزين على الحق ويمترى ، ولما خالفت الافعال
منهم الاقوال ، وعاشوا فى النفوس والاموال سلبهم الله الملك والعز
والسلطان ، اذ ازلهم الشيطان وضربت عليهم المغارم فى كل الاوطان
وانعكس حالهم ، فيما وصفهم به من الحصان ، وسعوا فى طريق
الانفصال بعد الاتصال ، ولم يبق لهم وفاء يعتمد ، ولا جوار لمن أراد
المستند ، وصار ما صار لمن قبلهم من العرب يستيقون للخذلان
والهرب ، شنشنة لبسوها من عادات جيرانهم عرب البساط
يستعملونها فى الحروب بالوسائط ، ولم يبق منهم متخلق بتلك
الاخلاق الحميدة ، والاوصاف القريذة الا براير الصحراء المنقطعون
فى القفر ، لا يعرفون الغدر والحق ، متنفرين عن ممالك الارياف
مقيمين لرسم الوفاء والانصاف ، فهم مع هؤلاء البربر اهل الجبال وان
كانوا اخوانا ، وفى العصبية اعوانا ، فالواحد منهم كالدينار ،
يصرف بالدراهم ، وصغيرهم ينفع المراهم ، صان الله جوهرهم عن
الفساد ، وابقاهم مصلحة للعباد ، ا ه كلام ابى القاسم الزيانى
(1147 - 1149 هـ) فى « الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمورة برا
وبحرا » نشر لجنة احياء التراث القومى بالرباط سنة 1387 هـ 1967 م
(ص 72 و ص 71) .

تصحيح اخطاء

هذه بعض الاخطاء التي رصدناها في كتاب الملتقى السابع وقد تكون هناك اخطاء أخرى لم نلاحظها نعتمد في التنبيه اليها على نباهة قرائنا الكرام وشكرا .

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
253	5	كنتم	كنتم
596	19	وامهاتكم	أمهاتكم
717	العنوان	العنوان خطأ	العنوان هو تعقيب الاستاذ سيدى محمد يوسف جبرى - باماكو - مالي
852	الاخير	المسجد	المسجد
880	العنوان	العنوان معكوس	
987	14 آية	قالوا	قولوا
1025	8	نابلون	نابليون
=	17	psychologie	psychologie
1029	26	ولو لم يحصلون	ولو لم يحصلوا
1053	العنوان :	الانسان	الانسانية
1087	4 ، 3	1844	de 1844
1093	1	لا يبق	لا يبقى
1104	15	غير واضحة	في الحجاب ، وكان في الحجاب الذى يستر

فهرس المجلد الخامس

الموسيقى :

1867 كلمة السيد مولود قاسم نايت بلقاسم

الشعر :

1877 الاستاذ حسن حموتن تحية وترحيب

1881 » » رجاء وأمل

1883 الطالب مصطفى محمد غنيت للفرحة الخضراء
الفنارى

1885 الاستاذ صالح جودت محمد الوجداوى

1889 » » حب من السماء

1891 » » دعاء : اناديك يا من تلبى النداء

1893 د. وصفى أبو مقل أين المنطق السليم ؟

1896 الاستاذ عبد الله الشماحي الشرع والوحدة

1899 » » » ستبقى يا جزائر فى فؤادى

1901 » » » هنا يا لقومى

1904 » » » انطباعات ومشاعر

1905 الاستاذ مصطفى الزرقاء انطباعات ومشاعر

1907 الرسم : (رسوم عرضت فى الملتقى)

- ملحق : دراسات وزعت اثناء الملتقى
- 1915 د. أحمد الحوفى القرآن الكريم والفكر
- الاستاذ محمد عبد الرحمن التشريع فى العالم الاسلامى اليوم
- 1935 خليفة حائر بين الفقه والقانون
- 1969 السيد أحمد البيلى الصراع بين الاسلام والاستعمار فى جنوب السودان
- 1981 الاستاذ عبد الله الشماحى روح الشريعة الاسلامية وواقع التشريع اليوم فى العالم الاسلامى
- 1993 د. عقيبة عبد الحميد شيران اخطاسار المعزلة والاندماج التى يتعرض لها ابناء الجاليات الاسلامية وواجب الدول الاسلامية نحوهم
- 2007 الاستاذ هادى الخسرو شاميان الخصائص والاتجاهات فى التشريع الاسلامى
- 2029 د. محمود دياب جامعة الشعوب الاسلامية
- الاستاذ أمين عبد الله الدفاع عن الشريعة الاسلامية
- 2039 القرقورى وصلاحتها لهذا العصر فى ضوء الفلسفة والتاريخ والقانون
- 2083 الاستاذ حسن القوتلى واقع المسلمين اليوم
- 2091 الاستاذ اسماعيل العربى المهاجر المسلم أوضاعه الاجتماعية والثقافية فى اوروبا الغربية
- 2109 الاستاذ تيمور جيلانى دور وسائل الاعلام
- 2123 الاستاذ المهدي البوعبدلى علاقات الجامع الازهر بالجزائر بمناسبة عيدہ الالفى
- 2145 د . على عبد الواحد وافى واقع التشريع اليوم فى العالم العربى ومدى انحرافه عن روح الشريعة الاسلامية ونصوصها وعن تقاليدنا وعرفنا الخلقى
- 2155 د . عبد المنعم خلاف الوحدة الاسلامية والثغرات التى حدثت فى بنائها
- 2175 د . حسن كامل حساب جراحة التجبير (تقويم الاعضاء) العربية
- 2195 نشاط الملتقى من خلال الصحافة
- 2255 الاستاذ المهدي البوعبدلى نبذة تاريخية عن ولاية تيزى وزو